



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

قسم الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

شعبة الأدب والبلاغة والنقد

أسلوب الاحتباك

في آثار أهل العلم ومواقفه في القرآن الكريم

(داسة بلاغية)

دولمة فؤدة للحصول على درجة الماجستير في اللباحتو النقد

إعداد الطالبق

أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي

الرقم الجامعي : (٤٢٦٨٠٠٢٠)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود توفيق محمد سعد

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ملخص الرسالة:

- ❖ **عنوان الرسالة :** أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ، ومواقعه في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية .
- ❖ **الدرجة العلمية :** ماجستير في البلاغة والنقد .
- ❖ **موضوع الرسالة :** دراسة الاحتباك وشبهه في تراث أهل العلم من نحاة ومفسرين وبلاغيين ونقاد ، والموازنة بين مناهج النظر المتبعة في بيان هذا النوع من الحذف الذي بدأ في صورة ملاحظات أولية لم تلق من المتقدمين عناية خاصة ، ثم دراسة الآيات القرآنية - التي توصل البحث إلى إحصائها - التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه .
- ❖ **هدف الرسالة :** تتبّع أسفار أهل العلم بغية الكشف عن أسلوب الاحتباك وشبهه ، ودراسته في البيان العليّ؛ لما يحتويه من لطائف المعاني الآخذة بأيدي العباد إلى مقام القرب من الله .
- ❖ **منهج الرسالة :** راعت الدراسة في الجانب النظري المنهج التاريخي القائم على مراعاة التسلسل الزمني في التتبع والاستقراء لما في تراث أهل العلم ، فهو أصلٌ عليٌّ في متابعة رصد حركة النمو التصاعدي التراكمي للمعرفة بأسلوب الاحتباك وشبهه ، وفي الجانب التطبيقي المنهج التحليلي في دراسة الآيات ، فغلب على هذا الجانب مراعاة صورة الاحتباك ، وسياقه ، ومقتضاه ، وأثره في المعنى والسامع .
- ❖ **من نتائج الرسالة:** أثبتت الدراسة أنّ من أقدم الإشارات إلى هذا الحذف كانت في أوائل القرن الثاني الهجري عند سيويو (١٨٠هـ) ، أمّا بداياته فقد ظهرت واضحة في أواخر الخامس عند ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ) ، وتحرّر القول في بيان مفهومه في أواخر السابع عند أبي حيان الأندلسي (٧٤٩هـ) ، كما اتضح أنّ من أقدم من أطلق عليه اسم (حذف التقابل) السجلماسي (٧٠٤هـ) ، في أوائل السابع الهجري ، و(احتباك) ابن هاني الغرناطي (٧٧١هـ) ، في أوائل الثامن الهجري، وهذه من أبرز النتائج في الباب الأول ، أما الباب الثاني فحقق أنّ للاحتباك وشبهه أثراً فاعلاً في إنماء الجانب الإيمليوي العاطفي لمن يتدبره ، فجماله يكمن في لطائف المعاني التي تحملها الأساليب البلاغية إذ أثبت جملة جليلة من المعاني الإحسانية الدافعة إلى الترقّي في مدارج الإيمليو البعد عن التردّي في دركات الكفر .

Thesis Abstract-

Title: Methods of research concerning scientist's leftovers and its position at the Holy Quran.

Scientific degree: Rhetorical criticism magister.

Name of student: Aminh Bint saud Bin Khishan Al qurashi.

Subject of letter: Accurate enlistment concerning scientist's cultures wherefrom interpreters and Rhetorical critics, as well as balancing between followed curriculums by showing that kind of cutting wich eas presented in the name of notes wich didn't take much care from older students , and than studying quraan verse wich researches' could of found , and was said about Methodist .

Purpose of the letter :Following scientists in the purpose of discovering the way of the method and studying it in the holy Quran to help people being nearest from Allah

Curriculum of the letter :The letter followed the history curriculum which is depending on time flew in exploring in scientists books ,

Its an high aim tracing movement in the way of methods and in the applying side and discovering curriculum in studying Quran verse , and **has overcomed the :**The picture of methods , its contest , its results ,

The results of the letter : All studying proved that some of the eldest signals eas in 2nd century in hijrah , in the time of (seboweh) 180 hijra but the biggining of it was shown properly in at the ending of the 5th centry 546 hijra , and than it will show the results of it in the ending of the 7nt centry with aby hayan alandalosi , and it was shown that THE ELDEST PERSON THAT THIS NAME WAS SAID ON HIM WAS (ALSEJELMASY) 704 IN HIJRA _ AND THE METHOD OF (IBN HANY ALGHERNATYY) 771 HIJRA _ AND THIS WAS ONE OF THE MOST SHOWN IN THE FIRST PLACE , BUT THE SECOND ONE SHOWED THAT THE METHOIST HAD EFFECTS ON IN THE FAITH OF ALLAH , THE PRITINIS OF IT IS IN THE MEENINGS THAT IT HAS ...

مقدمة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣م) ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

يحتاج الدارس للبلاغة - في شتى فنونها - إلى تأمل وطول نظر، يستطيع بهما الوصول إلى أسرار ودقائق الفن البلاغي المراد بجنه ، ومن ثم الوقوف على تلك الأسرار والدقائق بالتحليل الفعّال للنماذج البيانية ، وبخاصة البيان القرآني ، فهي الطريق لكشف إعجازه ، ومعرفة حقائقه . وهذا ما أشار إليه العسكري في مقدمة (الصناعتين) قائلاً : " إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل جلاله ، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ، والذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشده " (١) . فتذوق النصوص يُمكن من سير أغوارها ، واستخراج مكوناتها ، ومن ثم تنكشف للدارس دقائق اللغة وأسرارها ؛ لذا ينبغي على الدارس أن يجمع في دراسته بين النظر والتطبيق ، فهما جانباً الطريق إلى الحقيقة وتقريبها .

فأهميّة الدرس البلاغي تكمن في جانبين مهمين ، أولهما : أن ينظر في آراء أهل العلم ، وأن يجمع ما قالوه في الفن المراد دراسته ، فلعل وجهاً من الحسن يبين ، ولعل غامضاً من فكر ينجلي ، أما الجانب الثاني فهو من الأهمية بمكان ، إذ يتضمن دراسة البلاغة فناً عماده التحليل الجيد للأساليب ، فالبلاغة من هذا الجانب تساعد الدارس على فهم وتعمق النصّ البياني ، سواء كان بياناً وحي - قرآنًا وسنة - أم بياناً بشرياً - شعراً ونثرًا - ، وإذا ما تم ذلك للدارس كان أقدر على أن يبين عما أبان النص ، وأن يتحدث بهوى الشعراء وأصحاب البيان .

فالجمع بين الجانبين هو طريق الباحث الجاد إلى دراسة النماذج الرائعة من القول ، وهذا ما أسعى إليه - إن شاء الله - في بحثي ؛ لأنه باب من أبواب تجدد العلم ، وهو المسلك الذي

(١) الصناعتين - الكتابة والشعر - تأليف : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البحايوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ،

ينبغي أن يُسَلَّكَ في الدراسات البلاغية ، وتتجه إليه جهود وهمم طلاب العلم ؛ " لأننا لا نستطيع قراءة البلاغة إلَّا والنص بين أيدينا ؛ لأنَّ النصَّ هو الأول ، والنص هو الثاني ، والبلاغة ليس لوجودها مبررٌ إلَّا أن تكون أداةً تقلب لهذا النص ، وأداة تفتيش ، وتحليل ، وحفر في اللغة ؛ لاستخراج الدفائن ، وليس الحفر لإثارة الأتربة" (١) ، فالمعوَّل عليه النظر والتمحيص والتدقيق والتحليل ، وهو منطلق دراستنا البلاغية .

وقد رغبتُ في القيام بدراسة علمية لأسلوب من أساليب البلاغة القرآنية أقف على مناهج العلماء في دراسته ، ثم أتدبر هذا الأسلوب بمنهج تحليلي تأويلي يُعنى ببيان أثر الأسلوب في تصوير المعنى القرآني ، وتأثيره في نفوس القارئ لكتاب الله تعالى . وقد اخترتُ بمساعدة مشرفي (أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ، ومواقعه في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية) ، والأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع يمكن إنجازها في الآتي :

- غموض هذا الفن البلاغي على كثيرٍ من طلبة العلم ؛ لقلّة تدريسه والعناية به .
- أن أسلوب الاحتباك ضرب من ضروب إنجاز الحذف الذي هو أحد السُنن البيانية الكبرى للبيان القرآني ، بل وللبيان البشري الرفيع ، وهو أسلوب يعتمد على لطف في الحذف ومواقعه في بنية الكلام .
- أن أسلوب الاحتباك يجمع بين خصائص البناء التركيبي كما تُدرس في علم المعاني ، وخصائص التحسين المعنوي كما تدرس في علم البديع .
- إذا ما كان الحذف أحد أبواب شجاعة العربية ، فأسلوب الاحتباك في صدر باب الحذف ؛ لتضافر مواقع الحذف في بناء الكلام .

الدراسات السابقة :

سجلتُ هذا البحث ولم أكن أعلم بأي باحث تناول الاحتباك ، ومن بعد التسجيل واعتماده والعمل في جمع المادة العلمية ، نما إليَّ أن هنالك دراسة عن الاحتباك في إحدى جامعات العراق ، وسعيت جاهدة إلى الوقوف عليها ، فيسرَّ الله لي ذلك ، فعرضتُ الأمر

(١) قراءة في الأدب القديم ، تأليف : محمد محمد أبو موسى (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ -

على المشرف ، فعرضه على الدراسات العليا ؛ للموازنة بين منهجنا وخطتنا ، ومنهج الرسالة وخطتها ، فقضى باستكمال العمل للمفارقة منهجاً وخطاً بين الرسالتين ، وعلى ذلك قضي الأمر ، وهذه الرسالة بعنوان : (الاحتباك في القرآن الكريم - دراسة بلاغية-) ، للباحث : عدنان عبد السلام أسعد ، قُدمت سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة الموصل ، وتم مناقشتها بتاريخ: ٢٩/٨/١٤٢٥هـ / ١٣/١٠/٢٠٠٤م . وقد قضى الأستاذ المشرفُ ألا أقرأ سطرًا من الرسالة إلّا من بعد الفراغ من عملي كله وإجازته منه ، ثم الإذن لي بالنظر والمراجعة ؛ لاستكمال نقص عندي ، أو تقويم عوج ، أو تصويب خطأ ، وقد التزمت بما قضى به الأستاذ المشرف وتابعه بنفسه تحقيقاً للأمانة العلمية ؛ ولذا أوجز القول فيما بين عملي وما جاء في تلك الرسالة .

أولاً : جوانب الالتقاء :

- جعل الباحث في تمهيد بحثه التعريف بفن الاحتباك لغةً واصطلاحاً ، ثم ذكر العلاقة الرابطة بين المعنيين ، وذكر ضوابط فن الاحتباك .
- جعلت جزءاً من التمهيد لبحثي يحمل مثل ذلك ، وهذا أمر لا بُدَّ من الالتقاء فيه موضوعاً لا نظراً ، فلكلَّ نظرُهُ ، فالقارئُ لهما يلحظ اختلاف النهج والأسلوب في صياغة المعاني وعرض الأفكار وترتيبها ، ومثل هذا الالتقاء يُعد من أساسيات البحث العلمي ، خصوصاً بين بحثين يحملان فكرة البحث والكشف عن فن بلاغي واحد ، وهو هنا الاحتباك .
- التزم في جميع المواضيع المدروسة عنده ذكر تقدير المحذوف ، وهو لم يستفص جمعاً أو دراسة ، ولم ألحظ غير هذا مما اشترك فيه البحثان - والله أعلم - .
- منهجه في دراسة الاحتباك "منهج تحليلي للشواهد الاحتبائية المختارة في ضوء مباحث موضوعية منبثقة من الآيات القرآنية" (١) .
- خطته اشتملت على : تقسيم البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة ،

(١) الاحتباك في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، لعدنان عبد السلام أسعد ، المشرف : أحمد فـتحي رمضان (ماجستير)،(العراق،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،قسم التربية الإسلامية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، نسخة على قرص (CD) غير موثَّق توثيقاً علمياً ، ولم أتمكن من العثور على النسخة الخطية أو صورة pdf منها) ، ص ٢ .

وثبت للمصادر والمراجع ، جاءت على النحو التالي :

المقدمة وفيها : أشار إلى خطة البحث ، وذكر منهجه ، و عرض أهم مصادر بحثه ، والتنويه ببعض الصعوبات التي واجهته في أثناء البحث .

والتمهيد وفيه عدة نقاط :

أولاً : توطئة تناول الحديث فيها عن الحذف وأهميته بصفة عامة ، ثم عرض لتعريف الاحتباك في اللغة والاصطلاح ، وانتهى إلى أن : "... هذه التعريفات لا نراها شاملة؛ لأن بعضها قيّد الاحتباك بين الجمل المتقابلة ، وبعضها قيدها بالتناظر ، والآخر بالمثل أو المتشابه ، والاحتباك أصلاً يشمل هذه الأنواع كلها ، فيقع بين الألفاظ الضدية ، كما يقع بين الألفاظ المتشابهة ، أو المتناظرة ، أو بين المنفية والمثبتة ، وقد يشترك نوعان منه في نص واحد فيكون احتباكاً مشتركاً ، وربما عني العلماء بالتقابل والتناظر والتشابه ، والتناظر الوزني بين الجملتين لا العلاقات الضدية والمتناظرة ... ولكن مع هذا يحتاج تعريفه إلى التوضيح والتبيين ، ولهذا قمنا بوضع تعريف نراه شاملاً وموضحاً للاحتباك إلى حد كبير ، ونحن عند وضع هذا التعريف لا يعني أننا نأتي بشيء جديد ، ولكن هذا التعريف مستقى من كلام معظم العلماء الذين ذكروا الاحتباك ، مع التأليف بين النصوص لوضع صورة كاملة للاحتباك فنقول: هو أن يؤتى بكلامين في النص في كلٍ منهما متضادان ، أو متشابهان ، أو متناظران ، أو منفيان ، أو يشترك نوعان منهم في نص واحد ، فيحذف من أحد الكلامين كلمة ، أو جملة إيجازاً يأتي ما يدل على المحذوف في الثاني ، ويحذف من الثاني كلمة أو جملة أيضاً قد أتى ما يدل عليها في الأول ، فيكون باقي كلٍ منهما دليلاً على ما حذف من الآخر ، ويكمل كل جزء الجزء الآخر ويتممه ويفيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف" (١) .

ثانياً : جعل في تمهيد البحث عنوان : (الاحتباك عند العلماء قديماً وحديثاً) ، وفيه أوجز إيجازاً شديداً أحل بقيمة العنوان ؛ إذ إن القارئ له لا يدرك تبعه لفن الاحتباك ؛ لأنه أشار على عجل إلى ذكر بعض العلماء الذين ورد في ثنايا أسفارهم إشارات لهذا الحذف .
ثالثاً : ذكر عنوان : (الاحتباك في القرآن الكريم أنواعه ، شروطه ، بلاغته) ، ففيه ذكر

(١) الاحتباك في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، عدنان عبد السلام أسعد (ماجستير) ، ص ٧ .

شروط الاحتباك وجعلها على نوعين: شروطاً عامة تتوفر في كل حذف ، وشروطاً خاصة بالاحتباك . ثم أشاد بذكر بعض الفوائد البلاغية التي يحققها الاحتباك في الكلام .

الفصل الأول : بعنوان : (الاحتباك الضدي) ، وفيه ذكر عدداً من مواضعه في القرآن الكريم ، فبلغت (ثمانية وستين) موضعاً . درس منها (أربعة وعشرين) موضعاً .

الفصل الثاني : بعنوان : (الاحتباك المتشابه) ، وفيه ذكر عدداً من مواضعه في القرآن الكريم ، فبلغت (تسعة وأربعين) موضعاً . درس منها (أربعة عشر) موضعاً .

الفصل الثالث : وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بعنوان : (الاحتباك المتناظر) ، وفيه ذكر عدداً من مواضعه في القرآن الكريم فبلغت (عشرة) مواضع . درس منها (ثمانية) مواضع .

المبحث الثاني : بعنوان : (الاحتباك المنفي المثبت) ، وفيه ذكر عدداً من مواضعه في القرآن الكريم فبلغت (عشرة) مواضع . درس منها (ثمانية) مواضع .

الفصل الرابع : بعنوان : (الاحتباك المشترك) وفيه ذكر عدداً من مواضعه في القرآن الكريم فبلغت (ثلاثين) موضعاً . درس منها (عشرة) مواضع .

■

وهناك بحوث عديدة تناولت الحديث عن الاحتباك ، وهي كالاتي^(١) .

- الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراومحت ترقية، للدكتور: إبراهيم صلاح الهدهد
- الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي ، بحث ترقية ، للدكتور : يوسف عبد الله الأنصاري .
- بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم ، بحث ترقية ، للدكتور : عرفات محمد عثمان .
- من صور الحذف البليغ (الاحتباك) ، بحث ترقية ، للدكتور : عبد الحميد العيسوي .
- بحث ترقية للدكتور : محمود صيام ، لم أتمكن من العثور عليه .

■

أولاً : بحث ترقية بعنوان : (الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه - أسرارهِ) . مُعدّه : د . إبراهيم صلاح الهدهد ، عدد صفحاته : (خمسة وثلاثون وثلاث مئة) صفحة ، يتكون من

(١) رُتبت أسماء الكتب ترتيباً أبجدياً مع إغفال (الـ) عند الترتيب .

مقدمة ، وتمهيد ، وثمانية فصول ، وخاتمة ، وفهارس .
التمهيد ، وفيه : * تعريف الاحتباك لغة واصطلاحاً . * مولد المصطلح . * مكان الاحتباك
من الدرس البلاغي . * أسرار الحذف بعامة . * أسرار الحذف العامة في الاحتباك . * فنون
تلتبس بالاحتباك .

**الفصل الأول بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن امتنان الله على عباده
وقدرته) . وفيه عدة نقاط : * الاحتباك في آيات السموات والأرض والبعث . * آيات
الليل والنهار . * آيات الحيوان والنبات . * آيات نصر الله المؤمنين . * آيات قدرة الله
وقهره .**

**الفصل الثاني بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الطاعة والحث عليها) .
وفيهِ عدة نقاط : * الترغيب في الإيمان والعمل الصالح . * آيات الحث على الصلاة والحج .
* آيات الجهاد . * آيات الإنفاق . * آيات الحث على التقوى ، وصلة الرحم ، والتوبة ،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . * آيات الحث على الزهد في الدنيا * الاستجابة لأمر
الله ورسوله . * الامتثال لما نهى الله عنه .**

**الفصل الثالث بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الرسول ﷺ) ، وفيه
عَرَضَ لِلآيَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ هَذَا الْغَرَضَ .**

**الفصل الرابع بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن السابقين) ، وفيه عدة
نقاط : * قصة سيدنا آدم ﷺ . * قصة سيدنا نوح ﷺ . * قصة سيدنا صالح ﷺ .
* قصة سيدنا إبراهيم ﷺ . * قصة سيدنا لوط ﷺ . * قصة سيدنا يوسف ﷺ . * قصة سيدنا
موسى ﷺ . * قصة صاحب القريتين . * السابقون عموماً .**

**الفصل الخامس بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الهدى والضلال) . وفيه
عرض للآيات التي تَضَمَّنَتْ هَذَا الْغَرَضَ .**

**الفصل السادس بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن المنافقين) . وفيه عدة
نقاط : * طبائع المنافقين في الإفساد في الأرض . * الجهاد يكشف فضائح المنافقين . * موقف
المنافقين من القرآن والدين .**

الفصل السابع بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الكافرين) . وفيه عدة

نقاط : *إعراضهم . * حجج الكافرين . * محاجة الرسول إياهم . * تهديد الكافرين . * فساد طبيعتهم .

الفصل الثامن بعنوان : (مواقع الاحتباك في حديث القرآن عن الإنذار والتحذير

والعقاب) . وفيه عدة نقاط : * آيات الإنذار والتحذير . * آيات الحساب والموقف . * آيات جهنم وأهلها .

■

ثانياً : بحث ترقية بعنوان : (الاحتباك في نظم الدرر للباقعي) مُعدّه : د . يوسف بن عبد الله الأنصاري ، يقع في (تسع وسبعين) صفحة ، ويتكوّن من مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة ، وفهارس .

المقدمة وفيها :

- عرض للهدف الذي من أجله قام البحث ، وهو بيان الاحتباك من جانبيه النظري والتطبيقي من خلال تتبعه في نظم الدرر ؛ لما تحقق فيه من عنايته واهتمامه بهذا الفن .
- ذكر عدة أهداف يسعى البحث إلى تحقيقها ، ومنها : وضع دراسة مستقلة عن الاحتباك تتناوله من جميع جوانبه: نشأة ، وتاريخاً ، وتطبيقاً .
- عرض خطة البحث التي يقوم عليها ، هي كالاتي :
التمهيد وفيه : ترجمة برهان الدين البقاعي من حيث ذكر اسمه ، ونسبه ، وولادته ، ونشأته وحياته العلمية ، ورحلاته ، وشيوخه ، ومحتته ، وثناء العلماء عليه ، ومؤلفاته ، ونماذج من شعره .

الفصل الأول بعنوان : (مصطلح الاحتباك في التراث البلاغي) ، وفيه :

- دلالة الاحتباك في اللغة والاصطلاح . - الاحتباك نشأة وتاريخاً .

الفصل الثاني بعنوان : (الاحتباك لدى البقاعي) ، وفيه عدة مباحث :

أولاً : (الاحتباك أهميته ومفهومه ومنهجه) ، وفيه : * تعريف الاحتباك . * إعجابه بفن الاحتباك . * طريقة دراسته لفن الاحتباك .

ثانياً : (الاحتباك بدون سره البلاغي) ، وفيه : ذكر أن إجمالي ذلك (مائة وأربعون)

موضوعاً من أصل (مائة وسبعة وثلاثين) موضوعاً ؛ لأن ثلاثة مواضع منها ذكر فيها البقاعي أن

للاحتباك فيها وجهين . واكتفى بما قاله البقاعي فقط دون أدنى إشارة لبيان وجه الاحتباك .
ثالثاً : (الاحتباك وسره البلاغي) ، وفيه : أشار إلى أن أول موضع يذكر فيه البقاعي السر
قول الحق ﷺ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (التقصص: ٧، ك) . وفيه نظر ؛ لأن أول موضع ذكر
فيه السر قول الحق ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ... ﴾ (البقرة: ١٧٠، م) . ثم عرض
لعدة مواضع ذكر فيها البقاعي السر من وراء الحذف .

رابعاً : (اقتران الاحتباك باحتباك آخر) ، وفيه : أشار إلى أن البقاعي ذكر (ستة) مواضع
اقترن فيها الاحتباك باحتباك آخر . وفيه نظر ؛ لأن ذلك في (عشرة) مواضع .
خامساً : (اقتران الاحتباك بفن بلاغي آخر) ، وفيه : ذكر الاحتباك مع التشبيه ،
والاحتباك مع الكناية ، والاحتباك مع الطباق ، والاحتباك مع المقابلة ، والاحتباك مع مراعاة
النظير ، والاحتباك مع الاستخدام .
سادساً : (الاحتباك والقراءات القرآنية) ، وفيه : ذكر (ثلاثة) مواضع أشار إليها البقاعي .

■

ثالثاً : بحث ترقية بعنوان : (بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم) . مُعَدُّهُ : د . عرفات محمد
أحمد عثمان ، عدد صفحاته : (ثمان وتسعون) صفحة ، ويتكون من : مقدمة ، وتمهيد ، ثم
درس مواضع الاحتباك التي جاء بها ، وخاتمة ، وفهرس خاص بالمراجع فقط - .
التمهيد وفيه : *تعريف الإيجاز لغة واصطلاحاً . *اهتمام البلاغيين به . *أقسام الإيجاز . *
معنى الاحتباك في اللغة وفي الاصطلاح . * سر بلاغة الاحتباك . * ثم وضع عنوان : (آيات
الاحتباك في القرآن الكريم) ، درس مواضع الاحتباك ، وهي (اثنان وأربعون) موضعاً ، أفرد
لكل آية عنواناً درسها تحته ، والتزم في دراستها منهجاً واحداً ، وهو : أنه يذكر الآية الواقع
فيها الاحتباك ، ثم يضع عنوان : (التفسير) ، وفيه يذكر تفسير الآية مبسطاً ، ثم يضع عنواناً
آخر : (وجه البلاغة) ، وفيه يذكر تقدير الاحتباك ، ويشير إلى تعريفه ، وفي بعض الأحيان
يدعم قوله بأقوال العلماء قبله .

■

رابعاً : بحث ترقية بعنوان : (من صور الحذف البليغ-الاحتباك-) مُعَدُّهُ : د . عبد الحميد محمد العيسوي ، في أربعة أعداد من مجلة الأزهر الشريف . الإصدار الأول : يقع في (سبع) صفحات ، عرض فيه :

أولاً : إهمال البلاغيين لهذا اللون البلاغي ، وفيه أشار على عجل إلى أن شُراح التلخيص ومن نحاهم لم يذكروا هذا اللون البلاغي ضمن ألوان البديع .

ثانياً : السيرة التاريخية لهذا اللون البلاغي : وفيه عرض قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمُّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٧١م) ، ثم أشار إلى أقوال العلماء : سيبويه ، والزجاج ، وابن قتيبة ، والزمخشري ، وأبي حيان ، وابن أبي الأصبغ .

والإصدار الثاني : يقع في (سبع) صفحات ، عرض فيه : ما قاله ابن يوسف الأندلسي ، والزرکشي ، والسيوطي ، ثم ذكر عدة نتائج توصل إليها البحث . والإصدار الثالث : يقع في (ست) صفحات ، عرض فيه : دراسة نماذج من الاحتباك في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ، وهي : البقرة : (١٧١) ، (٢٢٢) ، آل عمران : (١٣) ، الأعراف : (٢٧) . والإصدار الرابع : يقع في (سبع) صفحات ، وفيه أكمل باقي النماذج ، وهي : التوبة : (١٠٢) ، هود : (٣٥) ، الأنبياء : (٥) ، الأحزاب : (٢٣) ، ثم ختم بذكر عدة نتائج توصل إليها من خلال تحليله لنماذج الاحتباك التي عرضها .

وليس يخفى أن الدراسات التي تلاقت على العمل في أسلوب واحد جد عديدة ، فكم من دراسات علمية في التشبيه في القرآن الكريم ، أو الاستعارة ، وكم من دراسة تناولت جانباً واحداً من شاعر واحد كالمتنبي ، وليس المهم الاجتماع في درس أسلوب أو قضية أو مسألة ما ، بل الأهم هو منهاج المعالجة ، ووجهة النظر ، وأدوات الدرس ، وأنا أزعم أني لم أتخذ ما اتخذه غيري من المنهج ، ووجهة النظر ، وأدوات الدرس ، فقد حرصت على ألا أكون إمعةً في واحدٍ من هذه الثلاثة : منهج المعالجة ، وجهة النظر ، وأدوات الدرس .

خطة البحث

قسمتُ البحثُ إلى مقدمة ، وتمهيد ، وبايين ، وخاتمة ، تتبعها فهارس .
المقدمة : وتحتوي على العناصر التالية : أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ،
ومنهجي في دراسة البحث .

التمهيد : يحتوي على تحرير مصطلح الاحتباك ، وبيان ضوابط الاحتباك وشبهه ، ثم بيان
علاقته بالإيجاز ، وموقعه من البلاغة .

أما أبواب الرسالة فهي على بايين :

الباب الأوّل : (الاحتباك وشبهه في آثار أهل العلم) ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : (مضمون الاحتباك وشبهه في آثار النحاة) .

الفصل الثاني : (مضمون الاحتباك وشبهه في آثار المفسرين) .

الفصل الثالث : (مضمون الاحتباك وشبهه في الدراسات البلاغية ، والنقدية) .

الباب الثاني : (الاحتباك وشبهه في البيان القرآني من حيث السياق والصورة وأثره في

المتلقي) ، وفيه : مدخل ، وثلاثة فصول :

المدخل ذو مبحث واحد :

- حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه .

الفصل الأوّل : (أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيثُ: السياق والصورة

وأثره في المتلقي) ، وفيه عدة مباحث :

المبحث الأوّل : أدلّة وحدانية الله وعجز الآلهة من دونه .

المطلب الأوّل: إثبات حنيفية إبراهيم ونفي الشرك .

المطلب الثاني: نفي القدرة على النفع والضرر لبني الإنسان وإثباتها لله وحده .

المبحث الثاني : أدلة قدرة الله وإثبات عظمته .

المطلب الأوّل : مظاهر قدرة الله .

المطلب الثاني : مظاهر إنعام الله وتفضله على الخلق .

المطلب الثالث : إثبات علم الله بما ظهر وبطن من أفعال وأعمال بني الإنسان .

المطلب الرابع : قدرة الله على إضلال بني الإنسان وهدايتهم .

المبحث الثالث : إثبات الوحي والرسالة .

المبحث الرابع : تحميد الله وتمجيده . وتحته المطالب الآتية :

المطلب الأول : إثبات صفتي الجلال والإكرام لله .

المطلب الثاني : إثبات مطلق الحمد والتسبيح له ، سبحانه وتعالى .

المطلب الثالث : تنزيه الله عن الشرك .

الفصل الثاني : (أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية ، والتكاليف الإلهية

من حيث السياق والصورة ، وأثره في المتلقي) ، وفيه :

أ - ما يتعلق بالعلاقات الخارجية بالأمم الأخرى .

ب - ما يتعلق بالعلاقة الاجتماعية بالأمة .

ج - ما يتعلق بالعلاقة الأسرية .

د - ما يتعلق بالعلاقة بالله تعالى .

الفصل الثالث : (أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيث

السياق والصورة ، وأثره في المتلقي) ، وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : أحوال أهل الإيمان والكفر ترغيباً في الجنة ، وترهيباً من النار معاً .

المبحث الثاني : أحوال أهل الإيمان والكفر وبيان جزائهم ، ترغيباً وترهيباً .

المبحث الثالث : التحذير من اتباع الشيطان ، ترهيباً من خطر الاتباع .

المبحث الرابع : الترغيب في الحياة الآخرة ، والترهيب من الحياة الدنيا .

المبحث الخامس : جزاء المحسنين وعقاب المسيئين ، ترغيباً في الثواب وترهيباً من العذاب .

المبحث السادس : الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات ترغيباً ، والتنفير منه في وجوه

المعاصي ترهيباً .

المبحث السابع : نفي التسوية بين الحق والباطل- في جميع ما يدلان عليهما- ترغيباً

وترهيباً .

منهج البحث:

الدراسة في الباب الأول غلب عليها المنهج التاريخي ؛ لأن فيه تأريخ أسلوب الاحتباك وشبهه في آثار أهل العلم ؛ لذا صنفت العلماء في كل فصل بحسب التسلسل الزمني ، فأثبت في المتن ما كان من العالم في مستوى الإبداع ، أما ما كان منه تحقيقاً ، أو تقريراً ، أو تقريباً فأثبتته في هامش من علّق على كلامه كلاً في بابه ، وقد اعتمدتُ هذا غالباً .

أما الدراسة في الباب الثاني فشملت تتبع الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه ، ثم دراستها بمنهج تحليلي تأويلي يُعنى ببيان موضع الحذف ، وتبين وجهه ، وذكر تقديره ، والإشارة إلى سر ذلك ، مع مراعاة السياق والصورة والأثر ، وقد اعتمدت هذا غالباً . والمتضح في منهج هذا الباب ، أن أغلب الآيات التي قال فيها أهل العلم -ومن أبرزهم البقاعي- بالاحتباك ، ولم يشيروا لتقدير المحذوف فيها ، جعلتها بعد التقدير من قبيل شبه الاحتباك ؛ لعدم تحقق شرط النسبة فيها .

أمّا مصادر البحث ومراجعته ، فقد تنوّعت ؛ إذ اعتمد البحث كثيراً على أسفار أهل العلم ، منها على سبيل المثال : (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين البقاعي ، فاعتمدت على هذا السفر اعتماداً بيّناً في استخراج مواضع الاحتباك ، وتقدير المحذوفات ، و(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الأندلسي ، و(البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي ، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور وغيرها . كما اعتمد على أسفار أهل البلاغة والنقد ، وفي مقدمتها (المترع البديع في تجنيس أساليب البديع) للسجلماسي ، و(طراز الحلة وشفاء الغلة) لابن يوسف الأندلسي ، وغيرها .

- اعتمدتُ منهجاً في التوثيق ، وهو : ذكر بيانات الكتاب كاملةً عند وروده أوّل مرة ، ثم وضعت (الموضع السابق) إذا توافقت الجزء والصفحة في التوثيق المتتابع ، و(المراجع السابق) إذا اختلفت الجزء والصفحة ، أو أحدهما في التوثيق المتتابع .
- خرّجتُ الآيات القرآنية بما طابق رواية حفص لقراءة عاصم في المتن ، وأثبتتُ في الهامش القراءات التي بسببها وقع الاحتباك -في بعض المواضع- ، معتمدة في ذكرها على كتب القراءات غالباً .
- بينتُ نوعَ الآية من حيث كونها مكّيّة أم مدنيّة ، معتمدةً على بعض كتب علوم

القرآن ، وفي مقدمتها : (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي . وعلى (مصحف بخط السيد مصطفى نظيف ، الشهير بقدر وعلی) .

- خرَّجَتُ الأحاديثَ النَّبَوِيَّةَ الواردةَ في متن البحث ، معتمدةً على الصحيحين - البخاري ومسلم- في المقام الأول ، فإن وجد الحديث فيهما اكتفيت بهما في التخريج ، وإن لم يكن فيهما خرَّجتهُ من سنن ابن ماجه ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، ومؤطاً مالك ، ومسند أحمد ، وسنن الدارمي . فما كان غير وارد في الصحيحين حكمتُ عليه من كتب (الألباني) .
- بيَّنتُ بعض معاني المفردات الصعبة من كتب اللغة ، وتفسير غريب القرآن غالباً .
- قمت بعمل جدول لحصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه ، معتمدةً في المقام الأول -في استخراجها- على كتب التفسير ، ثم كتب البلاغة .

اصطلاحات البحث:

الرمز	المقصود منه
ك	آية مكية
م	آية مدنية
+	دليل على أن في الآية وجهان للحذف ، وهذا الرمز استخدمته في الهامش .
(<u> </u>)	المواضع التي قال بها العالم ولم يسبقه أحد ، ولم يتبعه أحد ، أي: المتفرد بها ، وهذا استخدمته في الهوامش
(<u> </u>)	المواضع التي قال بها العالم ولم يسبقه أحد ، ولكن تبعه من جاء بعده ، وهذا استخدمته في الهوامش
()	المواضع التي سبقه غيره بالقول فيها ، وهذا استخدمته في الهامش .
(~~~~~)	المواضع التي اتفق العلماء في القول بالاحتباك فيها ، ولكنهم اختلفوا في معالجة الأسلوب ، وهذا استخدمته في الهامش

[مع فلان]	اتفق معه في القول بالاحتباك فلان .
[-]... [-]	دليلٌ على أن ما بداخل هذين القوسين اعتراض داخل نص منقول .

*

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقدم الشكر والدعاء المقرونين بالاعتراف بالتقصير والاعتذار إلى روح أبي- رحمه الله- الذي عاش متسامحاً ، ومحباً للناس ، وإلى أمي التي أفنت حياتها في تربيته وتحسين أخلاقي ، وإلى إخوتي الأفاضل ، فمهما فعلتُ فلن أفي بحقكم ، فجزاكم الله خير الجزاء ، وأدامكم لي عزاً وذنراً .

كما أسجّل جزيل الشكر لشيخني مشرف الرسالة أ.د . محمود توفيق محمد سعد ، على ما أبداه من نصح وإرشاد وتصويب وتوجيهات ، سائلةً المولى أن يبارك له في علمه ويزيده رفعةً وقدرًا .

وأقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي مناقشي الرسالة على قبولهما مناقشة الرسالة ، وتصحيح أخطائها ، فلهما من الله خير الجزاء .

والشكر موصول إلى صرح العلم العالي -جامعة أم القرى- ، ممثلة في كلية اللغة العربية عمادةً وأقساماً ، وعلى رأسها قسم الدراسات العليا التي هيأت لي الدرس والبحث في مراحل الدراسات العليا.

وأشكر كل من أعانني وهم كثيرون...

هذا ، ولم أبلغ في عملي ما يجب أن يبلغه ، وحسي أنني حاولت ، ولم أخل عليه بشيء أملكه من جهد ، ووقت ، وعناية ، وما أحسن ما قاله العماد الأصفهاني : "وإني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل... وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استعلاء النقص على جملة البشر" .

وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

التمهيد وفيه:

- ❖ تحرير المصطلح .
- ❖ بيان ضوابط الاحتباك .
- ❖ بيان ضوابط شبه الاحتباك .
- ❖ بيان علاقته بالإيجاز ، وموقعة من البلاغة .

التمهيد :

أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقفه في القرآن الكريم دراسة بلاغية) ، موضوع تحتم إيضاح معاملة ، وكشف جوانبه في تراثنا الخالد ؛ لأنه لا بد قبل التنقيب والبحث عنه في أسفار العلماء ، ودراسته في البيان القرآني ، أن أبدأ بتحديد مفهومه ، وذكر كل ما يختص به ؛ ليكون طريق البحث واضحاً يسلك باطمئنان في كل خطوة .

- الاحتباك في أصله اللغوي :

(حَبَك) : مأخوذ من "الشد بكل إتقان وإحكام ، وهو شد الإزار" ^(١) ، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها : "أما كانت تحبك تحت الدرع في الصلاة" ^(٢) . أما (حُبك السماء) في قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ (الذاريات:٧،ك) ، أي : الخلق الحسن ، والحُبك : الطرق ، يعني بها السموات ؛ لأنَّ فيها طرق النجوم ^(٣) . ويقال: للريح في الماء والرمل حُبك وحَبَائِكُ وحَبِيكُ ، أي : طرائق ، والواحد فيها حَبِيكَةٌ وحَبَاكُ ^(٤) . "والمحبوك : ما أجيد عمله ، فكلُّ شيء أحكمته وأحسنه عمله فقد احتبكته" ^(٥) .

يتضح مما تقدّم أنّ كلمة (احتباك) في العُرف اللُّغوي تدلُّ على الشيء المتقن المتفنن في بنائه ، المحكم المترابط في حياكته ونظمه ، وهذا الإحكام والإتقان محسوس ظاهر ، ومدرك معنوي ، فالحسي أساسه جمال الصناعة في إحكام النسج ، وهذا متمثلٌ في حياكة الثوب ، بمعنى: إنَّ الحُسْنَ يُرى بالعين ويملؤها ، فتجد النفوس له قبولاً ، أمّا المعنوي فأساسه الدقّة في إمعان النظر ، ويدرك في حبك السماء ، وحبك الخلق ، إلّا أنه يحتاج إلى حساس متفهم لعمق دقائق الجمال ، سواءً في طرائق النجوم في السماء ، أو في إحكام الخلق في

(١) لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ، مادة : (ح ، ب ، ك) ٤٠٧/١٠ .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ٢/٢٣٥ ، رقم(٣٠٨٣) . إسناده ضعيف ؛ لأن فيه راوياً مجهولاً ، وهو أم شبيب . قال الألباني: «وأم شبيب هذه لم أحد من ذكرها» ٦٧/٣ ، وبقية رجاله ثقة . ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (الرياض ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

(٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : (ح ، ب ، ك) ٤٠٨/١٠ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة ، تأليف : جار الله الزمخشري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ، مادة : (ح ، ب ، ك) ٧٢/١ .

(٥) لسان العرب ، مادة : (ح ، ب ، ك) ٤٠٨/١٠ .

المخلوقات .

- الاحتباك في الاصطلاح :

إنَّ الإشارةَ إلى هذا النوع من الحذف قديمة في تراثنا قديمَ البحث في تراكيب اللغة شعراً ونثراً ، فهي ترجع إلى سيبويه (١٨٠هـ) ، في تقديره أصل المعنى ، في قول الحق : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ (البقرة: ١٧١م) ، حيثُ قال : "وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع"^(١) ، فهذه أوَّل ومضة -تقريباً- ترشد إلى طريقة الاحتباك ، سار عليها بعض علمائنا في استخراج المحذوف ، وكيفية التقدير ؛ لذا فالاحتباك : أن تحذف من الأول ما أثبت في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت في الأول ؛ لغرض بلاغي .

وظاهر القول أن هذا الفنَّ البلاغي أخذ مسميات عدة ، فبعض العلماء أطلق عليه (احتباك) ، وبعضهم (حذف التقابل) ، ومن أبرز من أطلقوا اسم (احتباك) ، إسماعيل بن محمد الغرناطي^(٢) (٧٧١هـ) ، وابن يوسف الأندلسي^(٣) (٧٧٩هـ) ، وبرهان الدين البقاعي^(٤) (٨٨٥هـ) وجمال الدين السيوطي^(٥) (٩١١هـ) ، وغيرهم^(٦) .

(١) الكتاب ، تأليف : بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م) ٢١٢/١ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك ، لسري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هاني اللخمي الغرناطي الأندلسي المالكي ، تحقيق : أحمد بن محمد بن أحمد بن محبوب ذيبان القرشي ، إشراف : سليمان بن إبراهيم العايد ، (دكتوراه) ، (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم النحو والصرف ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ١٠/١ وما بعدها .

(٣) ينظر : طراز الحلة وشفاء الغلة - شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى - بديعية الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي ، حققته وقدمت له : رجاء السيد الجوهري ، (الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، ص ٥٠٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ٢٦٣/٤ ، و ١١١/١٥ .

(٥) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، قدّم له وعلّق عليه : محمد شريف سُكر ، راجعه : مصطفى قصاص ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ١٦٩/٢ وما بعدها .

(٦) ينظر : التعريفات ، تأليف : علي بن محمد الشريف الجرجاني ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة

واعتبره ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) قسماً من أقسام (التوهيم)^(١) ، غير أنه لم يذكر تعريفاً خاصاً به . وممن أطلق عليه مصطلح (الحذف المقابل) السجلماسي^(٢) (٧٠٤هـ) ، وابن السبئ المراكشي^(٣) (٧٢١هـ) ، وبدر الدين الزركشي^(٤) (٧٩٤هـ) .

■

كما عُرِفَ هذا الفن البلاغي عند بعض العلماء الفلاسفة وأصحاب المنطق بـ (القياس المضمّر) ، وعرفوه بأنه : "القياس المركّب من قضيتين شرطيتين ، تشمل كل واحدة منهما على جزأين : مقدم وتال ، فيحذف بعض أجزائها ، ويكتفى عنه بالبعض الآخر ، وذلك ما يعبرون عنه بحذف بعض المقدمات في المخاطبات الجدلية ، أو جرياً على قواعد البلاغة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال" ^(٥) .

■

وأفضل تعريف اصطلاحى لهذا الفن البلاغي عندي ما ذكره السجلماسي ، قائلاً : " هو : القول المركّب من أجزاء فيه متناسبة ، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما ؛ لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك . وقولنا: في الفاعل أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، لنحوي به ما كان نسبة الأول فيه إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع ، كما في بعض صور هذا النوع أقل

-
- الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) ، ص ١٢ ، ومعجم المصطلحات البلاغية ، تأليف : أحمد مطلوب ، (مطبعة
الجمع العلمي العراقي ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ١/٥٥ وما بعدها .
- (١) التوهيم هو : «أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيحها ، وهو يريد غير ذلك» . بديع القرآن المجيد ، تأليف : ابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني محمد شرف ، (القاهرة ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م) ، ص ١٣١ .
- (٢) ينظر : المترع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تأليف : أبي القاسم السجلماسي ، تحقيق : علال الغازي ، (الرباط ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) ، ص ١٩٥ .
- (٣) ينظر : الروض المربع في صناعة البديع ، تأليف : ابن البناء المراكشي العددي ، تحقيق : رضوان بنشقرون ، (الرباط ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) ، ص ١٤٣ وما بعدها .
- (٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، تأليف : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع : بدون) ٣ / ١٢٩ .
- (٥) الروض المربع ، ص ٣٧ .

ذلك ، والأول أكثره وأعمه " (١) ؛ وذلك لإحكام الصياغة ، ولشموله على أهمّ ضوابط الحذف من حيث ذكر شرط تحقق العلاقة والنسبة بين الطرفين معاً .

ومما سبق يُلاحظُ أنّ العلاقة بين المعنيين : اللغوي ، والإصلاحي ، قائمة في : " مأخذ هذه التسمية من الحبك ، الذي معناه الشد والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفُرج ، وشدّه وإحكامه ؛ بحيث يمنع عنه الخلل ، مع الحُسنَ والرونق . وبيان أخذّه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبّهت بالفُرج بين الخيوط ، فلمّا أدركها البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه ، كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرّقه ، فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل ، مع ما أكسبه من الحُسنَ والرونق " (٢) . فالعلاقة القوية بين المعنيين هي سبب التواصل والترابط ، والمعنى الاصطلاحي مستخرج من رحم المعنى اللغوي ملحوظاً فيه حسناً ومعنى ، فالكلام الذي يقع فيه الإيجاز ، النفوس إليه أميل ، وهذا ظاهر ملحوظ ، أمّا المعنوي ، فهو متمثل في دقة الكلام وترابطه وتلاحمه ، التي حفت بالهيبية والجلال ؛ فإدراك سرها يحتاج إلى تأمل لا يوهب إلا لمن رُزقَ فهم تدبر الكلام العالي والعلي .

■

وطريقة الاحتباك تكمن في الجمل المكوّنة من أربع كلمات أو جمل ؛ اثنتان في الشق الأول ، واثنتان في الشق الآخر ، بشرط أن تقابل الأولى الثالثة ، والثانية الرابعة في المعنى ، وهذا النوع منه أدقُّ في النظم ، وألطف في الحسن ، وأكمل في البلاغة . وقد تقابل الأولى الثانية والثالثة الرابعة ؛ وهذا قليل الوقوع - كما قيل - (٣) ، ولكنّ الأهمّ فيه : إن ذُكرت لك الأولى حُذِفَ مقابلها - سواءً أكانت الثانية أم الثالثة - ، وإن ذُكرت لك الرابعة حذِفَ مقابلها - سواءً أكانت الثانية أم الثالثة - والعكس ، فيصبح نظير كل واحدٍ من المذكور محذوفاً في كلا الطرفين .

■

(١) المترع البديع ، ص ١٩٥ .

(٢) الإيقان ١٧١/٢ .

(٣) ينظر : المترع البديع ، ص ١٩٥ .

– بيان ضوابط فن الاحتباك :

عند دراسة هذا الفن تحسن الإشارة إلى ضوابطه ؛ حتى تتضح خصوصيته التي تميزه عن غيره من أنواع الحذف الأخرى ، ومن هذه الضوابط ما يلي :

- تحقق شرط وجود الدليل .
- تحقق شرط التقابل أو التناظر بين المحذوفين والمذكورين .
- تحقق شرط النسبة بين الجمل المحذوفة والمذكورة ، بمعنى : أن يكون المذكور له علاقة بالمحذوف من قرب أو بعد .
- وجود فقرتين مذكورتين ، وأخرين محذوفتين ؛ يحذف مقابل أو نظير كل فقرة من الفقرات .
- أن يكون وراء الحذف غرض بلاغي .

– شبه الاحتباك : لم أتمكن من تعريفه تعريفاً منطقياً محكماً ، ولكن اتضح أن له ضوابط خاصة به تميزه عن أنواع الحذف الأخرى ، وهي :

- في بعض الأحيان يكون المذكور في طرف واحد والمحذوف ثلاثة أركان من الطرفين ، شَطْرُهَا أن يدل المذكور عليهما دلالة بينة .
- يطلق شبه الاحتباك -في بعض الأحيان- على ما كان المذكور فيه ماضياً أو مضارعاً ، والمحذوف ضده في المضارعة والمُضْي ، وقد يكون الركنان المذكوران في زمن المضي ، والمحذوفان في زمن المضارعة ، والعكس .
- شبه الاحتباك يتمثل غالباً فيما كانت النسبة فيه بنسبة الركن الأول إلى الرابع ، والثاني إلى الثالث .

– بيان علاقته بالإيجاز ، وموقعه من البلاغة .

أ – علاقة الاحتباك بالإيجاز .

الاحتباك باب جزل المقطع ، شبيه بالسحر ، جمّ في دلالاته ، دقيق في إدراك محاسنه ، ذو

نُسب ووصل بالإيجاز ؛ لكونه قائماً على الحذف الفني المتخير في بنائه الذي تظهر معه القيمة الجمالية ، فالبراعة في تبصر جمال الصورة التركيبية الدلالية لأسلوب الاحتباك تكمن في لطائف المعاني وتذوق صور الإيجاز .

فالعلاقة بين الاحتباك والإيجاز تتمثل في سحاء دلالة الألفاظ لاكتناز التراكيب بالمعاني ؛ لأن الإيجاز في مباني الألفاظ يُثمر لفظاً في الدلالة على المعاني ، ودقة في نمط تراكيبيها ، فالمعول عليه في إدراك المزايا والأسرار: الذوق الذي شطره الإحساس بقيمة المحذوف ، وتجنب ذكره ، "... وتجتهد أن لا يدور في خلدك ، ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توقي الشيء تكره مكانه ، والثقل تخشى هجومه" (١) .

فالاحتباك هدفه تعميق المعاني وتكثيفها في أصل ألفاظها ؛ لتثبيت القيم في النفوس ، والأخذ بأيدي الناس إلى مقام الطاعة والقرب من رب العالمين ، وهذا من محاسن جمال الإيجاز ، الذي لزم صور الاحتباك ، فما من نمطٍ تركيبي وقع فيه الاحتباك أو شبهه إلا والإيجاز من أسمى علاماته ، وأحد دوافعه .

ب - علاقته بالبلاغة .

يُعدُّ هذا النوع من الحذف مطلباً مهماً من مطالب البلاغة الآخذة بأيدي الناس إلى مقام المحبة الممزوجة بالمهابة والإجلال ؛ لما يحققه من جلائل المعاني الإحسانية اللطيفة في مدلولاتها ، العميقة في دلالاتها ، " فإنه من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والعدوبة ، الجزل المقطع ، الغريب المتزع ، اللذيذ المسموع ؛ لما بين أجزائه من الارتباط ، لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النَّسَبِ والوَصْلِ بين الأشياء" (٢) .

فهذا النوع من الحذف اختلف العلماء في تحديد بابه ، فمنهم من أدخله في باب علم المعاني ، تحت اسم (حذف التقابل) ، من أمثال : السجلماسي في (المتزع البديع) ، والمراكشي في (الروض المريع) ، والزرکشي في (البرهان) ، وكان المحور الأهم في مناط

(١) دلائل الإعجاز ، تأليف : أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ، قرأه وعلّق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، (جده ، دار المدني ، القاهرة ، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ، ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) المتزع البديع ، ص ١٩٥ .

نظرهم التركيز على ما يحققه الحذف من تأثير جليّ في بناء الأساليب المتقابلة ، وهذا أقرب إلى علم المعاني ؛ إذ إنه يهتم بدراسة تراكيب الأساليب وكيفية بنائها .
وأدخله آخرون في باب علم البديع ، تحت اسم (احتباك) ، من أمثال أصحاب البديعيات^(١) ، ومن أبرزهم : السيوطي في (نظم البديع في مدح خير شفيح) .
ولعلّ من أطلق عليه اسم (احتباك) كان ناظراً له باعتباره أحد ألوان البديع ، وكان مناط نظرهم الأهم التركيز على ما يحمله الحذف من قيم جمالية ذات أثر فعّال في النفوس ، وهذا أقرب إلى علم البديع ؛ إذ إنه يهتم بدراسة الأثر الناتج عن تأمل الأساليب .

■

(١) ينظر : نهاية الفصل الثالث: الاحتباك في الدراسات البلاغية والنقدية .

الباب الأول :

الاحتباكُ وشبهه في آثار أهل العلم

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار النُّحاةِ .

الفصل الثاني : مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار المفسِّرين .

الفصل الثالث : مضمون الاحتباكُ وشبهه في الدِّراساتِ البَلاغيةِ ، والنَّقديَّةِ .

إن للعلماء - كما يعلم - آثاراً ، البحث فيها ذو مسالك عدة ، ألفتها وأدقها : ما خفي من تلك المسالك ؛ لقلة من وقفوا عليها ؛ لذا ينبغي التأمل في دقائق تلك المسالك محاولين استقصاء حقائق منهج القول في بيان ما يتعلق بكل جزء يراد بحثه ، فالبحث عن مناهج أهل العلم في تراثهم هو البحث عن عقول هؤلاء الأجلاء في استنطاق أفكارهم ، وهذا يتطلب مزيد جهد ، وإدمان نظر ، وقوة تحمل ، وإمعان فكر ؛ لمعرفة المراد من كل قول ، وتبين المنهج الذي أُتخذ في بناء تلك الأقوال.

فإذا كان القول بالاحتباك في بعض الآثار جلياً ، فإنه في أخرى خفي لا يدرك إلا بالتبصر . والثابت الذي يسار عليه في بيان حقيقة هذا الباب هو الكشف عن مناهج أهل العلم في كيفية التعرض لهذا الفن البلاغي ، وبيان طرائقهم في توجيهه لمعرفة حقيقته ، وكيف نما على أيدي العلماء من إشارات بسيطة إلى أن استوى في صورته الكاملة ، إلى جانب الإشارة السريعة إلى مواضعه عند بعض العلماء - من المتأخرين - الذين كثر عندهم القول به ، سواءً تمثل ذلك القول في تسميته - احتباكاً - ، أو في طريقة التقدير .

■

الفصل الأول : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار النُّحَاة

الفصل الأول : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار الثُّحاة

- سيبويه : (١٨٠هـ)

لعلَّ أوَّل إشارة إلى هذا الحذف تمثَّلت في قول سيبويه في باب : (استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار) ؛ حيث يقول : " ومثله في الاتساع قوله **عَلَّكَ** : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (البقرة: ١٧١م) . فلم يشبَّهوا بما يَنْعِقُ ، وإنما شُبَّهوا بالمنعوق به . وإنما المعنى : **مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّاقِ وَالْمَنْعُوقِ بِهِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ** ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى" (١) .

قوله هذا فيه إشارة صحَّ حملها على الاحتباك عند أغلب العلماء (٢) الذين عنوا به تمام العناية ، ما بين موضح ، وشارح له ، ومكملٍ عليه ؛ لهذا أصبح القول بالاحتباك فيها ظاهراً جلياً .

ولكن : ما المعيار الذي سار عليه سيبويه في تحديد كيفية هذا الأسلوب؟

الباعث لسيبويه إلى هذا التقدير أنه رأى عدم اتِّساق عناصر صورة التشبيه المذكورة فوجب عنده التقدير ، فهو يُعَدُّ صورةً من صور الإيجاز والاتساع ، وتحليلاً لجزئيات النصِّ القرآني في طور من أطوار النُّمو لم يكتمل بعد ، ودليل هذا : " أنَّ تقدير سيبويه إنما هو تحليل لجزئيات الأسلوب في مراحلها الأولى قبل أن تتكون منها الصورة الكاملة للتمثيل ، وآية ذلك أنه قال : المعنى كذا... " (٣) .

(١) الكتاب ٢١٢/١ .

(٢) قول سيبويه حَظِي بعناية وافرة من العلماء : (نحاة ، ومفسرين ، و بلاغيين ، ونقاد) ، فهو بمثابة البذور الأولى التي وجدت مزيد عناية من المتأخرين .

(٣) مقال من صور الحذف البليغ (الاحتباك) ، لعبد الحميد محمد العيسوي ، (مجلة الأزهر الشريف ، رمضان : ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، الإصدار الأول) ، ص ١٠٥٧ فصورة الاحتباك المتمثلة في التقدير والإضمار حظيت بعناية العلماء بعد سيبويه ، ومن أبرزهم : إبراهيم بن محمد الزجاج . ينظر: إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م) ٤٧/١ . وبهذا أخذ السيرافي في شرح كتاب سيبويه ، تأليف : أبي سعيد السيرافي ، حَقَّقَه وقَدَّمَ له وعلَّق عليه : رمضان عبد التواب وآخرون ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ١٨٥/٤ .

- الزَّجَّاجُ : (٣١١هـ) .

أشار الزَّجَّاجُ إلى هذا النوع من الحذف عند بيانه قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول : "لَتُذَكَّ لَكُمْ الْأَسْلُ وَالرَّمَا حُ وَالسَّهَامُ ، وَإِيَاي وَأَنْ يُحَذِفَ أَحَدُكُمْ الْأَرْنَبا " (١) ؛ حيثُ قال : "أصله إياي وحذف الأرنب ، وإياكم وحذف الأرنب ، فحذف من كل جملة ما أثبت في الأخرى" (٢) .

- أبو جعفر النحاس : (٣٣٨هـ) .

وردت عند النحاس إشارة صح حَمَلُهَا على الاحتباك عند بعض المتأخرين، تمثلت في التقدير الذي كَشَفَ طريقته ، وذلك في (معاني القرآن) ، عند تأويله قول الحق وَلَا يَكْفُرُ الْكُفْرَانُ مِّن قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَابَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ (الأعراف: ٤، ك) . يقول : " المعنى: فجاءهم العذاب على غفلةٍ بالليلِ وهم نائمون ، أو نصفِ النهار وهم قائلون" (٣) . فهذا احتباك .

*

-
- (١) نسب هذا القول لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مراجع عدة ، ومنها على سبيل المثال : الكتاب ١/٢٧٤ .
- (٢) أغلب العلماء الذين ذكروا رأي الزجاج لم يسيروا إلى مصدره الحقيقي ، وإنما ذكروه نقلاً عن بعض العلماء ، ومنهم : السيرافي في شرح كتاب سيويه ٤٢/٥ ، وابن يعيش علي بن أبي السرايا ، في (شرح المفصل) ، (بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة المتنبّي ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ١/٢٦ ، وأبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، في (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مراجعة : رمضان عبد التواب ، (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ٢/٢٨٧ ، والمرادي المعروف بابن أم قاسم ، في (توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك) ، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ٤/٧٠ .
- (٣) معاني القرآن الكريم ، تأليف : أبي جعفر النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، (مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ١/٩ . تبعه في التقدير البغوي الحسين بن محمود بن محمد في تفسيره المسمى (معالم الترتيل) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرين ، (الرياض ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ٨/٢١٤ ، والرازي محمد بن عبد الله بن عمر التميمي في تفسيره المسمى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) ١٥/٢١ ، وابن جزى الكلبي محمد بن أحمد الغرناطي في تفسيره المسمى (التسهيل لعلوم الترتيل) ، (لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ٢/٢٩ .

- إسماعيل بن محمد الغرناطي : (٧٧١هـ) .

أشار الغرناطي إلى الاحتباك ، وذلك عند تأويله قول الحق ﷻ ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (البقرة: ١٧١م) ، حيثُ قال : "والاحتباك ظاهر ، منه قوله ﷻ ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ ، والتقدير : ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً . فحذف (داعي) ؛ لدلالة (ينطق) عليه ، و(مدعوه) ؛ لدلالة (الذين كفروا) عليه" (١) .

- ويقول في بيانه قول ابن مالك (٢) :

"مُصَلِّياً عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَاءَ" (٣)

"والصلاة من الله رحمةٌ ، ومن الملائكة استغفارٌ ، ومنا دُعَاءٌ ، وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦، م) . فإنه من قال بتعميم اللفظ المشترك فلا إشكال ، وأما من منع من تعميم اللفظ المشترك فإنه يجعل من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، فيكون التقدير : إن الله يصلي و (إن) ملائكته يصلون ، فحذف (يصلي) من الأول لدلالة (يصلون) ، و(إن) من الثاني لدلالة (إن) الأولى عليه ، وهذا من أفصح ما جاء عن العرب وأجمعه وأوجزه ، ويسمى في ألقاب البديع : الاحتباك ، وبعضهم يسميه التشبيب (٤) ، والتشبيب في اللغة : هو التعلق فسمى هذا تشبيهاً ؛ لأنَّ كلَّ واحد من اللفظين متعلق

(١) شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق : أحمد القرشي ، (دكتوراه) ١٠/١ وما بعدها .

(٢) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن هشام الأنصاري ، معه - كتاب - عدة السالك إلى

تحقيق أوضح المسالك ، تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة :

بدون ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ٧١/٤ وما بعدها .

(٣) ينظر : متن الألفية ، تأليف : محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، (القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامي ،

الطبعة : بدون ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) ، ص ٣ .

(٤) هو : «أن يقدم قبل الشروع في الكلام ما يُمهّد المراد ، وهو على وجوه» . التبيان في البيان ، تأليف : شرف

الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، تحقيق : توفيق الفيل ، وعبد اللطيف لطف الله ، (الكويت ، ذات

السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ، ص ٣٠٦ .

بالآخر" ^(١) . فالاحتباك ظاهر في التقدير الذي أشار إليه ؛ لأنَّ الحذف تمثل في الطرفين ،
فحذف من كل طرف مقابله .

■
- أحمد السجاعي : (١١٩٧هـ) :

وردت عن السجاعي إشارة إلى شبه الاحتباك عند بيانه نظم ابن مالك في ألفيته ،
يقول ابن مالك في باب المقصور والممدود :

"فَلِنَظِيرِهِ الْمَعْلُ الْآخِرِ ثُبُوتُ قَصْرِ بَقِيَّاسِ ظَاهِرِ
كَفَعَلٍ وَفُعَلٍ فِي جَمْعِ مَا كَفَعَلَةٌ وَفُعَلَةٌ ، نَحْوُ الدُّمَى " ^(٢)
حيثُ قال : "وفي الكلام شبه احتباك" ^(٣) .

■
- الصَّبَّانُ : (١٢٠٦هـ)

وَرَدَتْ عِنْدَ الصَّبَّانِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْحَذْفِ عِنْدَ بَيَانِهِ قَوْلَ الرَّجَّاجِ السَّابِقِ ، يَقُولُ :
"وقال الزجاج : التقدير : إياي وحذف الأرنب ، وإياكم أن يحذف أحدكم الأرنب ،
فحذف من كل من الجملتين ما أثبت نظيره في الأخرى ، فيكون احتباكاً ، وكذا في
السندوبي ، والاحتباك موجود على قول الجمهور" ^(٤) .

فقد يتوهم أن تقديره للمحذوف في هذا من قبيل الاحتباك ، وفيه نظر-والله أعلم- .
وهو : أن قول الزجاج ، وإن قُرِبَ من فن الاحتباك في خاصية أن الكلام على هذا التقدير

(١) شرح ألفية ابن مالك ١/١١١ .

(٢) متن الألفية ، باب المقصور والممدود ، ص ٤٧ .

(٣) حاشية فتح الجليل ، تأليف : أحمد السجاعي على شرح ابن عقيل على متن الألفية لابن مالك ، (القاهرة ، طبع

بمصر ، الطبعة : بدون ، ١٢٩٠هـ-١٨٧٠م) ، ص ٣٥٩ . تبعه الخضري . ينظر : حاشية الخضري على

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ضبط وتشكيل وتصحيح : يوسف محمد البقاعي ، (بيروت ، دار

الفكر ، الطبعة : بدون ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ١/٨٠٦ .

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه الشواهد للعيني ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب

العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٦هـ-١٩١٨م) ٣/١٩١ .

جملتان ، إلّا أنه بمقارنته بما قاله الجمهور ^(١) يتبين علة ذلك النظر ؛ وذلك لأن الجمهور قدروه على الاحتباك ، فقالوا : (إياي باعدوا عن حذف الأرنب ، وباعدوا أنفسكم أن يحذف أحدكم الأرنب) ، فحذف من الأول : (حذف الأرنب) - المحذور- ؛ لدلالة الثاني عليه (أن يحذف أحدكم الأرنب) - المحذر- ، وحذف من الثاني : (باعدوا أنفسكم) - المحذر- ؛ لدلالة الأول عليه (إياي باعدوا) - المحذور- ، ومن طرف آخر أن بعض أهل العلم من النحاة اعترضوا على ذلك التقدير ؛ " زعم الزجاج أن معناه : «إيائي وإياكم وأن يحذف أحدكم الأرنب» ، والذي قاله لا يحتاج إليه ؛ لأن قوله : (وأن يحذف أحدكم) قد دلّ على أنهم حذروا من فعلهم أن يأتوه إلى المتكلم " ^(٢) . وقال أبو حيان : "زعم الزجاج ^(٣) أن ذلك جملتان ، والتقدير : إياي وحذف الأرنب ، وإياكم وحذف أحدكم الأرنب" ^(٤) .
فما قاله الجمهور احتباك ، وليس شبه احتباك ، كما قال به بعض المتأخرين -لتحقيق شرط التقابل ، فحذف الأول لدلالة الثالث عليه ، والثاني لدلالة الرابع عليه- ، من أمثال : ابن حمدون الحاج في حاشية له على شرح عبد الرحمن المكودي التي نقل فيها ما قيل عند سابقه في هذا الموضوع فقال -بعد تقدير المحذوف على طريق الاحتباك- : "وفي الكلام شبه احتباك" ^(٥) .

أمّا ما قال به الزجاج فليس منه ؛ لأنّه حذف من الأول المحذور ، ومن الثاني المحذر- فقط- . ورأي الجمهور هو الأرجح ؛ لأنه الأقرب إلى طبيعة تقدير الاحتباك من حيث تحقق أهم شرائطه ، وهو : اتضاح التقابل بين طرفي القول بعد التقدير ، وهو ما اختاره ابن هشام ^(٦) ، وبعض سابقه الذين لا يقفون عند الاحتباك مصطلحاً ، وإنما لجؤوا إلى

(١) تمثل في قول ابن مالك ، وابن الناظم ، أبي حيان ، ابن هشام . وأخرتهم ؛ ليتضح حقيقة القول بالاحتباك بما قاله المتأخرون .

(٢) شرح كتاب سيويه ٤٢/٥ .

(٣) دليل الاعتراض على قول الزجاج يكمن في أن : إياي وإياكم على حد قول الزجاج لا بُدّ لهما من عامل .

(٤) ارتشاف الضرب ١٤٧٨/٣ .

(٥) حاشية الأسعد أبي العباس سيد أحمد بن محمد ابن حمدون الحاج على شرح - ألفية ابن مالك- تأليف : أبو زيد

سيدي عبد الرحمن المكودي ، طبعة جديدة تشرف بخدمتها وتصحيحها وضبطها : محمد صدقي ، (بيروت ،

دار الفكر ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ١-٥٤٩/٢ .

(٦) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٧١/٤ وما بعدها .

إلى تقديره وفق مقتضى المعنى في سياقه النحوي ، من أمثال : ابن مالك ^(١) ، وابن الناظم ^(٢) ، وأبي حيان ^(٣) ، والمرادي ^(٤) ، وهو كما قيل : "قليل" . فالهدف الذي سعى إليه هؤلاء العلماء هو : خدمة المعنى وبيانه من خلال الإعراب ، وليس إظهار النكتات البلاغية التي أخذت في الظهور عند أصحاب الحواشي والشروح - ؛ لأن قواعد النحو قد تأصلت ، ووصلت إلى مرحلة لم يعد فيها مجال للتجديد ، ومن هنا أصبحت أقوالهم تحليلاً وكشفاً لما خفي في تلك الأقوال من جميع جوانبها- ، من أمثال : الأشموني ^(٥) ، والصبان ^(٦) ، والخضري ^(٧) . وغيرهم ، فالخيط الدقيق الذي أُسْتُلَّ أُسْتُلَّ منه الاحتباك عند المتأخرين خفي في قول المتقدمين .

الخضري : (١٢٨٧هـ) .

يقول في قول الفرزدق :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٌ فَدَعَاءٌ ^(٨) قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي

" قوله : (كَمْ عَمَّةٌ..) أي على رواية رفع (عممة) مبتدأ خبره (قد حلبت) ، و(لك) صفة فيه مسوغان ، و(خالاة) مبتدأ حذف خبره لدلالة الأول عليه ، و(فدعاء) -بفاء فمهملتين- صفتها وهي التي اعوجت أصابعها من كثرة الحلب ... وقد حذف نظيره (من عممة) كما

(١) ينظر : الموضوع السابق.

(٢) ينظر : شرح ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن الناظم ، أبي عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك ، حققه وشرح شواهد ووضعه فهارسه : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، (بيروت ، دار الجيل ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص ٦٠٨ .

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب ٣/١٤٧٨ .

(٤) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٧١/٤ وما بعدها .

(٥) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٩١/٣ وما بعدها .

(٦) الموضوع السابق.

(٧) ينظر : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٦٨٠/١ .

(٨) «الفدعُ: عَوْجٌ وَمَيْلٌ فِي الْمَفَاصِلِ كُلِّهَا خِلْقَةٌ ، أَوْ دَاءٌ كَأَنَّ الْمَفَاصِلَ قَدْ زَالَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا لَا يُسْتَطَاعُ بَسْطُهَا

معها ، وأكثر ما يكون في الرُسْغِ مِنَ الْيَدِ وَالْقَدَمِ» . لسان العرب ، مادة : (ف، د، ع) ٢٤٦/٨ .

حذف (لك) من حالة ففيه احتباك " (١) . تقديره : (كم عمه لك فدعاء ، وكم حالة لك فدعاء) . فتحقق الاحتباك من خلال النظر في صورة التقدير ؛ إذ حذف من الأول (فدعاء) ، لما دلَّ عليها ثانيًا ، وحذف من الثاني (لك) ، لما دلَّ عليه أولاً .

■

— الملاحظ في هذا الفصل قلة ورود هذا النوع من الحذف في آثار النحاة قياسًا بغيرهم من العلماء . فيما أن للاحتباك ضوابط في تعيين المحذوف وتقديره وفق طريقة خاصة به ، فإنَّ أغلب النحاة لا يركزون على هذه الطريقة ؛ لأنَّ جُلَّ اهتمامهم مُنصبٌ على النظر في الأسلوب من زاوية الإعرابية ، وإن احتجج إلى تقدير قُدِّر وفق ضوابط نحوية —أيضًا— يقتضيها السياق . فالقول بالاحتباك ، مصطلحًا وتقديرًا ، تحقق عند بعضهم ، وهذا مناط النظر الأهم ، وقد اختلف اختلافًا بينًا في بعض المواضع حول تسمية المصطلح أهو احتباك ، أم شبهه؟ . وفي كيفية التقدير أيحمل عليه ، أم لا؟ . أمَّا ما يتعلق بدقائق الاحتباك ولطائفه فإنَّه لم يتبين ما يمكن أن يُفسَّر على هذا ، وهذا ظاهرٌ في أن لطبيعة العلم الذي يرد فيه قواعد يجب أن يسار عليها .

■

(١) حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ص ١٨٩ .

لفاصل اللوان ي :

مضمون الاحتباكُ وشبهه في آثار المفسرين

– الفصل الثاني : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار المفسرين :

مما لا شك فيه أن القول بالاحتباك وشبهه له شأنه ؛ لما خفي من جليل أسرارهِ ، ودقيق لطائفهِ ، فلقد كُثِرَ في كتب التفسير وروده -قياساً بغيرهم من العلماء- ، وهذا أمرٌ متوقَّع ؛ لأنَّ المائدة التي قام عليها علم التفسير ، مائدة الكتاب المترل الذي لا يخلق على كثرة الرد ، مائدة لها دقيق أسرارها ، ولطيف دقائقها ، المفتحة للناظر فيها ، والمتكشفة للمتأمل في خباياها ، والمعجزة للكيان البشري في الوقوف على جل أسرارها ، قال عَلَيْكَ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (البقرة: ٢٥٥، م) .

فكثرة وروده في هذا الفصل ، لا يُعْنَى بها كثرة التحدث عنه بلاغاً ، والتنقيب عن أسرارهِ ؛ لأنها لم تحظ إلا بقدرٍ قليلٍ من العناية والاهتمام ، وإنما كُثِرَ ذكر الاحتباك مفهوماً ، وتفاوت العلماء في البيان والكشف عنه ، فلعلَّ أول ما يصف صورة الاحتباك عند المفسرين ، هو: إشارات ترد في أسفارهم ، وبين ثنايا أقوالهم ، والتي يمكن تأويلها بما يتفق مع المعنى في سياقه القرآني على الاحتباك .
ومن أبرز العلماء الذين يمكن حمل أقوالهم على الاحتباك أو شبهه .
– الطبري : (٣١٠هـ).

وَرَدَ عند الطبري نوع من الحذف الذي يكون فيه المحذوف المقدر مساوياً للمذكور ، وذلك في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ؛ حيث يُقول في قول الحق عَلَيْكَ : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٥، م): "قالت اليهود -لمحمد ﷺ وأصحابه من المؤمنين :- كونا يهوداً تهتدوا . وقالت النصارى لهم : كونا نصارى تهتدوا"^(١) .

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ٥٨٩/٢ . تبعه ابن أبي الزمين عبد الله محمد بن عبد الله في تفسيره المسمى باسمه ، تحقيق : أبي عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكتر ، (القاهرة ، دار الفاروق الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ١٨٠/١ ، والماوردي علي بن محمد بن حبيب في (النكت والعيون) ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ٩٧/١ ، كما ورد لهذا التقدير إشارات عند بعض العلماء من المتأخرين ، أمثال أبي السعود محمد بن محمد العمادي في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع :

فالناظر في طرفي التقدير يلحظ أن المحذوف الذي تم تقديره واقع في الطرفين ، ففي الطرف الأول المحذوف : (تهدوا) حُذِفَ لدلالة مثله عليه في الطرف الثاني ﴿تَهْتَدُوا﴾ ، وفي الطرف الثاني المحذوف : (كونوا) حُذِفَ لدلالة مثله عليه في الطرف الأول ﴿كُونُوا﴾ ، فكل من المحذوف والمذكور في الطرفين مثيلٌ للآخر . وهذا وجه من وجوه فهم المعنى يُمكنُ حملة على الاحتباك ؛ لتحقق أهم شرائطه ، وهو : حذف المقابل لدلالة مقابله عليه في الطرفين . ولكن لم يتبين لي أن أحداً من العلماء -خصوصاً المتأخرين- أولى هذا المعنى مزيدَ عناية .

وللعلماء آراء في توجيه معنى (أو) في الآية ، فمنهم من جعلها للتفصيل على أن المعنى : "وقالت اليهود كونوا هوداً ، وقالت النصارى كونوا نصارى ، فالمجموع قالوا للمجموع لا أن كل فرد أمر باتباع أي الملتين " (١) . وامتنع كونها للتخيير "فلا يجوز أن يكون المراد به التخيير ؛ إذ المعلوم من حال اليهود أنها لا تجوز اختيار النصرانية على اليهودية ، بل تزعم أنه كفر ، والمعلوم من حال النصارى أيضاً ذلك ، بل المراد أن اليهود تدعو إلى اليهودية والنصارى إلى النصرانية ، فكل فريق يدعو إلى دينه ويزعم أنه الهدى" (٢) . ومنهم من جعلها للتقسيم بعد الجمع (٣) ؛ لأن السامع يرد كلاً إلى من قاله (٤) . وعليه فالجمع في : قالت اليهود والنصارى ، والتقسيم بـ(أو) في : (هوداً تهدوا ، ونصارى تهدوا) .

بدون) ١٦٦/١ وما بعدها ، والآلوسي شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي في (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، (بيروت ، دار الفكر ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ٣٩٣/٢ ، وإسماعيل حقي في (روح البيان) ، (إستانبول ، مطبعة عثمانية ، الطبعة : بدون ، ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م) ٣١٩/١ ، وسيد قطب في (ظلال القرآن) ، (دار الشروق ، طبعة جديدة مشروعة ، الطبعة الشرعية السابعة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ٩٢/١ ، يمكن حملها على الاحتباك بتأول .

(١) البحر المحيط ، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرين ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٥٧٧/١ .

(٢) التفسير الكبير ، ٧٣/٤ ، وروح المعاني ٣٩٣/١ .

(٣) هو : «جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو العكس تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم » . المطول - شرح تلخيص مفتاح العلوم - ، تأليف : سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق : عبد الحميد هندراوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، ص ٦٥٨ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، تأليف : محمد الطاهر بن عاشور ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) ٧/١ .

والمْتَضَحُ -والله أعلم- أنَّ المعنى : وقالت اليهود كونوا هودًا تهتدوا ، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا من قبيل اللف والنشر المرتب ^(١) ، فاللف أتى في : (قالت اليهود والنصارى) ، والنشر أتى على طريقة اللف في : (كونوا هودًا تهتدوا ، وكونوا نصارى تهتدوا) .

- الكرمانى : (٥٥٠٥هـ) .

وردت عند الكرمانى في (غرائب التفسير وعجائب التأويل) إشارة لطيفة إلى هذا النوع من الحذف .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ﴾ (البقرة: ١٧١، م) ، : "فيه أقوال : ... والثاني : مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناقع مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه في الطرف الآخر ، وله في القرآن نظائر وهو أبلغ ما يكون من الكلام" ^(٢) . وبالتتبع لسفره العظيم بناءً على قوله السابق الجليل لم يتبين لي ما يمكن حمله على هذا الحذف غير هذا الموضوع -والله أعلم- .

- الزمخشري : (٥٥٣٨هـ) .

يُعَدُّ (الكشاف) تفسيراً بلاغياً للقرآن الكريم ، والبلاغة ظهرت فيه ظهوراً كاشفاً في جوانب

(١) هو : «ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن

السامع يرده إليه» . المطول ، ص ٦٥٤ .

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل تأليف : محمود بن حمزة الكرمانى تحقيق : شمران سركال يونس العجلي (جدة ، دار

القبلة ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ١/١٩١ .

هذا الموضوع وجد مزيد عناية واهتمام من المفسرين ، منهم : أبو الحسن الحرالي . ينظر: تراث أبي الحسن الحرالي

المراكشي في التفسير ، تقديم وتحقيق : محمادي عبد السلام الخياطي ، (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح ، الطبعة

الأولى ، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م) ، ص ٣١٣ وما بعدها . وأبو حيان الأندلسي . ينظر: البحر المحيط ١/٤٨٣ .

والسمين الحلبي ، في (الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، (دمشق ، دار

القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م) ٢/٣١١ وما بعدها . وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم

الكتاب) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وآخرين ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،

١٤١٩م ، ١٩٩٨م) ٢/٢٧٠ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك . ينظر: نظم الدرر ٢/٣٣٤ .

عدّة^(١) . أمّا هذا اللون البلاغي فلم يَنَل من الزمخشري عناية تجعلنا نقول : إنه عني به ، أو بآن في ثنايا ذلك السفر العظيم ، وهذا أمرٌ راجعٌ إلى طبيعة هذا اللون البلاغي الذي لم ير الثور مصطلحاً إلّا في أواخر القرن السابع الهجري ، وأوائل الثامن الهجري ، ولكن بالنظر والتقصي يُعثرُ على إشاراتٍ ووقفاتٍ يمكن اعتبارها من قبيل الاحتباك .

ولعلّ من بين تلك الإشارات التي يمكن حملها على الاحتباك من غير إخلال بجوهر المعنى ، قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس: ١٠٧، ك) ، يقول : "... فإن قلت : لِمَ ذَكَرَ الْمَسَّ فِي أَحَدِهِمَا وَالْإِرَادَةَ فِي الْآخَرِ ؟ قلت : كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَذَكَرَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا : الْإِرَادَةَ ، وَالْإِصَابَةَ ، فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الضَّرِّ وَالْخَيْرِ ، وَأَنَّهُ لَا رَادَّ لِمَا يَرِيدُهُ مِنْهُمَا ، وَلَا مَزِيلٌ لِمَا يَصِيبُ بِهِ مِنْهُمَا ، فَأَوْجَزَ الْكَلَامَ بِأَنْ ذَكَرَ الْمَسَّ وَهُوَ الْإِصَابَةُ فِي أَحَدِهِمَا ، وَالْإِرَادَةَ فِي الْآخَرِ ؛ لِيَدُلَّ بِمَا ذَكَرَ عَلَى مَا تَرَكَ " (٢) . فهذا احتباك ، فتق أفانين القول في بيانه بأسلوب دقيق ، فيه ربط بين المذكور والمخدوف والمراد منهما .

- ويقول في قوله ﷻ : ﴿ وَعَاخِرُونَ اعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ حَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٢، م) : "فإن قلت : قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به؟ قلت : كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به ؛ لأنّ المعنى خلط كل واحد منهما الآخر ، كقولك : خلطت الماء واللبن ، تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، وفيه ما ليس في قولك : خلطت الماء باللبن ؛ لأنّك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به ، وإذا قلته

(١) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، تأليف : محمد محمد حسين أبو

موسى ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص ٥ وما بعدها .

(٢) الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبي القاسم جار الله الزمخشري

الخوارزمي ، -ومعه كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ، تأليف : ناصر الدين أحمد بن محمد

ابن المنير الإسكندري المالكي- (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ٢/٢٥٦ .

الذي يؤكد صورة الاحتباك في هذا الموضوع ما ذكره العلماء من بعده ، حول تقدير المخدوف ، وبيان وجهه ،

من أمثال : أبي حيان . ينظر : البحر المحيط ، ١٩٦/٥ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك . ينظر : نظم الدرر

٢٢٠/١٤ ، كما ينظر : إرشاد العقل السليم ١٨٠/٤ .

بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما ، كأنك قلت : خلطت الماء باللبن واللبن بالماء...^(١) .

■

- ابن عطية : (٥٤٦هـ) .

عني ابن عطية في تفسيره المسمى بـ (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ، بالإشارة إلى هذا الحذف مفهوماً ، وتقديراً ، وبلاغةً . فمن خلال النظر في المحرر تتحرر حقيقة هذا القول ، وننتهي فيه إلى أن المحرر يُعدُّ أولَ كتاب في التفسير بدأت فيه تباشير فن الاحتباك تأخذ طريقها في الظهور - مفهوماً ، وتقديراً ، وبلاغةً - ؛ لهذا نجد عند تأويله للآية التي وقع فيها مثل هذا الحذف يشيد ببلاغته الباهرة ، ومدى دقته المتناهية ، بألفاظ في غاية الدقة مترابطة ، فيقول فيه تارة: "هذه نهاية الإيجاز"^(٢) ، وأخرى: "هذه غاية البلاغة والإيجاز"^(٣) . فتأمل تصل إلى أن الإيجاز قوام لهذا الحذف البلاغي الموجز ، ففيه يصل الإيجاز نهايته وتبلغ به البلاغة غايتها .

فمن أوائل الآيات التي وقف عليها ، وأبان القول فيها ، قوله ﷻ : ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ

(١) الكشاف ٢/٢١٢ . تبعه الخازن علي بن محمد بن إبراهيم في تفسيره المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، (مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) ٣/١٤٢ . وذكر ابن المنير . ينظر: حواشي الكشاف ٢/٢١٢ . كما ينظر: حاشية التفتازاني على الكشاف ، لسعد الدين التفتازاني ، لوجه (٣١) مخطوط مصور عن نسخة رقم : (٥٧٦) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف : (٢٨٤٢) ، والشهاب في حاشيته المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ٤/٣٦٠ . وتقرر القول بالاحتباك عند البقاعي في نظم الدرر ٩/١٠ ، وأبي السعود في (إرشاد العقل السليم) ٤/٩٨ وما بعدها ، والشهاب في (حاشيته على البيضاوي) ٤/٣٦٠ ، ومحمد رشيد رضا في تفسيره القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ١١/٢٠ وما بعدها .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، (فاس ، المجلس العلمي ، الطبعة بدون ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) ٢/٦٣ .

(٣) المرجع السابق ٣/٢٨١ .

وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ (آل عمران: ١١٧ م) .

مناطق النظر الأهم في بيان هذه الآية يكمن في طرفي التشبيه ؛ لأنه محل القول بالاحتباك ، وقليل من العلماء من وقف على بيانه . يقول ابن عطية : "معناه : المثال القائم في النفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قرابة وحسبة وتحنثاً ، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباء منثوراً ، وذهابه ؛ كالمثال القائم في النفوس من زرع قوم نبتَ واخضرَّ وقويَ الأمر فيه فهبت عليه (ريح فيها صرٌّ) محرق فأهلكته ، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين ، ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أحد الشيئين المشبهين ، وترك ذكر الآخر ، ثم ذكر أحد الشيئين المشبه بهما وليس الذي يوازي المذكور الأول ، وترك ذكر الآخر ، ودلَّ المذكوران على المتروكين ، وهذه غاية البلاغة والإيجاز ... " (١) .

قوله في هذه الآية كشف عن الاحتباك مفهوماً ؛ حيث أوجز القول في بيانه بلغة واضحة المعالم ، فيها الإشارة إلى مثل هذا الحذف بارزة ، ثم عقب على ذلك بالكشف ، عن بلاغته وحسن موقعه في النفس .

■

- ويقول في قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (يونس: ٦٧، ك) : " ... وفي هذه الألفاظ إيجاز وإحالة على ذهن السامع ؛ لأنَّ العبرة هي في أنَّ الليل مظلم يسكن فيه ، والنهار مبصر يتصرف فيه ، فذكر طرفٌ من هذا ، والطرف الآخر من الجهة الثانية ، ودلَّ المذكوران على المتروكين " (٢) .

(١) الموضوع السابق . اتضح القول بالاحتباك عند البقاعي في نظم الدرر ٣٦/٥ .

(٢) المحرر الوجيز ١٨٠/٧ . تبعه النسفي عبد الله أحمد بن محمود في تفسيره المسمى (مدارك الترتيل وحقائق التأويل) ، قدم له : قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه وأشرف عليه : إبراهيم محمد رمضان ، (بيروت ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م) ١٧٩/٢ ، وأبو حيان في (البحر المحيط) ١٧٧/٥ ، والثعالبي عبد الرحمن بن مخلوف في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، تحقيق : محمد الفاضلي ، (بيروت صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ١٦٨/٢ ، والسمين الحلبي في (الدر المصون) ٢٣٧/٦ ، وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ١١/٩ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ١٥٨/٩ ، أبو السعود في (إرشاد العقل السليم) ١٦٢/٤ ، والقنوي في حاشية له على تفسير البيضاوي ١٦٥/١١ ، والشهاب في (حاشيته على البيضاوي) ٤٧/٥ ، وشيخ زاده محيي الدين في حاشيته على تفسير البيضاوي ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) ٢٣/٣ وما بعدها ، والآلوسي في (روح المعاني) ١٥٤/١١ ، وابن

فابن عطية ركّز النظر في تقدير المذوف تقديرًا كاشفًا لأركان الاحتباك الأربعة التي كشف عن صورتها بكل دقة ووضوح ، تمثل هذا الكشف في إبراز التقابل القائم على التضاد بين المعاني ، والذي له أثره في استشفاف أسرار التعبير القرآني .

■

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٢٤م) : "... تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم ، والتوبة موازية لتلك الإدامة ، وثمرتها التوبة تركهم دون عذاب ؛ فهما درجتان : إقامة على نفاق ، أو توبة منه ، وعنهما ثمرة : تعذيب أو رحمة ، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين ، وواحدة من هاتين ، ودلّ ما ذكر على ما ترك ذكره ، ويدلّ على أن معنى قوله : (لِيُعَذِّبَ) ليدم على النفاق قوله : (إن شاء) ومعادلته بالتوبة وبجرف (أو) " (١) . هذا لب الاحتباك وقاعدته التي عليها سار .

■

- أبو الحسن الحرالي : (٦٣٨هـ) .

أولاً : منهج الحرالي في (بيان أسنان الإنسان في الصعود في درج الإيمان والتردي في درك الكفران) منهج قائم على تأمل البيان القرآني وتبصر لطيف خطاباته ؛ حيث جاء الخطاب فيه على مستويات بحسب الحظ من الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، فتارة جاء الخطاب بذكر (الإنسان) ، و(الناس) ، و(الذين آمنوا) ، و(الذين يؤمنون) ، و(المؤمنين) ، و(المؤمنين حقاً) ، و(المحسنين) ، وهذا مقصد الحرالي بقوله : "أسنان القلب أسابيع" (٢) ، وكذا الحال في مراتب التقوى ، فإن أدناها (الذين اتقوا) ، وأعلىها (المتقين حقاً) ، ومراتب الإحسان أدناها (الذين أحسنوا) ، وأعلىها (المحسنين حقاً) . وفي مقابل درج الإيمان درك الكفران ،

عاشور في (التحرير والتنوير) ١١/٢٢٦ وما بعدها .

(١) المحرر الوجيز ٤٤/١٢ . تبعه أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٢٣ ، و السمين الحلبي في الدر المصون ٩/١١٢ وما

بعدها ، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب ١٣/٦٩ ، والآلوسي في روح المعاني ٢١/١٧٣ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ٣٥ .

فإنَّ لها مراتب كما أنَّ لدرج الإيمان مراتب ، فالكفر ، والفساد ، والشرك ، والإجرام أدنى مراتبها (الذين كَفَرُوا) ، و(الذين أَفْسَدُوا) ، و(الذين أَشْرَكُوا) ، و(الذين أَجْرَمُوا) ، وأعلىها (الكافرين) ، و(المفسدين) ، و(المشركين) ، و(المجرمين) .

ومن الضروري في تلك المراتب التفريق بين مستويات الخطاب في البيان القرآني ؛ لأنَّ عدم التبصرة بهذه المراتب والأحوال يجرم القلوب من تدبر القرآن "فمن لم يتحقق أسنان القلب وتفاوت خطابها لم يفتح له الباب إلى فهم القرآن " (١) . فالعمل بتلك المراتب والأحوال له ضوابط ، أهمها : أهما توجه لكل سن حسب سن قلبه ، فلا يصحُّ خطاب كل سن إلَّا له ، ويتقاصر عنه دونه ، ولا يحتاج إليه من فوقه . وبهذا يتبصَّر المرءُ درجات التنقل في الطاعة والقرب من ربه تبصراً يرتقي به في مقامات القرب منه ، فينقل في مدارج الطاعات إلى بلوغ درجة أهل الإحسان .

■

إنه بالوقوف على بعض النصوص التي ذكرها الحرالي لفهم القرآن الكريم ، والتي جُمِعَتْ في سفر عظيم عني بتراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، تبدو إشارات إلى مثل هذا الحذف غامضة دقيقة أحسن فهمها البقاعي ، فاستفاد كثيراً من تلك الإشارات في بيان الاحتباك . فمن الآيات التي وقف عليها البقاعي ، وأبان عن الاحتباك فيها مستنداً إلى ما يقوله الحرالي

قول الحق ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٨٦م) . يقول الحرالي : "والدنيا : فعلى من الدنو ، وهو الأنزل رتبة ، في مقابلة عليا ، ولأنه لزمته العاجلة ، صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو ، ففي الدنيا نزول قدر وتعجل ، وفي الأخرى علو قدر وتأخر ، فتقابلتا على ما يفهم تقابليين من معنى كل منهما" (٢) . فهذا هو الاحتباك ؛ لأنَّ "ذكر الدنيا يدلُّ على حذف العليا ، وذكر الآخرة يدلُّ على حذف العاجلة" (٣) . فحقيقة القول بالاحتباك أتضحت لدى الحرالي ، وأمَّا البقاعي فليس له في هذا الموضوع إلَّا تسمية ما أضمَر الحرالي .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٣) نظم الدرر ١٤/٢ .

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أُكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ^١ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٥) ، " ولما كان حرث الدنيا حباً وثمرًا جعل نفقات الأخرى كذلك حباً وثمرًا . فمن أنفق في السبيل جعل مثله كالحب ، ومن أنفق ابتغاء لمرضاة الله جعل مثله كالجنة التي لها أصل ثابت تدور عليها الثمرات وهي ثابتة وتستغني من الماء بما لا يستغني به الحرث ؛ لأنَّ الحرث مستجد في كل وقت ، كما أنَّ الجهاد واقع عند الحاجة إليه ، والمنفق ابتغاء مرضاة الله ينفق في كل وجه دائم الإنفاق ، فكان مثله مثل الجنة الدائمة ليتطابق المثلان بالمشولين ، فعمت هذه النفقة جهات الإنفاق كلها في جميع سبل الخير " (١) .
ومن هنا قال البقاعي " والآية من الاحتباك ، ذكر المنفق أولًا دالًّا على حذف صاحب الجنة ثانيًا ، وذكر الجنة ثانيًا دالًّا على حذف النفقة أولًا " (٢) .

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (ص: ٢٨، ك) . يقول الحرالي : ... لكل من تترلات القرآن العلية ، ظاهرًا وباطلًا ، أمر خاص ، ولكل أمر خلق ، يرد بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته . واختصاص رتبة قربه ومحل بعده ، فما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي ، وما يخص الصبي لا يدخل فيه البالغ ، وبناءً على منهاج الحرالي (٣) اعتمد البقاعي عليه في استخراج وجه الاحتباك حيث ذكر أدنى درجات الإيمان (الَّذِينَ آمَنُوا) ، وحذف مقابله من درجات الفساد (الَّذِينَ أَفْسَدُوا) ، ثم عاد فذكر أعلى أحوال الفساد (المفسدين) ، وحذف مقابله من درجات الإيمان (المؤمنين) (٤) .

(١) تراث أبي الحسن الحرالي ، ص ٤٦٣ وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٨٤/٤ .

(٣) ينظر : ص(٢٦) وما بعدها من البحث .

(٤) ينظر: نظم الدرر ٣٧٣/١٦ .

- القرطبي : (٦٧١هـ) :

أشار القرطبي إلى طريقة الاحتباك ، وذلك في (الجامع لأحكام القرآن) من خلال تقديره للمحذوف .

- يقول في قول الحق **وَعَلَىٰ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿البقرة: ٢٦١م﴾ : "مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل ، يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة ، فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر" (١) . فهو احتباك ، أي : مثل المنفق وصدقته كمثل زارع حبة ، فالمنفق مذكور قابله محذوف ، وهو : الزارع ، وصدقته أو نفقته محذوفة قابلها مذكور وهو حبة .

■

- ابن المنير : (٦٨٣هـ) .

وردت عند ابن المنير في (الانتصاف) إشارة إلى هذا النوع من الحذف ، يقول في قول الحق **وَعَلَىٰ : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْتِيَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا . وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧١-٧٢، ك) ،** -يقول في حواشي الكشاف- : "ويحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى ، أي : فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه ، ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه بل أعمى عنه ، أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين ، والله أعلم" (٢) . والظاهر في هذا التقدير عدم

(١) الجامع لأحكام القرآن ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : مصطفى السقا ، (القاهرة ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) ٣/٣٠٣ . تبعه ابن القيم في التفسير القيم ، تأليف : ابن القيم الجوزية ، جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ، ص ١٥٥ . وأبو حيان في (البحر المحيط) ٢/٣٠٣ وما بعدها ، وعبد الفتاح لاشين في (ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن) ، (بيروت ، لبنان ، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ، ص ١٧٣ وما بعدها . وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٤/٧٥ .

(٢) الكشاف ٢/٤٦٠ . ذكره البقاعي في نظم الدرر ١١/٤٧٩ . والآلوسي في روح المعاني ١٥/١٢٤ .

تمثيله لأركان الاحتباك تمثيلاً كاشفاً ؛ فاتضح فيه الحذف من جانب واحد ؛ إذ حذف من الطرف الأول (فهو الذي يبصره) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ، أمّا الطرف الثاني فلم يبرزه ابن المنير في كلامه ؛ لذا صحَّ اعتراض الألوسي عليه كما اتَّضح في الهامش . وبالتَّنظر فيما يقتضيه النظم يتضح أنَّ التقدير على نحو : فمن كان في هذه بصيراً فهو في الآخرة بصيراً وأهدى سبيلاً ، ويؤتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يُظلمون فتياً ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، ويؤتى كتابه بشماله ، فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتياً .

- البيضاوي : (٦٩١هـ) .

حظي تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) بعناية كبيرة من العلماء الذين وقفوا عليه ، وأفردوا فيه المصنَّفات ، فلقد احتوى من قواعد البلاغة وأصول الفصاحة أهمها ، ومن شعب البلاغة والبراعة وفنون البدائع أدقها وأسناها ^(١) ، فيه إشارات لهذا الحذف اللطيف الرفيع بانته حقائقها ، وأخرى خفيت بعض جوانبها فاستكملها العارفون بها من أمثال أصحاب الشروح التي أُقيمت على ذلك السفر الجليل .

فمن بين تلك الإشارات التي ظهرت وبانت قوله في قول الحق ﷻ : ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح: ١٧، ك) : "وأصله : (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) إنباتٌ فنبتم نباتاً ، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية" ^(٢) . إنه احتباك ، أبان عنه بتقدير المحذوف الواقع في أربع كلمات ، في الطرف الأول : (أنبتكم) و(إنباتا) ، وفي الطرف الثاني : (نبتم) و(نباتا) .

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الحج: ٢١، ك) : "...ولا نفعاً أو

(١) ينظر : مقدمة حاشية القنوي ، وابن التمجيدي على البيضاوي ٢/١ وما بعدها بتصرف .

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ٣٩٤/٥ . ذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٤٤٤/٢٠ ، وأشار إليه أبو السعود في (إرشاد العقل السليم) ٣٩/٩ ، وابن التمجيدي في حاشيته على البيضاوي ٢٧٥/٧ ، والشهاب في (حاشيته على البيضاوي) ٢٥٢/٨ ، والألوسي في (روح المعاني) ٩٤/٢٩ .

غياً ، عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعاراً بالمعنيين^(١) . قوله :
(ولا نفعاً أو غياً) ، محل احتباك . ازداد ظهوراً بقوله : " عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر
باسم سببه أو مسببه إشعاراً بالمعنيين" . فتحقق أن في الآية حذفين تماثلاً في حذف المقابل من
كل طرف لدلالة مقابله عليه حيثُ حُذِفَ من الأول : (الرفع) لدلالة عليه . ومن الثاني :
(الغي أو الضلال) لدلالة عليه .

*

- أبو حيان الأندلسي : (٧٤٥هـ)

وقف أبو حيان الأندلسي أمام هذا النوع من الحذف فأظهر كثيراً من جوانبه ، لهذا كان
لدراسته ميزات خاصة تربو على سابقه في الكشف والتفصيل . وهذا متمثل في تلك المادة
الوفيرة الواضحة لكل نظر دقيق ، والتي حوت على بيان هذا الحذف مفهوماً ، وتقديراً ،
ولم يُين عن المصطلح لهذا الحذف ، وإنما اكتفى فيه بإيراد ألقاب تدلُّ على دقته ، وجيليل
وقعه في الكلام العلمي ، ومن هذه الأوصاف قوله : هو "نوع من البلاغة"^(٢) ، وهو " من
بديع الكلام"^(٣) ، وهو "غاية البلاغة والإعجاز"^(٤) ، وهو " من بديع الحذف وجيليل
الفصاحة"^(٥) ، و"هذه طريقة بليغة"^(٦) . فالنَّظَر إلى تلك الأوصاف يُدركُ أثر هذا النوع
من الحذف في الكلام الذي لا يصل إليه إلا العارف بجواهره ، المتفهم لحقائق ما يقع فيه من
بيان .

والتبادر إلى الذهن أن هذه الأوصاف التي وُصِفَ بها هذا النوع من الحذف تجعل
الواصف بها يُجهدُ نفسه في البحث عن اسم تندرج تحته ، وبالنَّظَر الدقيق فيما قاله أبو حيان

(١) تفسير البيضاوي ٤٠١/٥ . تبعه أبو حيان في نظم الدرر ٤٩٤/٢٠ ، وأشار إليه أبو السعود في (إرشاد العقل
السليم) ٤٦/٩ . و القنوي في حاشيته على البيضاوي ١٨٧/٧ ، والشهاب في (حاشيته على
البيضاوي) ٢٦٠/٨ ، وشيخ زادة في (حاشيته على البيضاوي) ٥٦٠/٤ ، و إسماعيل حقي في (روح البيان)
١٥/١٦ ، والآلوسي في (روح المعاني) ١١٦/٢٩ ، وابن عاشور في (التحرير والتنوير) ٢٤٣/٢٩ .

(٢) البحر المحيط ١٤٢/٢ .

(٣) المرجع السابق ١٨٩/٢ .

(٤) المرجع السابق ٣٧/٣ .

(٥) المرجع السابق ٩٦/٦ .

(٦) المرجع السابق ٢١٤/٧ .

نتلمس ظلالاً تسمية هذا الحذف بـ (حذف التقابل) تختبئ خلف سطور كلامه - رحمه الله- ، إلى جانب هذا فلقد ظهرت شخصية المتمرس لهذا الحذف العارف حقيقته في بيانه ، فكأنه درسه واعتنى به عناية خاصة^(١) .

*

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩م) : "وكان التقسيم يقتضي أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صاحب النار . فكأنه حذف من الجملة الأولى شيئاً أثبت نظيره في الجملة الثانية ، ومن الثانية شيئاً أثبت نظيره في الجملة الأولى" ^(٢) . فتحقق شرط حذف التقابل في كلامه ؛ لذا صحَّ حملُه على الاحتباك .

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرُدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَاللرِّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨م) : " هذا من بديع الكلام ؛ إذ حذف شيئاً من الأول أثبت نظيره في الآخر ، وأثبت شيئاً في الأول حذف نظيره في الآخر ، وأصل التركيب : وهنَّ على أزواجهنَّ مثل الذي لأزواجهنَّ عليهنَّ ،

(١) الخيط الذي نستل منه حقيقة القول بأن أبا حيَّان درس هذا الأسلوب وتعرف عليه هو تلك الإشارة التي ظهرت في تأويله لقوله تعالى : ﴿ وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَتَّقِي مَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بُكْمٌ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٧١م) . حيث قال : ... وذهب إلى تقرير هذا الوجه جماعة من أصحابنا ، منهم أبو بكر بن طاهر (٥٨٠هـ - ١١٨٤م) ، وتلميذه أبو الحسن بن خروف (٦١٠هـ - ١٢١٣م) ، وأبو علي الشلوين (٦٤٥هـ - ١٢٤٧م) . ينظر : المرجع السابق ٤٨٣/١ ، غير أنه لم يتبين ما استدل به على بيان هذا الحذف عند هؤلاء العلماء ؛ وذلك لعدم العثور على أي مصدر يذكر مثل هذا القول .

(٢) المرجع السابق ١٧٠/١ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٣٠٧/١ ، وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٢٦١/١ ، وذكره ابن عرفة بمصطلح حذف التقابل في تفسير ابن عرفة ، لأبي عبد الله محمد بن عرفة ، لوحة (٥١) مخطوط مصور عن نسخة رقم: (٥٤٠) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف (٢٨١٢) ، والبقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٣٠٢/١ - هامش رقم : (٣) - ، والآلوسي في روح المعاني ٢٤١/١ .

فحذفت على أزواجهن لإثبات عليهن ، وحذف لأزواجهن لإثبات لهن^(١) ، فمن خلال النظر في التقدير تتضح خاصية حذف التقابل ؛ إذ حذف من الأول (على أزواجهن): أي : عليهم ؛ لدلالة ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ ، ومن الطرف الثاني (لأزواجهن): أي : لهم ؛ لدلالة ذكر ﴿وَهُنَّ﴾ .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّلْأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٣٠م) : " أي : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى تقاتل في سبيل الشيطان ، فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثانية ، ومن الثانية ما أثبت نظيره في الأولى ، فذكر في الأولى لازم الإيمان ، وهو القتال في سبيل الله . وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان ، وهو الكفر^(٢) .

لقد فصل القول في الكشف عن حقيقة الحذف ، وأبان عمّا ذكر وما حذف فيها ، ويفهم من كلامه أن الحذف أكسب الكلام مزيداً من الدقة والإحكام ، ففي الطرف الأول ذكر اللازم (سبيل الله) ، وفي الثاني ذكر الملزوم (كافرة) ثم فهم منهما ما أضمر في الأول (الملزوم مؤمنة) ، وفي الثاني (اللازم سبيل الشيطان) ، وهذا احتباك . ليس هذا أسلوب العارف لهذا الحذف المتفهم حقيقته! .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أُوهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ١٦٢م) : "... وفي الآية من حيث المعنى حذف ، والتقدير : أفمن اتبع

(١) البحر المحيط ١٨٩/٢ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٤٤٣/٢ ، وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب)

١٠٣/٣ ، والألوسي في (روح المعاني) ١٣٥/٢ .

(٢) البحر المحيط ٣٩٣/٢ . ذكره ابن عرفة بمصطلح حذف التقابل في تفسيره : لوجه (٢٢٧) مخطوط ، وذكره

البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٢٦٣/٤ ، و القنوي وابن التمجيدي في حاشيتهم على

البيضاوي ١٨/٣ ، كما ينظر : محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ -

١٩٩٩م ، رقم إيداع ٢١/٢٧٧٣ ، وتاريخ : ١٩/٦/١٤٢١هـ ، (العنوان : لمحات في إعجاز سورة آل

عمران ، لحسن محمد باجودة) ، ص ٣٧ وما بعدها .

ما يؤول به إلى رضا الله عنه ، فباء برضاه ، كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه " (١) . فالتقدير داخل في صميم قوله : باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله ، وحذف من آخره ما أثبت في أوله .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ . أَكُنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعِلْمَ آتٍ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأفال: ٦٥-٦٦ م) : "... التقييد بالصبر في أول كل شرط لفظاً هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى ، وتقييد الشرط الثاني بقوله : (من الذين كفروا) لفظاً هو محذوف من الشرط الأول في قوله : (يغلبوا مائتين) ، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث أثبت قيداً من الجملة الأولى ، وحذف نظيره من الثانية ، وأثبت قيداً في الثانية وحذف من الأولى... " (٢) ، أبان في كلامه عن خاصية هذا اللون من الحذف ، وهي شرط تحقق التقابل بين المحذوفين والمذكورين من كل طرف ، ثم أشاد بعلو بلاغته في الآية الكريمة .

- وفي قوله ﷻ : ﴿ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّا كَثُرَتْ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (الكهف: ٢-٤) ، صرح أبو حيّان بأن هذه الآية من قبيل هذا اللون من الحذف ؛ حيث حذف المنذر أولاً لدلالة الثاني عليه - المنذر به - ، وحذف المنذر به من الثاني لدلالة الأول عليه - المنذر (٣) ، ولكن تفرد بعبارة كشفت عن حسّ دقيق في تلمس أسرار ولطائف هذا الحذف في

(١) البحر المحيط ١٠١/٣ .

(٢) المرجع السابق ٥١١/٤ . تبعه ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ١٩٤/٨ ، وذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٣٢٢/٨ و ٣٢٦/٨ . والشهاب في (حاشيته على البيضاوي) ٢٩٠/٤ ، والآلوسي في (روح المعاني) ٣٢/١٠ ، وشيخ زاده في حاشية على البيضاوي ٣١٥/٢ ، ومحمد رشيد رضا ٨٢/١٠ .

(٣) تبعه النسفي في (مدارك الترتيل وحقائق التأويل) ٢/٣ ، والقنوي في (حاشيته على البيضاوي) ٤/٤ ، والآلوسي في (روح المعاني) ٣٠٣/١٥ . أمّا البقاعي فاعترض على جعل الآية من الاحتباك في نظم الدرر ٦/١٢ وما بعدها .

الأساليب العلية التي بلغت منتهى الإعجاز ، فقال : " هذا من بديع الحذف ، وجليل الفصاحة" ^(١) . فلم يقف أبو حيان عند تأويله للمحذوف الذي اقتضاه السياق ، وإنما علّق على قول الزمخشري قائلاً : "والزمخشري قدره خاصاً فقال : وأصله : لِيُنذِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَأْسًا شَدِيدًا...انتهى . وكأنه راعى في تعيين المحذوف مقابلة وهو «وَيُيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ» ، والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا" ^(٢) .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (النمل:١٢،ك) : " وقيل : في الكلام حذف تقديره : وأدخل يدك في جيبك تدخل ، وأخرجها تخرج ، فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول " ^(٣) . هذا التقدير مثل الاحتباك خير تمثيل ؛ إذ تحقق فيه خاصية التقابل بين أطراف النظم ، فحذف من الأول : (تدخل) ؛ لدلالة : ﴿تَخْرُجُ﴾ ، ومن الثاني : (أخرجها) ؛ لدلالة : ﴿وَأَدْخِلْ﴾ .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿الْمُرِيرُوا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النمل:٨٦،ك) : " والذي يظهر أن هذا من باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله ، وحذف من آخره ما أثبت في أوله ، فالتقدير : جعلنا الليل مظلمًا لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لتصرفوا فيه ، ...فالسكون علة ؛ لجعل الليل مظلمًا ، والتصرف علة لجعل النهار مبصرًا... " ^(٤) . فحرر العبارة في بيان هذا المفهوم الذي تعارف عليه العلماء من بعده في دراسة الاحتباك .

*

(١) البحر المحيط ٩٦/٦ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ٥٨/٧ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٥٧٨/٨ ، وابن عادل في (اللباب في علوم

الكتاب) ٢٩٧/١٢ ، وذكره الألويسي في روح المعاني ١٦٧/١٩ .

(٤) البحر المحيط ٩٩/٧ . تبعه السمين الحلبي في (الدر المصون) ٦٤٤/٨ ، وذكره البقاعي في نظم الدرر ٢٢٠/١٤ .

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٨٤) : " ويجوز أن يكون حذف من الأول ما أثبت به الصادقون ، وهم المؤمنون ، وذكرت العلة ؛ وحذف من الثاني العلة ، وذكر ما عوقبوا به . وكان التقدير : ليسأل الصادقين عن صدقهم ، فأتاهم ؛ ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم ... و (أعد لهم عذاباً أليماً) فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول ، وهذه طريقة بليغة... " (١) . إنه احتباك ، يرى أن القول به أنسب للمعنى ، وهذا ظاهر من كلامه الذي قدّر فيه المحذوف وجعله في الطرفين ، ثم حذف من كل طرف مقابله الذي دلّ عليه . فمن خلال النظر فيما قال أبو حيان نُدرِكُ مدى اهتمامه بهذا الحذف ، وتلمس إعجابه به .

*

- ابن قيم الجوزية : (٧٥١هـ).

أشار ابن قيم الجوزية لهذا النوع من الحذف في تفسيره آيات مبثوثة في أسفاره ، وذلك في بعض المواضع التي ظهر فيها حسه البلاغي ، فكان له الفضل في بيان وجه هذا الحذف في آية لعله تفرد بتلك الإشارة فيها ؛ لأنه لم يتبين أن أحداً سبقه إلى القول فيها ، وهي قوله

ﷻ : ﴿وَلَا تُنْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦، ك) ، يقول : " والمسلك السادس : أن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر ، لكونه تبعاً له ومعنى من معانيه . فإذا ذكر أغنى عن ذكره لأنه يفهم منه... فعلى هذا يكون الأصل في الآية : (إنَّ الله قريبٌ من المحسنين) . (وإنَّ رحمةَ الله قريبةٌ من المحسنين) فاستغنى بـخبر المحذوف عن خبر الموجود ، وسوّغ ذلك ظهور المعنى . وهذا المسلك مسلك حسن إذا كسي تعبيراً أحسن من هذا . وهو مسلك لطيف المترع دقيق على الأفهام . وهو من أسرار القرآن . والذي ينبغي أن يعبر عنه به : أن الرحمة صفة من صفات الرب ، تبارك وتعالى ، والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه ؛ لأن الصفة لا تفارق

موصوفها . فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه ، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين... ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه

(١) البحر المحيط ٢١٤/٧ . تبعه ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٥٦/١٣ ، وذكره البقاعي بمصطلح

الاحتباك في نظم الدرر ٢٩٥/١٥ .

الفائدة العظيمة الجليلة ، وأن الله تعالى قريب من المحسنين ، وذلك يستلزم القربين وقربه وقرب رحمته . ولو قال إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم ؛ لأنَّ قربَه تعالى أخص من قرب رحمته والأعم لا يستلزم الأخص ، بخلاف قربَه ؛ فإنه لما كان أخص استلزم الأعم ، وهو قرب رحمته فلا تستهن بهذا المسلك . فإن له شأنًا . وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب . وما أظن صاحب هذا المسلك قصد هذا المعنى ولا ألمَّ به . وإنما أراد أن الإخبار عن قرب الله تعالى من المحسنين كاف عن الإخبار عن قرب رحمته منهم" (١) .

فهذه إشارة ظاهرة إلى الاحتباك " تدلُّ على ما في القرآن الكريم من بلاغة الإيجاز التي هي سمة من سماته ، فالرحمة صفة من صفات الرب ، والصفة قائمة بالموصوف ، وملازمة له لا تفارقه ، فإذا كانت هذه الصفة قريبة من المحسنين ، فالموصوف - وهو الله - أولى بالقرب . فالتعبير البديل (إن الله قريب من المحسنين ، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين) ، ففيه جملتان مكوئتان من مسند إليه ومسند (إن الله قريب) ، (إن رحمة الله قريبة) ، بينما الآية القرآنية جملة واحدة (إن رحمة الله قريب) . فاستغنى بخبر المحذوف (قريب) ، وهو خبر عن لفظ الجلالة (الله) المحذوف ، عن خبر الموجود (قريبة) وهي خبر عن (رحمة الله) المذكورة . وهذا ضرب من الإيجاز الذي امتاز به النظم في القرآن ، يسمى الاحتباك" (٢) . فتحقق في قول ابن القيم بروز القول بالاحتباك؛ إذ ذكر أهمَّ خاصية من خواص الاحتباك وهي : الاستغناء عن أحد الأركان لدلالة الآخر عليه من كل طرف ، وهذا ما كشف عنه بالتقدير للآية الكريمة، إلى جانب هذا فقد أشاد ابن القيم بعظم ما يُحققه هذا اللون البلاغي من حسن وحبكة وإيجاز في النظم

*

- السمين الحلبي : (٧٥٦هـ-).

أشار السمين الحلبيُّ إلى هذا الحذف في (الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون) في عدَّة مواضع التقى في أغلبها مع سابقه ، ولكن وجدت عنده إشارة إلى موضعين لم يتبين أن

(١) التفسير القيم ، ص ٢٧٢ وما بعدها ، وبدائع الفوائد ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، تقرُّظ وتقدِّم الدكتور : وهبة الزحيلي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : معروف مصطفى زريق ، وآخرون ، (دمشق ، دار الخير ، الطبعة : بدون ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ٢٧/٣ وما بعدها .

(٢) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، ص ٩٢ .

أحدًا سبقه إلى القول فيها ، وهما :

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩١م) : " ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ في (إن) قولان ، أحدهما : أنها شرطية وجوابها محذوفٌ تقديره : إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَلِمَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، ويكونُ الشرط وجوابه قد كرّر مرتين ، فحُذِفَ الشرطُ من الجملة الأولى وبقي جوابه ، وهو : فَلِمَ تَقْتُلُونَ ، وحُذِفَ الجوابُ من الثانية وبقي شرطه ، فقد حُذِفَ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مَا أُثْبِتَ فِي الْآخَرَى " (١) . فهذا احتباكٌ تحقّق من خلال الإشارة إلى حذف الشرط (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ؛ لدلالة الجواب عليه في الطرف الأول ، وحذف الجواب : (فلم فعلتم ذلك) ؛ لدلالة الجواب في الطرف الثاني .

*

- ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نِنْيَا فِي ذِكْرِي . أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه: ٤٢-٤٣ك) : يقول : " وذكر المذهب إليه في قوله : ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ وحذفه في الأول في قوله : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ﴾ اختصاراً في الكلام . وقيل : أمراً أولاً بالذهابِ لعمومِ الناسِ ، ثم ثانياً لفرعون بخصومه ، وفيه بعد ؛ بل الذهابان متوجهان لشيء واحد ، وهو : فرعون ، وقد حذف من كلٍّ من الدهابين ما أثبتته في الآخر : وذلك أنه حذف المذهبَ إليه من الأول وأثبتته في الثاني ، وحذف المذهبَ به ، وهو (بِآيَاتِي) من الثاني وأثبتته في الأول " (٢) . فهذا احتباك .

*

- الزركشي : (٧٩٤هـ) .

تحدّث الزركشي عن هذا الحذف في (البرهان في علوم القرآن) ضمن أقسام الحذف ، فأوضح أن القسم السابع هو ما يختص بهذا الحذف ، فأورد له عدّة شواهد (٣) أشار إليها

(١) الدر المصون ٥١٧/١ . تبعه ابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) ٤٦٣/١ ، والشهاب في (حاشيته على

البيضاوي) ٢٠٥/٢ .

(٢) الدر المصون ٤٢/٨ ، تبعه ابن عادل ١٦٧/١١ .

(٣) وهي : البقرة : (١٧١) ، (٢٢٢) ، التوبة : (١٠٢) ، هود : (٣٥) ، طه : (١٢٣) ، الأنبياء : (٥) ،

سابقوه من المفسرين ، أمّا ما انفرد به فلم تعثر الدراسة إلّا على موضع واحد انفرد بذكره ، وتبعه فيه سابقيه ، والآخر تكلف في بيان وجه الحذف فيه وهو قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا نِينَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه: ١٢٣ك) : يقول : " فإن مقتضى التقسيم اللفظي : فمن اتّبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صاحب النار ؛ فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى " (١) بهذا قال بعض أهل العلم (٢) .

وفيه نظر ؛ حيث لا وجه لتطابق ما ذكره من حذف على الآية الكريمة ، لتضمنها ركناً واحداً فقط ، وهو : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ، فالأنسب لهذا التقدير قول الحق : ﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَا نِينَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩م) ، وقد سبقت الإشارة إليه عند أبي حيّان الأندلسي (٣) ، والأنسب لطبيعة الأسلوب : ﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا نِينَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤ك) أن يكون التقدير : " فمن اتّبع هُدَايَ فلا يضلُّ ولا يشقى وأن له معيشة راضية ، ومن أعرض عن ذكري فهو ضال شقيُّ وأن له معيشة ضنكاً " (٤) .

*

النمل : (١٢) ، الأحزاب : (٢٤) ، الملك : (٢٢) ، الشاهد المشهور في باب حذف التقابل : (وإني لتعروني...) . ينظر : البرهان ١٢٩/٣ وما بعدها .

(١) المرجع السابق ١٣١/٣ .

(٢) قال به عرفات محمد عثمان في (بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم) (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/١٠٣٣٩) ، ص ٤٩ وما بعدها ، واعترض عليه الهدهد ، إذ أشار لعدم تحمل طبيعة الأسلوب لما قدره الزركشي ، وهو كذلك ، ص ١٢٩ وما بعدها .

(٣) ينظر : ص (٣٢) من البحث .

(٤) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع وأسواره ، لإبراهيم صلاح الهدهد ، (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ، رقم الإيداع : ٩٩/١٥٩٦٦) ، ص ١٢٩ وما بعدها .

- أما الموضع المنفرد بالقول فيه في قول الحق ﷻ : ﴿أَفَن يَمْشِي مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢، ك) ؛ إذ فصل القول فيه ذاكرًا أصله والدافع إلى جعله من هذا النوع بكلام موجز دقيق كشف فيه أولاً عن حقيقته ، فقال : "فإن فيه جملتين ؛ حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاء بنصف الأخرى"^(١) ، ثم قدر المحذوف فيه ، وقال : "وأصل الكلام : أَمَّن يَمْشِي مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ مَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَهْدَىٰ مَمَّن يَمْشِي هُوَ مُكَبًّا"^(٢) ، ثم أبان عن الدافع وراء جعله من قبيل هذا الحذف فقال : "وإنما قلنا : إنَّ أصله هكذا ؛ لأنَّ أفعال التفضيل لا بدَّ في معناه من المفضل عليه . وهاهنا وقع السؤال عن نفس الأمر : هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا ؟ فلا بُدَّ من ملاحظة أربعة أمور ، وليس في الآية إلَّا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى ، والذي حذف من هذه مذكور في تلك ، والذي حذف من تلك مذكور في هذه ، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة . ثم ترك أمرًا آخر لم يتعرض له ؛ وهو الجواب الصحيح لهذين الاستفهامين ، وأيُّهما هو الأهدى ؟ ولم يذكره في الآية أصلاً ، اعتماداً على أنَّ العقل يقول : الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبًّا على وجهه"^(٣) . ففي هذا الموضع ظهرت شخصية الزركشي واضحة في الكشف عن حذف التقابل ، فأبان عن وجه الحذف في الآية الكريمة ، ثم ذكر تقدير الأسلوب بطريقة حذف التقابل ، ثم أوجز القول في المقتضى الذي دعا إلى حمل الأسلوب على الحذف ؛ لما يحققه في النظم من دقة وإيجاز .

*

- ابن عرفة : (٨٠٣هـ) .

وقف ابن عرفة أمام هذا النوع من الحذف فأبان عنه مصطلحاً ، ومفهوماً ، وتقديراً ، وذلك في تفسيره الذي طبع منه إلى نهاية سورة البقرة ، وأما باقي ذلك السفر فهو ما يزال مخطوطاً ، أو في طور التحقيق-والله أعلم- . والمهم في هذا أن ابن عرفة عرَّفَ هذا

(١) البرهان ١٣٢/٣ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) الموضع السابق .

الحذف ، وأطلق عليه مصطلح : (حذف التقابل) وهو ما يسمى بالاحتباك .
فمن خلال الوقوف على ما قاله في تأويل بعض الآيات اتضح المفهوم لذلك المصطلح ،
أما التقدير له فهو جلي ظاهر فيما وقف عليه .

- يقول في قوله **وَعَلَىٰ** : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٢٨م) : "فيه عندي حذف التقابل ؛ لأن التوبة لا تقابل العذاب وإنما تقابل المعصية
فالتقدير: أو يتوب عليهم فيرحمهم ، أو يدوموا على كفرهم فيعذبهم ، فحذف من الأول
نقيض ما ذكر في الثاني ، ومن الثاني نقيض ما ذكر في الأول" (١) . فهنا اتضح المصطلح لهذا
الحذف مفهوماً ، وتقديراً .

- ويقول في قول الحق **وَعَلَىٰ** : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء: ١٣-١٤م) : "...وعندي فيه
حذف التقابل سيدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ونعيم مقيم وذلك الفوز العظيم ، وفيه
قسيمه ندخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين وذلك هو الخسران المبين" (٢) . فهذا احتباك
تحقق فيه وجه التقابل ؛ إذ حذف من الأول (نعيم مقيم) ؛ لما دل عليه من ذكر العذاب
المهين ، ومن الثاني (الخسران المبين) ؛ لما دل عليه من ذكر : الفوز العظيم .

*

- ويقول في قول الحق **وَعَلَىٰ** : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (المائدة: ٩-١٠م) : "...وفي
الآية حذف التقابل ؛ لأنه ذكر في قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم ، ولم يذكر ما به يقع
الثواب ، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب ، ولم يذكر الحكم بتعذيبهم ، فالتقدير
لهم مغفرة وأجر عظيم وهم أصحاب الجنة ، والتقدير في الثاني : لهم عذاب أليم وهم
أصحاب الجحيم" (٣) . فالأنسب للأسلوب جعل التقدير على نحو : وعد الله الذين آمنوا

(١) تفسير ابن عرفة ، لوحه (٢٨١) مخطوط .

(٢) المرجع السابق ، لوحه (٣١٧) مخطوط .

(٣) المرجع السابق ، لوحه (٣٨١) مخطوط .

وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم أولئك هم أصحاب النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فلا يغفر لهم ولهم عذاب أليم وأولئك أصحاب الجحيم . فيصبح المحذوف من الأول : (أولئك هم أصحاب النعيم) ، لما دلَّ عليه في الثاني من ذكر ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ، ومن الثاني حذف (فلا يغفر لهم ولهم عذاب أليم) لما دلَّ عليه من ذكر : ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

*

- ويقول في قول الحق وَعَجَلٌ : ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٨) : " ... فيلوح في الآية حذف التقابل ، أي : اعلموا أن الله شديد عقابه وغضبه وأنه غفور رحيم جزيل ثوابه ؛ لأنَّ العذاب الواقع هو جزاء عن المعصية مقابل جزاء الحسنه ، وإن أريد أنه شديد عقابه في ذاته فهو في ذاته شديد العقاب غفور رحيم ، فلا يكون في الآية حذف بوجه . والترتيب في الآية مناسب ؛ لأنَّ الإنسان في حال الصحة يغلب جانب الخوف ، وعند الاحتضار والإشراف على الموت يغلب جانب الطمع والرجاء " (١) . فالتقدير المشار إليه لا يكشف عن حقيقة حذف التقابل في الآية ؛ لعدم تحقق الأركان فيه ، فالمقابل لـ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ مذكور في : ﴿رَحِيمٌ﴾ ؛ لأنَّ الرحمة هي الثواب الزائد على ترك العقوبة التي هي المغفرة ، ومقابل المغفرة في : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لم يكشف عنه التقدير المشار إليه وهو العدل المتمثل في ذكر الذنب والمحاسبة عليه .

*

- ويقول في قول الحق وَعَجَلٌ : ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرْتِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧، ك) : " ... ويحتمل أن يكون من حذف التقابل ، أي : لا تتبعوا فيفتنكم كما فتن أبويكم فاتبعاه فأخرجهما من الجنة ونظيره : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾ (البقرة: ١٧١، م) " (٢) . هذا التقدير لا يمثل حذف التقابل ؛ لعدم تحقق

(١) المرجع السابق ، لوحة (٣٩٩) مخطوط .

(٢) المرجع السابق ، لوحة (٤٦٠) مخطوط .

خاصية التقابل بين المذكورين والمحدوفين من كل طرف ، فلطرف الأول محذوف : (لا تتبعوا) ، ومقابله في الطرف الثاني محذوف -أيضاً- (فاتبعاه) . والأنسب لطبيعة حذف التقابل أن يكون التقدير على نحو : لا يفتننكم الشيطان فيدخلكم النار كما فتن وأخرج أبويكم من الجنة^(١) .

*

- ويقول في قول الحق **وَعَلَىٰ** : **﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾** (الأعراف: ٨٥، ٨٥) : " قوله تعالى : **﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾** إن قلت : لم عبر في الأول بالمصدر ، وفي الثاني بالاسم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه . الأول : أنه من حذف التقابل ، أي : أوفوا الكيل والمكيل والوزن والميزان... " ^(٢) . فابن عرفة يذكر عدة أوجه يحتملها المعنى القرآني في سياقه ، ولم يرجح أحد الأقوال ، والقول المشار إليه مثل حذف التقابل .

*

- ويقول في قول أبي عطاء السَّنْدِيِّ :
فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فاعْذِرْ بِنِي عَلَى الْهُوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلِكِ الْعُذْرُ
" أي فاعذربي فلك العذر وإن كان داء غيره فاعذربي أيضا " ^(٣) .

*

- البقاعي : (٨٨٥هـ) .

اهتم البقاعي كثيراً بدراسة الاحتباك وشبهه ، وذلك في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ؛ حيث أورد له (مائتين وأربعة وتسعين) موضعاً .

(١) ذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٣٨١/٧ .

(٢) تفسير ابن عرفة ، لوجه (٤٧١) مخطوط . ذكره البقاعي بمصطلح الاحتباك في نظم الدرر ٤٥٩/٧ وما بعدها .

(٣) تفسير ابن عرفة ، لوجه (٢٧٨) ، مخطوط .

— منهجه في تأويل الاحتباك :

تميّز البقاعي عن سابقيه ولاحيته في بيان هذا الأسلوب ، فكان لدراسته منهج تضمن الآتي :

أولاً : ما لا يحدد فيه الأركان ولا يذكر التقدير والسر :

اكتفى بالإشارة إلى أن الآية من الاحتباك دون أن يُصرِّح بالأركان أو يذكر التقدير والسر ، وذلك في (واحد وعشرين) موضعاً^(١) ، منها على سبيل المثال :

— يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُ أَسَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤م) : " فالآية من الاحتباك" ^(٢) .

*

ثانياً : ما يحدد فيه الأركان فقط .

حدّد البقاعي أركان الاحتباك فقط في (مائة وأربعة وثمانين) موضعاً^(٣) منها على سبيل

(١) وهي : البقرة : (٢٦٤) : ٨١/٤ . (٢٨٢) : ١٥٥/٤ . آل عمران : (١٣) : ٢٦٣/٤ . [مع أبي حيان] . (٩٢) : ٢٦٦/٤ . (١٢٦) : ٥٨/٥ . الأنعام : (٦) : ٢٢/٧ . (١٧) : ٣٩/٧ . (٨٠) : ١٦٤/٧ . الأعراف : (٥٨) : ٤٢٤/٧ . (٨٥) : ٤٥٩/٧ وما بعدها [مع ابن عرفة] . الأنفال : (١٠) : ٢٣٢/٨ . التوبة : (١٠٢) : ١٠/٩ [مع الزمخشري] . يونس : (١٠٣) : ٢١٤/٩ . الرعد : (٤٠) : ٣٦٣/١٠ وما بعدها . إبراهيم : (٧) : ٣٨٥/١٠ . طه : (٢٢) : ٢٨٢/١٢ . القصص : (٣٢) : ٢٢٢/١٢ . العنكبوت : (١١) : ٤٠٠/١٤ . الواقعة : (٦٤) : ٢٢٣/١٨ . (٦٩) : ٢٢٧/١٩ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٧٢) : ٣٣٣/١٩ .

(٢) نظم الدرر ٨١/٤ .

(٣) هي : البقرة : (٢٦) : ٢٠٦/١ . (٢٩) : ٢٢٥/١ . (٣٨-٣٩) : ٣٠٢/١ [+] ، [اتفق مع أبي حيان] . (٨٦) : ١٤/٢ [مع الخراي] . (١٦٤) : ٢٨٨/٢ . (١٧١) : ٣٣٤/٢ [مع الكرمان] . (١٨٥) : ٦٤/٣ . (٢٠٥) : ١٧٤ [+] . (٢١٦) : ٢٢٢/٣ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٢٣٢) : ٣٢٤/٣ وما بعدها . (٢٦٥) : ٨٤/٤ [مع الخراي] . آل عمران : (٣٠) : ٣٣٠/٤ وما بعدها . [+] . (٩٧) : ١٠/٥ . (١٠٥-١٠٤) : ٢١/٥ . (١٠٦-١٠٧) : ٢٢/٥ . (١١٧) : ٣٦/٥ [مع ابن عطية] . (١٤٠) : ٨٠-٧٩/٥ : (١٤٤) : ٨٣/٥ . النساء : (٧٤) : ٣٢٦/٥ وما بعدها . (٩٧-٩٥) : ٣٧٣/٥ . المائدة : (٤١) : ١٤٠/٦ . (٥٤) : ١٩١/٦ وما بعدها .

(٧٦) : ٢٥٧/٦ . الأنعام : (٣٢) : ٩٣/٧ . (٣٦) : ١٠٢/٧ . (٧٢-٧١) : ١٥٣/٧ . (٩٦) : ٢٠٠/٧ .
(٩٩) : ٢١٢/٧ . (١٠٥) : ٣٢٤/٧ . (١٠٨) : ٢٢٨/٧ . (١٢٢) : ٢٥٤-٢٥٣/٧ . (١٢٥) :
٢٦٣/٧ . (١٣٥) : ٢٧٨/٧ . (١٢٨) : ٢٦٧/٧ . (١٤٨) : ٣١٢/٧ . (١٥٨) : ٣٣٣/٧ . الأعراف :
(٢٧) : ٣٨١/٧ [مع ابن عرفة] . (٢٩-٣٠) : ٣٨٥/٧ [+] . (٤١) : ٤٠٠/٧ . (٤٤) : ٤٠٥/٧ .
(١٤٧-١٤٦) : ٨٤/٨ . الأنفال : (١٣) : ٢٣٩/٨ . (٦٥) : ٣٢٢/٨ [مع أبي حيان] . (٦٦) : ٣٢٦/٨ .
التوبة : (١٩) : ٤١٦/٨ . (٥٢) : ٤٩٨/٨ . (١٢٤-١٢٥) : ٥٢/٩ . يونس : (٣٥) : ١١٧/٩ . (٤٦) :
١٣٢/٩ . (٦٧) : ١٥٨/٩ . (٧٧) : ١٧١/٩ . (١٠٧) : ٢١٨/٩ [مع الزمخشري] . هود : (١٢) :
٢٤٧/٩ . (٢٠) : ٢٥٨/٩ . (٤٨) : ٢٩٦/٩ وما بعدها . [اتفق الخفاجي والألوسي مع البقاعي في عد
الآية من الاحتباك ، واختلفوا معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند الخفاجي] يوسف : (٢١) :
٤٩/١٠ . (٣٨) : ٨٦/١٠ وما بعدها . (٤١) : ٩١/١٠ . الرعد : (٧) : ٢٨٧/١٠ . (١٠) : ٢٩١ .
(٢٧) : ٣٣٦/١٠ إبراهيم : (٢٢) : ٤٠٦/١٠ وما بعدها . (٢٤) : ٤١١/١٠ . (٢٧) : ٤١٥/١٠ .
الحجر : (٧٩-٧٦) : ٨٠/١١ . النحل : (٧) : ١٠٩/١١ . (٩) : ١١١/١١ وما بعدها . (٣٦) :
١٥٨/١١ . (٥٠) : ١٧٥/١١ . (٦٧) : ١٩٦/١١ . (١٢٥) : ٢٨١/١١ . (١٢٨) : ٢٨٥/١١ .
الإسراء : (٢-١) : ٣٠١/١١ . (٧٢-٧١) : ٤٧٩/١١ . [مع ابن المنير] . (٩٧) : ٥١٦/١١ . الكهف :
(١٧) : ٢٩/١٢ . (٥٥) : ٩٠/١٢ . مريم : (٧٦-٧٥) : ٢٤٠/١٢ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد
الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٨٦-٨٥) : ٢٤٧/١٢
وما بعدها . الحج : (١٨) : ٢٧/١٣ . (٣١) : ٤٤/١٣ . (٣٢) : ٤٥/١٣ . الفرقان : (٤٧) :
١٣/٤٠٠ . الشعراء : (٦) : ١٠/١٤ . النمل : (٥٠) : ١٧٩/١٤ . (٨٦) : ٢٢٠/١٤ [مع أبي حيان] .
(٨٩-٩٠) : ٢٢٦/١٤ . القصص : (٤) : ٢٣٩/١٤ . (٥٠) : ٣١٢/١٤ . (٦٣) : ٣٣٤/١٤ . (٧١-
٧٢) : ٣٤٤/١٤ . (٧٣) : ٣٤٥/١٤ . العنكبوت : (٣) : ٣٩١/١٤ . (٦٩) : ٤٨٣/١٤ . الروم : (١٧-
١٨) : ٦١/١٥ . (٢٣) : ٧٢/١٥ . (٤٤) : ١١٠/١٥ وما بعدها . [+] (٤٧) : ١١٨/١٥ . لقمان :
(١٢) : ١٦٠/١٥ . (٢٣-٢٢) : ١٩٠/١٥ . (٢٧) : ١٩٨/١٥ . (٣٢) : ٢٠٩/١٥ . الأحزاب : (٦) :
٢٩٣/١٥ . (٨) : ٢٩٥/١٥ [مع أبي حيان] . (١٢) : ٣٠٤/١٥ . (١٧) : ٣١٢/١٥ . (٥٠) :
١٥/٥٣٥ . (٥٦) : ٤٠٩/١٥ . (٧٣) : ٤٢٧/١٥ . سبأ : (١) : ٤٣١/١٥ . (٨) : ٤٥٢/١٥ . (٥٠) :
١٥/٥٣٥ . فاطر : (١٠) : ٢٠/١٦ . (١٣) : ٢٩/١٦ . (٤٠) : ٢٠٦/١٦ . يس : (١٢) : ١٠٢/١٦ .
(٢٢) : ١١١/١٦ . (٧٠) : ١٦٩/١٦ . (٧٩) : ١٨٠/١٦ . ص : (٢٨) : ٣٧٣/٦ [الوجه الأول] مع
الحرالي] . (٦٣) : ٤١٢/١٦ . الزمر : (١٧) : ٥٦٦/١٦ . (٢٢) : ٤٨٦/١٦ . (٢٣) : ٤٩١/١٦ .
(٢٤) : ٤٩٣/١٦ . (٤٢) : ٥١٩/١٦ . (٧١) : ٥٦٦/١٦ . غافر : (٢٨) : ٥٥/١٧ . (٣٩) : ١٧ :
٧٣ . (٤٢) : ٧٧/١٧ . (٦٠) : ١٠٠/١٧ . [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ،
واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٦٤) : ١٠٥/١٧ . (٧٣-٧٤) :
١١٧/١٧ . (٧٧) : ١٢٠/١٧ . (٨٣) : ١٣٠/١٧ . فصلت : (١٢) : ١٥٧/١٧ . الشورى : (١٨) :
٣٨٣/١٧ . (٢٢) : ٢٩٤/١٧ . (٤٨) : ٣٥١/١٧ . الزخرف : (٣٨-٣٩) : ٤٣٢/١٧ . الجاثية : (٤) :
٦٥/١٨ . الأحقاف : (٤) : ١٢٤/١٨ . (١٢) : ١٤٣/١٨ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من

المثال : يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦م) : " ذكر العلم دليلاً على حذف ضده ثانياً وثانياً الاعتراض دليلاً على حذف ضده أولاً" (١) .

النوع	أركان الطرف الثاني	النوع	أركان الطرف الأول
x	(جهلوا به)	✓	(يعلمون أنه)
✓	(فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً)	x	(فيقولون آمننا به)

*

ثالثاً : ما يحدد فيه الأركان ويذكر التقدير والسر :

حدّد الأركان وذكر السر والتقدير في (ثلاثة) مواضع^(٢) ، منها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٧م) : " فتوفية الأجر أولاً ينفية ثانياً ، وإثبات الكراهة ثانياً يثبت ضدها

الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور [محمد : (٢-١) : ١٩٩/١٨ .
 (١٢) : ٢١٥/١٨ وما بعدها . [+] . الحجرات : (٧) : ٣٦٩/١٨ . (١٤) : ٣٨٦/١٨ . [الوجه الأول]
 (١٨) : ٣٦٢/١٨ . النجم : (٢٠-١٩) : ٥٩/١٩ . القمر : (٤٣) : ١٣٠/١٩ . الرحمن : (٧٨) :
 ١٩٤/١٩ . الحشر : (١١) : ٤٤٧/١٩ . الملك : (٢٨) : ٢٦٨/٢٠ . القلم : (٤٣-٤٢) : ٣٢٥/٢٠ .
 الجن : (١٠) : ٤٧٩/٢٠ . (١٤) : ٤٨٤/٢٠ . المزمل : (٨) : ١٥/٢١ . المدثر : (٤٠-٣٨) : ٧٢/٢١ .
 القيامة : (٢٢-٢١) : ١٠٤/٢١ . (٢٥-٢٣) : ١٠٧/٢١ . النبأ : (١١-١٠) : ١٩٧/٢١ . النازعات :
 (٤٠-٣٧) : ٢٤٤/٢١ . التكويد : (١٣-١٢) : ٢٨٣/٢١ . (١٧-١٥) : ٢٨٦/٢١ . المطففين : (٧-
 ٢١) : ٣٢٧/٢١ . الانشقاق : (١٣-٨) : ٣٤٤/٢١ وما بعدها . [+] . الأعلى : (١٤-١٢) :
 ٤٠٤/٢١ . [+] . الغاشية : (٧) : ٨/٢٢ . الشمس : (٨) : ٧٧/٢٢ . الليل : (٣) : ٨٨/٢٢ . (١٦-
 ١٨) : ٩٥/٢٢ . العلق : (١٤-١١) : ١٦٨/٢٢ . القارعة : (٩-٧) : ٢٢٣/٢٢ وما بعدها . التكاثر :
 (٤-١) : ٢٣٠/٢٢ . الماعون : (٣-٢) : ٢٨٠/٢٢ . النصر : (٣) : ٣٢١/٢٢ .

(١) نظم الدرر ٢٠٦/١ ، هامش رقم (٨) .

(٢) وهي : آل عمران : (٥٧) : ٤٢٣/٤ . طه : (٨٦) : ٣٢٧/١٢ وما بعدها . النبأ : (٢٩) : ٢٠٨/٢١ .

أولاً" (١) .

أولاً : الأركان :

النوع	أركان الطرف الثاني	النوع	أركان الطرف الأول
x	(نحبط أعمالهم)	✓	(نوفيهم أجورهم)
✓	(الله لا يحب الظالمين)	x	(الله يحب المؤمنين)

ثانياً : التقدير : " فنوفيهم لأننا نجبهم والله يحب المؤمنين ، والذين ظلموا نحبط أعمالهم لأننا لا نجبهم والله لا يحب الظالمين" (٢) .

ثالثاً : السر : «و حقيقة الحال أنه أثبت للمؤمنين لازم المحبة المراد منها في حق الله سبحانه وتعالى لأنه أسرّ ، ولازم المراد من عدمها في الظالمين ؛ لأنه أنكأ" (٣) .

*

رابعاً : ما يحدد فيه الأركان ويذكر التقدير :

حدّد الأركان وذكر التقدير في (ثلاثة عشر) موضعاً (٤) ، منها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١ م) .

- أولاً : الأركان :

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	النوع
١		١	
		لنوع	

(١) نظم الدرر ٤/٤٢٣ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ٤/٤٢٢ وما بعدها .

(٤) وهي : البقرة : (٢٦١) : ٧٥/٤ ، [مع القرطبي] . آل عمران : (٣٢) : ٣٣٩/٤ وما بعدها . (١٢٢) :

٤٩/٥ . الأعراف : (٢) : ٣٤٩/٧ . (٤) : ٣٥٧/٧ [مع النحاس] . (٥٥) : ٤١٩/٧ . (١٩٣) :

١٩٤/٨ . الرعد : (١٢) : ٢٩٤/١٠ . الحج : (٦٠) : ٧٩/١٣ . الزخرف : (٥٢-٥١) : ٤٤٧/١٧ -

٤٤٨ . نوح : (١٧) : ٤٤٤/٢٠ [مع البيضاوي] . الجن : (٢١) : ٤٩٤/٢٠ ، [مع البيضاوي] . التين :

(٦-٤) : ١٤٦/٢٢ .

x	(الزارع)	✓	(المنفق)
✓	(الحبة)	x	(النفقة)

ثانياً : التقدير : " مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها" (١) .

*

خامساً : ما يحدد فيه الأركان ويذكر السر :

حدّد الأركان وذكر السر في (سبعة وستين) موضعاً^(٢) ، منها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق **وَعَجَلْكَ** : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا

لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ (المائدة: ٤٤م) .

أولاً : الأركان :

(١) نظم الدرر ٧٥/٤ .

(٢) وهي : المائدة : (٤٤) : ١٤٥/٦ . الأنعام : (٣٣) : ٩٦/٧ . [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] . (٩٢) : ١٨٨/٧ . التوبة : (١٠٩) : ٢١/٩ . هود : (٤) : ٢٣٤/٩ . القصص : (٥-٦) : ٢٤٢/١٤ : (٧) : ٢٤٤/١٤ . (١٢) : ٢٥٠/١٤ . الأحزاب : (٤) : ٢٨٧/١٥ . يس : (٤٠) : ١٣٣/١٦ : (٦٥) : ١٥٧/١٦ . ص : (٢٨) : ٣٧٣/١٦ [الوجه الثاني] . (٤٦-٤٧) : ٣٩٨/١٦ : (٧٤) : ٤٢١/١٦ : (٧٥) : ٤٢٣/١٦ . الزمر : (٣) : ٤٤٥/١٦ . (٩) : ٤٦٦/١٦ : (٢٦) : ٤٩٤/١٦ . (٣٢-٣٣) : ٥٠٥-٥٠٦/١٦ . [٧٠] : (٦١) : ٥٦٤/١٦ . غافر : (٨-٩) : ١٧-١٦/١٧ : (٤٠) : ٧٥/١٧ : (٤١) : ٧٦/١٧ : (٥٨) : ٢٢٢/١٧ : (٦١) : ١٠١/١٧ . فصلت : (١٧) : ١٦٧/١٧ : (٣٨) : ١٩٦/١٧ : (٤٠) : ١٩٩/١٧ . (٤٤) : ٢٠٧/١٧ : (٥١) : ٢٢٢/١٧ : (٥٢) : ٢٢٤/١٧ . الشورى : (٧) : ٢٥٠/١٧ : (٨) : ٢٥٣/١٧ : (٢٦) : ٣٠٧/١٧ : (٥١) : ٣٥٩/١٧ . الجاثية : (١١) : ٧٤/١٨ : (٣١-٣٠) : ١٠٩/١٨ . الأحقاف : (١٠) : ١٣٩/١٨ . محمد : (١٤) : ٢١٧/١٨ وما بعدها . (٢٤) : ٢٤٥/١٨ : (٣٣) : ٢٦٠/١٨ : (٣٦) : ٢٦٦/١٨ . الفتح : (١٠) : ٢٩٨/١٨ : (٢٦) : ٣٣٢/١٨ . الحجرات : (١٤) : ٣٨٨/١٨ [الوجه الثاني] . الطور : (٣٢) : ٢٤/١٩ . القمر : (٣٥) : ١٢٥/١٩ . الواقعة : (٥٩) : ٢٢٠/١٩ . الحديد : (٢-١) : ٢٥٤/١٩ : (١٩) : ٢٨٦/١٩ . الممتحنة : (٦) : ٥٠٥/١٩ . التحريم : (١٠-١١) : ٢١٢/٢٠ . الملك : (٢٢) : ٢٥٨/٢٠ . نوح : (٢٨) : ٤٤٦٠/٢٠ : (٥) : ٤٧١/٢٠ : (١٤-١٥) : ٤٨٦/٢٠ . الإنسان : (١٣) : ١٤٣/٢١ : (٢٧) : ١٥٨/٢١ : (٣١) : ١٦٣/٢١ . النازعات : (٢٩) : ٢٤٠/٢١ . عبس : (٥-٩) : ٢٥٦/٢١ : (٣٨-٤١) : ٢٧٣/٢١ . الانشقاق : (٧-١٠) : ٣٤٣/٢١ . الأعلى : (١٢-١٠) : ٤٠٠/٢١ : (١٦-١٧) : ٣٤٣/٢١ . البلد : (١٥-١٦) : ٦٣/٢٢ .

النوع	أركان الطرف الثاني	النوع	أركان الطرف الأول
x	(الذين أسلموا)	✓	(الذين أسلموا)
✓	(بما استحفظوا من كتاب)	x	(بما استحفظوا من كتاب)

ثانياً: السر: "وإنما خصَّ الأول بذكر الإسلام ؛ لأنَّ الأنبياء أحق به ، وهو دأع إلى الحفظ قطعاً ، وخص الثاني بالاستحفاظ ؛ لأنَّ الأتباع أولى به ، وهو دال على الإسلام" (١) .

*

سادساً : ما يذكر فيه التقدير فقط .

حدّد التقدير في (موضعين) (٢) ، منها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق **وَعَلَيْكَ** : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ

صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٨، ك) : "وإذا نزل على الاحتباك ازداد ظهوراً ، تقديره : فراق بيني وبينك كما أخبرت ، وفراق بينك من بيني كما شرطت" (٣) .

*

سابعاً : ما يذكر فيه التقدير والسر :

ذكر التقدير والسر في (ثلاثة) مواضع (٤) ، منها على سبيل المثال :

يقول في قول الحق **وَعَلَيْكَ** : ﴿ أَفَأَصْفَكَمُ رِثَةً بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا

عَظِيمًا ﴾ (الإسراء: ٤٠، ك) : "ويمكن أن تتزل الآية على الاحتباك - [أولاً : التقدير :] - بالبنين ورضي لنفسه بالبنات ، وخصكم في نوعكم الذي هو أضعف ما يكون بالذكور ، واتخذ

(١) نظم الدرر ١٤٥/٦ .

(٢) هما : الكهف : (٧٨) : ١١٧/١٢ . محمد : (١٥) : ٢٢٥/١٨ [اتفق ابن عاشور مع البقاعي في عد الآية من الاحتباك ، واختلف معه في معالجة الأسلوب ؛ لذا ذكرتها عند ابن عاشور] .

(٣) نظم الدرر ١١٧/١٢ .

(٤) وهي : الإسراء : (٤٠) : ٤٢٠/١١ . الروم : (٤٥) : ١١١/١٥ وما بعدها . الأحزاب : (٢٤) : ٣٨٠/١٥ [مع ابن عطية] .

من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض وقلب أسفلها على أعلاها إناثاً في غاية الرخاوة" (١) .

- ثانياً : السر : " أنه عبر أولاً بالبنين دون الذكور ؛ لأن اسم الابن ألد في السمع ، مُرض لمن بشر به من غير نظر في العاقبة ، وقد يكون أنثى الأفعال ؛ ولأن اسم الذكر مشترك المعنى ، وعبر في الثاني بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول اللفظ ، ولأنهن بنات بالمعادلة" (٢) .

*

ثامناً : ما يذكر فيه السر فقط :

حدّد السر في (موضع واحد) (٣) :

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِّي

اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٧، م) " فهو من وادي

الاحتباك ... وسرّ ما صنع في هذا الموضع من الاحتباك أنه لما كان القتال في الشهر الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في سرية عبدالله بن جحش أبرز السؤال عنه والجواب، ولما كان القتال في المسجد الحرام لم يقع بعده وسيقع من المسلمين أبطر عام الفتح، طواه وأضمره، ولما كان الصدّ عن سبيل الله الذي هو البيت، والكفر الواقع بسببه لم يقع، وسيقع من الكفار عام الحديبية، أخفى خبره وقدره، ولما كان الإخراج قد وقع منهم ذكر خبره وأظهره؛ فأظهر سبحانه وتعالى ، ما أبرزه على يد الحدّثان ، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان ، وصرح بما صرح به لسان الواقع، ولوح إلى ما لوح إليه صارم الفتح القاطع (٤) .

*

تعريفه الاحتباك :

أورد البقاعي تعريفات لهذا الفن لا تختلف في جوهرها عما ذكره السابقون عليه ، وأول موضع أورد فيه تعريف الاحتباك الموضع الخامس عشر - تقريباً - من بيان ذلك الفن ، في

(١) نظم الدرر ٤٢٠/١١ . .

(٢) المرجع السابق ٤١٩/١١، ٤٢٠ .

(٣) البقرة : (٢١٧) : ٢٢٩/٣ .

(٤) نظم الدرر ٢٢٩/٣ .

قول الحق ﷻ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٣م)، يقول: "... وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازاً، ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه" (١).

والثاني: في قول الحق ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (الروم: ٤٥هـ، ك)، يقول: "... وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء، ويكون نظمهما بحيث يدل ما أثبت في كل على ما حذف من الآخر" (٢). فالناظر إليها يلحظ أنها متفقة معنى وإن اختلفت لفظاً.

*

طريقته في بيان السر .

– الإشارة إليه بصريح العبارة، وذلك نحو أن يقول: «وسر ما صنع كذا، وكذا»، أو «وسر ذلك كذا»، أو «والسر في ذكر ما ذكر وترك ما ترك كذا، وكذا»، أو «وسره كذا»، أو «وسر ما أشير إليه كذا». فأول موضع أشار فيه إلى بيان السر هو قول الحق ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ (البقرة: ٢١٧م).

*

– الإشارة إليه تفهم على أنه سر لذلك المذكور والمحذوف، ولكن البقاعي خالف نمط طريقته السابقة في بيان ذلك السر منها على سبيل المثال:

– يقول في قول الحق ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧م) (٣).

*

– تفهم بعض الأسرار عرضاً من كلامه – رحمه الله –، وقد تنطبق بعض الأسرار التي ذكرها

(١) المرجع السابق ٢٦٣/٤ .

(٢) المرجع السابق ١١١/١٥ .

(٣) المرجع السابق ٤٢٣/٤ وما بعدها .

في آيات على آيات أخرى لم يذكر لها سرًا ؛ نظرًا لتشابه مضمون الآيتين ، أو لأن السر الذي يذكره ذو معانٍ متشعبة لفظها موجز دقيق ، ومنها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق **وَعَجَلٌ** : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦-١٠٧ م) ، وسره يفهم عرضًا من كلامه ، وهو أنه ذكر الأنكأ المشين الملمزم للتوبيخ ؛ لأن النفوس لخوض أسبابه أسرع .

*

- اتفاق بعض الآيات في السر من وراء الحذف معنى لا لفظًا ، هذا السر أفصح عنه في بيان وجه الاحتباك في قول الحق **وَعَجَلٌ** : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءِ فَتَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠٠ م) ، يقول : "...وسره أنه ذكر سببي السعادة ترغيبًا وترهيبًا " (١) . ثم عاد فذكر في قول الحق **وَعَجَلٌ** : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن نَّبَّوْلَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (المتحة: ٢٠٦ م) : "... وسره أنه ذكر سبب السعادة ترغيبًا وسبب الشقاوة ترهيبًا " (٢) . فهذا وذاك متفقان في المعنى .

*

- اجتماع احتباكين في موضع واحد .

ظهرت قدرته في بيان بعض الآيات التي ذكر فيها أكثر من موضع للاحتباك ، أي : أنه يجعل في الآية الواحدة موضعين للاحتباك ، والذي يدعم هذا قوله في بعض المواضع «احتباكان» ، «احتباك مشير إلى احتباك آخر» ، «احتباك في احتباك» ، وهكذا . فذكر مثل هذا في «عشرة» مواضع تقريبًا^(٣) بما تفرد ؛ لأني لم أجد عند أي عالم من العلماء الذين

(١) المرجع السابق ١٨/١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ١٩/٥٠٥ .

(٣) البقرة : (٣٨، ٣٩) ١/٣٠٢ ، ذُكِرَ في الهامش أن فيها وجهين ، (٢٠٥) ٣/١٧٤ «فهو احتباك ثان» . آل عمران : (٣٠) ٤/٣٣٠ وما بعدها «احتباكان» . الأعراف : (٢٩-٣٠) ، ٧/٣٨٥ وما بعدها «احتباكان» . الروم : (٤٤) ١٥/١١٠ وما بعدها «فيها وجهان» . ص : (٢٨) ١٦/٣٧٣ «احتباك مشير إلى احتباك آخر» . الزمر : (٣٢-٣٣) ١٦/٥٠٦ «احتباك آخر» . محمد : (١٢) ١٨/٢١٥ وما بعدها «احتباك في

أحصتهم الدراسة مثل هذا القول ، ومنها على سبيل المثال :

- يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٥، م) : "والآية من الاحتباك : ذكر أولاً الإفساد ليدل على حذفه ثانياً ، وثانياً الإهلاك ليدل على حذفه أولاً ؛ وذكر الحرث الذي هو السبب دلالة على الناسل والنسل الذي هو المسبب دلالة على الزرع فهو احتباك ثان" (١) .

*

- امتداد الاحتباك في أكثر من موضع .

القول بالاحتباك في بعض المواضع امتد في أكثر من آية ، أي : أنه يستخلص لب الاحتباك من آيتين أو أكثر ، ومثل هذا بلغ في ثنايا سفره (ثلاثة وخمسين) موضعاً تقريباً^(٢) ، فملتضح من تلك المواضع أن القول بالاحتباك امتدَّ ونمَّ مع السياق حتى اكتمل ، وفي هذا تظهر

احتباك» . الحجرات : (١٤) : ٣٨٧/١٨ وما بعدها «وفي الآية احتباك من وجه آخر» . الانشقاق : (٨-١٣) ٣٤٤/٢١ وما بعدها «احتباك في احتباك» .

(١) نظم الدرر ١٧٤/٣ .

(٢) البقرة : (٣٩، ٣٨) : ٣٠٢/١ ، (٢٦٥، ٢٦٦) : ٨٤/٤ آل عمران : (١٠٤، ١٠٥) : ٢١/٥ ، (١٠٦، ١٠٧) : ٢٢/٥ . النساء : (٩٧، ٩٦، ٩٥) : ٣٧٣/٥ . الأنعام : (٧٢، ٧١) : ١٥٣/٧ . الأعراف : (٣٠، ٢٩) : ٣٨٥/٧ وما بعدها (١٤٧، ١٤٦) : ٨٤/٨ . التوبة : (١٢٤، ١٢٥) : ٥٢/٩ . الحجر : (٧٦-٧٩) : ٨٠/١١ . الإسراء : (٢١) : ٣٠/١١ ، (٧٢، ٧١) : ٤٧٩/١١ . مريم : (٧٦، ٧٥) : ٢٤٠/١٢ ، (٨٦، ٨٥) : ٢٤٧/١٢ . النمل : (٩٠، ٨٩) : ٢٢٦/١٤ . القصص : (٦٥، ٥) : ٢٤٢/١٤ ، (٧٢، ٧١) : ٣٤٤/١٤ . الروم : (١٨، ١٧) : ٦١/١٥ . لقمان : (٢٣، ٢٢) : ١٩٠/١٥ . ص : (٤٧، ٤٦) : ٣٩٨/١٦ . الزمر : (٣٣، ٣٢) : ٥٠٥/١٦ وما بعدها . غافر : (٩، ٨) : ١٦/١٧ ، (٧٣، ٧٤) : ١١٧/١٧ . الزخرف : (٣٨-٣٩) : ٤٣٢/١٧ ، (٥٢، ٥١) : ٤٤٨/١٧ . الجاثية : (٣٠، ٣١) : ١٠٩/١٨ . النجم : (٢٢ إلى ٢١) : ٥٩/١٩ . الواقعة : (٦٨، ٦٩) : ٢٢٧/١٩ . الحديد : (٢١) : ٢٥٤/١٩ . القلم : (٤٢، ٤٣) : ٣٢٥/٢٠ . الجن : (١٥، ١٤) : ٤٨٦/٢٠ . المدثر : (٣٨ إلى ٤٠) : ٧٢/٢١ . القيامة : (٢٠، ٢١) : ٢١/١٠٤ ، (٢٣ إلى ٢٥) : ١٠٧/٢١ . النبأ : (١٠، ١١) : ١٩٧/٢١ . النازعات : (٣٧ إلى ٤٠) : ٢٤٤/٢١ . عبس : (٥ إلى ٩) : ٢٥٦/٢١ ، (٣٨ إلى ٤١) : ٢٧٣/٢١ . التكوير : (١٣، ١٢) : ٢٨٣/٢١ ، (١٥ إلى ١٧) : ٢٨٦/٢١ . المطففين : (٧ إلى ٢١) : ٣٢٧/٢١ . الانشقاق : (٧ إلى ١٠) : ٣٤٣/٢١ (٨ إلى ١٣) : ٣٤٥/٢١ . الأعلى : (١٠-١٢) : ٤٠٠/٢١ ، (١٤، ١٥) : ٤٠٤/٢١ ، (١٧، ١٦) : ٤٠٦/٢١ . البلد : (١٥، ١٦) : ٦٣/٢٢ . الليل : (١٦ إلى ١٨) : ٢٢/٩٥ . التين : (٤ إلى ٦) : ١٤٦/٢٢ . العلق : (١١ إلى ١٤) : ١٦٨/٢٢ . القارعة : (٧-٩) : ٢٢٤/٢٢ . التكاثر : (١ إلى ٥) : ٢٣٠/٢٢ . الماعون : (٢، ٣) : ٢٨٠/٢٢ .

عقلية البقاعي في الربط بين الآيات لاستخراج مواطن الاحتباك .

– الاحتباك وتغاير القراءات القرآنية :

أشار في بعض المواضع إلى أن الاحتباك ناشئ من اختلاف أوجه القراءات حول الآية ، وهذا في (أربعة) مواضع^(١) ، منها على سبيل المثال :

– يقول في قول الحق ﷻ : ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﷻ﴾ (التوبة: ١٩، ٢٠) : " فالآية على قراءة الجماعة^(٢) من الاحتباك : حذف أولاً المشبه به لدلالة المشبه عليه ، وثانياً المشبه لدلالة المشبه به عليه"^(٣) .

*

– ضرورة حمل الآية على الاحتباك والعكس

أشار في موضع واحد -تقريباً- إلى أنه لا يمكن حمل الآية على الاحتباك لنقص المعنى ، وهذا

في قول الحق ﷻ : ﴿فِيمَا لَيْنَذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

الصَّالِحَاتِ أَن لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَكْتَبِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﷻ﴾ (الكهف: ٢٠-٤٤، ك) ، يقول : " ولم أجعل الآية من الاحتباك لنقص المعنى"^(٤) .

*

في مقابل هذا ، فإنه في موضع آخر يشير إلى أنه لا بد من حمل الآية على الاحتباك ليستقيم

المعنى ، وهذا في قول الحق ﷻ : ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن

دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﷻ﴾

(هود: ٢٠، ك) ، يقول : " ونفي الاستطاعة أعرق في العيب وأدل على النقص وأنكأ من نفي

السمع ؛ لأنهم قد يحملونه على الإجابة ، وأما نفي البصر فغير منفك عن النقص سواء كان

(١) وهي : التوبة : (١٩) : ٤١٦/٨ . يونس : (١٠٣) : ٢١٤/٩ . الجاثية : (٤) : ٦٥/١٨ . الجن : (٥) : ٤٧١/٢٠ .

(٢) ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ﷻ﴾

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤١٦/٨ . تبعه ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٠٤٥/١٠ وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ٨/١٢ .

للعين أو للقلب ، هذا إن لم تخرج الآية على الاحتباك ، وإن خرجت عليه استوى الأمران ، وصار نفي الاستطاعة أولاً دالاً على نفيها ثانياً ، ونفي الإبصار ثانياً يدل على نفي السمع أولاً^(١) .

*

– السياق يقتضي حمل المعنى على الاحتباك .

تفرد في (أحد عشر) موضعاً تقريباً^(٢) بالقول بأن الأولى والأحسن حمل المعنى على الاحتباك ؛ فهو يزيد المعنى وضوحاً .

*

– إعجابه بفن الاحتباك .

يذكر في بعض مواضع هذا الفن البلاغي الموجز الرفيع عبارات ذات مدلولات جمّة ، فيقول فيه تارة "من عجيب فن الاحتباك"^(٣) ، وثانية "ألطف شاهد لنوع الاحتباك"^(٤) ، وثالثة "من عظيم هذا الفن"^(٥) ، ورابعة "من محاسن رياض الاحتباك"^(٦) ، وخامسة "احتباك عجيب"^(٧) ، وسادسة "من بديع الاحتباك"^(٨) ، فمنطوقه هذا يُبين عن عظم وقع وقع هذا الفن في نفسه ؛ فهو النور الذي يملأ القلب هداية ودهشة وإعجاباً بما يفيض منه .

(١) المرجع السابق ٢٥٨/٩ .

(٢) آل عمران : (١٢٢) : ٤٩/٥ «والأحسن تنزيل الآية على الاحتباك». الأعراف : (٢) : ٣٤٩/٧ «والآية على كل تقدير من الاحتباك» ، (١٩٣) : ١٩٤/٨ «ويجوز أن يكون من الاحتباك». الرعد : (١٢) : ٢٩٤/١٠ «يجوز أن يكون المعنى على الاحتباك». الكهف : (٧٨) : ١١٧/١٢ «وإذا نزل على الاحتباك ازداد ظهوراً». الروم : (٤٤) : ١١٠/١٥ «وأحسن من هذا أن يقال...» لقمان : (١٢) : ١٦٠/١٥ «والآية على الأول من الاحتباك» الأحزاب : (١٧) : ٣١٢/١٥ «ويمكن أن تكون الآية من الاحتباك» ، (٥٦) : ٤٠٨/١٥ وما بعدها «ولك أن تجعله من الاحتباك». الشورى : (٥١) : ١٧ / ٣٥٩ «والآية يمكن تنزيلها على الاحتباك». الجن : (٢١) : ٤٩٤/٢٠ «ولم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك»

(٣) نظم الدرر ١٨٨/٧ .

(٤) المرجع السابق ١٠/٩ .

(٥) المرجع السابق ١٩٨/١٥ .

(٦) المرجع السابق ٢٩٥/١٥ .

(٧) المرجع السابق ٣٨٠/١٥ .

(٨) المرجع السابق ١٨٠/١٦ .

*

- بيان نوع العلاقة بين المذكور والمحذوف .

بين المذكور والمحذوف علائقُ نسبٍ ، يحددها السياق ، ويقتضيها المقام ، وهي هنا - في باب الاحتباك - أشدُّ علقَةً ؛ حيث إن المحذوف جزء من المذكور ، والمذكور جزء من المحذوف ، وهذه تقريباً أهم خاصية من خواص فن الاحتباك . ومثل هذا يبرز عند البقاعي في بعض المواضع ، بمعنى : أن بيان نوع العلاقة عنده ، ليس بالأمر المتبع في كل آية وقف عليها ، وفصل القول فيها ، وإنما يشير إليها في بعض الآيات على عجل ، وفي أخرى تتكشف للنظر فيها ، وتبين للمتأمل في حقيقة طرفيها . فالبقاعي أشار إلى نوعين من أنواع العلائق الرابطة بين المذكور والمحذوف ، نستشفها من قوله : «حذف لدلالة ضده عليه» ، أي : علاقة التقابل - بالتضاد وغيره - بين طرفي القول . «وحذفه ثانياً دليلاً على ذكره أولاً» ، أي : علاقة التناظر بين طرفي القول . وأكثر أنواع العلائق وروداً - هنا - علاقة التقابل بالتضاد وغيره^(١) .

- نوع العلاقة الرابطة بين طرفي المحذوف والمذكور يمكن تقسيمه على النحو التالي :

أولاً : علاقة التقابل بين المذكور والمحذوف ، وبيان موقع كل واحد منهما بالنسبة للآخر (إفراداً ، وتركيباً . حقيقةً ، ومجازاً) .

أشاد البقاعي بنوع العلاقة بين المذكورين والمحذوفين من خلال بيانه وجه الاحتباك في بعض الآيات : يقول في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ مِمَّا قَوْهَاً فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦) : " ذكر العلم دليلاً على حذف ضده ثانياً وثانياً الاعتراض دليلاً على حذف ضده أولاً"^(٢) ، فالتقابل واضح بين الطرفين ؛ حيث قابل الأول الثالث والثاني الرابع ، وكلا الطرفين - المذكور والمحذوف - مركبان حقيقيان .

(١) ينظر : من الإعجاز البلاغي للقرآن ، تأليف : صباح عبيد دراز ، (الأزهر ، دار التوفيقية ، الطبعة : بدون ،

سنة الطبع : بدون) ، ص ٢٢٨ .

(٢) نظم الدرر ١/٢٠٦ ، هامش رقم : (٨) .

*

ثانياً : علاقة التناظر بين المذكور والمحذوف ، وبيان موقع كل واحد منهما بالنسبة للآخر (إفراداً ، وتركيباً . حقيقة ، ومجازاً) .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤) ، احتباك "ذكر الخلق أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والاختلاف ثانياً على حذفه أولاً" (١) .
فالتناظر واضح بين الطرفين ؛ حيث ماثل الأول الرابع والثاني الثالث ، وكلا الطرفين - المذكور والمحذوف - مفردان حقيقيان .

*

- الإشارة إلى شبه الاحتباك .

أشار البقاعي إلى شبه الاحتباك في (خمسة) مواضع (٢) تفرد بالقول فيها ؛ لأنني لم أجد أحداً سبقه بالقول -والله أعلم- ، وسيأتي ذكرها في الباب الثاني ، ومنها على سبيل المثال :
يقول في قول الحق ﷻ : ﴿الْمَيْرَواتِ كَمِ أَهْلِكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (الأنعام: ٦٠ك) ، : "فالآية من الاحتباك أو شبهه " (٣) . فالتقدير على النحو التالي :
مكناهم في الأرض ما لم نمكنكم ، ومكنا لهم في الأرض ما لم نمكن لكم . أمّا أركان شبه الاحتباك فعلى النحو التالي :

أركان الطرف الأول	النوع	أركان الطرف الثاني	النوع
-------------------	-------	--------------------	-------

(١) المرجع السابق ٢/٢٨٨ .

(٢) وهي : الأنعام : (٩) : ٢٢/٧ «فالآية من الاحتباك أو شبهه» . يوسف : (٢١) : ٤٩/١٠ «فهو احتباك أو قريب منه» . النمل : (٥٠) : ١٧٩/١٤ «وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبيهة به» . الحجرات : (٧) : ٣٦٩/١٨ «فالآية من الاحتباك وهي شبيهة به» . الرحمن : (٧٨) : ١٩٤/١٩ «والوصفان الأخيران من شبه الاحتباك» .

(٣) نظم الدرر ٧/٢٢ .

×	(مكننا لهم)	✓	(مكناهم)
✓	(ما لم نمكن لكم)	×	(ما لم نمكنكم)

*

– استفادته من أقوال العلماء في بيان وجه الاحتباك .

يلحظ أن قوله بالاحتباك في بعض المواضع مستفاد ممن سبقه من العلماء ، منهم على سبيل المثال :

– القشيري : (٣٤٤هـ) .

يقول في قول الحق **وَعَجَّلْ** : ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ (القر: ٣٥ك) : "قال القشيري : والشكر على نعم الدفع أتم من الشكر على نعم النفع ، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس؛ فالآية من الاحتباك : ذكر الإنعام أولاً -لأنه السبب الحقيقي- دليلاً على حذفه ثانياً ، والشكر ثانياً -لأنه السبب الظاهر- دليلاً على حذفه أولاً" (١) .

*

– أبوحيان الأندلسي : (٧٤٥هـ)

يقول في قول الحق **وَعَجَّلْ** : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (الجن: ٢١ك) : "ولما كان المقام لدفع شرهم عنه ، قال : ﴿ ضَرًّا ﴾ فأفهم ذلك (ولا نفعاً ولا غيًّا) ﴿ وَلَا رَشَدًا ﴾ أي : صواباً وسداداً . فالآية من الاحتباك وهو ظاهر على هذا التقدير ، قال أبو حيان : فحذف من كل ما يدل مقابله عليه -انتهى . ويجوز أن يكون تقديره : لا أملك ضراً لأني لا أملك لكم إضلالاً ، ولا أملك لكم رشداً فلا أملك لكم نفعاً ، فإنه لا نفع في غير الرشاد ، ولا ضر في غير الضلال... ولم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك ، فإن ذكر الضر أولاً دلّ على حذف النفع

(١) نظم الدرر ١٩/١٢٥ . كما ينظر : لطائف الإشارات -تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم- تأليف : القشيري ، قدم له وحققه وعلق عليه : إبراهيم بسيوني ، صدر له : حسن عباس زكي ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الطبعة : بدون ، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م) ٥٥/٦ .

ثانيًا ، وذكر الرشد ثالثًا دل على حذف الضلال أولًا" (١) .

*

- ولي الدين الملوي : (٧٧٤هـ) .

يقول في قول الحق **وَعَلَىٰ** : ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ . وَيَنْجِبُهَا الْأَشَقَىٰ . الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ (الأعلى: ١٠-١٢ك) : " والآية من الاحتباك : ذكر الثمرة في الأول وهي الخشية دليلاً على حذف ضدها من الثاني ، وهي القسوة الناشئة على الحكم بالشقاوة ، وذكر الأصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلاً على حذف ضده في الأول وهو السعادة ، فالإسعاد سبب والخشية ثمرة ، والإشقاء سبب والقساوة ثمرة ومسبب ، وكذا ما نبعه من النار وما نشأ عنه ، وسر ذلك أنه ذكر مبدأ السعادة أولاً حث عليه ، ومآل الشقاوة ثانياً تحذيراً منه ، قال الملوي: ولا شك أن القرآن العظيم على أحسن ما يكون من البراعة في التركيب وبداعة الترتيب وكثرة العلوم مع الاختصار وعدم التكرار ، فيكتفي في موضع بالثمرة بلا سبب ، وفي آخر بالسبب بلا ثمرة ؛ لدلالة الأول على الثاني والثاني على الأول ، فيضم السبب إلى الثمرة والثمرة إلى السبب ، كما يُطلق القضاء ويُكتفى به عن القدر ، ويُطلق القدر ويُكتفى به عن القضاء... " (٢) .

هذا ، ونخلص إلى أن البقاعي هو العالم الوحيد الذي أبان كثيراً القول في الاحتباك وفي الكشف عن أدق لطائفه وأغمضها وقوعاً في الكلام العلي ، فهو - كما ترى - في سفره هذا صاحب التميز في فتح أفانين القول بدقة فكر ، وإصابة نظر ، ولطف قول ، ورفعة حس .

*

أبو السعود : (٩٥١هـ) .

أشار أبو السعود إلى هذا النوع من الحذف ، في : (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) بإشارات التقى في بعضها مع سابقه ، والأخرى انفرد بها .

(١) نظم الدرر ٢٠/٤٩٤ .

(٢) المرجع السابق ٢١/٤٠٠ .

يقول في قول الحق ﷻ: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٠٨ م) : " ومقتضى الظاهر أن يقال : كما سألوا موسى ؛ لأن المشبه هو المصدرُ من المبني للفاعل أعني سؤالية المخاطبين لا من المبني للمفعول، أعني مسؤولية الرسول ﷺ وحتى يُشبهه بمسؤولية موسى ﷺ فلعله أريد التشبيه فيهما معاً ، ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية ، وفي جانب المشبه به المسؤولية ، واكتفي بما ذكر في كل موضع عما تُرك في الموضع الآخر ... " (١) . ذكر في الطرف الأول السائلية، وحذفها من الطرف الثاني ، ثم ذكر في الطرف الثاني المسئولية ، وحذفها من الطرف الأول ، وهذا احتباك .

*

ويقول في قول الحق ﷻ: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٥ م) : " ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه ، لكنه تُرك في جانب المشبه ذكر الإرسال، وفي جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاءً بما ذكر في كل موطنٍ عما تُرك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس ﷻ " (٢) . وهذا احتباك .

*

-إضافات بعض المحدثين :

- الشهاب الخفاجي : (١٠٦٩هـ) .

أشار الشهاب إلى الاحتباك ، وذلك في حاشيته المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي) ، وذلك في (تسعة وعشرين) موضعاً^(٣) تقريباً ، إلا أن هذه المواضع

(١) إرشاد العقل السليم ١/٤٤ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٥٥/٦ .

(٣) البقرة : (٣٩) : ٢/٢٠٥ [مع أبي حيان] (٩١) : ٢/٢٠٥ [مع السمين الحلبي] ، (١٧١) : ٢/٢٦٧ [مع الكرماني] . النساء : (١٤٦ ، ١٤٧) ٣/١٩٣ . الأنفال : (٦٥) : ٤/٢٩٠ [مع أبي حيان] . التوبة : (١٠٢) : ٤/٣٦٠ [مع الزمخشري] . يونس : (٦٧) ٥/٤٧ [ابن عطية] . هود : (٤٨) : ٥/١٠٤ . الكهف : (١٧) : ٦/٨٢ [مع البقاعي] . طه : (٢٢) : ٦/١٩٧ [مع البقاعي] . النمل : (٨٦) : ٧/٥٩ [مع أبي حيان] . الأحزاب : (٨) : ٧/١٦١ [مع أبي حيان] . (٥٣) : ٧/١٨٣ ، (٥٦) : ٧/١٨٤ [مع البقاعي] . سبأ : (٢٠١) : ٧/١٨٨ [مع

لم يتفرد بالقول فيها ، وإنما الإشارة إليها ظاهرة عند بعض العلماء . فالشهاب من علماء القرن الحادي عشر لم يتحرر عنده أحياناً مفهوم الاحتباك فيدخل فيه ما ليس فيه ، أو يطلق عليه غير اسمه ؛ لذا يلحظ عنده عدم تطابق تسمية المصطلح ؛ فمرة يذكر أنه احتباك ، وأخرى اكتفاء ، وفي كلا الموضوعين يقدر تقدير الاحتباك .

أمّا المواضع التي تفرّد بالقول فيها بالاحتباك (فسته) مواضع لم يتبين أن أحداً سبقه إلى القول فيها . منها : يقول في تفسيره لقوله **رَبِّكَ** : ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨، ك) : " وهذه الآية من الاحتباك ؛ لأنه حذف من الثاني ما ذكر في الأول ، وذكر فيه ما حذف من الأول ، والتقدير : بسلام منا عليك وبركات منا عليك" (١) .

*

اهتم الخفاجي بالقول بأن السياق لا يقتضي حمل المعنى القرآني على الاحتباك ، علماً بأنّ المواضع التي يرى فيها عدم الحاجة إلى مثل هذا النوع من الحذف ناقشها بعض العلماء وارتضوا القول بالاحتباك فيها ، وقد (بلغت تسعة) مواضع (٢) .

*

- الآلوسي : (١٢٧٠هـ) .

أشار الآلوسي إلى الاحتباك في سفره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، وذلك في (اثنين وثلاثين) موضعاً تقريباً (٣) ، التقى في معظمها مع سابقه ، وتكمن

البقاعي]. يس : (٢٢) : ٢٣٧/٧ [مع البقاعي] . ص : (٥٥) : ٣١٦/٧ . الزمر : (٥٣) : ٣٤٤/٧ . غافر : (٦١) : ٣٨٠/٧ ، [مع البقاعي] . فصلت : (٤٠) : ٤٠٢/٧ [مع البقاعي] . الشورى : (٧) : ٤١١/٧ [مع البقاعي] . (١٨) : ٤١٦/٧ [مع البقاعي] . الزخرف : (٥٢، ٥١) : ٤٤٦/٧ [مع البقاعي] . محمد : (١٢) : ٤٤/٨ [مع البقاعي] . الحجرات : (١٤) : ٨٢/٨ [مع البقاعي] . الصف : (١٤) : ١٩٤/٨ . نوح : (١٧) : ٢٥٢/٨ [مع البقاعي] . الجن : (٢١) : ١٦٠/٨ [مع البقاعي] . عبس : (٦، ٥) : ٣٢١/٨ [مع البقاعي] .
(١) حاشية الشهاب على البقاعي ١٠٤/٥ .

(٢) يونس (٦٧) : ٤٧/٥ . الأحزاب (٥٣) : ١٨٣/٧ . يس (٢٢) : ٢٣٧/٧ . فصلت (٤٠) : ٤٠٢/٧ . الشورى : (١٨) : ٤١٦/٧ . الزخرف (٥٢، ٥١) : ٤٤٦/٧ . محمد (١٢) : ٤٤/٨ . الحجرات : (١٤) : ٨٢/٨ . عبس (٦، ٥) : ٣٢١/٨ .

(٣) البقرة : (٣٩) : ٢٤١/١ [مع أبي حيان] . (٩١) : ٣٢٥/١ [مع السمين الحلبي] . (٢٢٨) : ١٣٤/٢ [مع أبي

جوانب الالتقاء في أن الآلوسي- كما هو متبين- ينقل أقوال بعض العلماء ، ويضيف إليها بعض الآراء المتعلقة بمدى تحمل السياق لمثل هذا التقدير ، مستنداً على وجهة نظره في بيان ذلك ، لهذا يرى في عدة مواضع بعدم القول بالاحتباك وتكلفه .
أما المواضع التي تفرّد بذكرها ، ولم يتبين أن أحداً من العلماء السابقين أشار إليها فجاءت في موضعين ، منها :

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (الحج: ٥٦-٥٧م) ، "...أو في الكلام صنعة الاحتباك ، والأصل فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين ، خلاف الظاهر كما لا يخفى" (١) .

*

- محمد رشيد رضا : (١٣٥٤هـ).

أشار محمد رشيد في (تفسيره المنار) للاحتباك ، وذلك في (خمسة) مواضع (٢) . تفرّد في

حيان]. الأنفال : (٦٦) : ٣٢/١٠ [مع أبي حيان]. التوبة (١٠٢) : ١٣/١١ [مع الزمخشري]. يونس : (٦٧) : ١٥٤/١١ [مع ابن عطية]. هود: (٤٨) ٧٣/١٢ [مع الخفاجي] . الإسراء : (٧١-٧٢) ١٢٣/١١ وما بعدها [مع ابن المنير] . الكهف : (٤-١) ٢٠٣/١٥ [مع أبي حيان] . (١٧) ٢٢٤/١٥ [مع البقاعي] . الحج : (٥٧) ١٨٧/١٧ . النمل : (١٢) ١٦٧/١٩ [مع أبي حيان] . (٨٦) ٢٩/٢٠ [مع أبي حيان] . الأحزاب : (٨) ١٥٥/٢١ [مع أبي حيان] . (٥٣) ٧١/٢٢ [مع الخفاجي] . (٦٥) ٨٠/٢٢ [مع البقاعي] . سبأ : (١) ١٠٣/٢٢ [مع البقاعي]. يس : (٢٢) ٢٢٧/٢٢ [مع البقاعي] . ص: (٥٥) ٢١٤/٢٣ [مع الخفاجي]. الزمر: (٥٣) ١٣/٢٤ [مع الخفاجي]. غافر: (٦١) ٨٢/٢٤ [مع البقاعي]. الشورى: (٧) ١٣/٢٥ [مع البقاعي]. (١٨) ٢٦/٢٥ [مع البقاعي]. الزخرف: (٥٢) ٩٠/٢٥ [مع البقاعي]. محمد: (١٢) ٤٦/٢٦ [مع البقاعي] . الحجرات: (١٤) ١٦٨/٢٦ [مع البقاعي]. الصف : (١٤) ٩١/٢٨ [مع الخفاجي]. نوح: (١٧) ٩٤/٢٩ [مع البيضاوي]. الجن: (٢١) ١١٦/٢٩ [مع البيضاوي]. النبأ: (٢٩) ٢١/٣٠ [مع البقاعي]. عبس: (٩) ٥٢/٣٠ [مع البقاعي]. المطففين: (٣) ٨٩/٣٠ .

(١) روح المعاني ١٨٧/١٧ .

(٢) الأنعام : (٦) ٣٠٧/٧ [مع البقاعي] . (١٠٧) ٦٦٢/٧ . الأنفال : (٦٥-٦٦) ٨٢/١٠ [مع أبي حيان] . التوبة : (١٠٦) ٢١/١١ [مع الزمخشري] . يونس : (٦٧) ٤٥٥/١١ [مع ابن عطية] . توقف صاحب المنار في تفسيره إلى سورة يونس ولم يكمله .

موضع واحد منها ، لم يتبين أن أحداً سبقه بالقول فيه .

يقول في قول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ**

بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧، ك) : " ولعل في الجملتين احتباكاً والتقدير : وما جعلناك عليهم حفيظاً تحفظ عليهم أعمالهم لتحاسبهم عليها ، ولا وكيلاً تتولى أمورهم وتتصرف فيها ، وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ بملك ولا سيادة ، أي ليس لك ما ذكر من الوصفين بأمرنا وحكمنا ، ولا لك ذلك الفعل كما يكون نحوه لبعض الملوك بالقهر أو التراضي " (١) .

*

- ابن عاشور : (١٣٩٣هـ).

اهتم ابن عاشور ببيان الاحتباك ، وشبه الاحتباك ، وذلك في سفره «التحرير والتنوير» ، حيث أورد لهما (سبعة وأربعين) موضعاً تقريباً (٢) . تفرّد بالقول في «أربعة وثلاثين» منها جاءت على النحو التالي :

(١) تفسير المنار ٦٦٢/٧ .

(٢) الفاتحة : (٧) : ١٩٩/١ . البقرة : (١٣٤) : ٧٣٥/١ ، (٢١٦) : ٣٢١/٢ ، (٢٢٨) : ٣٩٦/٢ [مع أبي حيان] . (٢٥١) : ٥٠٣/٢ ، (٢٧٦) : ٩١/٣ . الأنعام : (٩-٨) : ١٤٦/٧ ، (١٧) : ١٦٢/٧ وما بعدها [مع البقاعي] . (٢٨) : ١٨٥/٧ ، (٣٣) : ٢٠٠/٧ ، (٧٢) : ٣٠٥/٧ [مع البقاعي] . (٩٥) : ٣٨٩/٧ . الأعراف : (٥٨) : ١٨٥/٨ وما بعدها . [مع البقاعي] . التوبة : (١) : ١٠٥/١٠ (١٩) : ١٤٥/١٠ وما بعدها . [مع البقاعي] . (٤٥) : ٢١٢/١٠ وما بعدها . يونس : (٦٧) : ٢٢٦/١١-٢٢٧/١١ [ابن عطية] . يوسف : (١١٠) : ٧٠/١٣-٧٠/١٣ : (٧) : ٩٥/١٣ [مع البقاعي] . إبراهيم : (٢٨) : ٢٨٨/١٣ . النحل : (٦٣) : ١٩٥/١٤ . الإسراء : (٢٥) : ٧٥/١٥ . مريم : (٧٥-٧٦) : ١٥٧/١٦ . طه : (٩٢-٩٣) : ٢٩٢/١٦ . الأنبياء : (٩) : ١٧ / ٢١ . الحج : (٢٣) : ٢٣٣/١٧ . النمل : (٨٦) : ٤٥/٢٠ [مع أبي حيان] . العنكبوت : (٤٤) : ٢٥٧/٢٠ . الأحزاب : (٦٣) : ١١٣/٢٢ . يس : (٦٥) : ٥٠/٢٣ [مع البقاعي] . (٧٠) : ٦٦/٢٣ [مع البقاعي] . غافر : (٦٠) : ١٨٢/٢٤ ، (٦١) : ١٨٥/٢٤ [مع البقاعي] . فصلت : (٤٠) : ٣٠٤/٢٤ [مع البقاعي] . الشورى : (١٠) : ٤٣/٢٥ ، (١٨) : ٧٠/٢٥ [مع البقاعي] . الجاثية : (١٢) : ٣٣٦/٢٥ . الأحقاف : (١٢) : ٢٦/٢٦-٢٦/٢٦ . محمد : (١٥) : ٩٥/٢٦ . القمر : (٣-٢) : ١٧٢/٢٧ . الواقعة : (٦٨-٦٩) : ٣٢٤/٢٧ . الصف : (٩-٨) : ١٩٣/٢٨ . المنافقون : (١٠) : ٢٥٤/٢٨ . القلم : (٥١-٥٢) : ١٠٩/٢٩ . الحاقة : (٤-١٠) : ١٢٠/٢٩ . الجن : (١٢) : ٢٤٣/٢٩ وما بعدها . [مع البيضاوي] . الفجر : (١٧-١٨) : ٣٣٣/٣٠ .

– بيان ما يختص بالاحتباك .

– المواضع التي تفرد في القول بأنها من الاحتباك .

أشار إلى الاحتباك في (عشرة) ^(١) مواضع ، منها على سبيل المثال:

يقول في قول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم:

ك، ٢٨) : " وفي قوله : ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ محسن الاحتباك . وتقدير الكلام : بدلوا نعمة

الله وشكرها كفرًا بها ونقمةً منه ، كما دلَّ عليه قوله : ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ " ^(٢) .

*

– المواضع التي تكلف فيها .

القول بالاحتباك في بعض المواضع التي تفرد بالقول فيها فيه نوع من التكلف ظهر في (أحد عشر) موضعاً ^(٣) ، الأظهر فيها حمل الكلام على حقيقته بدون تقدير . وهذا استناداً إلى أن التقدير الذي ذهب إليه لا يتناسب مع طبيعة أسلوب الاحتباك ، فالتقدير له ينبغي أن يكون وفق مراعاة أمور عدة ^(٤) لم تلحظ لدى ابن عاشور . منها على سبيل المثال :

يقول في قول الحق ﷻ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤م) : احتباك " ... والمراد : بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل

(١) هي : إبراهيم : (٢٨) : ١٣/٢٢٨.الإسراء : (٢٥) : ١٥/٧٥. مريم : (٧٥-٧٦) : ١٦/١٥٧. الأنبياء :

(٩) : ١٧/٢١. الحج : (٢٣) : ١٧/٢٣٣. الشورى : (١٠) : ٢٥/٤٣. محمد : (١٥) : ٢٦/٩٥. الواقعة :

(٦٩-٦٨) : ٢٧/٣٢٤. القلم : (٥١-٥٢) : ٢٩/١٠٩. الحاقة : (٤-١٠) : ٢٩/١٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٢٢٨ .

(٣) البقرة : (١٣٤) : ١/٧٣٥ ، (٢١٦) : ٢/٣٢١ . (٢٧٦) : ٣/٩١. الأنعام : (٨-٩) : ٧/١٤٦ . (٢٨) :

١٨٥/٧ ، (٣٣) : ٧/٢٠٠. الأحزاب : (٦٣) : ٢٢/١١٣ . يس : (٧٠) : ٢٣/٦٦. الصف : (٨-٩) :

١٩٣/٢٨ . المنافقون : (١٠) : ٢٨/٢٥٤. الفجر : (١٧-١٨) : ٣٠/٣٣٣ .

(٤) أولاً : لا بد من وجود التقابل بين طرفي القول ، بمعنى: أن الجمل الواقع فيها احتباك مشروطة بأن تتألف من أربع

جمل ، إن ذُكرت الأولى حُذِفَ مقابلها - سواءً أكانت الثانية أم الثالثة - وإن ذُكرت الرابعة حُذِفَ مقابلها -

سواءً أكانت الثانية أم الثالثة - والعكس ، فيصبح نظير كل واحد من المذكور محذوف بينهما تناسب أو تقابل .

ثانياً : يراعى فيه النسبة وهي : إما أن تكون نسبة الأول للثالث كالثاني للرابع ، أو الأول للثاني كالثالث

لرابع .

التعبير فيه بـ(لها ولكم)، ولك أن تجعل الكلام من نوع الاحتباك والتقدير^(١) لها ما كسبت وعليكم ما كسبتم ، أي: إنهم^(٢) .

*

– الاحتباك وتغاير القراءات القرآني :

أشار كسابقيه إلى أن الاحتباك في بعض آي الذكر الحكيم سببه تغاير أوجه القراءات ، وذلك في موضعين^(٣) تفرّد بالإشارة إليهما . منها على سبيل المثال :

يقول في قول الحق ﷻ: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِأَذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١م) : "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض لفسدت الأرض – أي : من على الأرض – ولفسد الناس"^(٤) . أمّا أركان الاحتباك فعلى النحو التالي :

النوع	أركان الطرف الثاني	النوع	أركان الطرف الأول
x	↕ (لفسد الناس)	✓	↕ (دفع الله الناس)
✓	(لفسدت الأرض)	x	(دفع المخلوقات)

*

– بيان ما يختص بشبه الاحتباك .

أشار إلى شبه الاحتباك في (تسعة) مواضع^(٥) ، اهتمّ في بعضها بالكشف عن التقدير ، وفي البعض الآخر أجمل القول واكتفى بإطلاق المصطلح منها على سبيل المثال:

يقول في قول الحق ﷻ: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة):

(١) يقول ابن عاشور : «والتقرير» والأنسب للسياق الكلام والتقدير .

(٢) التحرير والتنوير ١/٧٣٥ .

(٣) البقرة : (٢٥١) : ٥٠٣/٢ . والمنافقون : (١٠) : ٢٥٤/٢٨ .

(٤) التحرير والتنوير ٢/٥٠٣ .

(٥) وهي : الفاتحة : (٧) : ١٩٩/١ . الأنعام : (٩٥) : ٣٨٩/٧ . التوبة : (٤٥) : ٢١٢/١٠ وما بعدها . النحل :

(٦٣) : ١٩٥/١٤ . طه : (٩٢-٩٣) : ٢٩١/١٦ وما بعدها . العنكبوت : (٤٤-٤٥) : ٢٥٧/٢٠ . غافر :

(٦٠) : ١٨١/٢٤ وما بعدها . الجاثية : (١٢) : ٣٣٦/٢٥ . القمر : (٢-٣) : ١٧٢/٢٧ .

٧،ك: «فحصل شِبْه الاحتباك وهو أن كلا الفريقين نال حظاً من الوصفين ؛ إلا أن تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في الضلال ، فالمراد المغضوب عليهم غضباً شديداً لأنّ ضلالهم شنيع . فاليهود مثلاً للفريق الأول ، والنصارى من جملة الفريق الثاني»^(١) .

*

الفصل الثالث :

مضمون الاحتباك وشبهه في الدراسات البلاغية، والنقدية

الفصل الثالث : مضمون الاحتباك وشبهه في الدراسات البلاغية، والنقدية^(١) .
لأصحاب الدراسات البلاغية والتقدية وقفات وإشارات إلى هذا النوع من الحذف ، جاء أغلبها تعليقا على كلام السابقين ، وبعضها انفردوا بذكرها في مجالهم والبلاغي والنقدي ، ولعل من أبرزهم :

-المرزوقي : (٤٢١هـ).

وردت عند المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة إشارة إلى حذف التقابل ، وذلك عند بيانه لقول أبي عطاء السندي :

فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاغْدِرِيْنِي عَلَى الْهَوَىٰ وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرُهُ فَلِكِ الْعُذْرُ

يقول : "إن كان ما بي سحرًا فلي عذر في هواك ، لأن من يسحر يجب ، وإن كان داءً غير السحر فالعذر لك ، لأني وقعت فيه بتعرضي لك ، وفكري في محاسنك ، والدلالة على أن (فاعذريني) في موضع (فلي عذر) ، ما قابله به من قوله : (فلك العذر)"^(٢) .
فصورة الاحتباك هنا تمثلت في كون المحذوف من الطرف الأول : (فلي عذر) لما دل عليه من (فلك العذر) ، ومن الطرف الثاني : (إن كان غير السحر) ، لما دل عليه من (إن كان سحرًا) .

*

- السكاكي : (٦٢٦هـ) .

أورد السكاكي في (مفتاح العلوم) شاهداً ، يقول فيه : "ومن الإيجاز قوله **عَلَيْكَ** : ﴿وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢م) : أصل الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بسئياً ، وآخر سئياً بصالحاً ؛ لأن الخلط يستدعي مخلوطاً ومخلوطاً به ، أي : تارة أطاعوا وأحبطوا الطاعة بكبيرة ، وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة"^(٣) . فتحقق من خلال التقدير بروز خاصية التقابل بين المعاني ؛ إذ حُذِفَ من

(١) جمعت بين أسفار البلاغة والنقد لصعوبة الفصل بينهما فأثرت إيرادهما وفق صدورهما .

(٢) شرح ديوان الحماسة ، تأليف : أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي ، نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) ٥٨/١ .

(٣) مفتاح العلوم ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، حققه وقدم له وفهرسه : عبد الحميد

الأول : (بسيئ) لما دلَّ عليه في النظم ثانياً ، ومن الثاني : (بصالح) لما دلَّ عليه أولاً ، وتأويل السكاكي يدخل في الاحتباك ؛ لتحقق نسبة الأول إلى الثاني ، والثالث إلى الرابع ، والمهم في هذا الباب أن هذا النوع من الحذف برز عند السكاكي في هذا الموضع ، ولم يصرح بالمصطلح له ، وإنما اكتفى بتقديره ، ووصفه بأنه من الإيجاز .

*

- ابن أبي الإصبع المصري : (٦٥٤هـ) .

أورد ابن أبي الإصبع إشارةً تثلت في الكشف عن وجه التقدير ، وذلك عند بيانه قوله **عَلَيْكَ : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾** (التوبة:٥٢، م) ، يقول في باب التعطُّف^(١) : " وقد وقع التعطُّف منها مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف ، فإن مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب النظم : قل هل ترَبَّصون بنا إلَّا إحدى الحسينين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا . فحذف -لتوخي الإيجاز- تفسير الحسينين من الجملة الأولى ، وأثبت الثانية فراراً من تكرار اللفظ وتكثيره ، كما حذف الحسينين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولاً طلباً للاختصار... " (٢) .

فصورة التقدير المشار إليها لم تكشف عما قاله : «حذف الحسينين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولاً» ، وبناء على هذا يكون التقدير على الأرجح : قل هل ترَبصون بنا إلَّا إحدى الحسينين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نتربص بكم إحدى الحسينين أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ؛ لكونه أكثر دقة من حيث الصياغة ، فما قال به ابن أبي الأصبع لم يفصح تماماً عما أشار إليه في كلامه ، ثم إن هذا التقدير هو

هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، ص ٣٩٢ .

تبعه الزركشي في (البرهان) ١٣٠/٣ وما بعدها ، والسيوطي في (الإتقان) ١٧١/٢ .

(١) «والتعطف كالتريد في إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام ، أو البيت من الشعر ، والفرق بينهما قرب الكلمتين من التريد ، وكونهما في طرفي الجملة وفي كليهما ، وهما في التعطف مفترقتان ، كل لفظ منهما في طرف من الكلام» . بديع القرآن المجيد ، ص ٩٧ .

(٢) الموضع السابق .

الأقرب إلى طبيعة حذف التقابل .

*

- السجلماسي : (٧٠٤هـ) .

كانت له جهودٌ متميزةٌ في الكشف عن هذا النوع من الحذف ، وذلك في (المترع البديع في تجنيس أساليب البديع) . فحدد له قانونًا معينًا نظر فيه إلى أهم خصائص الحذف ، وأدقّ ضوابطه^(١) ، فسماه : (الحذف المقابلي) ، أو (الاكتفاء بالمقابل)^(٢) ، يقول فيه : هو : " القول المركب من أجزاء فيه متناسبة ، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك " ^(٣) . ثم أشاد بما لهذا الحذف من قيم بلاغية معنوية تدل على دقة مسلكه ، ولطف موقعه ، وروعة إيجازه ، وعِظَم أثره في نفس سامعه ، لهذا شرع في وصفه بألفاظ تقطر حلاوة هي خلاصة ما أحسه من جمال وقع هذا الأسلوب في نفسه ، يقول : " هو من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والماء والعدوبة ، الجزل المقطع ، الغريب المترع ، اللذيذ المسموع ؛ لما بين أجزائه من الارتباط ؛ لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النَّسَبِ الوُصَلِ بين الأشياء ، ثم بإبراز ما في القوة من ذلك إلى الفعل ، والشعور به . فذلك تَوَفَّرَ عليه من المزية ما تراه يباين به سائر النظوم " ^(٤) ، فالقاعدة المستخلصة تكمن في الاستحسان الذي هو ثمرة الطبع والدَّربَة ؛ لأن الأريحية التي تجدها النفس مرجعها إلى ما وقع في الكلام من حذف .

والملاحظ أن السجلماسي أورد عدَّة شواهد^(٥) للحذف المقابلي اتبع في تحليلها منهجًا

(١) مثل هذا يلحظ عند ابن البناء المراكشي الذي أوجز التعريف له بقانون رياضي دقيق : «يكتفى في الأشياء

المتناسبة بذكر الطرفين ويحذف الوسطان ، فيكتفى بالمقدم من إحدى النسبتين ، وبالتالي من الأخرى ؛ لأن الطرفين حاصران للوسطين ويدلان عليهما لأجل ارتباط التناسب . والتي يُكتفى بمقدمتها ويُحذف تاليها وهي (الأولى أبدا) في مشاكلة التناسب وإن كانت متأخرة في الخطاب» . الروض المريع ، ص ١٤٣ .

(٢) كذا أطلق الزركشي على هذا النوع من الحذف مصطلح حذف التقابل .

(٣) المترع البديع ، ص ١٩٥ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) في خمسة مواضع من القرآن الكريم : وهي : البقرة(٢٢٢) ، هود(٣٥) ، الأنبياء(٥) ، النمل(١٢) ،

واحداً غلب عليها الفكر الفلسفي الرياضي^(١) .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا

تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٥ ك) : " فهذا قول مركب من أجزاء أربعة : نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، غير أن بعضها متروك لقطع دلالة ما بقي عليه ، وتقديره برّد المحذوفات منه إلى التصريح : إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون ، فنسبة قوله : (فعليّ إجرامي) -وهو الأول- إلى قوله : (وعليكم إجرامكم) -وهو الثالث- كنسبة قوله : (وأنتم براء منه) -وهو الثاني- إلى قوله : (وأنا بريء مما تجرمون) -وهو الرابع- . واجتزئ من كل متناسين بأحدهما^(٢) . فكلامه هنا فيه إشارة واضحة لحذف التقابل ؛ إذ فصلّ القول في بيان النسبة والتقدير معاً .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ

كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٥ ك) : "وتقدير محذوفاته : (إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية) ، فنسبة قوله : (إن أرسل) -وهو المحذوف الأول- إلى قوله : (كما أرسل الأولون) -وهو المثبت الثالث- كنسبة قوله : (فليأتنا بآية)- وهو الثاني المثبت -إلى قوله : (فأتوا بآية) -وهو الرابع المحذوف- ، فاجتزئ من كل متناسين بأحدهما لقطع الدلالة عليه ، وذلك أنه اجتزئ من الأول المحذوف وهو قوله : (إن أرسل) بالثالث المثبت وهو قوله : (كما أرسل الأولون) ، كما اجتزئ من الرابع المحذوف وهو قوله : (فأتوا بآية) بالثاني المثبت ، وهو قوله : (فليأتنا بآية) ، فحذف من الأول ما أثبت في الثاني ، ومن الثاني

الأحزاب(٢٤) . ومن الشعر بيتاً واحداً كثر الاستشهاد به على هذا النوع من الحذف ، وهو : (وَإِنِّي لَتَعْرُوبِي لَذِكْرِكِ فِتْرَةٌ) . ومن النصوص : نقل نصين لسببويه ، الأول : من(باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار) ، والثاني : من(باب مجاري أواخر الكلام من العربية) . ومن الفلسفة والمنطق نقل لأرسطو من كتاب المقولات : (باب الثمانية المتفقة أسماؤها) . ينظر : المرجع السابق ، ص ١٩٦ وما بعدها .

(١) تبعه ابن البناء ، و الزركشي في تحليل شواهد حذف المقابلي .

(٢) المترع البديع ، ص ١٩٩ . تبعه الزركشي في (البرهان) ٣/١٢٩ ، والسيوطي في (الإتقان) ٢/١٧١ .

ما أثبت في الأول " (١) . ففي هذا الموضع أشار السجلماسي إلى ذكر التقدير ، والنسبة ، والضابط من وراء جعل الآية من حذف التقابل .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٤م) : " تقدير محذوفاته - كما قال المفسرون - : (ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم) وعند ذلك يكون مطلق قوله : (فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم) مقيداً بمدة الحياة الدنيا " (٢) . فقد أوجز السجلماسي في بيان وجه الحذف في هذا الموضع ، مكتفياً بذكر ما أورده المفسرون من تقدير للمحذوف .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢م) : " تقديره : ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن ، فهو قول مركب من أجزاء أربعة : نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وذلك أن قوله : حتى يطهرن - وهو الأول - مناسب للثالث وهو قوله : فإذا طهرن ، وقوله : (ويتطهرن) - وهو الثاني - مناسب لقوله : (وتطهرن) - وهو الرابع - فحذف الثاني لدلالة الرابع عليه لأنه مثبت ، وحذف الثالث لدلالة الأول المثبت عليه ، فحذف من الأول ما أثبت في الثاني ، وحذف من الثالث ما أثبت في الأول ، ودلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات ، ويُبرزها التقدير من القوة إلى الفعل بحسب دلالة معينة التقدير بحسب المواد الجزئية ، وبهذا يعتضد القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر معاً" (٣) . وفي هذا الموضع ظهرت شخصية السجلماسي في بيان وجه الحذف بذكر التقدير

(١) المتزع البديع ، ص ١٩٦ وما بعدها . تبعه ابن البناء في (الروض المربع) ، ص ٤٤ وما بعدها ، والزرکشي في (البرهان) ١٢٩/٣ .

(٢) المتزع البديع ، ص ١٩٦ وما بعدها . تبعه في الزرکشي في (البرهان) ١٢٩/٣ ، والسيوطي في (الإتقان) ١٧١/٢ .

(٣) المتزع البديع ، ص ١٩٧ . تبعه الزرکشي في (البرهان) ١٢٩/٣ ، والسيوطي في (الإتقان) ١٧٠/٢ .

له ، والنسبة فيه ، والضابط في عده من حذف التقابل ، والمقتضى من وراء الحذف .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل: ١٢، ك) : " وهو أيضاً داخلٌ في هذا النوع ، وتقديرُ محذوفاته مصرحٌ بها : (وأدخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج) . إلا أنه قد عرَضَ في هذه المادة تناسُبُ بالطباق ، فلذلك بقي القانونُ فيه الذي هو نسبة الأول إلى الثالث ونسبة الثاني إلى الرابع على حالة الأكثرية ، فلم يتغير عن وضعه ، ولم نحفلُ بالنسبة التي بين الأول والثاني ، وبين الثالث والرابع ، وهي نسبة النظير " (١) . تحقق من خلال ما ذكر في هذا الموضوع اجتماع حذف التقابل مع ألوان بلاغية أخرى تضيف إلى النظم مزيداً من الحسن والبلاغة والإيجاز ، فاجتمع حذف التقابل مع الطباق ؛ لذا أشار إلى أن المحذوف من الأول (تدخل) ؛ لدلالة (تخرج) ، وليس المحذوف (تدخل) ؛ لدلالة (أدخل) .

*

ويقول في قول أبي صخر الهذلي.

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ فِتْرَةً كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرُ

"تقدير محذوفاته : (وإني لتعروني لذكراك فترة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم فترة) . فنسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وهي نسبة طباق . وذلك أنه عرَضَ لهذا النوع في هذه المادة ما عرَضَ له في الآية المتقدمة الذكر-النمل- من مناسبة الطباق دون مناسبة النظير ، فلذلك لم نحفلُ بها وأجرينا القانون على أكثرية وضعه . وإن حملنا على نسبة النظير -وهي النسبة الأخرى- كانت نسبة الأول إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع ، وهو المراد في توفية الفاعل -[أي : المصطلح]- بقولنا : أو ما كانت النسبة فيه كبحو ذلك " (٢) . وعلى حد قول السجلماسي ينعدم القول بحذف التقابل بناءً على قوله : (فنسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وهي نسبة طباق) ؛ لعدم تحقق

(١) المترع البديع ، ص ١٩٧ وما بعدها . تبعه ابن جابر الأندلسي في (طراز الحلة وشفاء الغلة) ، ص ٥٠٩ ،

والزر كشي في (البرهان) ٢٩/٣ وما بعدها ، والسيوطي في (الإتقان) ١٧٠/٢ .

(٢) المترع البديع ، ص ١٩٨ .

شرط المقابلة بين المذكور والمحذوف من كل طرف ، وعليه يصبح المحذوف مقابلاً لمحذوف آخر (نسبة الثاني إلى الرابع) ، والمذكور مقابل لمذكور آخر (نسبة الأول إلى الثالث) .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (البقرة: ١٧١م) : "زعم قوم أن سيبويه يزعم أن قوله ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي

يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ من نوع حذف المقابلي ، وذلك أنه قال في باب ترجمته : (باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار) ومثله

في الاتساع : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ فلم يشبهوا بالناعق وإنما شَبَّهوا بالمنعوق به . وإنما المعنى : ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق

والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى ، فهذا قوله ، وليس فيه ما يقطع على أن الآية في هذا النوع ، إلا في أحد أجزاء القول ،

فإنه اكتفى من الأول بالثالث فقط للنسبة بينهما ، وذلك أنه اكتفى بـ (الذي ينعق) وهو الثالث المشبَّه به من المشبه ، وهو الكناية المضاف إليها في قوله : (ومثلكم) وهو الأول .

واقترن إلى هذا الجزئي في هذه المادة التشبيه المركب والمقابلة... وهذا هو الذي غلط من وضعه في هذا النوع ، وإنما هو في نوع الاكتفاء للارتباط العطفى... " (١) . فالسجلماسي

أخرج قول سيبويه السابق من باب حذف التقابل ؛ لعدم تحقق الحذف في الطرفين ، وإنما تحقق في طرف واحد فقط ، وهو أنه حذف من الأول (مثلكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي

يَنْعِقُ ﴾ .

*

ويقول في قول أرسطو في صدر كتاب (المقولات) من كتاب (الثمانية المتفقة أسماءها) : "يقال: إنها التي الاسم فقط عام لها ، فأما قول الجواهر الذي بحسب الاسم فمخالف .

تقديره - كما قيل - : (الأمر المتفقة أسماءها يقال إنها التي الاسم فقط عام لها وواحد بعينه ، فأما قول الجواهر الذي بحسب الاسم فخاص ومخالف) . فحذف من الثاني قوله :

(١) المترع البديع ، ص ٩٨ وما بعدها . تبعه الزركشي في (البرهان) ٣/٣١ وما بعدها .

(خاص) وأثبتَ مناسبةً في الأول وهو قوله : (عام) ، وحذف من الأول قوله : (وواحدٌ بعينه) وأثبتَ مناسبةً في الثاني وهو قوله: (ومخالف) " (١) . فتحقق حذف التقابل بين طرفي القول بنسبة الأول المذكور : (عام) إلى الثالث المحذوف : (خاص) ، والثاني المحذوف : (وواحد بعينه) إلى الرابع المذكور : (مخالف) .

*

ويقول في قول سيبويه في باب ترجمته : (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية) : " وإنما ذكرتُ ثمانيةً مَجَارٍ لِأَفْرَقٍ بَيْنَ مَا يَدْخُلُهُ ضَرْبٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ لِمَا يَحْدُثُ فِيهَا الْعَامِلُ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا وَهُوَ يَزُولُ عَنْهُ ، وَبَيْنَ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ الْحَرْفُ بِنَاءً لَا يَزُولُ عَنْهُ ، وَالْمَعْنَى : أَرَادَ التَّفْرِيقَ بَيْنَ حُرُوفِ الْإِعْرَابِ وَحَرَكَتِهِ ، وَبَيْنَ حُرُوفِ الْبِنَاءِ وَحَرَكَتِهِ ، فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أَثْبَتَ فِي الثَّانِي ، وَمِنَ الثَّانِي مَا أَثْبَتَ فِي الْأَوَّلِ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : (لِأَفْرَقٍ بَيْنَ الْحَرْفِ الَّذِي يَدْخُلُهُ ضَرْبٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ وَحَرَكَتِهِ ، وَبَيْنَ الْحَرَكَةِ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا الْحَرْفُ وَحَرْفِهَا) عَلَى نَهْجِ الْحَذْفِ فِي هَذَا الْمَتَرَعِ " (٢) . فحذف التقابل تمثل في كون المحذوف من الأول : (الحركة ، أي : حركة الإعراب) ؛ لدلالة ذكر حركة البناء في : (ما يُبْنَى عَلَيْهِ الْحَرْفُ) في الطرف الثاني ، ومن الثاني حذف : (حرف البناء ، أي : تعريفه) ؛ لدلالة ذكر تعريف الإعراب في : (لِمَا يَحْدُثُ فِيهَا الْعَامِلُ ...) في الطرف الأول ، وهذا من قبيل حذف التقابل .

*

- ابن البناء المراكشي : (٧٢١هـ) .

ذكر ابن البناء هذا النوع من الحذف في (الروض المربع في صناعة البديع) ضمن أقسام اللفظ من جهة دلالاته على المعنى ، في فصل : (الإيجاز والاختصار) ؛ حيثُ قال : "وأما الإيجاز والاختصار فمنه ما يقال له الاكتفاء" (٣) ، وفيه عرض لمفهوم الاكتفاء ثم أورد بعضاً

(١) المترع البديع ، ص ١٩٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) الروض المربع ، ص ١٤٣ .

من شواهده^(١) .

يقول في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً

وَنِدَاءً ﴾ (البقرة: ١٧١م) : "نسبة داعي الذين كفروا كنسبة الذي ينعق بما لا يسمع إلى ما لا يسمع ، فحذف مقدم الأولى وتالي الثانية ، وليس ذلك من حذف الواسطين ، وأخذ الطرفين إن اعتبرنا النسبتين على ما لُفِظَ بهما هنا ، فوجب ردهما إلى مشاكلة التناسب فتكون : نسبة الذين كفروا إلى داعيهم ، كنسبة ما لا يسمع إلى الذين ينعق به ، فاكتفى بالطرفين : أحدهما ، وهو الأول : الذين كفروا . والثاني ، وهو الآخر : الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ، وجاءت التلاوة مُتقدِّمًا تناسُبًا ، وتالي كل نسبة منهما مركبٌ فيه المقدم لأجل الألفاظ الإضافية ، فهي نسبة مركبة . وإذا أبدلت المضمرة في التالي بظاهره يتضح لك التركيب ، وصورتها بسيطة هكذا : نسبة الذين كفروا إلى الداعي كنسبة ما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً إلى الناعق " ^(٢) . فقله : نسبة الذين كفروا إلى الداعي كنسبة ما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً إلى الناعق) يكشف عن صورة حذف التقابل ؛ إذ تحقق فيه شرط التقابل بين المحذوفين والمذكورين من كل طرف .

*

ويقول في قول الحق ﷻ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣ك) : "تقديره : اضرب بعصاك البحر ينفلق فضربه فانفلق ، نسبة الأمر وجوابه كنسبة الفعلين الواقعيين من موسى والبحر ، أخذ الطرفين واكتفى بهما " ^(٣) . فتحقق في كلامه خاصية حذف التقابل واضحة في كون المحذوف من الطرف الأول : (ينفلق) ؛ لدلالة ذكر(فانفلق) ، ومن الثاني حذف(ضرب) ، لدلالة الأمر في(اضرب) .

*

(١) في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، وهي : البقرة : (١٧١) ، الأنبياء : (٥) ، الشعراء : (٦٣) ، القصص : (٣٢) إلى جانب الشاهد الشعري المشهور في حذف التقابل : (وإني لتعروني...) . ينظر : الموضوع السابق ، ص١٤٣ وما بعدها .

(٢) الروض المربع ، ص١٤٤ وما بعدها . تبعه السيوطي في (الإتقان) ١٧٠/٢ .

(٣) الروض المربع ، ص١٤٥ .

ويقول في قول الحق **وَعَجَلِكْ** : ﴿ **أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ** ﴾ (القصص: ٣٢، ك) :
"تقديره : اسلك يدك في جيبك تنسلك ، وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء ، نسبة الأمر
الأول إلى جوابه كنسبة الأمر الثاني إلى جوابه ، حذف الوسطين واكتفى بالطرفين " (١) .
فتحقق الحذف بنسبة الأول -المذكور- : (اسلك) إلى الثاني -المحذوف- : (تنسلك) ،
والثالث المحذوف : (أخرجها) إلى الرابع -المذكور- : (تخرج) .

*

ويقول في قول أبي صخر الهذلي :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ فِتْرَةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

"نسبة فترته إلى انتفاضته لأجل ذكر المخاطب ، كنسبة فترة العصفور إلى انتفاضته لأجل
بلل القطر ، فاكتفى بالطرفين " (٢) . فصورة الحذف هنا أكثر دقة مما عند السجلماسي ؛
لتحقق الحذف في الطرفين بصورة واضحة ؛ إذ التقدير : وإني لتعروني لذكراك فترة
وانتفاضة كفترة العصفور وانتفاضته ، فحذف من الأول : الانتفاض ، لما دلَّ عليه ثانياً ،
ومن الثاني حذف الفترة لما دلَّ عليها أولاً ، فكأن الشاعر يتجلد أولاً عندما يتذكر حبيته ،
ثم لا يتمالك فينتفض ، كما أن العصفور يظل فترة ساكناً يتساقط عليه المطر ثم ينتفض
فجأة ؛ ليتخلص من القطرات التي علقت بريشه (٣) .

*

- ابن يوسف الأندلسي : (٧٧٩هـ)

ذكر ابن يوسف الأندلسي هذا النوع من الحذف بمصطلح (الاحتباك) في أثناء شرحه لبيت

(١) الموضوع السابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ وما بعدها . تبعه من البلاغيين ابن جابر الأندلسي في (طراز الحلة وشفاء الغلة) ، ٥١٠ ،
ومن المفسرين : أبي حيان في (البحر المحيط) ١٧٠/١ ، والسمين الحلي في (الدر المصون) ٢٣١/٢ وما بعدها ،
والزرکشي في (البرهان) ١٣٠/٣ ، وابن عرفة في (تفسيره) ، لوحة (٢٧٨) مخطوط .

(٣) وفي بيان الاحتباك يقول أبو حيان : "لم يرد أن يشبه فترته بانتفاض العصفور حين يبله القطر ؛ لكونهما حركة
وسكوئاً ، فهما ضدان ، ولكن تقديره : إني إذا ذكرتك عراني انتفاض ثم أفتت ، كما أن العصفور إذا بلله القطر
عراه فترة ثم ينتفض ، غير أن وجيب قلبه واضطرابه قبل الفترة ، وفترة العصفور قبل انتفاضه " . البحر
المحيط ٤٨٣/١ .

من أبيات صاحبه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الذي نظمه في مدح خير الورى محمد ﷺ ، مستشهداً بهذا البيت على فن من فنون البديع ، وهو : (الجمع) ^(١) يقول الناظم -ابن جابر- :

قد أحرزَ البأسَ والإحسانَ في نَسَقٍ والعِلْمَ والحِلْمَ قَبْلَ الدَّرْكِ لِلْحُلْمِ

حوى هذا البيت نوعاً من أنواع الحذف الذي أطلق عليه احتباك ، وأشار ابن يوسف -الشارح- إلى بيان كيفية وقوعه في الكلام ، فقال : " في البيت جملتان : الأولى : (قد أحرز البأس والإحسان في نسق) ، وحذف منها ، (قبل الدرك للحلم) ، والثانية : (وأحرز العلم والحلم قبل الدرك للحلم) ، وحذف منه ، (في نسق) فهو من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، وحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، (ففي نسق) الظاهر يتعلق (بأحرز) الظاهر وقبل (الدرك للحلم) يتعلق (بأحرز) المحذوف ، ولكل منهما متعلق محذوف . (فأحرز) الظاهر متعلقه المحذوف (قبل الدرك للحلم) و (أحرز) المضمر متعلقه المحذوف (في نسق) " ^(٢) .

فبعد أن أوضح الشاهد الذي من أجله سيق الكلام -الجمع- ذكر ما تضمنه البيت من فنون الجمال ولمسات البديع ، فقال : " ...قلت وفيه أيضاً لقب غريب من ألقاب البديع ، يقال له الاحتباك ، وهو عزيز عندهم ، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول " ^(٣) .

- أشار إلى أنه تتبعه في الكتاب العزيز فوجده يكمن في مواضع قليلة ^(٤) ، ومن أهم المواضع التي انفرد بالإشارة إليها من بين البلاغيين قوله ﷻ : ﴿ قَيْمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (الكهف: ٢-٤، ك) : " فإن (أنذرت) يتعدى لمفعولين ، فذكر في الأول المفعول الثاني ، وهو : (بأساً شديداً) فحذف منه المفعول الأول ، وهو : (الذين قالوا : اتخذ الله

(١) الجمع هو : «أن يجمع متعدداً في حكم واحد» . ينظر : التبيان في البيان ، ص ٣٣١ .

(٢) طراز الحلة ، ص ٥٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(٤) هي : البقرة : (١٧١) ، الكهف : (٢-٤) ، النمل : (١٢) ، طه : (٢٢) ، الشاهد المشهور في باب

الاحتباك : (وإني لتعروني...) . ينظر : المرجع السابق ، ص ٥٠٩ وما بعدها .

ولدًا) ؛ لذكره في الثاني ، وحذف من الثاني المفعول الثاني ، وهو : (بأسًا شديدًا) ؛ لذكره في الأول" (١) ، فتحققت خاصية التماثل واضحة بين أركان الاحتباك .

*

- السيوطي : (٩١١هـ) .

إنَّ الإشارة إلى الاحتباك عند السيوطي لا تختلف كثيرًا عما ورد عند سابقيه في بعض المواضع (٢) ، فهو كثيرًا ما يفرد هذا الفن بالتصنيف في كتب (٣) له عديدة ، أهمها : الإتيان في علوم القرآن . ويلحظ :

- تفرد في دقة الربط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ، فما فعله السيوطي يوحى بجمال وروعة الربط ؛ وذلك بما أودعه فيه من معنى معنوي مغزاه يدركه البصير العارف بجواهر الكلام .

فكيف شبّهت مواضع الحذف في الكلام بالفرج بين الخيوط المنسوجة في الثوب؟! وما مغزى المقابلة اللطيفة بين (حبك الثوب) ، و(حبك الكلام) المؤدية إلى الحسن الذي يمنع عن كليهما الخلل مع الحسن والرونق؟! . فالأولى متمثلة في سد ما بين الخيوط من الفرج ، والثانية في التقدير الموجز الدقيق .

- يقول : " هذا النوع من زيادتي (٤) وهو نوع لطيف ، ولم نر أحدًا ذكره من أهل المعاني

(١) الموضوع السابق .

(٢) هي : البقرة : (١٧١) ، (٢٢٢) ، (٢٥٧) ، آل عمران : (١٣) ، التوبة : (١٠٢) ، هود : (٣٥) ، النمل : (١٢) ، الأحزاب : (٢٤) ، الإنسان : (١٣) . ينظر : الإتيان ١٧٠/٢ وما بعدها ، والتجوير في علوم التفسير ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حققه وقدم له ووضع فهرسه : فتحي عبد القادر فريد ، (الرياض ، دار العلوم ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ، ص ٢٨٢ .

(٣) ينظر : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ، ص ٣٣ وما بعدها ، ومعتك الأقران في إعجاز القرآن ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد النجاوي ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، مكتبة الدراسات القرآنية ، الطبعة : بدون ، سنة الطبع : بدون) ١/ ٣٢٣ ، والتجوير في علوم التفسير ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٤) لا يريد السيوطي أنه مخترع القول فيه ، بل يشير إلى أنه الذي عدّه من فنون البديع وصرح به في منظومة ، وابن جابر الأندلسي لم يسمه ولم يصرح به في منظومته البديعية ، وهذا شأنه فيما يقول : «وهو من زيادتي» ، فهو

والبديع... " (١) . وفي موضع آخر يقول :

" قلت ومنه الاحتباك يختصر من شقي الجملة ضد ما ذكر

وهو لطيف راق للمقتبس — بينه ابن يوسف الأندلسي

هذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلها من زيادتي — [أي : السيوطي] - . فمن

أنواع البديع الاحتباك... " (٢) . فلو حمل هذا على أنه أول من قال في هذا الفن لناقض

الرجل نفسه بنفسه ، كيف يصح وهو الذي أشار في عدة مواضع — إلى الاحتباك — فقال :

" قل من نبه عليه من أهل البلاغة " (٣) ، وتارة يقول : " لم أره إلَّا في شرح بدعية الأعمى

لرفيقة الأندلسي " (٤) ، وتارة يقول : " ذكره الزركشي في البرهان " (٥) ، وأخيرًا يقول : " أفرده

بالتصنيف من أهل العصر برهان الدين البقاعي " (٦) ، فالوجه أنه من زيادته في النص على

إدخاله في فنون البديع ، وليس من زيادته بأنه أول من قال به ، فهو أجلُّ عندي من أن

يزعم ذلك .

أمَّا ما انفرد بذكره من شواهد الاحتباك فقول الحق ﷻ : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْعَمُوا أَوْلِيَاءَهُمُ الظَّالِمِينَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٧) : " والتقدير هنا : الله ولي الذين آمنوا

وهم أصحاب الجنة ، والذين كفروا ليس الله لهم بمولى وأولئك أصحاب النار ، فحذف من

الأولى ما أثبت نظيره في الأخرى " (٧) . فلم يتبين لي أن أحدًا سبقه إلى القول فيه .

*

— عبدالرحيم العباسي : (٩٦٣هـ) .

لا يدعي اختراع القول فيه .

(١) التحبير في علوم التفسير ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) شرح عقود الجمان ، ص ١٣٣ .

(٣) الإتيقان ٦١/٢ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) الموضوع السابق .

(٧) التحبير في علوم التفسير ، ص ٢٨٢ - هامش رقم : (١) .

أورد العباسي إشارة يصح حملها على الاحتباك ، وذلك في (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) ، يقول في بيان قول الشاعر الحارث بن حلزة:

عَيْشِي (١) بَجْدٌ لَا يَضِرُّ كِ النَّوْكَُ (٢) مَا لَأَقَيْتَ جَدًّا
وَالعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِ النَّوْكَِ مَمَّنْ عَاشَ كَدًّا

"والشاهد فيه : الإحلال -إحلال اللفظ بالمعنى المراد- ؛ لكونه غير واف بالمراد ؛ إذ أصل مراده : أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، ولفظه غير وافٍ بذلك" (٣) فقله : (في ظلال النوك) دلّ على (ظلال العقل) ، و(العيش الكد) دلّ على (العيش الناعم) .

*

- إضافات بعض المحدثين :

- الجزائري التونسي : (١٣١٠هـ).

تحدّث محمد الجزائري عن الاحتباك ، في آية واحدة -فقط- أفرد فيها تأليفاً سمّاه : (الماس في احتباك يعجز الجنة والناس في تفسير : ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ﴾ (النور: ٣٣، م)). . يقول في ذلك : «في الآية - ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ - أنها في الأصل مركبة من أربع جمل ، هكذا : ومن يكرههن فإن الله معذبهم عذاباً شديداً غاضباً عليهم ، ومن يكره منهن فإن الله لهنّ غفور رحيم بهن . أما تقدير العذاب أو ما بمعناه ففي مقابلة المغفرة ؛ لتقابلهما ، وأما تقدير الشدة فيدل عليه حذف الجزاء الدال على التهويل... وأما تقدير الغضب ففي مقابلة الرحمة ؛ لتقابلهما

(١) وورد في الديوان :

فَأَنعمَ بَجْدٍ لَا يَضِرُّ كِ النَّوْكَُ مَا أُعْطِيَتْ جَدًّا
فَالنُّوْكَُ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِ العَيْشِ مَمَّنْ عَاشَ كَدًّا

ينظر: ديوان الحارث بن حلزة بن مكروه ، تحقيق : طلال حرب ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة : بدون ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ١/١٦ .

(٢) أي : الحمق . ينظر : لسان العرب ، مادة : (ن،و،ك) ١٠/٥٠١ .

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف : عبد الرحيم أحمد العباسي ، حققه وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الكتب ، الطبعة : بدون ، ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م) ١/٣٠٨ .

أيضاً ، ففي الحديث القدسي : "إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي" ^(١) ، وإثماً قدرنا (لهن) مقدماً وحقه التأخير اتباعاً لمصحف ابن مسعود ، وقراءة ابن عباس رضي الله عنه ، وقراءة جابر رضي الله عنه كما في مسلم ^(٢) ، وأمّا لفظ (هن) فأخرناه على أصل المعمول ؛ حيث لا معارض ، فهذان كلامان أولهما (وعيد) ، والثاني (وعد) ، وكلاهما مركب من شرط وجزاء ، حذف من الأول عجز جزائه ، وبقي صدره ، كما بقيت الشرطية ، والثاني بالعكس ، فالحذوف في كلا الكلامين نظير الثابت في الآخر أو ضده ، ويجوز أن يكون المـحذوف من الأول جميع جزائه ، والمذكور في الثاني كله» ^(٣) .

*

— أحمد بن إبراهيم موسى : (....).

أشار أحمد بن إبراهيم في (الصيغ البديعي) إلى الاحتباك ، وهو العالم الوحيد - بحسب اطلاعي على أسفار أهل العلم - الذي أشار إلى أن السيوطي أول من نظم فيه حيث قال :
وخاتم الرسل وهو المبتدأ وغدا خير النبيين طراً ^(٤) في احتباكهم
ثم ذكر قول السيوطي المتضمن الإشارة إلى أن هذا نوع لطيف لم ينتسب له أحد من أهل هذا الفن ، ولا ذكره أهل البديعيات ^(٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

٢٧٤٥/٦ ، رقم : (٧١١٤) ، ويرقم : (٧٠١٥) ، ويرقم : (٧١١٥) كلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ - حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ

حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنُ سَلُولٍ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ : اذْهَبِي فَاْبْغِينَا شَيْئًا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ

اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ لَهُنَّ ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب :

﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ ٢٣٢/٤ ، رقم : (٣٠٢٩) .

(٣) الماس في احتباك يعجز اللجنة والناس في تفسير قوله : ﴿ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ... الآية ﴾ ، تأليف : محمد بن عيسى

الجزائري التونسي ، (تونس ، طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية ، الطبعة : بدون ، ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م) ، ص ٨

وما بعدها .

(٤) طراً على القوم يَطْرَأُ ، طَرَأًا ، أي: وَرَدَ وَأَقْبَلَ ، وقيل : أتاهم من مكان ، أو طلع عليهم من بلد . ينظر : لسان

العرب ، مادة : (ط،ر،أ) ١/١١٤ .

(٥) ينظر : الصيغ البديعي في اللغة العربية ، تأليف : أحمد إبراهيم موسى ، (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، الطبعة :

والموضح : أن أصحاب البديعيات أشاروا إلى فن الاحتباك في نظمهم ^(١) ، ولكن لم أعثر على تلك الإشارات ، فهم لم يصرّحوا بالمصطلح ، والسيوطي هو المصرح ؛ ولهذا قال : «وهو من زيادتي» ، أي : زيادة التصريح به في البديعية .

*

وقد تناول هذا الأسلوب باحثون معاصرون قد عرضت أعمالهم في المقدمة ، ولما لم أجد عند كثير منهم غير العرض والتقريب والتحليل ، آثرت طيَّ الكلام هنا اكتفاء بما ذكرت هناك .

*

بدون ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م) ، ص ٤٤٢ .

(١) أورده السيوطي (٩١١هـ) ، في (نظم البديع في مدح خير شفيع) ، ودقمان (علي بن محمد بن دقمان الحسيني-٩٤٠هـ) ، (لم يذكر بديعته) ، والحميدي (عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي ١٠٠٥هـ) ، في (تلميع البديع بمدح الشفيع) ، والبربر (أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربر ١٢٢٦هـ) ، (.... شرحها : نخبة البديع في مدح الشفيع) ، والصلاحى (مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحى ١٢٦٥هـ) في (....شرحها : نخبة البديع في مدح الشفيع) ، والأدهمي (عبد القادر بن عبد القادر الحسيني الأدهمي ١٣٢٥هـ) في (ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير) ، و(عبد الحميد بن محمد علي قدس ١٣٣٥هـ) في (نور الربيع على نظم البديع) . ينظر : البديعيات في الأدب العربي نشأتها -تطورها وأثرها- ، تأليف : علي أبو زيد ، (بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ، ص ٢٨٣ .

الباب الثاني :

**الاحتباك وشبهه في البيان القرآني من حيثُ السياق ،
والصورة ، وأثره في المتلقي ، وفيه :**

مدخل ، وتحتة :

- حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك أو شبهه .

وثلاثة فصول :

- **الفصل الأول :** أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيثُ السياق ،
والصورة ، وأثره في المتلقي .

- **الفصل الثاني :** أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام من حيثُ السياق ،
والصورة ، وأثره في المتلقي .

- **الفصل الثالث :** أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيثُ
السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي .

مدخل :

الحذف سنّة من سنن شجاعة العربية ^(١)، وهم "إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد" ^(٢) فكيف إذا كان مدلولاً عليه بدليل يدعمه ، ووقوعه في الكلام العالي والعلي لسريرجحه ، والبحث عن مزاياه وأسراره أدق وأعمق ، فإليه يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب ، وبه تصفو ، ويشتدُّ به أسرها ، ويقوى حَبْكُهَا ، ويتكاثر إيجائها ، ويمتلئ مبناها ، وتصير أشبه بالكلام الجواد ، وأقرب إلى كلام أهل الطبع ، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس ، وقدرة البيان ، وصحة الذكاء ، وصدق الفطرة .

وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره ، أو ما يرشد إليه سياق الكلام ودلالة الحال ، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسماع ، وتعول على إثارة حسه ، وبعث خياله وتنشيط نفسه ، حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير ^(٣) فهو كما قال شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني : " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياك إذا لم تبين" ^(٤) .

وبلاغة الحذف تظهر في قول عبد القاهر الجرجاني الذي عوّل كثيراً على أهمية ملكة الحس والتذوق في تلمس الأسرار والدقائق من وراء كل حذف ، ولم يحدد -لنا تحديداً

(١) سمى ابن جنّي الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام ، ولأن الشجاعة هي الإقدام ، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده سواه . ينظر : والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تأليف : أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) ٢/٢٨٤ ، ٣/٢ .

(٢) الخصائص ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جنّي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ١/٢٦٦ .

(٣) ينظر : خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - ، لمحمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، ص ١١١ بتصرف يسير .

(٤) دلائل الإعجاز ، ص ١٤٦ .

دقيقاً- السر البلاغي للحذف في عدة سياقات -ذكرها- ولكنه بحسه المرهف كان يتذوّق حلاوة الحذف فيها ويستطعمه ، ولا يعدو حديثه وصف هذا الذي يجده في نفسه وراء هذه الخصوصية ، بل إنه ليشعر أنه لا يستطيع أيضاً وصف ما في نفسه بدقة ، ويطلب منك محاولة أن تحس الذي أحسه ؛ لأنك لا تدرك قيمة ما تجده بالوصف ، وإنما تدركه إذا ذقته ، وهذا صواب ، ثم يرشدك إلى طريقة تعيينك على إدراك هذا الأثر ، وذلك بأن تذهب بهذه الخصوصية ، وتذكر المحذوف ، ثم تحاول أن تتعرف على ما تجده في نفسك والأسلوب على الحالة الثانية -صورة التقدير- وفي ضوء هذه الموازنة تستطيع أن تتعرف آثار الحذف^(١) فتأمل الآية الواقعة فيها الحذف ، وانظر إلى موقعها في نفسك ، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف فيها ، ثم فليت النفس عما تجده ، وألطف النظر فيما تحس به . ثم تكلف أن ترد المحذوف وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد ... ثم إنك ترى نصبة الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى المحذوف وتباعده عن وهمك ، وتجتهد أن لا يدور في خلدك ، ولا يعرض لخاطرك ، وتترك كأنك تتوقاه توقي الشيء تكره مكانه ، والثقل تخشى هجومه^(٢). ويعقب الدكتور أبو موسى بما نصه : "فلما كان السياق هنا سياق الإدراك البلاغي ، والإشارة للماحة رأيت عبد القاهر يقرر أنه لا مفر لك إذا أردت التعبير من أن تتحاشى هذا المحذوف ليس في الذكر الخارجي فحسب ، بل في الخطور النفسي ؛ لأن هيئة العبارة وجمال الأسلوب يروم منك ذلك ، ولا يعترض بما يقتضيه الإعراب ؛ لأن هذا سياق وذلك سياق آخر. البلاغة تحتم أن تحذف من نفسك ، والنحو يقرر أن تقدره في لفظك"^(٣) .

*

- حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك وشبهه .

م	الآيات الواقعة فيها الاحتباك وشبهه
١.	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة: ٧، ك) .

(١) ينظر : خصائص التراكيب ، ص ١٢٨ .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ، ص ١٥١ بتصرف يسير .

(٣) خصائص التراكيب ، ص ١٢٩ وما بعدها .

٢	<p>﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦م).</p>	
٣	<p>﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٩م).</p>	
٤	<p>﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۚ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩م).</p>	
٥	<p>﴿ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٣م).</p>	
٦	<p>﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ۖ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٨٦م).</p>	
٧	<p>﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩١م).</p>	
٨	<p>﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٠٨م).</p>	
٩	<p>﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَٰئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠م).</p>	
١٠	<p>﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٤م).</p>	
١١	<p>﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٥م).</p>	
١٢	<p>﴿ وَإِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوبِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤م).</p>	
١٣	<p>﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةً وَنِدَاءً ۚ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ ۚ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٧١م).</p>	
١٤	<p>﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ۖ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥م).</p>	
١٥	<p>﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٥م).</p>	

<p>﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦ م).</p>	<p>١٦ .</p>
<p>﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧ م).</p>	<p>١٧ .</p>
<p>﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢ م).</p>	<p>١٨ .</p>
<p>﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَحَقُّ بِرَيْبِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨ م).</p>	<p>١٩ .</p>
<p>﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَرْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٣٢ م).</p>	<p>٢٠ .</p>
<p>﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١ م).</p>	<p>٢١ .</p>
<p>﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٧ م).</p>	<p>٢٢ .</p>
<p>﴿ مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَبَّتْ سَعْيَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١ م).</p>	<p>٢٣ .</p>
<p>﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيتَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤ م).</p>	<p>٢٤ .</p>
<p>﴿ وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّتٍ بَرْنُوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكْهَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٥ م).</p>	<p>٢٥ .</p>
<p>﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٦ م).</p>	<p>٢٦ .</p>
<p>﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾</p>	<p>٢٧ .</p>

	﴿البقرة: ٢٨٢ م﴾ .
٢٨	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِي الثَّقَاتِ فَعَثُّهُ تَقَدَّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٣ م) .
٢٩	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠ م) .
٣٠	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢ م) .
٣١	﴿فَنَقَّبَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧ م) .
٣٢	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧ م) .
٣٣	﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢ م) .
٣٤	﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧ م) .
٣٥	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤-١٠٥ م) .
٣٦	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦-١٠٧ م) .
٣٧	﴿مِثْلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَّتْ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلٰكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١١٧ م) .
٣٨	﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ٢٢ م) .
٣٩	﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا لَتَّصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٦ م) .
٤٠	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران: ٢٨ م) .
٤١	﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٠ م) .
٤٢	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٤٤ م) .

٤٣	﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران: ١٦٢، م).
٤٤	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠، م).
٤٥	﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيبٌ ﴾ (النساء: ١٣-١٤، م).
٤٦	﴿ فَلْيَقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٧٤، م).
٤٧	﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ٩٥-٩٧، م).
٤٨	﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ . ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٤٧-١٤٨، م).
٤٩	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (المائدة: ٩-١٠، م).
٥٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٤١، م).
٥١	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخَشَوْا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤، م).
٥٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤، م).
٥٣	﴿ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (المائدة: ٧٦، م).

٥٤	﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٨ م).
٥٥	﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠ ك).
٥٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام: ٦ ك).
٥٧	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (الأنعام: ٩ ك).
٥٨	﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِيُخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام: ١٧ ك).
٥٩	﴿ بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَمْخُفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٨ ك).
٦٠	﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَاللَّذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٢ ك).
٦١	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٣ ك).
٦٢	﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٦ ك).
٦٣	﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَيْنَمَا قُلْنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧١-٧٢ ك).
٦٤	﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخِذُوا فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٠ ك).
٦٥	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٢ ك).
٦٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَى ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفُّكُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٥ ك).
٦٧	﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام: ٩٦ ك).
٦٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَمُ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٩ ك).
٦٩	﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٥ ك).
٧٠	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧ ك).
٧١	﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ﴾

	﴿الأنعام: ١٠٨، ك﴾ . فَيَنْتَهُمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
٧٢	﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٢٢، ك﴾ .
٧٣	﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٢٥، ك﴾ .
٧٤	﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا لِمَعْشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْمَعْ بَعْضَنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿الأنعام: ١٢٨، ك﴾ .
٧٥	﴿قُلْ بِقُوَّةٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَاوِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عِزَّةٌ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٣٥، ك﴾ .
٧٦	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٤٨، ك﴾ .
٧٧	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٥٢، ك﴾ .
٧٨	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنظَرُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٥٨، ك﴾ .
٧٩	﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْتَهُمُ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٦٤، ك﴾ .
٨٠	﴿كُنْتُ أَنزِلُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأعراف: ٢، ك﴾ .
٨١	﴿وَكَم مِّن قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ﴿الأعراف: ٤، ك﴾ .
٨٢	﴿يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفِيئَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأعراف: ٢٧، ك﴾ .
٨٣	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿الأعراف: ٢٩-٣٠، ك﴾ .
٨٤	﴿لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأعراف: ٤١، ك﴾ .
٨٥	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ

	عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ (الأعراف: ٤٤، ك).
٨٦.	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥، ك).
٨٧.	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦، ك).
٨٨.	﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨، ك).
٨٩.	﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٥، ك).
٩٠.	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٤٦-١٤٧، ك).
٩١.	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦، ك).
٩٢.	﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُمُوتُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩٣، ك).
٩٣.	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ١٠، م).
٩٤.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ١٣، م).
٩٥.	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال: ٦٥، م).
٩٦.	﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٦٦، م).
٩٧.	﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (التوبة: ١، م).
٩٨.	﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٩، م).
٩٩.	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة: ٣٨، م).

١٠٠	﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة: ٤٥ م).
١٠١	﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ (التوبة: ٥٢ م).
١٠٢	﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٢ م).
١٠٣	﴿ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرُ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٦ م).
١٠٤	﴿ أَفَمَن أَتَسَسَٰ بِئِنَّهٗ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَن أَتَسَسَٰ بِئِنَّهٗ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيهٍ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٩ م).
١٠٥	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤-١٢٥ م).
١٠٦	﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس: ٣٥ ك).
١٠٧	﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس: ٤٦ ك).
١٠٨	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٦٧ ك).
١٠٩	﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحَّرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ ﴾ (يونس: ٧٧ ك).
١١٠	﴿ ثُمَّ نُنزِجُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ١٠٣ ك).
١١١	﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ؕ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس: ١٠٧ ك).
١١٢	﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (هود: ٤ ك).
١١٣	﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود: ١٢ م).
١١٤	﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (هود: ٢٠ ك).
١١٥	﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٥ ك).
١١٦	﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمِتُهُمْ فِي سَنَمِهِمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨ ك).
١١٧	﴿ وَقَالَ الَّذِي أُشْرِنَهُ مِن مِّصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾

	وَلِنُعَلِّمُهُ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿يوسف: ٢١، ك﴾
١١٨	﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿يوسف: ٣٨، ك﴾
١١٩	﴿يُضْجِعِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَعِ رَبَّهُ، خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿يوسف: ٤١، ك﴾
١٢٠	﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأٍ لَا يَرُدُّ بِأُسْنَانٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿يوسف: ١١٠، ك﴾
١٢١	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿الرعد: ٧، م﴾
١٢٢	﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿الرعد: ١٠، م﴾
١٢٣	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿الرعد: ١٢، م﴾
١٢٤	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿الرعد: ٢٧، م﴾
١٢٥	﴿وَإِنْ مَا نُزِّلَتْ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَقَّيْتِكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿الرعد: ٤٠، م﴾
١٢٦	﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لِيَنْ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيَنْ كُفْرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿إبراهيم: ٧، ك﴾
١٢٧	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِي كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿إبراهيم: ٢٢، ك﴾
١٢٨	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿إبراهيم: ٢٤، ك﴾
١٢٩	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿إبراهيم: ٢٧، ك﴾
١٣٠	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿إبراهيم: ٢٨، ك﴾
١٣١	﴿وَلِئَلَّا يَسْتَبِيلَ مُقِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ . وَإِنْ كَانَ أَحْصَبُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ . فَانقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَآمَارٌ مُبِينٍ ﴿الحجر: ٧٦-٧٩، ك﴾
١٣٢	﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿النحل: ٧، ك﴾
١٣٣	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿النحل: ٩، ك﴾
١٣٤	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ

	فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿النحل: ٣٦، ك﴾.
١٣٥.	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٥٠، ك) .
١٣٦.	﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ٦٣، ك) .
١٣٧.	﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ لَتُخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ٦٧، ك) .
١٣٨.	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥، ك) .
١٣٩.	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ٢٨، م) .
١٤٠.	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْنَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ (الإسراء: ١-٢، ك) .
١٤١.	﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَٰئِكَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٥، ك) .
١٤٢.	﴿أَفَأَصْفَقَكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقُلُوبُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء: ٤٠، ك) .
١٤٣.	﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فِي شَيْءٍ . وَمَنْ كَانَتْ فِي هُدَاهُ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧١-٧٢، ك) .
١٤٤.	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَيَحْشُرُهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَيُكَمَا وَصَمًا مَا وَهَبَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء: ٩٧، ك) .
١٤٥.	﴿فِيمَا لِنُذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَّنْكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الكهف: ٢-٤، ك) .
١٤٦.	﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧، ك) .
١٤٧.	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف: ٥٥، ك) .
١٤٨.	﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٨، ك) .
١٤٩.	﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا . وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (مرم: ٧٥-٧٦، ك) .
١٥٠.	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا وَسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًّا﴾ (مرم: ٨٥-٨٦، ك) .

١٥١	﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ٢٢، ك).
١٥٢	﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَحْوَكُ بِنَائِي وَلَا نُبَيَّا فِي ذِكْرِي . أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (طه: ٤٢-٤٣، ك).
١٥٣	﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ (طه: ٨٦، ك).
١٥٤	﴿ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَأَلَّا تَتَّبِعِنَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ (طه: ٩٢-٩٣، ك).
١٥٥	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَعْتُ أَحْلَمَ بَلْ أَفْتَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٠، ك).
١٥٦	﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَجْبَيْنَاهُمْ وَمِن نَّشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩٠، ك).
١٥٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الحج: ١٨، م).
١٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (الحج: ٢٣، م).
١٥٩	﴿ حُفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ نَهَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴾ (الحج: ٣١، م).
١٦٠	﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢، م).
١٦١	﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (الحج: ٥٦-٥٧، م).
١٦٢	﴿ ذَلِكَ وَمَن عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرِنَهُ اللَّهُ إِنَّهُ عَاقِبٌ غَفُورٌ ﴾ (الحج: ٦٠، م).
١٦٣	﴿ وَلَيْسَتَعْتَفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِلَاكُمُ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبِتْعَاؤِ عَرْضِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٣٣، م).
١٦٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنُّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان: ٤٧، ك).
١٦٥	﴿ فَكَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الشعراء: ٦٤، ك).
١٦٦	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣، ك).
١٦٧	﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَبْعِ ءَابِتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ءِإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل: ١٢، ك).
١٦٨	﴿ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ٥٠، ك).

١٦٩.	﴿الرَّيْرُونَ أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النمل: ٨٦، ك)
١٧٠.	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٨٩-٩٠، ك)
١٧١.	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخِ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤، ك)
١٧٢.	﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُرى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٥-٦، ك)
١٧٣.	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذًا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَقْبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧، ك)
١٧٤.	﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (القصص: ١٢، ك)
١٧٥.	﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَلَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ؕ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (القصص: ٣٢، ك)
١٧٦.	﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠، ك)
١٧٧.	﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (القصص: ٦٣، ك)
١٧٨.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧١-٧٢، ك)
١٧٩.	﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص: ٧٣، ك)
١٨٠.	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٣، م)
١٨١.	﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰفِقِينَ﴾ (العنكبوت: ١١، م)
١٨٢.	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰلِمُونَ . خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٤٣-٤٤، ك)
١٨٣.	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩، ك)
١٨٤.	﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٧-١٨، م، ك)

١٨٥	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (الروم: ٢٣، ك)
١٨٦	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم: ٢٤، ك)
١٨٧	﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (الروم: ٤٤، ك)
١٨٨	﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (الروم: ٤٥، ك)
١٨٩	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْفَعْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧، ك)
١٩٠	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ إِذِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: ١٢، ك)
١٩١	﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِنَّا نَحْنُ مُرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (لقمان: ٢٢-٢٣، ك)
١٩٢	﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان: ٢٧، م)
١٩٣	﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان: ٣٢، ك)
١٩٤	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب: ٤، م)
١٩٥	﴿ الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا ۗ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الأحزاب: ٦، م)
١٩٦	﴿ لَيْسَتِ الصَّالِحِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٨، م)
١٩٧	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الأحزاب: ١٢، م)
١٩٨	﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ١٧، م)
١٩٩	﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّالِحِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ۗ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٢٤، م)
٢٠٠	﴿ يَتَّيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةٌ مُؤْمِنَةٌ ۗ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ۗ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٠، م)

٢٠١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِجَدِيتِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٣، م)
٢٠٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦، م)
٢٠٣	﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (الأحزاب: ٦٣، م)
٢٠٤	﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٣، م)
٢٠٥	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سبأ: ١، ك)
٢٠٦	﴿ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ (سبأ: ٨، ك)
٢٠٧	﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سبأ: ٥٠، ك)
٢٠٨	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴾ (فاطر: ١٠، ك)
٢٠٩	﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣، ك)
٢١٠	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴾ (فاطر: ١٩-٢١، ك)
٢١١	﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (فاطر: ٣٣، ك)
٢١٢	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلِ إِن يَعْذِبِ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ (فاطر: ٤٠، ك)
٢١٣	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَيْنَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢، ك)
٢١٤	﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس: ٢٢، ك)
٢١٥	﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠، ك)
٢١٦	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥، ك)
٢١٧	﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (يس: ٧٠، ك)
٢١٨	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٩، ك)

٢١٩ .	﴿ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (ص: ٢٨ ، ك)
٢٢٠ .	﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴾ (ص: ٤٦-٤٧ ، ك)
٢٢١ .	﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَآبٍ . جَنَّتِ عَدْنٌ مَفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ . مُتَكِبِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِرْبَابِ . هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ . إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ . هَذَا وَإِلَى الطَّاغِيَةِ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ (ص: ٤٩-٥٥ ، ك)
٢٢٢ .	﴿ اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ رَاغَتْ عَنْهُمْ الْآبْصَارُ ﴾ (ص: ٦٣ ، ك)
٢٢٣ .	﴿ إِلَّا إِلِيلِسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ (ص: ٧٤ ، ك)
٢٢٤ .	﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ (ص: ٧٥ ، ك)
٢٢٥ .	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر: ٣ ، ك)
٢٢٦ .	﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتَرَةٌ ءَانَاءَ النَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ٩ ، ك)
٢٢٧ .	﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ لِّلنَّاسِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلِيَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر: ٢٢ ، ك)
٢٢٨ .	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ (الزمر: ٢٣ ، ك)
٢٢٩ .	﴿ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٢٤ ، ك)
٢٣٠ .	﴿ فَآذَقَهُمُ اللَّهُ الْغُرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٢٦ ، ك)
٢٣١ .	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ءَأَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٣٢-٣٣ ، ك)
٢٣٢ .	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢ ، ك)
٢٣٣ .	﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَاسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣ ، م)
٢٣٤ .	﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الزمر: ٧٠ ، ك)
٢٣٥ .	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُجِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

	عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿الزمر: ٧١، ك﴾
٢٣٦.	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٨٠-٩، ك)
٢٣٧.	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ (غافر: ٢٨، ك)
٢٣٨.	﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر: ٣٩، ك)
٢٣٩.	﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْرُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠، ك)
٢٤٠.	﴿وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر: ٤١، ك)
٢٤١.	﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر: ٤٢، ك)
٢٤٢.	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (غافر: ٥٨، ك)
٢٤٣.	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠، ك)
٢٤٤.	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١، ك)
٢٤٥.	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْعَلِيمُ﴾ (غافر: ٦٤، ك)
٢٤٦.	﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٣-٧٤، ك)
٢٤٧.	﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَمَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ (غافر: ٧٧، ك)
٢٤٨.	﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (غافر: ٨٣، ك)
٢٤٩.	﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢، ك)
٢٥٠.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْمُدَىٰ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت: ١٧، ك)
٢٥١.	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤، ك)

٢٥٢.	﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (فصلت: ٣٨، ك)
٢٥٣.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ مَّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت: ٤٠، ك)
٢٥٤.	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَأَذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٤، ك)
٢٥٥.	﴿ وَإِذَا نَعَّمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ ء وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ (فصلت: ٥١، ك)
٢٥٦.	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِن عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ ءَمَنَ أَصْلٌ مِّمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٥٢، ك)
٢٥٧.	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧، ك)
٢٥٨.	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ء وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى: ٨، ك)
٢٥٩.	﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ءَلَا إِنَّ الَّذِينَ يِمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (الشورى: ١٨، ك)
٢٦٠.	﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ء وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ء ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (الشورى: ٢٢، ك)
٢٦١.	﴿ وَبَسَّجِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ء وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (الشورى: ٢٦، ك)
٢٦٢.	﴿ فَإِنِ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ء إِن عَلَيْنَا ءَلَّا نَبْلُغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يِمَاقَدْتُم أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (الشورى: ٤٨، ك)
٢٦٣.	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ ءَلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ (الشورى: ٥١، ك)
٢٦٤.	﴿ حَقٌّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ . وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ ء أَن تَكْفُرَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزعرور: ٣٨-٣٩، ك)
٢٦٥.	﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ء أَفَلَا بُصِرُونَ . أَم أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزعرور: ٥١-٥٢، ك)
٢٦٦.	﴿ إِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِن دَابَّةٍ ء آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجمانية: ٣-٤، ك)
٢٦٧.	﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (الجمانية: ١١، ك)

٢٦٨ . ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُنْفَكُونَ ﴾ (الحاشية: ١٢-١٣، ك)
٢٦٩ . ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴾ (الحاشية: ٣٠-٣١، ك)
٢٧٠ . ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الأحقاف: ٤، ك)
٢٧١ . ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَمَنَّوْا وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٠، م)
٢٧٢ . ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ؕ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٢، ك)
٢٧٣ . ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد: ١-٢، م)
٢٧٤ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَايَافُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (محمد: ١٢، م)
٢٧٥ . ﴿ أَفَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوهُ ؕ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٤، م)
٢٧٦ . ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٥، م)
٢٧٧ . ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرَ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤، م)
٢٧٨ . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٣، م)
٢٧٩ . ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالِكُمْ ﴾ (محمد: ٣٦، م)
٢٨٠ . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ؕ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ؕ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّبَةً أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠، م)
٢٨١ . ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٦، م)
٢٨٢ . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

	رَجِيمٌ ﴿ (الحجرات: ٤-٥م)
٢٨٣	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿ (الحجرات: ٧م)
٢٨٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ (الحجرات: ١٤م)
٢٨٥	﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿ (الطور: ٣٢ك)
٢٨٦	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ . وَمِنَوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿ (النجم: ١٩-٢٢ك)
٢٨٧	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿ (النجم: ٣١ك)
٢٨٨	﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿ (القمر: ٢-٣ك)
٢٨٩	﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿ (القمر: ٣٥ك)
٢٩٠	﴿ أَكْفَارًا كَرِهْتُم مِّنْ أَوْلِيَاءِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿ (القمر: ٤٣ك)
٢٩١	﴿ بِنَزْوِ اسْمِكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ (الرحمن: ٧٨م)
٢٩٢	﴿ ءَأَسْتَرْ تَخْلِفُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِفُونَ ﴿ (الواقعة: ٥٩ك)
٢٩٣	﴿ ءَأَسْتَرْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿ (الواقعة: ٦٤ك)
٢٩٤	﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿ (الواقعة: ٦٩ك)
٢٩٥	﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْدَا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿ (الواقعة: ٦٩-٧٠ك)
٢٩٦	﴿ ءَأَسْتَرْنَا نِسَانَ شَجَرَتِهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿ (الواقعة: ٧٢ك)
٢٩٧	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ (الحديد: ١-٢م)
٢٩٨	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؕ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿ (الحديد: ٩م)
٢٩٩	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ (الحشر: ١١م)
٣٠٠	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿ (المتحنة: ٦م)
٣٠١	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ (الصف: ٨-٩م)

٣٠٢ .	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَتَمَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الصف: ١٤، م)
٣٠٣ .	﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: ١٠، م)
٣٠٤ .	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحریم: ١٠٠-١١٠، م)
٣٠٥ .	﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ءَاهْدِي أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٢، ك)
٣٠٦ .	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَهْلَكَنِ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكٰفِرِينَ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٨، ك)
٣٠٧ .	﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . خٰشِعَةً أَبْصُرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سٰلِمُونَ ﴾ (القلم: ٤٢-٤٣، ك)
٣٠٨ .	﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعٰلَمِينَ ﴾ (القلم: ٥١-٥٢، ك)
٣٠٩ .	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ . فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّآغِيَةِ . وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صٰرَصٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَحْجَازٌ تَخِلْ حَآوِيَةً فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ . وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمِن قَبْلِهِ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْغَاطِطَةِ . فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ (الحاقة: ٤-١٠، ك)
٣١٠ .	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (نوح: ١٧، ك)
٣١١ .	﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ (نوح: ٢٨، ك)
٣١٢ .	﴿ وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الجن: ٥، ك)
٣١٣ .	﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِيَمِّنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن: ١٠، ك)
٣١٤ .	﴿ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقٰسِطُونَ فَمَنَ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (الجن: ١٤، ك)
٣١٥ .	﴿ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقٰسِطُونَ فَمَا كَانُوا لِيُجَهَنَّمَ حَطْبًا ﴾ (الجن: ١٤-١٥، ك)
٣١٦ .	﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (الجن: ٢١، ك)
٣١٧ .	﴿ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (الزمر: ٨، ك)
٣١٨ .	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَسَّاءُلُونَ ﴾ (المدثر: ٣٨-٤٠، ك)
٣١٩ .	﴿ كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ (القيامة: ٢٠-٢١، ك)

٣٢٠.	﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ. تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٣-٢٥، ك)
٣٢١.	﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٣، م)
٣٢٢.	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٧، م)
٣٢٣.	﴿يَدْخُلُ مَنْ نِشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإنسان: ٣١، م)
٣٢٤.	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١٠-١١، ك)
٣٢٥.	﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (النبا: ٢٩، ك)
٣٢٦.	﴿وَأَعْطَشَ لِيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُعْفًا﴾ (النازعات: ٢٩، ك)
٣٢٧.	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (النازعات: ٣٧-٤٠، ك)
٣٢٨.	﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى. فَأَنَّ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى﴾ (عبس: ٥-٩، ك)
٣٢٩.	﴿وَجْهٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ. وَوَجْهٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ. تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨-٤١، ك)
٣٣٠.	﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (التكوير: ١٢-١٣، ك)
٣٣١.	﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُفِ. الْجَوَارِ الْكُنُفِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (التكوير: ١٥-١٧، ك)
٣٣٢.	﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٢-٣، ك)
٣٣٣.	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ. وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ. كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ. كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ لَفِي عِلِّيَّتٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَّتُونَ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ٧-٢١، ك)
٣٣٤.	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا. وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق: ٧-١٠، ك)
٣٣٥.	﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا. وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا. وَيَصَلَّى سَعِيرًا. إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: ٨-١٣، ك)
٣٣٦.	﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى. وَيَنْجِنُهَا الْأَسْفَى. الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (الأعلى: ١٠-١٢، ك)
٣٣٧.	﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى. ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَّى﴾ (الأعلى: ١٢-١٥، ك)
٣٣٨.	﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٧-١٨، ك)
٣٣٩.	﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ﴾ (الغاشية: ٧، ك)

٣٤٠.	﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (الفجر: ١٧-١٨، ك)
٣٤١.	﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد: ١٥-١٦، ك)
٣٤٢.	﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨، ك)
٣٤٣.	﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (الليل: ٣، ك)
٣٤٤.	﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكِي﴾ (الليل: ١٦-١٨، ك)
٣٤٥.	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: ٤-٦، ك)
٣٤٦.	﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ . أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . أَلَمْ يَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ﴾ (العلق: ١١-١٤، ك)
٣٤٧.	﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٧-٩، ك) .
٣٤٨.	﴿الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .﴾ (التكاثر: ١-٤، ك) .
٣٤٩.	﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (الماعون: ٢-٣، ك) .
٣٥٠.	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ٣، م) .

**الفصل الأول : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات
العقيدة من حيثُ : السياق ، والصورة ، وأثره في
المتلقي**

الفصل الأول : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيث : السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي .

احتل وقوع الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة مكانة وسطاً بين وقوعه في آيات الأحكام وآيات الترغيب والترهيب ، فقد بلغ عدد مواضعه : (مائة وتسعة وثلاثين) موضعاً ، فالمعاني التي ركز عليها الاحتباك -هنا- تمثلت في إيضاح مقاصد ؛ أولها : إبراز أدلة وحدانية الله وعجز الآلهة من دونه ، وثانيها : إبراز أدلة قدرة الله وإثبات عظمته ، وثالثها : إثبات الوحي والرسالة ، ورابعها : تحميد الله وتمجيده وترتيبه .

المبحث الأول : أدلة وحدانية الله وعجز الآلهة من دونه .

المطلب الأول: إثبات حنيفية إبراهيم ونفي الشرك.

- القول بالاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة: ١٣٥م). احتباك ، فالمحذوف من الطرف الأول (تهتدوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَهْتَدُوا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (كونوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿كُونُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وقالوا كونوا هوداً تهتدوا ، أو كونوا نصارى تهتدوا . وسره : أن ذلك دالٌّ على اختلاف مذاهبهم ، وتعدد سبل الباطل وتشعبها ، ولعله أيضاً سر اقتضاه الحذف ؛ لأن من لم يكن يهودياً لا يراه اليهود مهتدياً ، ومن لم يكن نصرانياً لا يراه النصارى مهتدياً .

ومثله في تبصر قول الحق ﷻ : ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠م) . على تقدير : "ولن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم ، ولا النصارى ترضى عنك حتى تتبع ملتهم" (١) ؛ إذ حذف من الأول : (تتبع ملتهم) لدلالة مثله عليه ثانياً ، ومن الثاني : (ولن ترضى عنك) لدلالة مثله عليه أولاً ، فعمل الاحتباك -في الموضوعين- على تقوية المراد ، وهو تقرير الملة الحنيفية ونفي الشرك (٢) ؛ كما أن فيه مزيد تأكيد إلى أن الملة الصحيحة ملة واحدة وهي :

(١) الاحتباك في القرآن الكريم -دراسة بلاغية- عدنان عبد السلام أسعد ، (ماجستير) ص ٩١ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(١) وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾ .

فمنشأ الاحتباك في الموضوعين قائم على مراعاة أوجه التناظر بين طرفي النظم ، وهذا التناظر لم يبرز حسنه إلّا بالوقوف عند تمام الآية التي تدعو إلى تنمية أساس الفطرة ، واتباع أصل العقيدة ، وهى ملة إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، وبتدبر سياق السورة تتضح دلائل الدعوة إلى الإيمان ؛ إذ إن مقصدها الأعظم تمثل في "إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ؛ ليُتبع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب"^(٢) ، وهذا يُعضد القول بالاحتباك ويسعى لإبراز حسنه ؛ لتحقيق براهين الدعوة إلى اتباع الملة الحنيفية ؛ كي يعلم البشر حسن الاتباع لها والارتقاء فيها ، وهذا دافعٌ عليٌّ يُوجب التحلي عن لزوم سائر الملل سواها . أمّا السياق القريب فأسهم في بروز الاحتباك من خلال تثبيت دعائم الدعوة إلى صرف العبادة لله رب العالمين : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣ م) . فمن اتبع فأجره على الله ، ومن كفر فعلى نفسه : ﴿لَهُمَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة: ١٣٤ م) .

أمّا ما حققه الاحتباك في النظم فهو عون للمرء يدفعه إلى التبصر في عقيدته والعمل على معاهدة تنمية فطرته السوية ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ (الروم: ٣٠، ك) ، واتباع الملة الحنيفية التي أصلها الاجتماع على دين الحق ، لا ما يدعو إليه أهل الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية . كما أنّ في المحافظة على منهاجه وشرائعه سعادة يعلو بها صرح رضا ربه ويفوز برضوانه ، أمّا سائر الملل والأديان -من يهودية ونصرانية وغيرها- فإنها طريق الاختلاف لا الاجتماع ، والتفرق لا الوحدة ، فأين الهداية منها إذن؟!^(٣) ، لذا فحمل النظم على الاحتباك حسن ؛ لما حققه من الكشف عن طعن اليهود والنصارى بعضهم في دين بعض ، حيث زعموا أنه لن

(١) مختصر مدلول الحنيفية : أنّ الملة ما أظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما التزمه الناس من عوائد الدنيا ، فكان أتم ما أبداه نور العقل ملة إبراهيم ليئناً قابلاً للاستقامة ، منقاداً للحق ، مسلماً أمره إليه ، لا يتوجه إليه شيء من الغشاوة والكثافة والجمود التي تلزم العصيان ؛ لكون مادة : (ح، ن، ف) تدور على الخفة واللطفة ، ويلزم هذا المعنى الانتشار وسهولة الانقياد ، فالحنف : المائل عن متغير ما عليه الناس عادة إلى ما تقتضيه الفطرة حنان قلب إلى صدق حسه الباطن . ينظر : تراث أبي الحسن الخراساني المراكشي في التفسير ، ص ٢٦٥ .

(٢) نظم الدرر ١/٥٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١/٥٦٤ بتصرف .

يدخل الجنة غيرهم^(١) . وفيه إشارة إلى أن للبيان القرآني جمالاً ذا وجوه عدة يفهم من سياقه .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ١٠١) ، احتباك^(٢) ، المحذوف من الطرف الأول (منكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (عاهد الله ورسوله) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَاهَدْتُم﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "براءة من الله ورسوله ومنكم ، إلى الذين عاهد الله ورسوله وعاهدتم من المشركين"^(٣) . وسره أن ذلك أدل على تحقق البراءة منهم بهجرانهم مطلقاً .

فالأولى بمقام الخطاب ودلالة السياق حمل النظم على الاحتباك ؛ لما احتواه من ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في مراعاة حق الدين في الولاء والبراء ، وهذا المقصد الجليل هو الأصل الذي انبت عليه السورة بكليتها ؛ إذ إن مقصودها متحقق في "معاداة من أعرض عن الدعوة إلى الله في توحيدِهِ ، واتباع ما يرضيه ، وموالاته من أقبل عليه"^(٤) ، فهذا من أعظم المقاصد التربوية التي يحققها الحذف في النظم ؛ لأن البراءة من الشرك تتمثل في أنها تجمع كل شرك ونفاق دقيق أو جليل فتعمل على إزالته^(٥) ، وفي إعلام البشر بذلك نعمة عليّة تعلمهم أن الانضمام إلى حيز أهل الشرك نقصان يُضَعِفُ الإيمان ويزلزله " فمن دُعي إلى الله فأجاب ، ودُعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى ، أما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة"^(٦) . فالقاعدة الأهم من فهم دلالة الاحتباك تتحقق في إعلام المشركين خاصة أن العهود التي تقام بينهم إنما هي لأجل المؤمنين ، " أما الله ورسوله فغنيان عن ذلك ، أما الله فبالغنى المطلق ، وأما الرسول ﷺ فبالذي اختاره للرسالة ؛ لأنه ما فعل ذلك به إلّا وهو قادر

(١) ينظر : البحر المحيط ١/٤٠٧ بتصرف .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٠/١٠٥ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) نظم الدرر ٨/٣٥٠ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٨/٣٥٣ .

(٦) المرجع السابق ٨/٣٥٩ .

على نصره بسبب وبغير سبب" (١) ، كما تحقق تأكيد أن المسلمين لا يعملون عملاً إلا عن أمر من الله ورسوله (٢) . وفي تدبر فاتحة السورة بـ ﴿بِرَاءةٌ﴾ إشارة عظمى تضمنت معاني الوعيد ونقض العهود ، وهذا يُثبت للبشر أهمية الحرص على موالاته الأولياء ومعاداة الأعداء ، فالكفار في محل البعد عن كل خير (٣) ، فانتفت صفة الأمان منهم ؛ لذا لم يتحقق في مفتتحها ذكر بسم الله ؛ "لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان" (٤) ، فَوَجَبَ على أهل الأرض قاطبة التبرؤ من الشرك وأهله ؛ لأنه بالبراءة تتعمق ويتمكن في النفوس أجل معاني الإيمان ، وهذا من أرفع مقامات التصعيد الإيماني .

*

وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ دَعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ بَعْدَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (فاطر : ٤٠، ك) .
ففي قول الحق ﷻ : ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ احتباك ، حذف أولاً الاستفهام عن الشركة في الأرض ؛ لدلالة مثله في السماء عليه ، وحذف ثانياً الأمر بالإرادة ؛ لدلالة مثله في الأرض عليه (٥) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ألم شرك في الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أروني ماذا خلقوا في السموات) ؛ لدلالة ذكر ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ في الطرف الأول .
وتقديره : ألم شرك في الأرض ، أروني ماذا خلقوا منها ، أم لهم شرك في السموات ، أروني ماذا خلقوا فيها . وسره : أنه نفى أهم الصفات الموجبة للألوهية عن شركائهم ؛ لانتفاء استحقاقهم العبادة ، " فذكر ما هو أفحم للخصم أولاً ، وما هو أقرع له ثانياً ، وحذف ما لا يستطيعون إثباته أولاً ، وما لا يقدرّون على الإقرار به ثانياً " (٦) . ويدخل

(١) المرجع السابق ٣٦٢/٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٠/١٠٥ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٨/٣٥٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٨/٦٢ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٦/٦٩ .

(٦) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه-أسراره ، ص ٢٣٥ .

ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي من وراء الحذف صورة أخرى^(١) .
فمن خلال التركيب العام للاحتباك برز المقصد الأعظم ، وهو : إثبات وحدانية الله
ﷻ ، وكمال قدرته ، ومطلق علمه ؛ لتعريف العباد بالاختراع والخلق من جانب ،
ولإشهادهم عجز شركائهم ونقص من عبوده من دون الله من جانب آخر^(٢) ، فنتج عن
ذلك ركن مهم من أركان العقيدة ؛ لإبعاد البشرية عن الشرك ، وفي هذا رد على كل من
عبد غير الله ؛ لأنهم لا يجدون في كتاب من الكتب أن الله أمر أن يعبد غيره^(٣) ؛ حتّى
للقلوب الغافلة على تبصّر حقيقة جهلهم برهم ، والذي يهدي إليه السياقان البعيد والقريب
يُعضدان القول بالاحتباك ؛ البعيد سعى " لإثبات القدرة الكاملة لله اللازم منها تمام القدرة
على البعث " ^(٤) ، والقريب أسهم في إثبات صفات النقصان لكل من عبد من دون الله ؛
ليؤكد للمشركين وشركائهم ما يلحقهم من المهانة والاحتقار ، وهذا - بلا شك - أبلغ في
الدلالة على تحقق التوحيد ، ووجود الخالق ، وبطلان الشرك ، والشركاء ، بحيث يراهم كل
من يقصد رؤيتهم ويعلم أنه لا خلق لهم ، والله تعالى ، بخلاف ذلك في كل من الأمرين ،
مرتدٍ برداء الكبر ، محتجب بحجاب الجلال والعز ، وكل أحد يعلم أنه خالق لكل
مخلوق^(٥) . فالمعاني الجوهرية كشفت عن أصل النظم ، لتتحقق وسائل إقناع المشركين أبلغ
إقناع وأحكامه ، وإقامة الحجة عليهم ؛ ليتعرفوا على ربهم إقراراً له بالوحدانية ، وإخلاصاً له
في العبادة . ولكن وراء الحذف مقاصد عظيمة تدعو إلى معرفة الله كما وصف نفسه وعرفه

(١) في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتَوُونَ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ
هَذَا أَوْ أَشْرَكْتُمْ مِنْ عِلْمِنَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الأحقاف: ٤، م) . احتباك « ذكر الخلق أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ،
والشركة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً » . نظم الدرر ١٨/١٢٤ . وتقديره : أم لهم شرك في الأرض ، أروني ماذا
خلقوا منها ، ليصح ادعاؤهم أنهم شركاء فيها ، أم لهم شرك في السموات ، أروني ماذا خلقوا فيها ليصح
ادعاؤكم فيهم . ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع - أسرار ، ص ٢٣٣ .
فالسباق العام يدعو إلى إنذار الكافرين من هول يوم القيامة وشدته ؛ للدلالة على تحقق صدق الوعد الدال على
أن الله وحده لا شريك له ، المستحق للعبادة ، والخاص بتحقيق فيه من إبطال إلهية ما ادعوه من آلهة ؛ ليثبت أن
ذلك لا يكون إلا لله رب العالمين . ينظر : نظم الدرر ١٨/١١٨-١٢٣ بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٦٨/١٦ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٤/٣٥٦ .

(٤) نظم الدرر ١/١٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٦٩/١٦ .

الأصفياء ؛ كي تُصرف الوجدانية إليه برهاناً قاطعاً ودليلاً ظاهراً . وثمة لطيفة أخرى تلحظ من أثر الحذف في النظم تشير إلى إعلام الكافرين بعجز شركائهم ، ونقص عقولهم في مساواتهم غير الله بالله ، وفي هذا مزيد تنبيه لحقارة صنيعهم ، فكيف يكون من لا يخلق كمن يخلق؟! ، وهذا أنبل عطاء في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما أولاً في نفي أن يكون لهم شريك في الأرض التي يمشون عليها ؛ لقربهم منها بطريق الاستفهام ، وهذا مقابل للاستفهام في ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ، والثاني في نفي صلاحية أن يكونوا آلهة (أروني ماذا خلقوا من السموات) بطريق الاستفهام —أيضاً— ، وهذا مقابل لـ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ، والغاية من ذلك الحث على تأمل موضع الحذف بقلوب يقظة ؛ ليزداد الإيمان في القلب فيقوى ، ويزداد العلم في العقل فينمو .

ومن أبرز دقائق النظم بجانب الاحتباك بلاغة الأمر في ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ "فإنه أمر للتعجيز ؛ إذ لا يستطيعون أن يُروه شيئاً خلقتة الأصنام ، فيكون الأمر التعجيزي في قوة نفي أن خلقوا شيئاً ما" (١) ، ثم بلاغة الاستفهام في ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ " (أم) منقطعة للإضراب الانتقالي ، وهي تؤذن باستفهام بعدها ، والمعنى : بل ألهم شرك في السموات " (٢) . ثم إثارة التعبير بـ ﴿خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ، "وذلك لأن مَقَرَّ الأصنام في الأرض ، وكان من الراجح أن تتخيّل لهم الأوهام تصرفاً كاملاً في الأرض ، فكأنهم آلهة أرضية ... فكانوا أشباهاً لهم ، فلذلك قيل لأشباههم في الإشراف: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ، أي : فكان تصرفهم في ذلك تصرف الخالقية . فأما السماوات فقلما يخطر ببال المشركين أن للأصنام تصرفاً في شؤونها ، ولعلمهم لم يدعوا ذلك ، ولكن جاء قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ مجيء تكملة الدليل على الفرض والاحتمال ، وقد كانوا ينسبون للأصنام بنوة لله تعالى " (٣) . ثم دلالة الطباق بين ذكر الأرض والسماء في أنهم لم يخلقوا من الأرض شيئاً ، فكيف يمكنهم مثل ذلك في السماء؟! ، ثم إنهم لم يكن لهم شريك في السماء يجلب لهم ما يتمنون ، فكيف يكون لهم مثله في الأرض حتى يستحقوا الإلهية والشركة؟! (٤) .

(١) التحرير والتنوير ٢٢/٣٢٥ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ٢٢/٢٩٤٨ بتصرف .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٢٢، ك) ، احتباك ،
"حذف (وإليه راجع) أولاً لما دلّ عليه ثانياً ، وإنكاره عليهم ثانياً بما دلّ عليه أولاً من
إنكاره على نفسه"^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وإليه راجع) ؛ لدلالة
ذكر ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (وما لكم لا تعبدون الذي
فطركم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ في الطرف الأول . وقيل: الأصل
فيه : "وما لي لا أعبد الذي فطرني وفطركم وإليه ترجعون وأرجع"^(٢) . والأعلى منه :
"وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه راجع ، وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه
ترجعون"^(٣) ؛ لأن نسبة الأول للثالث أقوى في الدلالة على المقصود من نسبة الأول
للثاني ، وكذا فنسبة الثاني للرابع أقوى من نسبة الثالث للرابع ؛ لذا فالأعلى بمقام
الخطاب والأليق بالسياق وقرائن الأحوال التقدير الثاني .
وسرّه أنه ذكر ما يقوي الإيمان في نفسه ويبطل الكفر في نفس المعرضين عن الحق استجلاًباً
لهم بإظهار الإنصاف ، والبعد عن التصريح بالخلاف ، وفيه تنبيه لهم على موجب الشكر ،
وتهديد على ارتكاب الكفر^(٤) .
فالقول بالاحتباك يشكّل أثراً قوياً في ترسيخ حقيقة المبدأ والمعاد لله رب العالمين ، وهذا ما
اقتضاه السياق ؛ لأنّ في تدبر دلالة السورة بياناً عليّاً يقرر في النفوس عظم الدعوة إلى
التوحيد ، فمقصدها الأعظم "إثبات الرسالة التي هي روح الوجود ، وقلب جميع الحقائق
... وجل فائدة الرسالة إثبات الوجدانية - التي هي قلب الاعتقاد ، وخالصه وعموده -
للعزيز الرحيم"^(٥) ، فثبت بالحذف مزيد تأكيد الدعوة إلى اتباع الرسل في عبادة الله ؛ لإبعاد
البشر عن الشرك ، وهذا ما أبرزته دلالة السياق العام ؛ لما احتوته من تقرير أمر الرسالة التي

(١) نظم الدرر ١١١/١٦ .

(٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : بدون ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م) ٣/٣٢١ .

(٣) روح المعاني ٢٢٧/٢٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١١١/١٦ .

(٥) المرجع السابق ٨١/١٦ .

من أجل مقاصدها الإيمان بالبعث ، فبه يكون صلاح القلوب وفسادها ؛ إذ إنَّ في الاتباع سعادة أبدية ، وفي الإعراض شقاوة سرمدية ^(١) ، فتحقق بالحد الجازم إعلام البشر أن مبدأهم ومعادهم إلى خالقهم . أمّا السياق الخاص فناسب حمل النظم على الاحتباك ؛ لتضمنه إرشاد العباد لي شكروا الله على ما أنعم به عليهم في الابتداء ، والتنبيه إلى الخوف من عاقبته في الانتهاء ^(٢) ، لإبعادهم عن النار ؛ حثاً على الإخلاص في العبادة ، والاقتداء بما فيه خير ، "تلفظ في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه ، وإمحاض النصح ؛ حيث أراد لهم ما أراد لها ، والمراد تقريرهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره" ^(٣) ، فالمعاني الإحسانية تأخذ بأيدي العباد إلى مقام القرب من الله ؛ لتؤكد حسن التذكير بعبادته الله ، والإخلاص فيها ، ولا يكون ذلك إلا بملازمة أهل التقوى والفلاح ، فإن العمل على حسن التذكير سمة أهل الإحسان الذين أحسنوا الإيمان به ، وكانوا سبباً في ذلك ، وهذا يقوي بروز خاصيتي الترغيب في اتباعه فيما اختاره لنفسه ؛ لأنه أصل الهدى والصلاح ، والترهيب من عبادة غير الله ؛ لأنها أساس الضلال والفساد ^(٤) ، وهذا أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أضافاً إلى النظم علائق ربط جوهرية تبرز الإيمان بالله رباً واحداً ، وهذا عون للمرء يدفعه إلى حسن العبادة ، والتخلص من شوائب الشرك .

وأهل العلم على خلاف في قبول القول بالاحتباك في هذه الآية ، فمنهم من يرى أن القول به حسن جليل ، "والأحسن أن في الآية احتباكاً" ^(٥) ، وهو كذلك ؛ لأنه يعظم في النفوس حب الإقبال على ملازمة الإيمان ، والحرص على الدعوة إليه ، وهذا من أسمى مراتب التصعيد الإيماني . ومنهم من يرى أنه متكلف لا يصار إليه إلا للضرورة ، «ومثله لا يرتكب من غير ضرورة ، فالأولى تركه» ^(٦) ، وقيل : "وهو ممقوت" ^(٧) . أمّا جمهرة

(١) ينظر : المرجع السابق ١٦/٨٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٦/١١١ بتصرف .

(٣) تفسير البيضاوي ٤/٤٣٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٦/١١١ بتصرف .

(٥) حاشية الصاوي على الجلالين ٣/٣٢١ .

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي ٧/٢٣٧ .

(٧) روح المعاني ٢٢/٢٢٧ .

المفسرين على القول بأن الآية من قبيل الالتفات^(١) .

ومن أبرز لطائف النظم بجانب الاحتباك دقة التعبير — ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ "مبالغة في تهديدهم بتخويفهم بالرجوع إلى شديد العقاب مواجهة و بصريحاً ، ولو قال : (وإليه أرجع) كان فيه تهديد بطريق التعريض ، وعد التعبير بـ ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ بعد التعبير بـ ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ﴾ من باب الالتفات لمكان التعريض بالمخاطبين في ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾" (٢) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ (النجم:

١٩-٢١، ك) ، احتباك "دل ذكر اسمها في أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة ، وإنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته " (٣) . وعليه فالحذوف من الطرف الأول (كيف ادعيتم أنها آلهة ، أهي كذلك؟) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾ ، ومن الطرف الثاني (ادعيتم أنها بناته) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ . وتقديره : " فكيف ادعيتم أنها آلهة أهي كذلك ؟ مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولاداً ، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة ، وتكونوا لها عباداً ، مع أنها لم تتزل لكم وحيّاً ، ولا أرسلت لكم رسولاً ، ولا فعلت مع أحد منكم شيئاً مما كرّمنا به عبدنا محمداً ﷺ ولا أرتكم قط آية ، ولا هي متأهلة لشيء من ذلك ، بل لا تملك ضراً ولا نفعاً . وادعيتم أنها بناته ، واستوطنها جنيات هي بناته ، وادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يلزم به حاجة ، ولا شبه له أن له أردأ الصنفين" (٤) .

وسرّه أن ذلك أدل على بطلان قولهم ؛ ليعلم كل آدمي أن ذلك غاية في الهديان ، فلا يصح في العقل مطلقاً اعتقاد أنها تملك أدنى قدر من القدرة على شيء . فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في المقام الأول في إنكار ما اعتقده القوم من أن

(١) هو : «التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب ، والغيبة ، بعد التعبير عن ذلك المعنى

بطريق آخر من الطرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر » . المطول ، ص ٢٨٦

وما بعدها .

(٢) روح المعاني ٢٢/٢٢٦ .

(٣) نظم الدرر ١٩/٥٩ .

(٤) الموضوع السابق .

آهتهم لها نصيبٌ من الشفاعة عند الله ، فتحقق إبطال حديث الغرائق^(١) مما قيل ؛ إذ ردد البعض أن الشيطان ألقى على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حين بلغ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴾ (تلك الغرائق...) ، فسر لذلك كل مشرك^(٢) ، " وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك ، فازدادوا شرّاً إلى ما كانوا عليه " ^(٣) .

فالأنفع للسياق والأجدي بما يقتضيه المقام حمل النظم على الاحتباك ؛ لما احتواه من معانٍ ثرية لطيفة أبرزت حقيقية بطلان ما ألقى الشيطان على لسان رسوله ؛ إذ " نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته " ^(٤) ، كما أن في تدبر سياق السورة أثراً فاعلاً في ترسيخ مبدأ الوحداية الجليل ؛ ليتمكن في النفوس أفضل تمكن ، فمقصودها " ذم الهوى ؛ لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاق إلى الدنيا... ومدح العلم ؛ لإثماره الهدى في الإقبال على الآخرة ... والحث على اتباع النبي في نذارته وبشارته ؛ لأنّ علمه هو العلم الذي لا ينطق عن الهوى لا في صريح الكناية ولا في بيانه له ؛ لأنّ الكل عن الله الذي له صفات الكمال " ^(٥) ، فتحقق أنّ في ذم الهوى ، ومدح العلم ، والحث على اتباع النبي إشارات عليّة تُوجب على البشر الإقبال والالتزام بما يقوي التوحيد ويبطل الشرك ، وهذا ينبئ بأنّ القول بالاحتباك يسعى جاهداً لإنقاذ البشر من الوقوع في الشرك ، والارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني . أمّا السياق الخاص فمبني على تعمق معنى الإنكار للمشركين في عبادة معبوداتهم ؛ ليرشدهم إلى أنّها غير صالحة لذلك ، فأثبت الحذف أنّ تلك المعبودات على مختلف أجانسها لا تملك ضرراً ولا نفعاً بأي وجه من الوجوه ، وبالوقوف عند براعة الاستفهام بـ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ﴾ يتحقق عمق دلالة الإنكار لبطلان عبادتهم ، كما أنّ في تعدّد ذكر الآلهة ﴿ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ

(١) يقول الرازي في هذا الباب : «هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين ، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول » ، وأثبت ذلك بما يؤيد بطلانها . ينظر : التفسير الكبير ٤٤/٢٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٧/١٨٨ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) نظم الدرر ٤٠/١٩ .

الْأُخْرَى ﴿إشارة عظمى تُعلم البشر بمكانة الإله عندهم ، فـ"قد يكون سافلاً ، ويكون ملازمًا للإنزال و للسفول بكونه أنثى " (١) . كما أبرز الحذف دلالي التقرير والتويخ في : ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى﴾ لود قولهم : الملائكة بنات الله (٢) ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

*

- القول شبه الاحتباك :

قيل في قول الحق ﷻ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٣) (الفاحة ، ٧، ك) ، "فحصل شبه الاحتباك ، وهو أن كلا الفريقين نال حظاً ا من الوصفين إلا أن تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في الضلال ، فالمراد المغضوب عليهم غضباً شديداً ؛ لأن ضلالهم شنيع . فاليهود مثلٌ للفريق الأول ، والنصارى من جملة الفريق الثاني " (٤) ، وعليه فالتقدير : غير المغضوب عليهم من اليهود ، ولا الضالين من النصارى .
وسرّه أن ذلك أدل على تحقق أنهم قسمان : "قسم أريد للشقاوة ، فعاند في إخلاله بالعمل ، فاستوجب الغضب ، وقسم لم يُرد للسعادة ، فضلّ من جهة إخلاله بالعلم ، فصار إلى العطب" (٥) ، ففي الحذف إشارة توجب السعي إلى الإيمان رجاءً في فيض الرحمانية ، وخوفاً وخوفاً من شدة الغضب .

فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق بالغ بدلالة السياق ؛ لما تحقق فيه من بروز مظاهر الإنعام المطلق في الهداية إلى الصراط ؛ لأنه لا يضل بمهتديه ؛ لإحاطته وشمول سريانه (٦) ؛ لهذا فالقول بالحذف على نسق شبه الاحتباك ذو أثر بالناية بالتصعيد الإيماني المقتضي إثبات

(١) المرجع السابق ٥٨/١٩ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي ٢٥٦/٥ .

(٣) «المغضوب عليهم الذين ظهر منهم المراغمة ، وتعمد المخالفة ، فيوجب ذلك الغضب من الأعلى ، والبغض من

الأدنى ، والضالين الذين وجهوا وجهة الهدى فراغوا عنها من غير تعمد ذلك « تراث أبي الحسن الحرالي في

التفسير ، ص ١٥١ .

(٤) التحرير والتنوير ١٩٩/١ .

(٥) نظم الدرر ٤٠/١ .

(٦) ينظر : تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ١٥٠ .

استحقاق الله لجميع صفات الكمال والجلال المستلزم صرف العبادة له ، وهذا أصل عليّ من أعظم أصول العقيدة الصحيحة الساعية لإقامة التوحيد^(١) . فثبت بالحذف إعلام البشر بحسن التزام طريق الفائزين ، " إيماء إلى أن الإسلام واضح المحجة قويم المحجة لا يهوي أهله إلى هوة الضلالة"^(٢) ، وتقبيح لزوم طريق المهالكين من المغضوب عليهم والضالين ، فاليهود تمردوا على أنبيائهم وأحبارهم ، وبدلوا الشريعة عمداً فلزمهم وصف المغضوب عليهم ، والنصارى ضلوا بعد الحواريين وأسأوا فهم معنى التقديس في عيسى ، فزعموه ابن الله على الحقيقة^(٣) . ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عظيمة تُعلي من شأن التمسك بسلوك طريق الهدى ، " والصراط الأكمل ، وهو المحيط المترتب على الضلال الذي يعبر به عن حال من لا وجهة له ، وهو ضلال ممدوح ؛ لأنه يكون عن سلامة الفطرة ؛ لأن من لا علم له بوجهة، فحقه الوقوف عن كل وجهة ، وهو ضلال يستلزم هدى محيطاً منه ، وأما من هُدي وجهة ما فضل عن مرجعها ، فهو ضلال مذموم ؛ لأنه ضلال بعد هدى ، وهو يكون عن اعوجاج في الجبلية"^(٤) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَثَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس ٣٥، ك) ، شبه احتباك «ذكر (إلى الحق) أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، وذكر (للحق) ثانياً دليلاً على حذفه أولاً»^(٥) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (يهدي للحق) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يهدي إلى الحق) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ في الطرف الأول وتقديره : قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق فضلاً عن أن يهدي للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلاماً ، قل الله يهدي للحق إن أراد ، ويهدي إلى الحق من يشاء^(٦) .

(١) ينظر : نظم الدرر ٢١/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٠/١ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ١٥١ .

(٥) نظم الدرر ١١٧/٩ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١١٧/٩ ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه - وأسراره ، ص ٢٣١ .

وسرّه أنه ذكر الأدل على تمكّن النقصان ؛ لاستواء الحالتين-الهداية إلى الحق وللحق- في عدم الاستجابة في حق المربوب ، تنبيهاً إلى كمالها في حق الرب المعبود .

فما حققه الحذف من أوجه التناظر بين المعاني يبرز في بيان قدرة الله في أمر الهداية التي هي سبب السعادة ؛ لمحاولة إبعاد الشرك عن النفوس البشرية من خلال ترسيخ مبدأ الكمال لله ؛ ليُعلم أنه وحده القادر على الهداية للحق وإلى الحق أمّا غيره فلا . وفي تبصر سياق السورة يتبين أنّ الأسمى لما يقتضيه النظم القول بشبه الاحتباك ؛ لما يحققه السياق البعيد من إبراز معالم وحدانية الله ، فمقصودها " وصف الكتاب بأنه من عند الله ؛ لما اشتمل عليه من الحكمة ، وأنه ليس إلا من عند الله سبحانه ؛ لأن غيره لا يقدر على شيء منه ، وذلك دال -بلا ريب- على أنه واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره" (١) ، وهذا مما يعلي القول بالحذف ، ويبرز دقيق لطائفه وجليل أسرارهِ المتمثلة في الدعوة إلى التعرف على وحدانية الله ، وعلى الرغم من معرفة المشركين بتوحيده في ربوبيته ، إلا أنهم أشركوا غيره في ألوهيته ، أمّا السياق القريب فخاطب العقول بما يزيد نماءها ويحقق رُشدَهَا إلى معرفة الله ، بإثبات معالم القدرة والعظمة له ، فشركاؤهم الذين زعموا أنهم شركاء ، لم تكن شركتهم إلا لهم ؛ لأنهم جعلوا لهم حظاً من أموالهم وأولادهم (٢) ، فتحقق بالحذف مزيد تأكيد على تمكّن النقص من آلهتهم فهي لا ترشد ضالاً من ضلالته ، ولا تهدي جائراً مطلقاً (٣) ، فالله يهدي الضال عن الهدى إلى الحق ، ويرشد الجائر عن الرشد إلى الرشد لا محالة (٤) فمن كان قادراً كان أحق بالاتباع . كما أن في إعلام المشركين بأن شركاءهم لا يقدرّون على شيء ، فليس لهم نصيب من القدرة على الهداية نعمة جليلة بما يُدفع الشرك ، ويستدل على وجود الصانع القادر على الخلق والهداية (٥) ، " ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط ، بيّن تعالى أنه لا يهديها إلا هو ، بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم ، فإنه ما كان منها لا روح فيه جماد لا

(١) نظم الدرر ٦١/٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١١٧/٩ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : البحر المحیط ١٥٧/٥ .

تأثير له ، وما فيه روح فليس قادراً على الهداية ، بل الله تعالى هو الذي يهديه " (١) .
ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يرى لتقدير الاحتباك هنا معنى (٢) ، وفيه نظر ؛ لما احتواه من تحقق جملة ثرية من المعاني الإحسانية المتعلقة ببيان مظاهر القدرة المتصلة بأحوال الروح في الهداية ، فأسهم بشكل فاعل في تأكيد ذلك ؛ ليعلم البشر بأهم معالم وحدانية الله .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف: ٣٨، ك) ، شبه احتباك " ذكر نفي الشرك أولاً يدل على وجوده ثانياً ، وذكر نفي الشكر ثانياً يدل على حذف إثباته أولاً" (٣) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (شكرنا الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يشركون) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ؛ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وشكرنا ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ويشركون (٤) .
وسرّه أنه ذكر الأهم ، وهو : التحلي عن الشرك ؛ لأنه أدل على تمكن الإخلاص في العبادة ، وعدم الشكر على النعم ؛ لأنه أدل على الكفر .

فالقول بالحذف سببٌ في تأكيد معنى الوحدانية الجليل ، وذلك من خلال إبراز التقابل في النظم بين ما دل على صدق العقيدة وصحتها في : ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾ ، وبين فساد الاعتقاد وسقم العقيدة في : ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٥) ، فتحقق بالحذف الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك في سياق إثبات دلائل القدرة ، فالسياق العام يعضد القول بالحذف ؛ لأنه سعى في المقام الأول إلى " وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يُوجب الهدى " (٦) ، فمن الواجب تبصر

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع- وأسراره ، ص ٢٣١ .

(٣) نظم الدرر ١٠/٨٦ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٠/٨٥ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقع-أسراره ، ص ١٤٨ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ١٢/١٩٨٩ بتصرف .

(٦) نظم الدرر ١٠/١ .

مواطن الإبانة لكل ما يُوجب الهدى ؛ لأن ذلك يُعظم الإيمان في النفوس ، ويدفع إلى شدة التمسك بالطاعات والمحافظة على العمل بها ، ومن أبرز مواطن الإبانة موضع الحذف في الآية ؛ لكون الغاية العظمى التي يسعى لتأكيدھا وترسيخھا في العقول والأذهان دفع الشرك والكفران ، والتمسك بالتوحيد والشكر عليه ، والخاص تضمن الدعوة إلى إثبات التوحيد لله وما يترتب عليه ، وترك ملة أهل المدينة وما يترتب عليها^(١) . فهذان المقصدان ازدادا حسناً بما تحقق في النظم من حذف ؛ حثاً على اتباع الوحي المقتضي نفي الشرك على الإطلاق ، وتفويض الأمر إلى الله^(٢) ، وهذا ما تحقق في الركنين الجوهريين ، الأول : نفي الشرك عن نفسه مطلقاً باتباعه الملة الحنيفية ، والثاني : نفي الشكر منهم ، مع أن الراسخ في أذهانهم أن الله وحده هو المنعم ، فمن الواجب عليهم شكره^(٣) . وبهذين الركنين يتضح المراد ، وهو اتباع الملة الحنيفية في مقابل التحلي عن الشرك ، ولزوم الشكر على النعم في مقابل لزوم التبصر في تلك النعم التي من أجلها نعمتا التوحيد والشكر^(٤) ، ولكن وراء الحذف مقاصد تحققت بالمعاني الإحسانية التي تسمو بالبشرية من حياة الجهل في معرفة الخالق إلى التبصُّر في دلائل القدرة والتفرد ، "فمن يكفر بالله لا يشكر ؛ لأنه لا يعلم من أنعم عليه ولا يعرف المتفضل بتلك النعم"^(٥) ؛ كما أن في الحذف تعريفاً للعباد بأن الهداية إلى التوحيد فضل من الله في تناول الناس جميعاً لو اتجهوا إليه ؛ لأن في فطرتهم أصوله وهواتفه ، وفي الوجود موحياته ودلائله ، وفي النبوة بيانه وتقريره . ولكن الناس هم الذين لا يتبصرون في هذا الفضل^(٦) . ثم إن في الحذف دعوة إلى حسن الاقتداء بأنبياء الله في الاتباع ، فيوسف عليه السلام أفصح عن عقيدته ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (يوسف: ٣٧، ك) ، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (يوسف: ٣٨، ك) ، فكما وجب على أنبياء الله اتباع الملة الحنيفية وجب ذلك على كل أحد ؛ إذ جعل الفطر الأولى منقاداً لها مقبلة

(١) ينظر : جامع البيان ٢١٨/١٢ ، والتحرير والتنوير ٢٧٢/١٢ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩١/٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٧٦/١٠ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٧٨/٤ بتصرف .

(٥) جامع البيان ٢١٨/١٢ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن ١٩٨٩/١٢ .

عليها ، فحق على أهل الأرض إخلاص التوحيد لله شكراً على فضله ، فمن لم يعمل بما قام عليه الدليل خرج من اتباع الدين الحنيفي^(١) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣، ك) ، شبه احتباك "ذكر الملك أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والملك ثانياً دليلاً على حذفه أولاً"^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مالك كل شيء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ليس لهم شيء من الملك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ذلكم الله ربكم له الملك ، وهو مالك كل شيء ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قِطْمِيرٍ ، وليس لهم شيء من الملك^(٣) . وسره أنه ذكر أبرز صفات الربوبية وأظهرها ؛ لأنها أدل على التحلي بالتوحيد ، وأحقر صفات المعبودين من دون الله وأقبحها ؛ لأنها أدل على التحلي عن الشرك . فالآية تشير إلى إبراز المقصد الأعظم ، وهو : تمام القدرة الدالة على التفرد الإلهي له ﷻ^(٤) ؛ مما يدل على أنه لا يعجزه شيء ، فهو الرب دون غيره ، والسياق -هنا- تضمن معاني العظمة الإلهية ؛ لذا ختم الآية بالملك الناظر إلى القسر والقهر^(٥) .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل فيما تنتجه أوجه التقابل -بين ﷻ له ﷻ ، و﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ - من لطائف المعاني ؛ حيث أحدث الحذف علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني ذات حسن من أجلها : إبراز مظهر العظمة في إثبات أوصاف التفرد لله ، وتلك العظمة تبعث في النفوس الغافلة عمق جهلها في الانصراف عن عبادة ربها إلى عبادة حجارة جامدة ، وهذا متحقق بالركنين المذكورين ، الأول : في إثبات الملك لله وحده بدلائل عظيمته وقدرته ، والثاني : في نفي أقل مقدار من

(١) ينظر : نظم الدرر ١٠/٨٦ .

(٢) المرجع السابق ٢٩/١٦ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٦/٢٨ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقع -أسراره ، ص ٣٥ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي ٤/٤١٥ ، و إرشاد العقل السليم ٧/١٤٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٦/٢٧ وما بعدها .

القدرة والإرادة لما عبد من دون الله بأقل مقدار من النظر المجرد عن التأمل ، "فكونهم لا يملكون أعظم من القطمير معلوم وحاصل بالمشاهدة" (١) . فهما كفيلا لتعريف العباد بخالقهم من خلال مظاهر القدرة المطلقة . ولكن وراء الحذف مقاصد ، من أهمها : تثقيف النفوس البشرية للسمو في عبادتها سمواً ترتقي به من عبادة الأصنام إلى عبادة الله ، وهذا يأخذ بأيدي العباد إلى مقام العبادة الأمثل ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما أولاً في تأكيد إثبات مطلق القدرة لله (مالك كل شيء) ، وثانياً في تأكيد نفي أقل مقدار من الملك لما عبد من دون الله (ليس لهم شيء من الملك) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى تكلف القول بالحذف (٢) . وفيه نظر ؛ إذ القول بالحذف أبرز لطيف معان أرشدت العباد إلى حسن الطاعة والقرب من الله .

*

وفي قول الحق **﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾** مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ

نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿غافر: ٧٣-٧٤، ك﴾ ، شبه احتباك "ذكر الإشراك أولاً دليلاً على نفيهم له ثانياً ، والدعاء ثانياً دليلاً على تقديره أولاً" (٣) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بدعائكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿نَدْعُوا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أشركنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُشْرِكُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ثم قيل لهم : أين ما كنتم تشركون بدعائكم؟ قالوا: ضلوا عنا، بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ؛ لنكون قد أشركنا به٤) . وسره : أنه ذكر ما اقتضاه السياق -الإشراك بالله ، ودعاء غيره- ، لكونه يشير إلى سوء مآل الكافرين ؛ لما هم عليه من الكفر بالله واتخاذ الشريك ، فهذا يث روح الذعر في نفوس المشركين ؛ أملاً في الرجوع إلى معرفة الحق بعد الخروج عنه ، و" تحذيراً للمكذبين من سطواته ، وتذكيراً لهم بأن العمل مع الرسول عمل مع مَنْ أرسله" (٥) .

فالصورة التركيبية للحذف تدعو في مجملها إلى إثبات التوحيد ونفي الشرك ، من خلال

(١) التحرير والتنوير ٢٢/٢٨٣ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسواره ، ص ٣٥ .

(٣) نظم الدرر ١٧/١١٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٧/١١٦ وما بعدها بتصرف ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه - أسواره ، ص ٣٠٤ .

(٥) نظم الدرر ١٧/١١٧ .

ما أظهرته أوجه التناظر من فساد الإشراف ؛ ليعلم الجميع علماً يقيناً أنهم في الشرك لا يجدون ناصرًا يخلصهم ، ولا شافعاً يخصصهم ، بخلاف التوحيد فبه يطلبون من ربهم تخلصهم ، ومن نبيهم تخصيصهم^(١) ، وهذا المعنى تكوّن بمعونة السياق العام للسورة ، فمقصودها الإشارة إلى " تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين ، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل ؛ بأن فاعل ذلك له العزة الكاملة ، والعلم الشامل ، وقد بين ما يغضبه وما يرضيه غاية البيان"^(٢) ، وفي تبصر دلالة هذا السياق تتحقق خاصيتان من أجل وأعظم الخصائص ، الأولى : تُعَلِّمُ البشر أن الشرك مما يغيضه الرب ، فدفع غضبه لا يكون إلا بملازمة الطاعة ، وبهذا تقرر الجانب الأهم من جوانب العقيدة ، وهو : الدعوة إلى التوحيد والإخلاص في العبادة في الدنيا ؛ لأنهما يكشفان عن خاصية الإيمان الحقيقي في الآخرة التي هي جُلُّ المقصود والمدار الأعظم لمعرفة المعبود^(٣) ، والثانية : ترشد إلى التحلي بلزوم الصدق لزوماً يُعْظَمُ في القلوب حب الإيمان والارتقاء به ، ويخلصها من شوائب الكفر والابتعاد عنه ؛ لأنه مفتاح النفع الذي به تَحْلُصُ الأُفئدة إلى ربها فتصعد في مقام القرب منه ، أمّا السياق الخاص فاقترضى أن يأتي النظم على نحو : ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون بدعائكم؟ قالوا : ضلوا عنا ، بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ؛ لنكون قد أشركنا به ، ليحقق مقاصد ، من أبرزها : المساهمة في تعريف المشركين حقيقة جرمهم الذي يوصلهم إلى شدة العذاب حينما يسألون " فيجيبون إجابة المخدوع الذي انكشفت له خدعته وهو بائس حسير"^(٤) . كما أسهم في إعلامهم أن الاعتراف بالخطأ ، والندم على قبيح الفعل لا ينفع عند حلول العذاب^(٥) ؛ وذلك بقصد إبعادهم عن الشرك ؛ حتى لا يتعرضوا لشدة العذاب وهول المساءلة ، فالتعبير بصيغة ﴿قِيلَ﴾ ؛ دلالة على تحقق الوقوع ، والسؤال للتوبيخ .

*

(١) ينظر : المرجع السابق ١١٦/١٧ .

(٢) المرجع السابق ١/١٧ .

(٣) ينظر : روح المعاني ٨٦/٢٤ بتصرف .

(٤) في ظلال القرآن ٣٩٧/٢٤ .

(٥) ينظر : روح المعاني ٨٦/٢٤ بتصرف .

المطلب الثاني: نفي القدرة على النفع والضرر لبني الإنسان وإثباتها لله وحده .
- القول بالاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (المائدة: ٧٦م) ، احتباك "دلّ بما أثبتته لنفسه (على سبيل القصر) على نفيه في الجملة الأولى عن غيره ، وبما نفاه في الجملة الأولى عن غيره على إثباته له " (١) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لا هو سميع يسمع ولا عليم يعلم) ؛ لدلالة ذكر ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني (والله وحده الضار النافع) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ، ولا هو سميع يسمع ولا عليم يعلم ، والله وحده الضار النافع ، وهو السميع العليم .

وسره : أنه نفي عنهم أعظم الصفات الصالحة لرتبة العبودية ؛ إظهاراً لعجزهم ونقصهم . وأثبتها لنفسه ؛ تأكيداً لتفردّه وكماله . فقد أثبت له صفتي السميع العليم ، " وإنما قرن بالسميع العليم دون البصير ؛ لإرادة التهديد لمن عبد غيره ؛ لأنّ العبادة قول أو فعل ، ومن الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ، ولا يدرك بالبصر ، بل بالعلم" (٢) .

إن الغرض الأسمى من القول بالاحتباك تمثّل في إبراز المقصد الأعظم ، وهو إثبات الوجدانية والعظمة لله ، ونفي القدرة نفيّاً مطلقاً عن غيره ، ليتحقق في العقول والقلوب عظيم دلائل التوحيد الدالّة على وجود الله . فجمال الحذف وهيبته يظهران بعد مراعاة السياق العام بما تقرر فيه من الدعوة إلى الوفاء بالعقود توحيداً للخالق ، ورحمة للخلائق ، ففي إعمال الشكر جلبٌ للنعم ، واستدفاعٌ للنقم (٣) ، والخاص بما تقرر فيه من إبطال دعوى اليهود والنصارى في عبادة غير الله - المسيح عيسى بن مريم - بنفي أهم الصفات الموجبة للعبادة عنه ؛ ليتقرّر في أنفسهم أنه ليس أهلاً لأن يعبد من دون

(١) نظم الدرر ٢٥٧/٦ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/٦ .

الله^(١) . فأصل المعنى متحقق في المعاني الجوهرية ، الأول : في إبطال عبادة من لا يملك ضرراً يدفعه ، ولا نفعاً يجلبه^(٢) ، والثاني : في إثبات صفتي ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لله ؛ دلالة على أنه ﷻ المختص بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها الأقوال الباطلة والعقائد الزائغة^(٣) ، فثبت بالركنين المذكورين تحقق وحدانية الله ، ولكن وراء الحذف دقائق عظام ، من أجلها : الدعوة إلى عبادة من يملك مطلق القدرة على دفع الضرر وجلب النفع ، وهذه صفة ثابتة لله أدركه ا من أخلص في الإيمان ، وعرف جوهرها من تأمل في عظمة تلك القدرة ، فطابت نفسه وأنس بالله ؛ لأن من عرف الله حق المعرفة أحبه ؛ لأنه مصدر جلب النفع له ودفع الضرر عنه ، وهذا ما كشفه الركن الأول من أركان الاحتباك (والله وحده الضار النافع) . أمّا الركن الثاني فنفي عن الشريك أعظم صفتي القدرة على العبادة -بما ناسب المقام والحال- (ولا هو سميع يسمع ولا عليم يعلم) ، فمن كانت هذه صفاته كان في عدم القدرة والعجز عن نفع نفسه أمكن . وهذا أجود عطاءً في ترك الشرك والإقرار بالتوحيد ، كما أن في الحذف إرشاداً نبيلاً به يتبصر المرء حقيقة عجز البشر ، ويتعجب من الغفلة عن إدراك هذه العظائم ، فلو لم يكن لهم إلا إمعان النظر في أنفسهم ، لتلمسوا عظمة الله في ذلك .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخْرًا فَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧، ك) ، احتباك ؛ إذ المحذوف من الطرف الأول (فهو على كل شيء قدير) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فلا مانع له إلا هو) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ في الطرف الأول^(٤) . فقبل في تقديره : "إن يمسسك الله بضر وشر ، وإن يمسسك بنفع وخير"^(٥) ، ولكن الأعلى بمقام

(١) ينظر : المرجع السابق ٢٥٦/٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٣١٦/٦ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٦٨/٣ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣٩/٧ .

(٥) التحرير والتنوير ١٦٣/٧ .

الخطاب جعل التقدير على نحو : وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، فهو على كل شيء قدير ، وإن يمسسك بخير فلا مانع له إلا هو ، فهو على كل شيء قدير ؛ لتضمنه تمثيل أركان الاحتباك .

وسرّه أنه ذكر الأعظم لشمول قدرته ؛ تنبيهاً لرسوخ عرا الإيمان في قلب نبيه محمد ﷺ ، وأماناً له - ﷺ - بأن المشركين مهما حاولوا إضراره لا يضرونه بشيء .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في إثبات مطلق القدرة والإرادة لله في جلب النفع ودفع الضرر مطلقاً ، وهذا من أبرز معالم وحدانية الله ، وفي تبصر دلالة السياق العام ما يُعلي من حمل النظم على الحذف ؛ لكون السورة بكليتها تهدف إلى إقامة التوحيد بإيضاح أبرز معالم القدرة الموجبة الكمال من الإيجاد والإعدام والبعث^(١) ، فتقرر أن الغاية العظمى تحققت في تعريف البشر بعظيم دلائل القدرة الموجبة صرف الشريك عن الله ، فلا يجوز في العقل أن يتخذ غيره ولياً ؛ لأنه لا كفؤ له^(٢) ، وهذا المرتكز الذي يقوم عليه الاحتباك ويسمو إلى إنمائه في النفوس .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُنَجِّرْكَ فَلا رَادَّ

تنبيه : ما ذكره ابن عاشور من احتباك في الآية الكريمة داخل في إطار صورة الاحتباك السابقة ؛ لكونها أوسع وأشمل لإيضاح المراد من المعنى من خلال السياق ، فصورة التقابل التي أشار إليها ابن عاشور - كشفت عن جزء من المعنى المراد ، من حيث القدرة على إيقاع الضرر والشر ، والنفع ، والخير . ثم إن التنكير في : ﴿ يَضْرُ . . . يُنَجِّرُ ﴾ عام يشمل كل ضرر ، فيدخل الشر ضمن الضرر ، وكل خير ، فيدخل النفع ضمن الخير ، «وقابل قوله : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرًا ﴾ بقوله : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ بَخَيْرًا ﴾ مقابلة بالأعم ؛ لأن الخير يشمل النفع ، وهو الملائم ، ويشمل السلامة من المنافر ، للإشارة إلى أن المراد من الضر ما هو أعم . نظم الدرر ١/٧ . وبهذا يتضح أن صورة الاحتباك الثانية تُعد بمثابة بيان لمعنى الآية ، وليس تقديراً لحذوف اقتضاه السياق «والضر - بفتح الضاد - ضد النفع ، و ناب الضر في هذه الآية مناب الشر ، وإن كان الشر أعم منه ، فقابل الخير ، وهو من الفصاحة عدول عن قانون التكلف والصنعة» . المحرر الوجيز ١٨/٦ . «والذي يقابل الخير هو الشر ، وناب عنه هنا الضر ، وعدل عن الشر ؛ لأن الشر أعم من الضر ، فأني بلفظ الضر الذي هو أخص ، و بلفظ الخير الذي هو عام مقابل لعام تغليباً لجهة الرحمة» . البحر المحيط ٩٢/٤ .

(١) ينظر : نظم الدرر ١/٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٣٩/٧ .

لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ (يونس: ١٠٧، ك) ، احتباك "ذكر المس أولاً دليلاً على إرادته ثانياً ، والإرادة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً" (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أراده) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا رَادَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (المس) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَمَسُّكَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ؛ لأنه أراد ، وإن يردك المس بخير ، فلا رادَّ لفضله (٢) .
وسره أنه ذكر أعظم الصفات الدالة على تمام القدرة "ولم يستثن في الإرادة كما استثنى في الكشف ؛ لأن دفع المراد محال ، وعبر بالإرادة في الخير وبالمس في الضر تنبيهاً على أنه ﷺ مراد بالخير بالذات وبالضر بالعرض ؛ تطبيياً لقلبه" (٣) .

فلاحتباك أسهم في إثبات حقيقة جلب النفع ودفع الضر لله وحده ؛ لكونه المتفرد بذلك ، ولتحقق إعلام المرء بعظم إرادة الله ، لأن ما أراد لا يكون غيره مطلقاً ، فلا يرجى سواه في أن يبدله خيراً (٤) ، وهذا المقصد يزداد حسناً بمراعاة السياق العام بما تقرر فيه من " وصف الكتاب بأنه من عند الله ؛ لما اشتمل عليه من الحكمة ، وأنه ليس إلا من عنده ؛ لأن غيره لا يقدر على شيء منه ، وذلك دالّ - بلا ريب - على أنه واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره " (٥) . والخاص بما تقرر فيه من تأكيد النهي عن الشرك (٦) .
فالقيمة الحقيقية للمعنى المراد - إن يمسسك الذي لا راد لأمره بضر فلا كاشف له أصلاً بوجه من الوجوه إلا هو ، وإن يردك بخير فإنه لا راد لفضله (٧) - تحققت بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر ﴿وإن يمسسك الله بضرٍ﴾ ، والثاني : في ذكر ﴿...فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ ، ولكن وراء الحذف أسراراً ؛ منها : ترسيخ مبدأ الإيمان والرضا بقضاء الله

(١) المرجع السابق ٢١٨/٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢١٧/٩ وما بعدها بتصرف ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه - أسراره ، ص ١١٩ وما بعدها .

(٣) نظم الدرر ٢١٨/٩ وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) المرجع السابق ٦١/٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٢١٨/٩ .

(٧) ينظر : الموضوع السابق .

لبي البشر ، وهذا من أعظم أركان الإيمان ، كما أن فيه إرشاداً جليلاً يُعلم النفس مبدأ حسن الانضباط ؛ لتحسن الظن برّبها ، ولتعتقد أنّ ما قُدِّرَ لها خير ، وفي القدرة على المس بالضر والخير وعدم الانفكاك عنهما منافع خفية لا يعلمها إلا الله ؛ لذا فمن الواجب تعلم مبدأ الانضباط وحسن الظن بالله ، وهذا أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين-الأول : في إثبات مطلق القدرة على الإرادة ، والثاني : في إثبات مطلق القدرة على المس بالخير-أسهما في الحث على صحة الإيمان في الإقرار بالفعل والعمل في طاعة الله ، وكمال التقوى في إثبات التسليم له في كل أمر ، وتعلم الصبر في مواجهة أقدار الله له ، ففيهما من عظيم الحكم والمنافع ما يعجز البشر عن إدراكه .

ومن لطائف النظم المجاز المرسل في ﴿يَمَسُّكَ﴾ أي : يصبك ؛ لكون المس في حقيقته وضع اليد على جسم لاختبار ملمسه ^(١) . ثم التنكير في : (ضر ، خير) " للنوعية الصالحة للقلة والكثرة" ^(٢) .

*

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١١/٤٠٦ .

(٢) الموضوع السابق .

المبحث الثاني : أدلة قدرة الله وإثبات عظمته :

المطلب الأول : مظاهر قدرة الله .

-القول بالاحتباك.

يقول تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩م). ففي قول الحق ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ احتباك "حذف أولاً كون الأراضى سبعاً لدلالة الثاني عليه ، وثانياً كون ما في السماء لنا لدلالة الأول عليه " (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بعد أن سواهن سبعاً) ؛ لدلالة ذكر : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني (خلق لكم ما في السماء) ؛ لدلالة ذكر : ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً بعد أن سواهن سبعاً ، وخلق جميع ما في السماء لكم فسواهن سبع سموات . وسره أن الحكمة من وراء هذا الحذف معنوية عظيمة ، أداة استخراجها التأمل والتبصر في الإدراك ، فما ذكر وحذف من الطرف الأول-كون ما في الأرض لنا- ، وكون ما في السماء لنا- يدرك بالبصر . وما حذف وذكر من الطرف الثاني -كون السموات سبعاً- ، وكون الأراضى سبعاً- يدرك بالبصيرة ، فليتبصر أولو الأبصار ، وهم قلة ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص:٢٤ك) .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الاحتباك تمثل في إظهار مبدأ العظمة المقتضي إثبات صفة الألوهية ؛ إذ "ساق سبحانه ابتداء الخلق الذي هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ؛ ليكون داعياً إلى توحيده من وجهين : كونه دالاً على عظمة مؤثره وكمال قدرته ، وكونه إحساناً إلى عباده ولطفاً بهم" (٢) ؛ أملاً في تبصّر عظيم النعمة ، وحثاً على الرجوع إلى التوحيد ، فالسياق الأعظم للسورة جاء مقررراً لأصول العقيدة الصحيحة التي تقوم في أصلها على التوحيد الخالص ، وهذا ما أرشد إليه السياق العام ، أمّا الخاص فبدأ بإظهار دلائل قدرة الله ؛ حتى يثبت للمتبادي على الحق في

(١) نظم الدرر ١/٢٢٥ .

(٢) الموضوع السابق .

الكفر به عجزه^(١) ، فأصل المراد - وهو : تحقق معنى التفرد الإلهي من خلال إبراز مظاهر القدرة على الخلق - متحقق في الركنين المذكورين ، الأول : في إنعام الله علينا بوافر الفضل ، بأن خلق لنا كل ما في الأرض ، والثاني : في كمال القدرة بخلق السموات سبعاً . ولكن وراء الحذف مقاصد ، من أجلها : الكشف عن عظيم القدرة في الخلق والإبداع ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما أولاً : في إثبات إنعام آخر -مقابل لما ذكره- وهو : خلق كل ما في السماء لنا ، والثاني : في إثبات مظهر آخر من مظاهر العظمة والسلطان -مقابل لما ذكر- ، وهو : خلق الأراضي سبعاً ، وفيهما من مطلق الإحسان والرحمة ما يجعل المرء يرتقي في مقامات القرب من ربه إخلاصاً في العبادة له ، ولا يخفى على ذي بصيرة أثر نعمتي التأمل والشكر في فتح آفاق المعرفة للعقل البشري ، فبهما يتوصل إلى معرفة ربه الخالق المنعم ، ولا يكون إلا إذا أصبح الإيمان صفةً من أمكن صفات ذلك المرء .

*

وفي موضع آخر يقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (الأعام: ٩٦، ك) . ففي قول الحق ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ احتباك "حذف من الأول الحركة ودل عليها بالسكن ، وحذف من الثاني السدل ودل عليه بالفلق"^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الحركة) ؛ لدلالة ذكر السكون ﴿ سَكَنًا ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (السدل) ؛ لدلالة ذكر الفلق ﴿ فَالِقُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فالق الإصباح وجاعله حركة ، وسادل الليل وجاعله سكناً . وسره : أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة وتمام الحكمة المتمثلة في إبراز القدرة على البعث ، "فللق من أعظم الدلائل على قدرته ﷻ ، وفيه دالتان ؛ لأن الإصباح يشمل الفجر الكاذب والصادق ، والأول أقوى دلالة ؛ لأن مركز الشمس إذا وصل إلى دائرة نصف الليل -فالموضع الذي تكون تلك الدائرة أفقاً له- تطلع الشمس من مشرقه ، فيضيء في ذلك الموضع نصف كرة الأرض ، فيحصل الضوء في الربع الشرقي ، ويكون ذلك الضوء منتشرًا مستطيراً في جميع الجو ، ويجب أن يقوى لحظة فلحظة ، فلو كان الأول من قرص

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٧/٢٠٠ .

الشمس لامتنع أن يكون خطأ مستطيلاً ، بل كان يجب أن يكون مستطيلاً في الأفق ، منتشرًا متزايدًا لحظة فلحظة ، لكن ليس هو كذلك ، فإنه يبدو كالحيط الأبيض الصاعد ... ، ثم يحصل عقبه ظلمة خالصة ، ثم يكون الثاني الصادق المستطير ، فكان الأول أدلّ على القدرة ؛ لأنه بتخليق الله ابتداءً ؛ تبييناً على أن الأنوار ليس لها وجود إلا بإبداعه ، والظلمات ليس لها ثبات إلا بتقديره^(١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تحقق القدرة على الإحياء ؛ ليتقرر في العقول والأذهان عِظَم ما اهتدى إليه إبراهيم الخليل من إبطال إلهية كل ما سوى الله^(٢) ؛ كما ركز الاحتباك على إبراز معنى جليل من معاني اللطف والكرم الإلهي ، وهو "الاستدلال على باهر حكمته وقدرته بدلالة أحوال الفلك ؛ لأنّ قوله : فلق الصبح أعظم من فلق الحب والنوى ؛ لأنّ الأحوال الفلكية أعظم وقعاً في النفوس من الأحوال الأرضية " ^(٣) ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تدعو إلى التبصر في عِظَم التفضل والامتنان بنعمة الإيجاد الدالة على البعث ؛ ليتحقق معنى الإلهية له ، وهذا متحقق في الركنين المذكورين ؛ الأول : في فلق الصبح ، والثاني : في جعل الليل سكوناً ، فهما أصلاً في إيضاح دلائل قدرته وحكمته ، ولكنّ في القول بالحذف على نسق الاحتباك معاني عظاماً ، من أجلّها : معرفة الله بذاته في أفعاله^(٤) ، ثم الإقبال عليه إقبال المقتنع في عقله وقلبه بوحدانيته ؛ كي تصرف وجوه العبادة كلها له دون اعتراض . فتحقق في النظم مزيداً من الدقة والإيجاز ، لكون ما حذف من أطرافه دل دليلاً واضحاً عليه : فالق الإصباح وجاعله حركة ، وسادل الليل وجاعله سكوناً . فكل من الفلق والسدل متقابلان في المعاني ، وكذلك الحركة والسكون . وفي الحذف بتلك الطريقة حكم وأسرار تدق عن الأفكار وتدل على كمال الواحد المختار ، فله در التزليل ما أروع طريقته في بناء المعاني ، وما أجمل العقول المتفكرة في كيفية البناء . فحمل المعنى على الاحتباك أنبل عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في إبراز دلائل التفرد الإلهي .

(١) المرجع السابق ١٩٩/٧ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) البحر المحيط ١٩٠/٤ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ٧٣/١٣ .

*

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ١٢٨، ك) ، احتباك "عبر بما يدل على الستر أولاً دلالة على ضده - وهو الظهور- ثانياً ، وبما معناه الاستئناس والسكون ثانيً ا دلالة على ضده وهو - الإيجاش والنفرة- أولاً^(١) . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (الإيجاش والنفرة) -أي : من الجن- ؛ لدلالة معنى الاستئناس والسكون في ذكر : ﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الظهور) -أي : يا معشر الإنس- ؛ لدلالة معنى الستر في ذكر ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن الموحشين المنفرين ، ويا معشر الإنس قد استكترتم من الإنس^(٢) .

وسرّه : أنه ذكر إدراكه للعالم الخفي أولاً ، والظاهري ثانياً ؛ إبرازاً لشمول علمه ومطلق إحاطته ؛ فثبت تحقق القدرة على حشر الكفرة من ظلمي الجن والإنس .
والظاهر أن القول بالاحتباك فيه بُعد ؛ لركاكة التقدير ؛ لذا قيل في بيان وجهه : ولا وجهً للاحتباك هنا ؛ لأنَّ التكلف ظاهر فيه^(٣) .

*

وفي موضع آخر يكشف الاحتباك حقيقة التقابل بين الصفات لتأكيد القدرة المطلقة المقتضية إثبات الوحدانية ؛ حيث قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٦٧، ك) . ففي قول الحق ﴿عَلَّكَ﴾ : ﴿الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ احتباك "حذف وصف الليل وذكرت علته عكس ما فعل بالنهار"^(٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (مظلماً) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُبْصِرًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لتنتشروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ في الطرف الأول .

(١) نظم الدرر ٢٦٧/٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٦٦/٧ وما بعدها .

(٣) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع أسراره ، ص ٢٩٥ .

(٤) نظم الدرر ١٥٨/٩ .

وتقديره : الليل مظلمًا لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لتنتشروا فيه أو لتتصرفوا فيه ^(١) .
وسرّه : أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة ، وقد يكون السر في حذف (مظلمًا)
"تحاشيًا من المشافهة بما يوحش النفس ، ولا يليق بمقام الامتنان ذكر ما يوحش النفس...
وفي ذكر (مبصرًا) إظهار لامتنان الله على عباده بالنهار كما أن في الإبصار والضياء ما
يؤنس النفس المحبولة على الاستيحاش من الظلام وعدم الائتناس بالليل ... " ^(٢) . ويدخل
ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي عدة صور أخرى ^(٣) أسهمت في إبراز
عظمة الله في خلق الليل والنهار .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في عقد نوع من التأمل والتفكر في قدرة
الخالق ؛ ليثبت - سبحانه - اختصاصه بالعلم والقدرة ؛ تأكيدًا لاختصاصه بالعزة وتفردّه

(١) ينظر : البحر المحيط ٧/٩٩ ، والتحرير والتنوير ١١/٢٢٧ .

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم موافقه - وأسراره ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣) وكذا الحال في قوله : ﴿الْمَرِيرُوا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ (النمل: ٨٦، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿الْبَلَّ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ احتباك «ذكر السكون
أولًا دليل على الانتشار ثانيًا ، وذكر الإبصار ثانيًا دليل على الإظلام أولًا » ، وتقديره : جعلنا الليل مظلمًا
ليسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لينتشروا فيه . وسرّه : «أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة ، فذكرهم
بدلائل الوجدانية ؛ لذا ذكرهم بظهور الآيات وأكثرها تكرارًا أعلى حواسهم وأجدرها بأن تكون مقنعة في
ردعهم عن شركهم . وهي آية ملازمة لهم طول حياتهم تحظر بياهم كل يوم . وتلك هي آية اختلاف الليل
والنهار الدالة على انفراده بالتصرف في الكون كله ؛ فأصنامهم تخضع لمفعولها ، فتظلم ذواتهم في الليل وتبهر في
النهار ، وفيها تذكير بتمثيل الموت والحياة بعده بسكون الليل وانثاق النهار عقبه » ، فالآية تشير في سياقها
القريب إلى إثبات قدرة الله على البعث ؛ حيث استدلت ﷻ بهذه الآية كشاهد حسي لأولئك المنكرين حقيقة
الحشر . ينظر : نظم الدرر ١٤/٢٢٠ ، التحرير والتنوير ، ٢٠/٤٣ وما بعدها .

وكذا الحال في قوله : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضِّلٍ

عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١، ك) ، احتباك «حذف الظلام أولًا لكونه ليس من
النعم المقصودة في أنفسها ؛ لما دل عليه من الإبصار الذي هو المقصود في نفسه من نعمة الضياء المقصود في
نفسه ، وحذف الانتشار؛ لأنه بعض ما ينشأ عن نعمة الإبصار؛ لما دل عليه من السكون الذي هو المقصود
الأعظم من الليل للراحة لمن أرادها ، والعبادة لمن اعتمدها واستزادها » ، وتقديره : الله الذي جعل لكم الليل
مظلمًا لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرًا لتنتشروا فيه . ينظر : نظم الدرر ١٧/١١١ .

ولعل المقصد الأهم من القول بالاحتباك- في هذه المواضع- ترويض النفوس الجاحدة بنعم الله وعظيم فضله كي
تعرف مدى جهل عقولهم في اتباع الهوى الذي تملّيه عليهم أهواؤهم .

بالوحدانية ، فكل من أشرك به خاوص لا علم له بوجهه ؛ لكثرة الدلائل على وحدانيته^(١) ، والتي من أبرزها ما تضمن الاحتباك إبرازها - "كيف كان النهار وقتاً ينتشر فيه النور فيناسب المشاهدة ؛ لاحتياج الناس في حركات أعمالهم إلى إحساس البصر الذي به تتبين ذوات الأشياء وأحوالها . وكيف كان الليل وقتاً تغشاه الظلمة ، فكان مناسباً للسكون ؛ لاحتياج الناس فيه إلى الراحة من تعب الأعمال التي كدحوا لها في النهار"^(٢) - في سياق الاعتراف بوحدانية الله والبعد عن الشرك ، فالسياق العام المتضمن إفراد الله بالخلق ، والاختراع ، والتدبير^(٣) ، والخاص المتضمن قدرة الله على الإيجاد ، والإعدام ، ونفي الشريك^(٤) ، يدعو إلى إمعان التأمل في مظاهر القدرة ؛ أملاً في معرفة الله بأفعاله العلية ، وحثاً على أهمية التبصر فيما عبد من دون الله ؛ تحقيقاً لانتفاء السمع والبصر عنهم ، فكيف بالاعتبار والافتكار؟ فالذين عبدوهم أكمل حالاً منهم^(٥) ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ إيضاح لأصل حمل النظم على الاحتباك ؛ حيث تحقق بها الإشارة إلى أن هذه الآيات فيها من الظهور والوضوح بحيث لا يحتاج المرء في إدراكها إلى أكثر من سماعها سماعاً صحيحاً^(٦) ، ففي الحذف لطائف منها : أن اللطف بالعباد التذكير بجلائل النعم ودلائل القدرة ؛ حثاً على الترقى في درج الإيمان بحسن التبصر الذي هو سر في الهداية ، فهما - أي : التبصر أولاً وما يترتب عليه ثانياً - طريقان لمعرفة الخالق كما ينبغي ، وهذا أكرم عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في تأكيد مطلق القدرة لله في إثبات جعل الليل مظلماً بقدرته ، وفي إثبات جعل النهار مكاناً للعمل والتصرف .

وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أضافت للنظم مزيد دقة وإيجاز ؛ ففي مقابل المذكور من كل طرف - (لتسكنوا) ، (مبصراً) - تشكل محذوف آخر في الذهن - (مظلماً) ، (لتنشروا) - يؤكد مطلق القدرة لله على الخلق .

(١) ينظر : المرجع السابق ١٥٨/٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢٦/١١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٦١/٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٥٨/٩ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٥٩/٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٥٨/٩ .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (هود: ٤، ك) ، احتباك دل عليه السياق فـ «ذكر المرجع أولاً دليلاً على المبدأ ثانياً ، وتمام القدرة ثانياً دليلاً على تمام العلم أولاً»^(١) ، فالحذوف من الطرف الأول (وهو بكل شيء عليم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (منه بدؤكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ . وتقديره : إلى الله مرجعكم وهو بكل شيء عليم ، ومنه بدؤكم وهو على كل شيء قدير . وسره : أنه ذكر الأولى بمقام العظمة ؛ لأنه قادر على الإعادة كما قدر على البداءة ، " لما كان موصوفاً بتمام القدرة على كل شيء هو أيضاً موصوف بإحاطة علمه بكل شيء للتلازم بين تمام القدرة وتتمام العلم" ^(٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز جانب مهم من جوانب العقيدة تمثل في ترسيخ حقيقة المبدأ والمعاد لله ؛ ليتقرر في العقول والأذهان كمال القدرة الإلهية في الإعادة كما كانوا من قبل -بعد الموت- من أجل الحساب ^(٣) ، ثم إن في تقدير : " وهو بكل شيء عليم" لطائف ، من أجلها : إظهار مبدأ العظمة لله بإثبات منتهى علمه وعظمة قدرته ، وهذا يدل على تقوية يقين المرء بوحدانية الله رباً واحداً ، وازداد عمقاً إيثار التعبير بـ : ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ، " فللفظ يفيد الحصر ، يعني : أن مرجعنا إلى الله لا إلى غيره ، فيدل هذا على أن لا مدبر ولا متصرف هناك إلا هو ، والأمر كذلك أيضاً في هذه الحياة الدنيوية ، إلا أن أقواماً اشتغلوا بالنظر إلى الوسائط فعجزوا عن الوصول إلى مسبب الأسباب ، فظنوا أنهم في دار الدنيا قادرون على شيء ، وأما في دار الآخرة ، فهذا الحال

(١) المرجع السابق ٢٣٤/٩ .

(٢) الموضوع السابق .

ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صورة أخرى تبرز عظيم القدرة على البعث ، في قول

الحق عز وجل : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (سورة الأعراف : ٢٩-٣٠، ك) احتباك أثبت في الطرف الأول (بدأ) دليلاً على

حذف (يعيد) وذكر (تعودون) في الطرف الثاني دليلاً على حذف (تبتدون) وتقديره : كما بدأكم فأنتم

تبتدون ، ونعيدكم فأنتم تعودون . ينظر : المرجع السابق ٣٨٦/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٣٤/٩ .

الفاسد زائل أيضاً" (١) . فمن خلال تبصر دلالة السياق العام تتحقق القدرة الإلهية على كل شيء ، فثبت أن له - سبحانه - تمام العلم وكمال الحكمة وجميع القدرة (٢) ، والخاص تحقق فيه تخويف المنذرين باليوم الكبير (٣) ، فاتضح أن القول بالاحتباك في هذا المقام عليّ يولد جملة ثرية من لطائف المعاني الإحسانية ، التي من أبرزها وأعلىها أهمية تحقق الإيمان بالبعث ، فهو رأس الدعوة إلى الله ، وقاعدة تحقق التوحيد . فلم يأت النظم على نحو : (إلى الله مرجعكم وهو بكل شيء عليم ، ومنه بدؤكم وهو على كل شيء قدير) ؛ لأنّ المقام مقام ترهيب يستدعي التذكير بجليل القدرة وباهر العظمة ؛ ليزيل عن القلوب غشاء الغفلة بأعظم بيان تتجلى فيه عظمة الله وقدرته ، فسعى الاحتباك إلى إعلام البشر بأن رجوعهم إلى الله ليس محصوراً على مجرد الموت والضرورة تراباً ، وإنما الأهم إعادة كما كانوا في الحياة الدنيا ، وهذا ادعى إلى ترك الكفر وامتنال الإيمان (٤) . كما تحقق بتأمل موضع الحذف بعث الخوف من الله في النفوس ، فإن خوف المرء من ربه أعون على استبصار حقائق قدرته الموجبة الترقّي في عبادته .

ويذهب بعض أهل العلم إلى جعل التقدير : " من الله مبدؤكم وهو بكل شيء عليم ، وإليه مرجعكم وهو على كل شيء قدير . لكن مصطلح الاحتباك ليس صادقاً على هذا الموضع ؛ لأنّ المقابل مذكور برمته في مقابلة محذوف... " (٥) .

والظاهر - والله أعلم - أنّ في حمل النظم على الاحتباك ، وفق التقدير الأول ، أليق بالسياق وقرائن الأحوال ؛ لترسخ في النفوس قواعد تأسيس العقيدة الحقة ، وهذا أسمى مبادئ تعلم وتعليم التوحيد .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿بَصَحَجِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّرِيفُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ ^٤ ^٤ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿ (يوسف: ٤١، ك) ، احتباك "ذكر ملزوم

(١) التفسير الكبير ١٧/١٤٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٩/٢٢٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٩/٢٣٤ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه وأسراره ، ص ٢٦٦ .

السلامة والقرب أولاً دليلاً على العطب ثانياً ، و ملزوم العطب ثانياً دليلاً على السلامة أولاً^(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فيخلص) ، لدلالة ﴿فِيصَلْبُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يعطب) ؛لدلالة ذكر ﴿فَيَسْقَى﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أما أحدكما -وهو الساقى- فيخلص ويقرب فيسقي ربه خمرًا ، وأما الآخر -وهو الخباز- فيصلب ويعطب فتأكل الطير من رأسه . وسرّه أن ذكر الأليق بما اقتضاه الحال^(٢) ؛ لكونه أدل على تحقق المراد ، وهو : تمكن يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا^(٣) .

إن الصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز تحقق الحكم الذي أظهره يوسف عليه السلام للساقى والخباز معاً ؛ تأكيداً لرسوخ صدق تأويل الرؤيا ؛ فحكّم عليهما بما أخبر لكونه واقعاً لا محالة ، سواء كان ذلك حلمًا ، أو تحالماً^(٤) ، ف«الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبّر ، فإذا عبّرت وقعت»^(٥) . فأصل المراد وهو : تحقق نجاة الأول ، وهلاك الثاني متحققة في الركنين المذكورين : ﴿أَحَدُكُمْ أَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا... وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَصَلْبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ ، ولكن في المحذوفين مزيد تأكيد لما ذكر في المعاني الجوهرية ، فحصل بالحذف إبراز أوجه التناسب بين المعاني ، فإن في ذكر ﴿فَيَسْقَى﴾ -ملزوم السلامة والقرب - دليلاً على حذف الهلاك من الثاني : (يعطب) ، فالعطب هو الهلاك^(٦) ، وفي ذكر ملزوم الهلاك في : ﴿فِيصَلْبُ﴾ دليل على حصول النجاة للأول . ففي الحذف توجيه إلهي كريم يثبت أن

(١) نظم الدرر ٩١/١٠ .

(٢) حال المكوث في السجن الذي يحصل فيه الانكسار للنفس ، والرقّة في القلب فتتخلص فيه المودة . ينظر : المرجع السابق ٩٠/١٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٩١/١٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٢٠/١٢ .

(٥) ينظر : البحر المحیط ٣٠٩/٥ بتصرف .

(٦) أخرجه بنصه ابن ماجة في سننه ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد ١٢٨٨/٢ ، رقم : (٣٩١٤) من حديث وكيع بن عُدس العُقيلي رضي الله عنه . قال الألباني : «صحيح» . صحيح

سنن ابن ماجة ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، (الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، توزيع

المكتب الإسلامي - بيروت- ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ، رقم (٣١٦٢) ٣٤٢/٢ .

(٧) ينظر : لسان العرب ، مادة : (ع، ط، ب) ٦١٠/١ .

تأويل الرؤيا حق في حق الأنبياء ؛ لأنَّ حكمهم حق كيفما وقع ، أمّا في حق البشر فليس بقطع ، وإنما هو ظن^(١) .

*

ويأتي التقابل بين الصفات على نسج الاحتباك في قوله تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل:٧،ك) ، ففي قول الحق وَعَجَلِكُمْ : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ احتباك دل عليه السياق ؛ حيث "ذكر حمل الأثقال أولاً دليلاً على حمل الأنفس ثانياً ، وذكر مشقة البلوغ ثانياً دليلاً على مشقة الحمل أولاً"^(٢) ، وعلى هذا فالمحدوف من الطرف الأول (مع المشقة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حمل النفس-حمل الإبل لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وتحمل أثقالكم مع المشقة إلى بلد لم تكونوا قادرين على حملها -الأثقال- إليه -البلد- ، وتبلغكم بحملها لكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس^(٣) . وسرّه : أنه ذكر الأظهر ؛ لأنه أدل على مطلق الامتنان أملاً في إدراك أنبل معاني التوحيد^(٤) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف في المقام الأول عن عظيم القدرة وتدعو إلى التأمل فيها ؛ بغية الوصول إلى إدراك وجه الإحسان ، ومطلق الإنعام ؛ فثبت إعلام البشر بالغرض الأسمى من إدراكها ، وهو : التوجه إلى الخالق -سبحانه- بالتبرؤ من الشرك ، وهذا المعنى ازداد حسناً بما في السياق العام من " الدلالة على أنه -تعالى- تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار ، متره عن شوائب النقص " ^(٥) ، والخاص بما تقرر فيه من إبراز أعظم دلائل القدرة المتمثلة في إنعام الله على بني الإنسان بخلق الحيوان ، تنبيهاً إلى مراعاة نعمتي التوحيد والشكر^(٦) . ففي تدبر وجه الاحتباك إشارة عليّة تبرز عظيم فضل الله ،

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٤/٣ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ١٠٩/١١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٠٩/١١ ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه وأسراه ، ص ٣٩ وما بعدها .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراه ، ص ٤٠ .

(٥) نظم الدرر ٢٤٠/٢١

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٠٧/١١ بتصرف يسير .

ومنتهى إحسانه ، وفيض رحمانيته لجميع خلقه جليلهم وحقيرهم ، كبيرهم وصغيرهم ؛ إذ اتضح به إثبات حقيقة عجز البشر مطلقاً عن أسهل الأمور ، وهو : التنقل وحمل الأثقال ، فلولا العناية الإلهية لما استطاع البشر ذلك ، فتحقق بالحذف إيقاظ القلوب لتبصر عظيم جهلها بمظاهر الإنعام ، فالقيمة الحقيقية لفهم المراد - وهو : إظهار عجز البشر - تمثل في المعاني الجوهرية ، الأول : أن القدرة - على حمل الأثقال - تكونت بفضل القدرة الإلهية في تسخير الأنعام ، والثاني : في إبراز شدة ضعفهم وعجزهم ومشقة ذلك الحمل على أنفسهم ، فتحقق بالحذف إيقاظ الأذهان ثم تنبيهها لتعرف جليل إنعام الله ؛ حتّى على الوصول لإثبات التوحيد ونفي الشرك ، وهذه القيمة الحقيقية لا تتحقق إلا بعد إمعان النظر في التأمل والتفكير ، فهما عون للمرء يدفعانه لاستشعار فضائل الله ، وهذا دافع إلى الترتيبي في مدارج الإيمان ، كما أنّ الجهل بنعمة خلق الحيوان وتسخيره من أجل القيام بخدمة بني الإنسان يُعدُّ جهلاً بنعمة عليّة من الواجب حسن استغلالها وشكر الله عليها ، وهذا أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين - الأول : تأكيد عظم المشقة في حمل الأثقال ، والثاني : إبراز شدة عجزهم في حمل أنفسهم بالإبل ، فكيف بدونها؟ - أسهما في تنوير بصيرة بني الإنسان بما خلق الله من أجلهم .

*

ويُبرز التقابل منّة الله وعظمته على نبيه موسى عليه السلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ (طه: ٢٢، ك) ، ففي قول الحق وَعَلَيْكَ : ﴿ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ ﴾ احتباك^(١) ، ذكر فعل الأمر أولاً دليلاً على حذف مضارعه ثانياً ، وذكر المضارع ثانياً دليلاً على حذف الأمر منه أولاً ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تنضم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَضْمُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أخرجها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ تَخْرُجَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "اضمم يدك تنضم ، وأخرجها تخرج" (٢) .

وسرّه أنه أظهر المقصود بأيسر الطرق إيجازاً واختصاراً ، وهذا مظهر من مظاهر العظمة

(١) ينظر : المرجع السابق ، ٢٨٢/١٢

(٢) الدر المصون ٢٧/٨ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ١٩٧/٦ .

وتمام القدرة الدالة على الإعجاز .

فالقيمة الحقيقية لطبيعة الاحتباك تبرز في علو دلالة الأمر لني الله موسى ﷺ في سياق إثبات البراهين التي جاء بها الأمر الإلهي الجليل ؛ لكونه دالاً على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الموجبة غرس الإيمان بالله رباً واحداً . فيظهر حسن الحذف وبلاغته بمراعاة السياق العام بما يقرره من " الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم " (١) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات رؤية نبي الله موسى في نفسه الدلائل الدالة على صدق نبوته " ولما أراه آية في بعض الآفاق ، أراد أن يريه آية في نفسه " (٢) . فأصل المراد من الحذف يُحقق معنى التوحيد الخالص الذي أمرَ به ﷺ من جانب ، ومن آخر يتحقق إثبات البرهان الدال على حقيقة ما بعث به موسى من الرسالة لبني إسرائيل (٣) ، وهذا متحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : في صدور الأمر بـ «اضمم» ، والثاني في النتيجة المترتبة على الأمر في «تخرج» ؛ ليقوى جأشه (٤) . وَلَكِنَّ فِي الْحَذْفِ أُسْرَارًا ، منها : تعليم سيدنا موسى ﷺ حقيقة ما بعث به من الرسالة ؛ ليرسخ اليقين في قلبه ، ويزول الخوف الذي هو طبع النفس البشرية (٥) ، كما أن في القول بالاحتباك مراعاة للمقام الذي ازداد فيه الخوف من فرعون ؛ لشدة شوكته وكثرة جنوده ؛ لذا أظهر الله من صدق الدلائل ما يبدد الخوف ويذهب به ، ويزرع في النفوس الطاغية الخوف منه سبحانه ، فإذا علم المرء أنه لا أحد يقدر على مضرتة إلّا بإذن الله ، علم أنه لا يضره شيءٌ إلا به (٦) . وهذا الوجه متضح عند بعض المفسرين (٧) . ولم يأت النظم على نحو : اضمم يدك تنضم ، وأخرجها تخرج ؛ ليتحقق المراد بأيسر الطرق بلاغة وإيجازاً ، ثم إن الحذف أحدث ترابطاً قوياً بين سياق الآية ، وأثراً نفسياً لسيدنا موسى ﷺ ، وهو الشعور بالراحة والاطمئنان ؛ لكونه أمرٌ أولاً بضم يده إلى جناحه ، ثم أخرجها بالقدرة الإلهية ببيضاء نقية ، وإنما احتججَ إلى هذا ؛ لأنه لا يترتب -وجه الاحتباك- على مجرد

(١) نظم الدرر ٢٥٥/١٢ .

(٢) المرجع السابق ٣٨٢/١٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٥٨/١٦ بتصرف يسير .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٢٢٢/٦ .

(٥) ينظر : جامع البيان ١٥٨/١٦ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

(٧) ينظر : البحر المحيط ٢٢٢/٦ ، والدر المصون ٢٧/٨ .

الضم والخروج^(١) .

*

وفي قول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣، ك) ، احتباك ، المحذوف من الطرف الأول (ينفلق) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَانْفَلَقَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فضربه) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَضْرِبْ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : " اضرب بعصاك البحر ينفلق فضربه فانفلق " ^(٢) .

وفي تبصر دلالة السياق إشارة إلى أن ذلك التقدير ناتج من فهم المعنى ، يمكن أن يصار إليه دون حمل النظم على الاحتباك ؛ لذا قيل : " والمعنى : ضرب فانفلق " ^(٣) ، ومثل هذا في قول الحق : ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ (البقرة: ٧٣، م) ، " ومعنى الكلام : فقلنا : اضربوه ببعضها ليحيا ، فضربوه فحيي " ^(٤) ، والظاهر ما أجمع عليه أهل العلم من جعل الكلام من باب حذف المعطوف عليه .

*

و في موضع آخر يقول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل: ١٢، ك) ، ففي قول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾ احتباك ، ذكر الأمر أولاً دليلاً على حذف مضارعه ثانياً ، وذكر المضارع ثانياً دليلاً على حذف الأمر منه أولاً ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تدخل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَدْخِلْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أخرجها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ تَخْرُجْ ﴾ في الطرف الأول. وتقديره : " وأدخل يدك في جيبك تدخل ، وأخرجها تخرج " ^(٥)

(٥)

(١) ينظر: الموضع السابق .

(٢) الروض المريع ، ص ١٤٥ .

(٣) جامع البيان ١/٣٦١ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) البحر المحیط ٧/٥٨ ، والبرهان ٣/١٣٠ ، والدر المنصون ٨/٥٧٨ ، وروح المعاني ١٩/١٦٧ .

وقيل : «هو تكلف لا حاجة إليه»^(١) ، غير أنه لم يُشَرَّ إلى وجه التكلف فيه ، ولعله كذلك ؛ لاختلاف مدلول السياق -هنا- عن سابقه ؛ لكون المجال مجال تفصيل في ذكر المعجزات الخارقة التي سيذهب بها إلى فرعون ، فهو يتطلب استعداداً وهيئاً لسماع ما يلقي عليه من ربه ، ثم إن خاصية الأمن اتضحت في أسلوب النداء المليء بالرحمة واللفظ والرافة وتجنب الخوف : ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل:٩، ك) ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل:١٠، ك) فافعل جميع ما أمرك به فإنه لا بد منه ، ولا تخف من شيء ، فإنه لا يوصل إليك بسوء ؛ لأنه محكم بقانون الحكمة ، محروس بسور العزة^(٢) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿أَسْأَلُكَ بِدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَلِكَ بِرُهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ (القصص:٣٢، ك) ، احتباك ، ذكر الأمر أولاً دال على حذفه ثانياً ، والمضارع ثانياً دال على حذفه أولاً^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تسلك) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَخْرُجُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أخرجها) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَسْأَلُكَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : اسلك يدك في جيبك تسلك وأخرجها تخرج . وسره أنه ذكر ما اقتضاه السياق أمناً له ﷺ ، وزيادة في تحقيق الاطمئنان ، فهذه المعجزة الخارقة أغرب لبني إسرائيل ، حيث عجزوا عن مداواته ﷺ ؛ لذا ذكر الأغرب الأدل على مطلق القدرة الموجبة التسليم له ﷺ .

فالقاعدة العظمى تتجلى في هيبة الأمر الإلهي : ﴿أَسْأَلُكَ﴾ ؛ ليتحقق الغرض من وراء الأمر على أتم وجه لنبية موسى ﷺ -أولاً- ، وهو اليقين التام بأنه لقي ربه ؛ لأن في هذا عوناً له يدفعه لتحمل شدة جبروت فرعون وطغيانه ، ولبني إسرائيل -ثانياً- أملاً في رجوعهم إلى الإيمان بموسى ﷺ ، بمشاهدة دلائل العظمة والسلطان الموجبة وحدانية الله^(٤) . ويبرز

(١) الدر المصون ٥٨٧/٨ ، وروح المعاني ١٦٧/١٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٣٤/١٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٨١/١٤ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٧٢/٢٠ بتصرف .

جمال الحذف بعد مراعاة السياق العام بما يقرره من التواضع لله المستلزم رد الأمر كله إليه^(١) ، والخاص بما تحقق فيه من زيادة صفتي الأمن والاطمئنان لموسى عليه السلام . فأصل المراد - وهو إظهار عجز فرعون وقومه أمام دلائل العظمة الظاهرة التي عجزوا عنها - متحقق في الركنين المذكورين : اسلك يدك في جيبك تنسلك على لونها وما هي عليه ، وأخرجها تخرج بيضاء بياضاً عظيماً^(٢) . ففي الحذف جليل أثر في النفس يخفي الخوف والرعب ؛ لتأنس بالله في الدعوة إليه ، وإرشاد إلى تعلم الجلد والصبر والانضباط في مواجهة الخصم . كما تحقق بالحذف مزيد من الدقة والإيجاز يلحظان في تلاحم دلالات المعاني في أصل النظم قبل التقدير : ﴿ **أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءً** ﴾ .

*

ويبرز السياق مظاهر العظمة حثاً على التبصر فيها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ** . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص: ٧١-٧٢، ك) ، ففي قول الحق **تَسْكُنُونَ فِيهِ** : ﴿ **مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ** ﴾ **مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ احتباك "ذكر الضياء أولاً دليلاً على حذف الظلام ثانياً ، والليل والسكون ثانياً دليلاً على حذف النهار والانتشار أولاً"^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بنهارٍ تنتشرون فيه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ** ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يأتيكم بظلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ** ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء يولد نهاراً تنتشرون فيه ، أفلا تسمعون؟ . قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بظلام يولد ليلاً تسكنون فيه ، أفلا تبصرون؟^(٤) . وسره : أنه ذكر عموم الأحوال

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٣٢/١٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٨١/١٤ .

(٣) المرجع السابق ٣٤٤/١٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣٤٢/١٤ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراره ، ص ٣٠ .

والأوقات ؛ لكونه أدل على مطلق القدرة وتمام التوحيد. "والخلاصة أن الذكر والحذف جاء استجابة لمطلب المقام والسياق ، فذكر ما هو أظهر في الامتنان" (١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن عظمة الله وسلطانه ، من خلال إبراز أتمّ معالم الكمال ؛ حيث أيقظ مشاعر الخلق لظاهرتين كونيتين عظيمتين : ظاهرتي الليل والنهار ، وما وراءهما من أسرار ؛ حثاً على التبصر ، وأملاً في الرجوع إلى الحق ، وليدرك بنو البشر إدراكاً حقيقياً مظاهر تلك العظمة ، فيوقنوا أن غير الله -تعالى- لا قدرة له على شيء من ذلك مطلقاً (٢) ، فمن خلال تبصر دلالة السياق العام يتضح احتواؤه على بيان الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ ليتحقق الإيمان بالآخرة المستلزم رد الأمر كله إلى الله (٣) ، أمّا الخاص فتضمن إقامة الدلائل للاستدلال على القدرة الشاملة والعلم التام (٤) ، وهذه الغاية العظمى التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في النفوس البشرية تهديداً لأهل الظلم ، وتثبيتاً لأهل العلم . فالقيمة الحقيقية تمثلت في : من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار فتستضيئون به ، ويأتيكم بليلٍ تسكنون فيه فتستقرون وتهدؤون فيه (٥) ، وهذا المعنى الجليل تحقق في الركنين المذكورين ؛ الأول : (يأتيكم بضياء) ، والثاني : (ليل تسكنون فيه) . وازداد المراد حسناً بإبراز مقابله من كل طرف ، الأول : (يأتيكم بظلام) ، والثاني : (نهار تنتشرون فيه) ، فأركان الاحتباك مجتمعة يتحقق المقصود ؛ لأنّ الناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلاً ، ويجنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب! وكذا يستروحون الظلال حين يطول عليهم الهجير ساعات من النهار ، ويجنون إلى الليل حين يطول النهار بعض ساعات ، ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجأ والقرار ، والحياة كلها تحتاج إلى فترة الليل ؛ لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار (٦) ، وهذا عطاء الجواد للعبادة ، فكيف يُقبل العبد على ذلك الإحسان!! . إنه يستلزم الترقى في مدارج الطاعات تطلعاً إلى مرتبة الإحسان في العبادة إخلاصاً له .

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم موافقه ، أسراره ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٠/٢٧٠٨ ، وروح المعاني ٢٠/١٠٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٤/٢٣٢ بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٤/٣٤٢ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٠/١٠٣ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠/١٦٨ وما بعدها .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (القصص: ٧٣، ك) ، احتباك " ذكر أولاً السكون دليلاً على حذف السعي في المعاش ثانياً ، والابتغاء ثانياً دليلاً على حذف عدم السعي في المعاش أولاً " (١) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (لا تسعوا في معاشكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (تسعوا في معاشكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، فلا تسعوا في معاشكم ، ولتبتغوا من فضله بأن تسعوا في معاشكم (٢) . وسره : أنه ذكر عموم أحوالهم في الليل والنهار ؛ لكونه أدل على تمام القدرة المستلزمة التوحيد .

فالقول بالاحتباك في هذا الموضوع ذو اعتلاق بالغ جداً بصورة الاحتباك السابقة ؛ لأنه سعى لإبراز عظمة القدرة في جعل الليل والنهار آيتين عظيمتين دبر فيهما وبهما جميع مصالح بني البشر ، فمن شمول رحمته أن محا آية الليل ؛ لتحقيق الغاية منه في السكن والانقطاع عن طلب المعاش فيه ، وجعل آية النهار مبصرة ؛ لتحقيق الغاية منه في السعي من أجل كسب المعاش ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـ ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ حث نبيل من الله لعباده يلزمهم دوام الشكر على النعم (٣) .

والمتفق عليه - وهو الأنسب للسياق - عند جمهرة المفسرين (٤) حمل النظم على اللف والنشر المعكوس (٥) في : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، فيعود : «لتسكنوا فيه» إلى الليل ، ويعود : «ولتبتغوا من فضله» إلى النهار ، والمعنى : لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ، وقيل : والتقدير : ولتبتغوا من فضله فيه ، فحذف الضمير

(١) نظم الدرر ٣٤٥/١٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٣٤٤/١٤ وما بعدها . ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه - أسراره ، ص ٣١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٤٤/١٤ وما بعدها .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٠٨/١٣ ، والتفسير الكبير ١١/٢٥ .

(٥) وهو : «أن يكون الأول من النشر للآخر من اللف ، والثاني لما قبله ويسمى معكوس الترتيب» . المطول ،

إيجازاً ؛ واعتماداً على المقابلة^(١) .

فصورة الاحتباك -هنا- شبيهة بما سبق^(٢) في المعنى ؛ لأن السياق سياق تذكير بعظيم الامتنان ؛ لتذكروا آياته وتبصروا في مصنوعاته التي وسعت كل شيء ، " فالشأن أن يتذكروا بذلك مظاهر الرحمة الربانية وجلائل النعم ، فيشكروه بإفراده بالعبادة ، وهذا تعريض بأنهم كفروا فلم يشكروا"^(٣) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَيْنِهٖ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (الروم: ٢٣، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ ﴾ احتباك «دلّ ذكر النوم على القيام منه ، ودلّ الابتغاء على الانقطاع عنه»^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وانقطاعكم بالنوم عن معاشكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وقيامكم بعد منامكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : منامكم بالليل والنهار وانقطاعكم بالنوم عن معاشكم . وقيامكم بعد منامكم وابتغائكم من فضله^(٥) .
فالقول بالاحتباك يشكل أثراً قوياً لإبراز دلائل قدرة الله وعظيم فضله على عباده، وهذا تمثل في الركنين المذكورين ، الأول : (منامكم بالليل والنهار) ، والثاني : (ابتغائكم من فضله) ؛ ولكن في الحذف لطائف منها : أن هذه الدلائل واضحة لكل من له نظر آلي يدرك إدراكاً ظاهرياً آية الليل والنهار ، وكيف نتج عنهما منة الله وفضله على عباده، فمن فضله ومنه على عباده : نومهم مكانه وزمانه الذي يغلبهم فيه، بحيث لا يستطيعون له دفعاً، وانقطاعهم بالنوم عن معاشهم وكل ما يهمهم ، وقيامهم بعد منامهم أمر قهري لا يقدرّون على الانفكاك عن واحد منهما أصلاً ، وابتغائهم بالجد والاجتهاد من فضله بالمعاش في الليل والنهار آية عظيمة على كمال القدرة والحكمة، ولا سيما البعث ، وبهذا الأمر العظيم العالي الرتبة من إيجاد النوم

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠ .

(٢) ينظر : موضع دراسة سورة النبأ: (١٠-١١) من البحث.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠ .

(٤) نظم الدرر ٧٢/١٥ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٧١/١ وما بعدها، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ٣٣ وما بعدها.

بعد النشاط، والنشاط بعد النوم، آيات عديدة على القدرة والحكمة^(١)، ففي تبصر ختام الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ إشارة عظمى ترشد إلى الوقوف عند دلالة الاحتباك؛ ليعلم البشر أن هذه الدلالة دقيقة تحتاج إلى توقف دقيق به تستبصر معالم العظمة ومنتهى القدرة على البعث، فثبت لهم نوع خاص من السماع، وهو "سماع من انتبه من نومه فجسمه مستريح نشيط، وقلبه فارغ عن مكدر للنصح مانع من قبوله، أو المعنى: لقوم هم أهل للسمع، بأن يكونوا قد تنبهوا من رقادهم، فرجعوا عن عنادهم، إشارة إلى أن من لم يتأمل في هذه الآيات فهو نائم لا مستيقظ غير مؤهل لأن يسمع"^(٢). فمن خلال التقابل بين المعاني برزت عدة لطائف تأخذ بأيدي العباد إلى مقام القرب من الله بدوام التأمل والتفكير في عظمة هذه الآيات.

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس:١٢،ك)، احتباك دل عليه السياق فقد "دل فعل الإحصاء على مصدره، وذكر فعل الإمام على فعل الكتابة"^(٣)، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إحصاء)؛ لدلالة ذكر ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ في الطرف الأول، ومن الطرف الثاني (كتبناه)؛ لدلالة ذكر ﴿إِمَامٍ﴾ في الطرف الثاني. وتقديره: وكل شيء أحصيناه إحصاء وكتبناه في إمام مبین - أو في كتاب مبین - . وسرّه أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام القدرة ومطلق العلم الموجبين للتوحيد. ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صورة أخرى^(٤) من صور الحذف تعمق معنى التفرد الإلهي في قدرته على ما لا يمكن القدرة عليه لأحد غيره،

(١) ينظر: نظم الدرر ٧١/١ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ٧٢/١٥.

(٣) المرجع السابق ١٠٢/١٦.

(٤) وكذا الحال في قول الحق ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (البأ:٢٩،ك)، احتباك: «دل فعل الإحصاء على حذف مصدره، وإثبات مصدر (كتب) عليه، أي: أحصيناه إحصاءً وكتبناه كتاباً، وذلك الإحصاء والكتب لعدم الظلم». المرجع السابق ٢٠٨/٢١، وقيل: إن التقدير: «أحصيناه بكتبناه، أو كتاباً بإحصاء». فالتقدير الأول أنسب؛ لسمو البيان القرآني؛ لما فيه من حسن انتظام أركانه. ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي ٣٠٨/٨، وروح المعاني ٢١/٣٠.

وهذا ركن أصيل من أركان الدعوة إلى الإيمان .

فالغرض الأمثل من حمل النظم على الاحتباك تمثل فيما أنتجته أوجه التناظر بين طرفي النظم من لطائف المعاني ؛ إذ ركز في المقام الأول على إبراز مطلق شمول القدرة على إحصاء كل شيء^(١) ؛ لذا فالقول به أتى منسجماً مع المعنى في سياقه العام الساعي إلى إثبات أمر الرسالة ؛ ليتحقق الإعلام بإنذار يوم الجمع^(٢) ، والخاص تضمن إبراز دلائل القدرة على البعث الذي هو سبب عظيم في الترقية إلى اعتقاد الوحدانية التي هي الأصل الأول^(٣) ، فتحقق إثبات مطلق القدرة بحفظ الله وضبطه لكل شيء ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ إشارة عظمى تفيد مطلق الإحاطة وشمول العموم لكل ما يمكن أن يكون من صغيرة وكبيرة^(٤) ، فتقرر بالاحتباك تأكيد حقيقة ضبط الأشياء في علمه تعالى ؛ ليعلم البشر بنوع لطيف من مظاهر القدرة الدالة على تفرده ، وإبراز باهر العظمة الباعثة في النفوس تقواه ؛ لتعلم أن الانضباط في علمه وقدرته أجل وأعلى من أن يدرك ، فله القدرة الباهرة ، والعظمة الظاهرة ، والعزة القاهرة^(٥) . وللاحتباك أثر بارز في نشوء علاقات جديدة تقع بين الألفاظ المذكورة والمحدوفة ، فأبرز المذكوران عظمة الله في ملكه ، فكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه في أم الكتاب^(٦) ، والمحدوفان يؤكدان تلك القدرة ، حثاً على التقيد بالتقيد بالصدق وغرسه في النفوس ؛ لما فيه من جليل النفع ونبل الخلق ، وتجنب الظلم ؛ لما فيه من عظيم الضرر وفساد الخلق .

*

ويقول تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
(يس ٦٥، ٦٦) ، ففي قول الحق عز وجل: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ احتباك اقتضاه السياق حيث أثبت الكلام للأيدي أولاً دليلاً على حذفه من حيز الأرجل ثانياً ، وأثبت الشهادة للأرجل ثانياً

(١) ينظر : جامع البيان ٢٢/١٥٤ وما بعدها .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٦/٨١ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٦/١٠٠ وما بعدها .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٢/٣٥٧ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٦/١٠٢ ، وروح المعاني ، ٢٢/٢١٨ .

(٦) ينظر : جامع البيان ٢٢/١٥٤ .

دليلاً على حذفها من حيز الأيدي أولاً^(١) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (فتشهد) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَشَهِدْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (تكلمنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَكَلَّمْنَا﴾ في الطرف الأول. وتقديره: " وتكلمنا أيديهم فتشهد، وتكلمنا أرجلهم فتشهد"^(٢) .
وسرّه أنه " أثبت الكلام للأيدي ؛ لأنها كانت مباشرة ، وأثبت الشهادة للأرجل ؛ لأنها كانت حاضرة بقرينة أن قول المباشر إقرار ، وقول الحاضر شهادة"^(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تدعو في مجملها إلى إبراز المقصد الأعظم الباعث في النفوس عظمة الله؛ لإثبات مطلق القدرة على تحقق يوم القيامة وإبراز ما فيه من هول الموقف عند شهادة الأعضاء، وبمراعاة النظر في السياق العام للسورة يتضح أن مقصدها الأعظم متمثل في الدعوة إلى إثبات الرسالة التي من أجل مقصدها إنذار يوم الجمع، فأبرز السياق العام أعظم دلائل البعث الدالة على كمال وحدانية الله حثاً على الإيمان، والخاص قرر حقيقة يوم القيامة بما فيه من باهر الدلائل ترويعاً وتهديداً من عظيم القدرة . فالقيمة الحقيقية لإيضاح مطلق القدرة الإلهية تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : تكلمنا أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي الله^(٤) ، والثاني : تشهد عليهم بذلك أرجلهم، فهما أصلان في بيان المعنى، ولكن وراء الحذف لطائف ، من أجلها : توجيه المرء إلى مراعاة عظيم النعمة في إعلامه بشهادة الأعضاء عليه يوم القيامة ، وهي نعمة عليّة يحسن التبصر فيها والعمل من أجل مراعاتها فلا يحسن معرفتها إلا من أمعن التأمل واستشعر، فإن العلم حياة للقلوب، به تترقى النفس في درج الإيمان والجهل موت للضمير ، به تنتقل النفس في درك الكفر . وللاحتباك أثر بارز في نشوء علاقات ربط جديدة أسهمت في إعلام البشر بمراقبة الله - لهم- في مطلق الأحوال فيجب أن يراقبوه في كل حين؛

(١) نظم الدرر ١٥٧/١٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٥٠/٢٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٤٩/١٥ ، ونظم الدرر ١٥٧/١٦ .

وبصورة أكثر وضوحاً : فإن «نسبة التكليم إلى الأيدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال ، حتى إنها كثر نسبة العمل إليها بطريق الفاعلية ، كما في قوله : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ إلى غير ذلك ، ولا كذلك الأرجل ، فكانت الشهادة أنسب بما لما أنها لم تضاف إليها الأعمال ، فكانت كالأجنبية ، وكان التكليم أنسب بالأيدي ؛ لكثرة مباشرتها الأعمال وإضافتها إليها ، فكأنها هي العاملة ، هذا مع ما في جمع التكليم مع الختم على الأفواه المراد منه المنع من التكلم من الحسن» . روح المعاني ٤٢/٢٣ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٤/٢٣ .

ليصلوا إلى أعلى درجات الإيمان الخاص - الإحسان - ، وفي هذا ما يُعوِّدُ المرءَ على فعل الحسن الجميل دائماً، وتَعوِّدُ قول الصدق وتجنب الكذب

*

ويبرز التقابل عظيم القدرة الإلهية في بدء وإعادة الخلق ، وذلك في قوله تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ احتباك "ذكر الإحياء أولاً دال على مثله ثانياً ، والإنشاء ثانياً دال على مثله أولاً ، و(أول مرة) في الثاني دال على(ثاني مرة) في الأول" (١) .

وفيه نظر ؛ لاتساع وجه الاحتباك بما لا يتناسب مع طبيعته . ولو قيل : ذكر الإحياء أولاً دال على مثله ثانياً ، و(أول مرة) في الثاني دال على ضده في الأول ؛ لكان أنسب لطبيعة الاحتباك ، وعليه يكون المحذوف من الطرف الأول (ثاني مرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أحيائها) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُحْيِيهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل يحييها وينشئها ثاني مرة الذي أنشأها من العدم ، ثم أحيائها أول مرة (٢) . وسرّه : أن ذلك أدل على تمام القدرة الموجبة توحيده إفراداً .

فالقول بالاحتباك أسهم في تعمق القدرة الإلهية في إثبات حقيقة إحياء الله للأرواح بعد فنائها ؛ ليقرر في النفوس إثبات أن من قدرَ على إيجاد شيء أول مرة فهو قادر على إعادته ثاني مرة تأكيداً لأهمية الإيمان بالغيب (٣) ، وهذا المقصد ازداد حسناً بمراعاة السياق العام بما تقرر فيه من إثبات الرسالة التي من أجل مقاصدها الدعوة إلى الإيمان الصادق بحقيقة القدرة على البعث ؛ إثباتاً للتوحيد ، والسياق الخاص بما تحقق فيه من إثبات قدرة الله على ذلك تهديداً لمنكريه (٤) . فالمعاني الجوهرية تمثلت في بيان أصل النظم : ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ؛ لأنه سعي لإثبات باهر الدلائل التي تهز الأبدان وتدفعها إلى الإقرار بالتوحيد ،

(١) نظم الدرر ١٦/ ١٨٠ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه - أسراره ، ص ٥١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٦/ ١٨٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٦/ ٨٨ وما بعدها ، و ١٧٦ وما بعدها .

فالذي أبدع خلقها أول مرة قبل أن يكون لها إيجاد ، قادر لا محالة على إعادة خلقها ^(١) . ولكن في الحذف لطيف معانٍ تُؤكد قدرة الخالق على الخلق ؛ لذا أوتر القول بأن الآية الكريمة من بديع الاحتباك ؛ لما تحقق في خاتمها من إثبات أنه - سبحانه - بالغ العلم ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ فلا يخفى عليه أجزاء ميت أصلاً ، وإن تفرقت في البر والبحر ، ولا شيء غير ذلك ^(٢) ، كما تحقق بالمعاني الإحسانية مراعاة تلك القدرة ؛ لاستشعار عظمة الله أولاً ، وشدة عذاب إنكار البعث ثانياً ، وفي تأمل جوهر هذا الدليل لطفٌ جليلٌ من الله لبني الإنسان ، به ينتزع المرء نفسه من فعل المعاصي إلى فعل الطاعات ، ومن جهلٍ عظيمٍ هذا الدليل جهل حقيقة المعرفة بالله ، وهذا من أقبح أنواع الشرك . وللاحتباك أثر فاعل في إبراز دلالة الأمر بـ ﴿ قُلْ ﴾ ؛ لتتحقق أهمية ذلك القول ؛ تأكيداً على وجوب الإيمان بمقتضاه . كما نتج من وراء الحذف نوعٌ من الدقة والإيجاز يلحظان بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ، وبعده : قل يحييها ثاني مرة الذي أنشأها من العدم ثم أحيها أول مرة ، فصار لكل طرف مذكور مقابل آخر محذوف مختزن في الذهن يكشف عن تعمق معنى القدرة الإلهية على الخلق ، كما أن تلمس الفرق بينهما يكشف عن خاصية عمق المعنى قبل إجراء صورة الاحتباك عليه .

*

ويقول تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي فَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ احتباك دل عليه السياق فـ "ذكر الحين أولاً دليلاً على تقدير مثله في النوم ثانياً ، والمنام ثانياً دليلاً على حذف الممات أولاً" ^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (في مماتها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِي مَنَامِهَا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (حين نومها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الله يتوفى الأنفس حين موتها في مماتها ، والتي لم تمت

(١) ينظر : جامع البيان ٣١/٢٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٨٠/١٦ .

(٣) المرجع السابق ٥١٩/١٦ .

حين نومها في منامها ^(١) . وسرّه أنه ذكر عموم أحوالهم ؛ لكونه أدلّ على تمام القدرة المستلزمة التوحيد .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز باهر الدلائل وعجيب القدرة والعظمة له ﷻ في الاستدلال بحالة عجيبة من أحوال أنفس المخلوقات ، -وهي حالة النوم- ؛ لترسيخ القاعدة العظمى التي ينطلق منها الإيمان الحقيقي ، وهي : تحقق الإيمان بالغيب ؛ ليتحقق الاعتراف بوحداية الله ، وتبرز مظاهر هذه القدرة بعد النظر فيما اقتضاه السياق العام من " الدلالة على أنه -سبحانه- صادق الوعد ، غالب لكل شيء " ^(٢) ، والخاص تمثل فيه إثبات أعظم دليل من دلائل التفرد الإلهي - يميت ويحيي - لا يشركه في ذلك أحد من خلقه ^(٣) . فالنتائج من السياقين يكشف عن حقيقة التفرد الإلهي ، وهذا ما سعى الحذف لإبرازه من خلال أوجه التقابل بين المعاني ، وفي تبصر دلالة الخطاب بتقديم لفظ الجلالة ﷻ على الخبر الفعلي إفادة عظمى تحقّق من ورائها تخصيصه بمضمون الخبر ، أي : الله يتوفّى لا غيره ، فهو قصر حقيقي ؛ لإظهار فساد أن أشركوا به آلهة لا تملك تصرفاً في أحوال الناس ^(٤) .

فالقاعدة الأم لتأمل مظاهر العظمة والقدرة تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : يتوفى الله الأنفس حين موتها ، فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدة حياتها ، والثاني : ويتوفى -أيضاً- التي لم تمت ، كما التي ماتت عند مماتها ^(٥) ، فهما أصل في الكشف عن المقصد الأعظم المتمثل في أن الخالق هو القادر على الإحياء والإماتة دون غيره من المخلوقات . وفي حمل النظم على الاحتباك جليل معانٍ ، من أبرزها : يقاظ القلوب وهز الأبدان بتأمل جليل تلك العظمة ، وهذا حق لله على المرء -تأمل دلائل وحدانيته- ؛ ليصل إلى صدق الإيمان " ثم إنه في قبض نفس النائم والميت لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر ، وبيانا له أن الله يحيي من يشاء

(١) ينظر : نظم الدرر ١٦/٥١٩ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص ٥٠ .

(٢) نظم الدرر ١٦/٤٣٦ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٨/٢٤ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٤/٢٣ وما بعدها .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء" (١) ، وهذا من أنبل مبادئ تعلم المرء عقيدته كما أن في الحذف دليلاً حسيّاً يدركه المرء بأدنى درجات التأمل ؛ لكونه دليلاً للناس من أنفسهم ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١، ك) ، " فبين الميت والنائم قدر مشترك ، وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان" (٢) ؛ إذ " تلتقي أرواح الأحياء والأموات فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها " (٣) ، فالأنفس التي تموت في مماتها هي الأنفس التي يكون معها الحياة والحركة، والأنفس التي لم تمت في منامها حين نومها هي أنفس التمييز لا نفس الحياة ؛ لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس ، والنائم يتنفس ، وكون النفس تقبض ، والروح في الجسد حالة النوم ، بدليل أنه يتقلب ويتنفس (٤) ، فهي في قبضته دائماً في صحوها ونومها.

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا فضيلة وراء الاحتباك إلا الإيجاز (٥) ، وفيه نظر ؛ لكون المعنى الناتج من وراء الحذف يبرز حقائق القدرة بصورة أكثر عمقاً ؛ ليقرر في النفوس عظمة الرب .

*

ويقول تعالى في موضع آخر : ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُنَّ لِزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢، ك) ، ففي قول الحق ﴿وَعَجَّلْنَا لَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾ احتباك "حذف فعل الحفظ بدلالة المصدر ، ومصدر الزينة بما دل عليه من فعلها" (٦) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (زينة) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَزَيْنًا﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (حفظناها) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَحِفْظًا﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : وزينا السماء الدنيا زينة ، وحفظناها حفظاً (٧) . وسره أنه ذكر

(١) المرجع السابق ٩/٢٤ .

(٢) البحر المحيط ٤١٤/٧ .

(٣) نظم الدرر ٥١٩/١٦ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٤١٤/٧ .

(٥) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعہ- أسرارہ ، ص ٥٠ .

(٦) نظم الدرر ١٥٧/١٧ .

(٧) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعہ ، أسرارہ ، ص ٢٤ .

الأدل على تمكن القدرة بالحفظ والزينة .

فالقول بالحذف سعى لإبراز جانب مهم من جوانب العقيدة ، وهو : تحقق القدرة على البعث ؛ لكونه الأصل الأهم في الإيمان الدال على إثبات دلائل التوحيد في النفوس، ففي تبصر دلالي السياق العام والخاص ما يُعَلِّي من شأن الحذف إذ تضمن العام الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره الله؛ لتتحقق لهم إحاطته بمطلق أوصاف الكمال ، والخاص تضمن إعلام البشر بما هو غيب من عظيم القدرة؛ ليحقق لهم بهذا العلم القدرة على الانقياد لكل خير يوجب التوحيد، والإقبال على الحق في كل أمر^(٢) . فما أنتجته أوجه التناظر بين المعاني من مظاهر القدرة والعظمة في منة الله على عباده بتزين السماء بالكواكب وحفظها من الشياطين، أدعى إلى حسن الإيمان وإبعاد الشريك، فثبت بالحذف الدعوة إلى التبصر في عظيم الدلائل لمعرفة **لِللَّائِنِّ** في هذا الصنع نفعاً للناس ديناً ودنياً يرشدهم إلى الترقى في العبادة من خلال نعمتي التأمل في دقائق الصنع والشكر على نعم النفع^(٤) .

*

وفي موضع آخر أسهم حذف التقابل في تحقيق التوحيد الصادق في النفوس من خلال تبصر موضع الحذف في قول الحق **وَعَلَيْكَ** : **﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾** (الواقعة: ٥٩، ٥٨ك) ؛ إذ "ذكر أولاً (تخلقون) دليلاً على حذف مثله له - سبحانه - ثانياً ، وذكر الاسم ثانياً دليلاً على حذف مثله لهم أولاً " ^(٥) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الخالقون) ؛ لدلالة ذكر **﴿الْخَالِقُونَ﴾** في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نخلقه) ؛ لدلالة ذكر **﴿تَخْلُقُونَهُمْ﴾** في الطرف الأول . وتقديره : أنتم تخلقونه أو أنتم الخالقون له ، أم نحن نخلقه بل نحن الخالقون له^(٦) . وسرّه : "أنه ذكر ما هو أوفق لأعمالهم ؛ مما يدل على وقت التجدد ولو وقتاً ما ،

(١) ينظر : نظم الدرر ١٧/١٣٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٥٨ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٤/٩٩ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٤/٢٥١ .

(٥) نظم الدرر ١٩/٢٢٠ .

(٦) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه - أسرار ه ، ص ٤٩ .

وما هو الأولى بصفاته سبحانه ؛ مما يدل على الثبات والدوام " (١) ، فهذا النمط التركيبي شبيه في سياقه ودلالته بما تقدم (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز عظمة الله الباهرة ، وقدرته العجيبة ، وعظيم فضله على عباده ؛ إظهاراً لعجزهم ، فحسن المعنى ودقته يبرزان بصورة أكثر عمقاً بعد مراعاة النظر في السياق العام بما تقرر فيه من إثبات تمام القدرة بالفعل لأجل إظهار أعظم أوصاف الكمال عن طريق نزاهة الله عن كل شيء به نقص (٣) ، والخاص بما تقرر فيه من إثبات الدلائل - لإبطال دعوى منكري البعث - الشاهدة على عجز بني البشر في فعل القدرة على الخلق أولاً ، والإنبات ثانياً ، وإنزال الماء ثالثاً ، وخلق الشجر رابعاً ، مبتدئاً بالأعظم رتبة ثم بما يليه ؛ لإثبات حقيقة أنه لا قدرة لمخلوق في ذلك مطلقاً ، ففي التنقل في سياق مظاهر العظمة والجلال ما يدل على علو بلاغة القرآن في دقة الربط بين معانيه .

وللاحتباك أثر عظيم يبعث في النفوس تعلم مبدئين من أجل مبادئ العقيدة ؛ الأول : في خلق قوة تدفع المرء إلى حسن التأمل والتفكير في باهر الدلائل وعجيب الصنع بحسن صمت ؛ لكون التأمل في جوهر تلك الدلائل - في سياقاته - أصدق دليل على عظم مظاهر التوحيد ، والثاني : في ثمره هذا التأمل والتفكير الذي يُعد من أنبل روابط الصلة بين المرء وربّه ؛ إذ ترتقي بالمرء إلى أقصى درجات العبادة لله إقراراً بجليل قدرته ؛ واستشعاراً بأجود أنواع الإنعام والفضل . ففي هذا إرشادٌ إلى الاجتهاد في التأمل بغية الوصول إلى معرفة الخالق .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (الواقعة: ٦٩-٧٠، ك) ، احتباك امتد في السياق القرآني فـ "كأنه قيل : أنتم خلقتموه عذباً صالحاً للشرب وأنزلتموه من المزن ، لو نشاء جعلناه أجاجاً ولأمسكناه في سحاباته ، أو أنزلناه

(١) نظم الدرر ١٩/٢٢٠ .

(٢) ينظر : في نفس المبحث عنوان: (إنزال المطر ، وإنبات الزرع ، وخلق الشجر) .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٩/١٩٥ .

على البحار أو الخلاء فلم تنتفعوا به"^(١) ، وعليه فالخدوف من الطرف الأول (عذبًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَجَا جًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (لأمسكناه في سحاباته) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَزْنِ﴾ في الطرف الأول . وسرّه : أنه ذكر الأدل على تحقق مطلق القدرة والعظمة لله ، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي عدّة صور أخرى^(٢) اتفقت في الناتج الدلالي من وراء الحذف ؛ إذ تكشف في جوهرها عن معنى التفرد الإلهي المتمثل في القدرة على الإنبات أولًا ، وإنزال الغيث ثانيًا ، وخلق الشجر ثالثًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك في المواضع السابقة من هذا الباب - أسهمت بشكل فاعل في إبراز براهين العظمة والكمال ؛ ليعلم البشر بعظيم تلك القدرة المستلزمة وجوب التوحيد ونفي الشرك ، وليتحقق في الأفئدة عظم التوحيد إحقاقًا يُثبت له - سبحانه - مجامع الكمال ومعالم السلطان ، والذي يهدي إليه السياق العام والخاص وقرائن الأحوال يُعمق القول بحسن الاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من إظهار معالم وحدانية الله ، وهذه الغاية العظمى التي يسعى الاحتباك في تقرير حقيقتها في النفوس ، فالعام تضمن الدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار ؛ لإثبات الكمال ، والتثريه بالنفي لكل شيء به نقص^(٣) ، والخاص سيق لأهل الضلال والعناد^(٤) فأسهم في الاستدلال بأعظم مظاهر القدرة ؛ ليقرر لهم في النار أنهم لا سبب لهم في شيء من ذلك مطلقًا ، فجاء الجواب

(١) التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٧ .

(٢) وكذا الحال في قول الحق ﷻ : ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة: ٦٤، ك) ، احتباك : «فالآية من الاحتباك بمثل ما مضى في أختها قريباً سواء . تقديره : أنتم تزرعونه أو أنتم الزارعون له ، أم نحن نزرعه بل نحن

الزارعون له» . نظم الدرر ٢٢٣/١٩ . وفي قول الحق ﷻ : ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (الواقعة: ٦٩، ك) ، احتباك «والآية من الاحتباك بمثل ما مضى في الآيتين السابقتين سواء» ، تقديره : أنتم أنزلتموه من المزن أو أنتم المنزلون له ، أم نحن ننزله بل نحن المنزلون له . ينظر : المرجع السابق ٢٢٧/١٩ . وفي قول الحق

ﷻ : ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ (الواقعة: ٧٢، ك) ، احتباك «والآية من الاحتباك بمثل ما مضى في أخواتها سواء» ، تقديره : أنتم أنشأتم شجرتها أو أنتم المنشئون لها ، أم نحن أنشأناها بل نحن المنشئون لها .

ينظر : المرجع السابق ٢٢٩/١٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٩٥/١٩ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ١٥٨/٢٩ .

عقب الإنكار في كل موضع بـ "أنت الخالق وحدك" (١) ، فتحقق بالاحتباك إبراز عظمة الخالق في غناه عن الخلق أولاً ، وفيض رحمته في إنعامه ثانياً ، ففي هذا إرشاد عليّ يوجب أهمية الإيمان بالبعث ؛ لأنه مفتاح الارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني ؛ إذ إنه رأس صفات أهل التقوى ، وميزة أهل الإحسان .

وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة حققت جملة ثرية من لطائف المعاني الآخذة بأيدي العباد إلى مدارج النور ، ومن أبرزها : حسن التذكير بنعمتين جليلتين هما : التأمل ، والشكر ؛ إذ إن القول بالاحتباك عون على استبصار دقائق وحقائق خلق الله من خلال ملازمة طول التأمل في عجائب الصنع ، فمظاهر العظمة -هنا- من أعظم الدلائل على البعث ، لأنّ فيها انتقالاً من شيء إلى شيء ، وإحداث شيء من شيء ، فهي دالة -بلا ريب- على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء (٢) ، فثبت التنبيه بجليل النعمة كي يحسنوا الشكر عليها تحضيضاً لهم على الشكر ونبذاً للكفر (٣) .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (نوح: ١٧، ك) ، احتباك "ذكر (أنبت) أولاً دال على حذف مصدره ثانياً ، وذكر (النبات) ثانياً دالاً على حذف فعله أولاً ؛ ليكون التقدير : أنبتكم إنباتاً فنبتم نباتاً" (٤) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (إنباتاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ نَبَاتًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نبتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَنْبَتَكُمْ ﴾ في الطرف الأول . وسرّه أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام القدرة ومطلق العلم . فيدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى (٥) للاحتباك أبرزت معالم قدرة الله على الخلق .

(١) نظم الدرر ٢٢٣/١٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ١٦٠/٢٩ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٧ .

(٤) نظم الدرر ٤٤٤/٢٠ ، وإرشاد العقل السليم ٣٩/٩ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢٥٢/٨ ، وروح المعاني ٢٩/ ٩٤ .

(٥) هذا الموضوع أجمع بعض أهل العلم على عدّه من الاحتباك ، وهو قريب في خصائصه -من حيث ذكر الفعل في طرف حذف مصدره في الطرف الآخر ، وذكر المصدر في الطرف وحذف فعله في الطرف الآخر- من قوله :

﴿ فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا ﴾

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مطلق القدرة على تحقق البعث ؛ إذ استُعيِرَ الإنبات للإنشاء ؛ - لكونه أدل على الحدوث ، والتكون من الأرض ، وهذه استعارة مصرحة تبعية^(١) - ؛ ليدرك البشر عامة - خصوصاً منكري البعث - حقيقة تلك القدرة^(٢) ، فإن في تبصر دلالة السياق العام ما يُنبئُ القول بحسنه ؛ إذ تضمن الدلالة على تمام القدرة على إيجاد يوم القيامة ، وما يتحقق فيه من القدرة على إهلاك المكذبين بالرسول ؛ وكل ذلك ليؤكد في العقول والأذهان حقيقة القدرة على البعث^(٣) ، والسياق الخاص تحقق فيه الاستدلال على كمال القدرة ومطلق العلم بخلق الإنسان ؛ لأنه أعظم المحدثات وأدناها على الله^(٤) . فالقيمة الحقيقية للاحتباك أبرزت جلّ معاني العظمة والكمال لله وحده من إبداع وابتداء واختراع في تكوين الإنسان وإنشائه ، فتمثل في أصل النظم التعبير بالفعل في: ﴿أُنْبِتَكُمْ﴾ ، وبالمصدر في: ﴿نَبَاتًا﴾ ؛ إذ جاء بالمصدر في: ﴿نَبَاتًا﴾ على غير طريقة الفعل في: ﴿أُنْبِتَكُمْ﴾ فتحققت القدرة الإلهية في الإنشاء والخلق ، وربطه بإنشاء النبات وخلقته ؛ ليتأمل المرء حقيقة تلك القدرة فيستشعر العظمة المطلقة لله في إيجاده ، فهو " أنبتكم بخلق أبيكم آدم ﷺ من الأرض كما ينبت الزرع ، تذكيراً لما كان من خلق أبينا آدم ﷺ ؛ لأنه أدلّ على الحدوث والتكون من الأرض ، وأشار إلى أنه جعل غذاءنا من الأرض التي خلقنا منها ، وبذلك الغذاء نموتنا"^(٥) . وفي الإعلام بذلك نعمة عليّة

رَبًّا قَالَ يَمْرَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿آل عمران: ٣٧م﴾ . فالسياق العام يقرر معنى التوحيد ، والخاص يبرز إحسان الله وتفضله بقبول سيدتنا مريم عليها السلام ، «فذكر الفعل من (أفعل) في ﴿وَأُنْبِتَهَا﴾ ، والاسم من (فعل) في ﴿نَبَاتًا﴾ إعلاماً بكمال الأمرين من إمداده في النمو الذي هو غيب من الغيوب ، وكمالها في ذاتية النبات الذي هو ظاهر للعين ، فكمل في الإنشاء والوقوع حسن التأثير وحسن الأثر ، فأعرب عن إنباتها معنى حسناً» . ينظر : نظم الدرر ٤/٣٥٦-٣٥٧ .

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٩/٩ ، وروح المعاني ٩٣/٢٩ .
والتبعية هي : « أن يكون المستعار أفعالاً أو صفات أو حروفاً ، ولا تكون هذه إلا مصرحاً بها » . التبيان في البيان ، ص ١٩٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٠/٤٤٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٤٢٢ وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٤٤٣ وما بعدها .

(٥) المرجع السابق ٢٠/٤٤٤ .

يحسن مراعاتها بحسن العمل ، وهذا أكرم عطاءً في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين التعبير بالمصدر في : (إنباتاً) ، وبالفعل في : (نبتم) أكدّا معاني العظمة من الإبداع والابتداء والاختراع في تكوين الإنسان ، ففيهما إشارة عظمى إلى سهولة ذلك الخلق وهوانه على رب العالمين ؛ مما يدفع المنكرين إلى الرجوع إقراراً بعظيم تلك القدرة ومطلق ذلك العلم^(١) .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك -هنا- ثمرته متمثلة في الإيجاز والاختصار "الذي يلائم إظهار قدرة الله وسهولة الخلق والبعث ، ولفت النظر نحو تدبر آياته في كونه من ظاهرة الإنبات المتكررة الواقعة أمام أعين الناس جميعاً ، وكلما كان الاستدلال أوجز كان أسهل في التذكر ، وسهولة التذكر مدعاة لتكرار التدبر ، والتدبر هو المعبر إلى الإيمان واليقين" ^(٢) .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (النبا: ١٠-١١، ك) ، احتباك " ذكر اللباس أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، والمعاش ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً " ^(٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (تسكنوا فيه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَعَاشًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (مكشوفاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِبَاسًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وجعلنا الليل لباساً ؛ لتسكنوا فيه عن طلب المعاش ، وجعلنا النهار مكشوفاً معاشاً^(٤) . فالنظم يقتضي فهم الصورة التركيبية للاحتباك كما سيأتي^(٥) ؛ لذا فمن الأولى أن يكون المعنى : وجعلنا الليل لكم غشاء يتغشاكم سواده ، وتغطيكم ظلمته ، كما يغطي الثوب لابسه ؛ لتسكنوا فيه عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهاراً ، وجعلنا النهار لكم ضياء ؛ لتنتشروا فيه لمعاشكم وتتصرفوا فيه لمصالح دنياكم وابتغاء فضل الله فيه^(٦) .

(١) ينظر : الموضوع السابق .

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه -أسراره ، ص ٢٦ .

(٣) نظم الدرر ١٩٧/٢١ .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه -أسراره ، ص ٣٥-٣٦ .

(٥) ينظر :موضع دراسة سورة القصص:(٧٣) من البحث.

(٦) ينظر : جامع البيان ٣/٣٠ .

أمّا القول بجعل التقدير في الطرف الثاني : "وجعلنا النهار معاشًا مظهرًا لما ستره الليل"^(١) ، "وجعلنا النهار مكشوفًا معاشًا"^(٢) . ففيه بُعد لا يتفق مع جلال البيان القرآني ؛ لركاكة العبارة ، وخلوها من الحسن والبلاغة ؛ لذا فمن الأولى تركه .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (الليل:٣، ك) ، احتباك "ذكر أولاً الصنعة دلالة على حذفها ثانيًا ، وثانيًا الصانع دلالة على حذفه أولاً"^(٣) ، فالمقصود بقوله : (ذكر الصنعة) خلق الذكر والأنثى المثبتة لله المنفية عن غيره ، وأما قوله : (وثانيًا الصانع) فهو غير ظاهر في أصل النظم بل مقدرٌ فيه ، أي : وما خلق الذين أشركوا . ومن هنا فالتقدير : وما خلق الذين أشركوا به - سبحانه - الذكر والأنثى ، وهو الذي خلق الذكر والأنثى . فالنمط التركيبي لصورة التقدير أتى على النحو التالي :

وفيه نظر ؛ لأنّ طرفي الجملة الثانية محذوفان معًا ، ثم إن هذا الوجه لا يتلاءم مع سمو البيان القرآني العليّ ؛ لركاكة التقدير ، وعدم اقتضاء المقام له ، وضعف المعنى عليه .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنّ التقدير : "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى وما خلقتهما ، والذكر والأنثى وما خلقتهما . وليس وراءه كثير معنى"^(٤) .

وفيه نظر ؛ لأنّ المذكور في الطرف الأول قابل المذكور في الطرف الثاني ، فأصبح المذكور مقابل مذكور آخر ، وهذا ليس احتبًا .

*

-القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤ م) ،

(١) نظم الدرر ، ١٩٧/٢١ .

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه - وأسراره ، ص ٣٥-٣٦ .

(٣) نظم الدرر ٨٨/٢٢ .

(٤) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص ٣٩ .

شبه احتباك ، ذَكَرَ الخلقَ أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والاختلافَ ثانياً دليلاً على حذفه أولاً^(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (اختلافهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (خلقهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن في خلق السموات والأرض واختلافهما ، واختلاف الليل والنهار وخلقهما .

وسرّه : أنه ذكر الحسي أولاً -الخلق- طريقاً لإدراك المعنوي ثانياً -الاختلاف- وهذا من دقيق حكمه وعظيم قدرته، فالسماوات والأرض ثابتة لا تتغير أما آية الليل والنهار فتحتاج إلى تفكير إذن الليل الذي أقمت فيه أيها الإنسان يعقبه نهار، وليس ذلك للسماوات والأرض؛ إذ كلتا هما موجودتان في آنٍ واحد، فبالنظر الآلي تدرك آية (الخلق)، وبالبصيرة تدرك آية (الاختلاف) . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى^(٢) تبرز باهر العظمة والقدرة في سياق الاعتراف بوحدانية الله؛ لإبعاد البشر عن اتخاذ الشريك من دون الله فممنشأ الحذف في الآية هو التقابل بين طرفي النظم ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ ؛ إذ إنهما يحتاجان إلى تقدير محذوف يبرز عظمة السياق؛ لذا قُدِّرَ : إن في خلق السموات والأرض واختلافهما، واختلاف الليل والنهار وخلقهما. فللحذف أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أسهمت في إعلام البشر بمبدأ العظمة والقدرة في خلق السموات والأرض والليل والنهار واختلافهما ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تدعو إلى التقدير؛ لأنَّ السياق العام يقرر وحدانية الله والخاص يقرر إثبات الألوهية لله وهذه الآية دليل على التفرد.

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلكُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يُؤفِكُونَ (الأعام: ٩٥، ك) ، شبه احتباك^(٣) ، فالمحذوف من الطرف الأول (مخرج الحي من الميت) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف

(١) ينظر : نظم الدرر ٢/ ٢٨٨ .

(٢) قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل

عمران: ١٩٠، م) .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٧/ ٣٨٩ .

الثاني (يخرج الميت من الحي) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ في الطرف الثاني .
وتقديره : يخرج الحي من الميت ، ومخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومخرج
الميت من الحي .

وسره " أنه جيء بجملة : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فعلية ؛ للدلالة على أن هذا الفعل يتجدد
ويتكرر في كل آن ، وجيء في قوله : ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ اسماً ؛ للدلالة على الدوام
والثبات ، فحصل بمجموع ذلك أن كلا الفعلين متجدد وثابت " (١) .

وفي القول بالحذف نظر ؛ لما فيه من التكرار المؤدي لركاكة التقدير وبعده عن سمو
بلاغة القرآن .

*

وقيل في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ
وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ (٢) أنظروا إلى ثمره إذا أثمر ويبيعه إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴿
(الأعام: ٩٩، ك) ، شبه احتباك " أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده ، وهو عدم التشابه ، ولأجل
أن الاشتباه أبلغ من التشابه ، علق الأمر بالنظر الذي هو أثبت الحواس ، ودلالة على أن
المراد إنما هو ظاهر ذلك ؛ لأنه كان في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هذا سياقه " (٣) ،
وعليه فالحذف من الطرف الأول (غير مشتبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وغير متشبه﴾ في الطرف
الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (متشابهاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الطرف الأول .
وتقديره : والزيتون والرمان مشتبهاً وغير مشتبه ، ومتشابهاً وغير متشابه .

(١) الموضوع السابق .

(٢) والتشابه والاشتباه متقاربان كالتساوي والاستواء ، وهما مشتقان من الشبه ، والتشابه : التماثل في حالة مع
الاختلاف في غيرها من الأحوال ، أي بعض شجره يشبه بعضاً ، وبعضه لا يشبه بعضاً ، أو بعض ثمره يشبه
بعضاً ، وبعضه لا يشبه بعضاً ، فالتشابه مما تقارب لونه أو طعمه أو شكله مما يتطلبه الناس من أحواله على
اختلاف أميالم ، وعدم التشابه ما اختلف بعضه عن البعض الآخر فيما يتطلبه الناس من الصفات على اختلاف
شهورهم ، فمن أعواد الشجر غليظ ودقيق ، ومن ألوان ورقه قائم وداكن ، ومن ألوان ثمره مختلف ، ومن طعمه
كذلك . ينظر: التحرير والتنوير ، ٤٠٢/٧/٧ .

(٣) نظم الدرر ٢١٢/٧ .

وفيه نظر ؛ لعدم اتضاح علة القول به ، والمعنى المراد : والزيتون والرمان يتشابه في الورق ؛ لكونه قريب الشكل بعضه من بعض ، وفي الثاني : والزيتون والرمان يتخالف في الثمار شكلاً وطعماً وطبعاً^(١) .

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل:٦٧، ك) ، شبه احتباك " ذكر السكر أولاً دال على الفتح ثانياً ، وذكر الحسن ثانياً دال على القبيح أولاً ، فالآية أدل ما في القرآن على المعتزلة في أن الرزق يطلق على الحرام " ^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قبيحاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حَسَنًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يفتحها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ سَكَرًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون ذا سكرٍ مُنشياً مطرباً ساداً لمجاري العقل قبيحاً غير مستحسن للرزق ، ورزقاً حسناً لا يسد شيئاً من المجاري بل ربما يفتحها^(٣) .

وسرّه : أن التعبير عن السكر بالمصدر إبلاغ في تقييحه ، وإشارة إلى كراهيته ؛ لما ينشأ عنه من ضرر في البدن والعقل ، فالسكر ما حرّم من الشراب ، والرزق الحسن ما أُحِلّ منه ^(٤) . فمراد البقاعي من هذا ، الإشارة إلى نعمة العقل الذي لا أحسن منه ، إذا استعمله قوم على صوابه في تبصر دلائل الوجدانية ، ودنسه آخرون بالخوض في الشرك ، والغفلة عن تبصر دلائل الوجدانية ، فثبت أن أثر التأمل هو في تنوير القلب بنور الإيمان ، وتوسيع العقل بأفق المعرفة المولدة للعلم ^(٥) .

وقيل في تقديره : "تتخذون منه سكرًا قبيحاً ورزقاً حسناً" ^(٦) ، وهذا لا يُمثل أركان الاحتباك . والظاهر أن القول بالاحتباك -هنا- فيه بُعد ؛ لذا فالأولى تركه .

*

(١) ينظر : جامع البيان ٤/٢٩٤ .

(٢) نظم الدرر ١١/١٩٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١١/١٩٥ وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١١/١٩٦ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه وأسراره ، ص ٤٠ .

وفي قوله **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا** ﴿الفرقان: ٤٧﴾ ، شبه احتباك " ذكر السبات أولاً دليلاً على الحركة ثانياً ، والنشور ثانياً دليلاً على الطي والسكون أولاً" ^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (سكوناً) ؛ لدلالة ذكر ﴿نُشُورًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حركة) ؛ لدلالة ذكر ﴿سُبَاتًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والنوم سباتاً وسكوناً ، والنهار نشوراً وحركة ^(٢) .
وسرّه أنه ذكر الأظهر لهم ؛ لكونه أدل على مطلق القدرة .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل فيما أنتجته أوجه التقابل من لطائف المعاني الساعية لإبراز عظمة الخالق في إظهار النعم -الليل والنهار- ؛ دليلاً على عظمته بتصرفه بالإيجاد والإعدام ^(٣) ؛ ولتحقق التذكير بأهمية تحقق إثبات التوحيد ، ففي تبصر دلالة السياقين أهمية عظمي تبرز القول بالحذف ؛ إذ تضمن العام " إنذار المكلفين بما له - سبحانه- من القدرة الشاملة المستلزمه للعلم التام ؛ لأنه لا يوجد على الحقيقة سواه ، فهو الحق وما سواه باطل " ^(٤) ، والخاص تضمن " ذكر أنواع من الدلائل الدالة على وجود الصانع ، وإحاطة علمه ، وشمول قدرته ، مشيراً إلى أن الناظر في هذا الدليل -لوضوحه في الدلالة على الخالق- كالناظر إلى الخالق" ^(٥) . فثبت بهذا إعلام الكفرة المعاندين أن لا وجود وجود لهم ؛ لأنهم لا علم لهم ولا قدرة ، ففي هذا إبرازٌ للغاية من وراء الحذف ؛ إذ تحقق به إثبات حقيقة وجود الصانع لتلك الدلائل ، حثاً على مراعاة حق الله على البشر ، وهو التأمل في الدلائل ؛ لأن ثمرته صدق الإيمان ؛ وهذا من مبادئ ترسيخ العقيدة الحقّة ؛ لترتقي النفس الإنسانية في مقامات القرب من ربها قريباً تتبصر به في الدلائل لتبلغ رضاه ؛ إذ جمعت الآية استدلالاً باهراً على عظيم القدرة بالتصرف في الليل والنهار ، فهو وحده القادر على ذلك ، وامتناناً بنعمه جعل النوم راحة تستريح به الأبدان ، وتهدأ به الجوارح ، وجعل النهار

(١) نظم الدرر ١٣/٤٠٠ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٣/٤٠٠ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه -أسراره ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٣/٤٠٠ .

(٤) المرجع السابق ١٣/٣٢٩ .

(٥) المرجع السابق ١٣/٣٩٦ .

يقظة وحياة وحركة ، فيه الانتشار للمعاش^(١) ، فمن الواجب مراعاة تلك النعمة بالشكر عليها ، وحسن العبادة فيها ، لما تقرر في النظم من أنه وحده الموجد لها ، فدلالة القصر على التخصيص واضحة من تعريف الطرفين . كما أضاف للنظم دقة وإيجازاً تلحظ بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ... وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا** ﴾ ، وبعده : هو الذي جعل لكم النوم سباتاً وسكوناً ، والنهار نشوراً وحركة ، فتلمس الفرق بينهما في الذهن يكشف عن خاصية عمق المعنى وكثافة النظم ، فصار لكل طرف مذكور - (سباتاً) ، و(نشوراً) - مقابل آخر مختزن في الذهن - (سكوناً) ، و(حركة) - .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ **وَمَكْرُومًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا** ﴾ (النمل: ٥٠، ك) شبه احتباك ، دلّ عليه السياق فـ "عدم الشعور دالٌّ على حذف عدم الإبطال من الثاني ، وعلى حذف الشعور والإبطال الذي هو نتيجته من الأول"^(٢) ، فالحذوف من الطرف الأول : (شعرنا بل علمنا به) ؛ ومن الطرف الثاني حذف (أبطلناه) ، و(لم يقدرُوا على إبطاله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ ، وتقديره : ومكروا مكرًا فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه ، ومكرونا مكرًا وهم لا يشعرون ولا يقدرُونَ على إبطاله .

وسرّه : أنه ذكر ﴿ **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ ؛ لينفي عنهم القدرة على الشعور مطلقاً ، فذكر الأهم في إبطال مكرهم رغم اجتهادهم في إتقانه وإحكام شأنه^(٣) .

فالعلائق الرابطة بين أركان الحذف أسهمت من خلال أوجه التقابل في تأكيد مطلق القدرة والعظمة لله ، ونفي ذلك عن غيره نفيًا مطلقاً ؛ إذ إن في صنيعهم هذا عمل من لا يظن أن الله عالم به^(٤) ؛ - "إذ احتالوا لأمرهم ، واحتال الله لهم ، ومكروا بصالح مكرًا ، ومكرونا بهم مكرًا ، وهم لا يشعرون بمكرونا ، وشعرنا بمكرهم"^(٥) ، فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق لطيف بالسياق العام للسورة ؛ لكونها في الأصل أبرزت معالم القدرة والعظمة

(١) ينظر : جامع البيان ٢١/١٩ .

(٢) نظم الدرر ١٧٩/١٤ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٧٨/١٤ .

(٥) جامع البيان ١٧٣/١٩ .

لله ؛ إذ تحقق في مقصدها "وصف الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين ، وبالفصل بين الصراط المستقيم وطريق الحائرين ، والجمع لأصول الدين ، وبشارة المؤمنين ، ونذارة الكافرين... وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم الحكمة" (١) ، وفي هذا دلالة قاطعة أوجبت إعلام البشر بإحاطة علمه - سبحانه - بالخفي والجلي ، أما الخاص فتضمن إبراز عظمة الله ، وشمول إحاطته علمًا وقدرة ، فاتضح بهما تحقق عظيم القدرة في إبطال ما همّ به أهل الكفر والنفاق ، فإن في تبصر دلالة الخطاب إيضاحًا لأهمية التذكير بجلائل القدرة والعظمة ؛ وردعًا عن تجنب المكر بأنواعه ، فالمكر غدراً بأهل الإسلام ، وطغياناً في مجاوزة العتو والعدا ، وتكذيباً بالرسول والآيات ، والعدر كفر (٢) ، فالإعلام بهذا نعمة عليّة تجنب خطر الوقوع في الكفر ، وتدفع إلى حسن اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، فشكّل الحذف أثرًا فاعلاً في تحقق إبطال مكر الطاغين بهلاكهم ؛ إذ سلّط الله عليهم صخرة فقتلتهم (٣) ، وفي هذا عبرة لمن اعتبر ، فمكرهم : ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ، ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (النمل: ٤٩، ك) ، ومكر الله : إهلاكهم من حيث لا يشعرون (٤) ، فالنتائج من وراء الحذف تحقق في إعلام المجرمين أن ما ستروه من مكرهم السيئ الذي أرادوه به الشر ظاهرٌ مكشوفٌ في علم الله ، "فكان مكرهم الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفًا ، وفي حضرتنا معروفًا وموصوفًا" (٥) .

فمن خلال المعاني المتقابلة أظهر الحذف تأكيد صفة العلم المطلق لله وحده ؛ إذ أثبت بالدليل القاطع انتفاء ذلك بإعلامهم أن صالحًا ^{الطيب} لم يشعر بمكر الكافرين ، فتحقق أن في الحذف علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على مطلق القدرة ، ومنتهى العلم ، وحسن التدبير ، وهذا يرسخ جانباً عليّاً من جوانب العقيدة تمثل فيما أبرزه السياقان من معالم القدرة (٦) ،

(١) نظم الدرر ١٤/١٢٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٩/١٧٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٩/١٧٤ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٧/٨٢ .

(٥) نظم الدرر ١٤/١٧٨ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٣/٢١٧ بتصرف .

كما أنّ في تدبر دلالة شبه الاحتباك إرعاباً يُخيف أهل الكفر ؛ لشدة تحقّق مكر الله بهم ، فأتى في النظم مُنكرًا ؛ لكونه عظيمًا في ذاته ؛ إذ مكر الله بمن مكر به ، فُخذُه من أخذِه منهم على غرّة ، واستدراجه منهم من استدراج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غرّة وغفلة (١) ، فثبت أنّ في نجاة صالح نجاة للمؤمنين عامة ، وفي إهلاك الظالمين إهلاك لهم في كل أمة من الأمم على مر الدهور والأزمان ، ففي تبصر دلالة الخطاب إعلاء لذلك ؛ إذ سمى الله شدة مجازاتهم على عصيانهم مكرًا ، فثبتت مجازاتهم على مكرهم بمكر أشد قوة ، وأعظم زجرًا (٢) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذْخِفِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٧، ك) ، شبه احتباك "ذكر الإرضاع أولاً دليلاً على تركه ثانيًا ، والخوف ثانيًا دليلاً على الأمن أولاً" (٣) . فالحذف من الطرف الأول (ما كنت آمنة عليه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (اتركي رضاعه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ما كنت آمنة عليه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، واتركي رضاعه . وسرّه : أنه "ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكيناً لرعبها" (٤) .

فصورة الحذف أسهمت في الكشف عن تمكن الإيمان الحقيقي في النفوس من خلال إبراز حالة أم موسى عليها السلام أمام أقدار الله لها ، وهذا معنى جليل يكشف عن سر من أسرار التزييل ؛ تأكيداً لقوله : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: ٥، ك) ، وإعلاماً بحسن العاقبة للمتقين الصابرين ، وأن ما أراه - سبحانه - واقع لا محالة . فأظهر الحذف دلالة الأمر في النص القرآني في سياق إثبات دلائل العظمة والكمال لله ، وهذا ما دعت إليه السورة في المقام الأول ؛ لكونها تهدف إلى إثبات التواضع

(١) ينظر : جامع البيان ١٩/١٧٣ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٣/٢١٧ .

(٣) نظم الدرر ١٤/٢٤٤ .

(٤) الموضوع السابق .

لله ، المستلزم التوحيد والانقياد له ^(١) ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة خبرين ، وأمرين ، ونهيين ، وبشارتين ، فالخبران: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ ، و ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ ؛ لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه . والأمران : ﴿ أَرْضِعِيهِ ﴾ ، و ﴿ فَالْقِيهِ ﴾ ، والنهيان : ﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾ ، و ﴿ وَلَا تَحْزَنِي ﴾ . والبشارتان : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ﴾ ، و ﴿ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٢) . فما تضمنته الآية يكشف عن حالة أم موسى ، فهي أمام أمرين عظيمين ، يحمل كل واحد منهما سرًّا من أسرار اللطف الجميل ، والقدرة الإلهية الباهرة في تحقيق ما يطمئن فؤادها ، ويهدئ من روعها ؛ حثًا على الترغيب في الأمن بـ : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ ، ونهيًا عن الخوف ؛ لتصل إلى تحكم ربط الأمور واستنتاجها بـ : ﴿ فَالْقِيهِ ﴾ ، وهذا يدفع إلى الترغيب في الأمن والاطمئنان ، والنهي عن الخوف . فتحقق بالمعاني الجوهرية عظم التسليم والعمل بأمر الله ؛ لتتحقق إرادته ^(٣) . وفي حمل النظم على الحذف مزايا عظام ؛ من أجلها : أن في إعلام البشر بالقدرة العلية ، والعظمة الباهرة ، والإرادة الواقعة نعمة تُحَقَّقُ في القلوب الغافلة الإيمان ، وفي النفوس حب الله ، وفي العقول توحيدِهِ ، فإذا أحب المرء ربَّه انسَ به ، وارتقى في عبادته إلى أرفع مراتب الإحسان . كما أن في تأمل موضع الحذف استشعاراً لعظم منَّة الله على موسى عليه السلام وأمه ، يفتحُ باب ملازمة العبادة والتقوى ، ودليل تحقُّق صدق الوعد منه ﷻ .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠، ك) ، شبه احتباك "نفي أولاً إدراك الشمس لقوتها دليلاً على حذف الثانية من نفي إدراك القمر للشمس ، وذكر ثانياً سبق الليل النهار لما له من القوة بما يعرض من النهار فيغشيه دليلاً على حذف سبق النهار الليل أولاً" ^(٤) . وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (فما النهار سابق الليل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ في الطرف الثاني ،

(١) ينظر : المرجع السابق ٢٣٢/١٤ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٧٤/٢٠ وما بعدها .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢٤٢/١٤ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ١٣٣/١٦ .

ومن الطرف الثاني (لا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، فما النهار سابق الليل ، ولا الليل سابق النهار ، ولا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس .
وقيل : إن في الآية اكتفاء ؛ لكون التقدير : "ولا القمر يدرك الشمس" ، ولا النهار سابق الليل" ^(١) . فالأنسب لهذا التقدير حمله على الاحتباك ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول : (ولا القمر يدرك الشمس) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (ولا النهار سابق الليل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا القمر يدرك الشمس ، ولا الليل سابق النهار ، ولا النهار سابق الليل ؛ ثم لتحقيق التقابل بين طرفي القول ، وهو في صياغته أدق مما سبق . وسره : أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام الحكمة ومطلق القدرة .

فمنشأ الحذف في هذه الآية هو التقابل بين طرفي النظم ؛ إذ إن أركان الاحتباك تكشف عن قدرة الله في التحكم في تدبير الليل والنهار ، والشمس والقمر بما يناسب مصالح العباد ، خصوصاً وأن السياق العام نص على "إثبات أمر الرسالة" ^(٢) ، والخاص يسعى لإثبات الوحدانية ، فالركنان المحذوفان - : (لا القمر يدرك الشمس) في الطرف الأول ، و(لا النهار سابق الليل) في الطرف الثاني - يقيمان علائق ربط جديدة مع الركنين المذكورين - : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) في الطرف الأول ، و(لا الليل سابق النهار) في الطرف الثاني - تضيف إلى أصل النظم معاني حسناً ، من أهمها : أن التأمل في تلك الدلائل يقرب العبد من ربه ، فيكون سبباً في تمسك المؤمن بدينه ، وحافزاً للكافر في الرجوع إلى ربه . فالنمط التركيبي لصورة الحذف يؤكد مطلق القدرة لله في التصرف في الشمس والقمر والليل والنهار من خلال المعاني المتقابلة ؛ إذ تضمن أصل النظم ذكر الأهم - (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) ، و(لا الليل سابق النهار) - فنشأ في مقابل كل مذكور محذوف آخر - : (لا القمر يدرك الشمس) ، و : (لا النهار سابق الليل) - يبرز قدرة الله ويؤكد عظيمته

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٢٥ .

(٢) نظم الدرر ١٦/٨١ .

الموجبة صرف العبادة له إفراداً .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤، ك) ، شبه احتباك "ذكر القرار أولاً دليلاً على الدوران ثانياً ، والبناء ثانياً دليلاً على الفراش أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فراشاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِنَاءً﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أفلاكاً دائرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿قَرَارًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الله الذي جعل لكم الأرض ، مع كونها فراشاً ممهداً ، قراراً ، والسماء ، مع كونها أفلاكاً دائرة ، بناء (٢) . وسره أنه ذكر الأظهر الأدل على مطلق القدرة والعظمة له ﷻ .

القول بالحذف سببٌ في نشوء علاقة تقابل بين طرفي النظم ؛ الأول : في جعل الأرض لنا فراشاً ممهداً مقابل جعل السماء لنا بناءً ، والثاني : في جعل الأرض قراراً مقابل جعل السماء أفلاكاً دائرة ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تشير إلى إثبات استحقاق العبادة لله بمظاهر قدرته المركز في الطباع صحتها وفي العقول معرفتها (٣) . ففي هذا - أولاً - استدلالٌ بعظيم القدرة الدالة على التوحيد ، الموجبة على العبد التعرف على ربه ، فالمؤمن بالله ينطلق بتوحيده إلى الاعتراف بمظاهر القدرة والسلطان ، ثم يجسد استسلامه لله ، و - ثانياً - امتنانه يجعل كل ذلك لنا ؛ حثاً على حسن الانتفاع بما أوجده من أجلنا ، ويبرز حسن الحذف بما في النظم من لطائف أجلها التعبير بـ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٢٩، ك) ، شبه احتباك "دل بد(وَأَغْطَشَ) على (أضياء) ، وبإخراج الضحى على إخفاء الضياء" (٤) . وعليه فالمحذوف من

(١) المرجع السابق ، ١٠٥/١٧

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٠٥/١٧ ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراره ، ص ٢٣ .

(٣) ينظر: نظم الدرر ١٠٤/١٧ .

(٤) المرجع السابق ٢٤٠/٢١ .

الطرف الأول (أخفى) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَخْرَجَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أضاء) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَغْطَشَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأغطش ليلها بغياب شمسها فأخفى ضياءها ، وأخرج ضحاها بطلوع شمسها فأضاء نهارها^(١) .
وسرّه أن ذلك أدل على تحقق القدرة على البعث ، "ولعله عبر بالضح ا عن النهار ؛ لأنه أزهـر ما فيه وأقوى نوراً"^(٢) .

فالقول بالحذف أسهم في نشوء علائق ربط جديدة تمثلت في التقابل بين المعاني ، لتحقق مزيداً تأكيداً على إثبات القدرة على البعث ؛ إذ إن في تبصر مظاهر تلك العظمة في كل يوم وليلة مرتين أثراً فاعلاً في إدراك وجود صانعٍ مدبرٍ بيده جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً ، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً ، وهذا يُثبت في النفوس عِظَمَ التوحيد لنفي الشرك^(٣) ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال تدعو إلى إثبات حقيقة بعث الإنسان بالدليل القاطع ؛ إذ تضمن العام " الإقسام على بعث الأنام ووقوع القيامة " ^(٤) ، والخاص أبرز الدلائل الشاهدة على تلك القدرة ؛ فثبت أن القدرة على البعث متحققة بصدق الدلائل لا ريب فيها مطلقاً ، وهذا أجدى لمقام تذكير المنكرين بالقدرة على البعث وإعادة الأرواح إلى أبدانها^(٥) . وللاحتباك أثر فاعل في إبراز حسن التذكير بعظيم الامتنان في جعل الليل والنهار وما لهما من خصائص معينة على سهولة الحياة ، وهذا أتم في الإنعام ، وأكمل في الإحسان ، فوجب لهذا الدعوة إلى ملازمة الشكر ، كما أضاف نوعاً من الدقة والإيجاز يلحظان بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ، وبعده : وأغطش ليلها بغياب شمسها فأخفى ضياءها ، وأخرج ضحاها بطلوع شمسها فأضاء نهارها . فتلمس الفرق بينهما يكشف عن مخزون آخر في الذهن مقابل لكل محذوف ، وهذا يؤكد مطلق العظمة والسلطان لله ﷻ .

*

(١) ينظر : نظم الدرر ٢١/٢٤٠ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-أسراره ، ص ٣٧ .

(٢) نظم الدرر ٢١/٢٤٠ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٤/٤٦٩ .

(٤) نظم الدرر ٢١/٢١٧ .

(٥) ينظر : روح المعاني ٣٠/٤٠ .

وفي قول الحق عَجَبَكَ : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾^(١) (التكوير: ١٥-١٧، ك) ، شبه احتباك " ذكر خنوس الكواكب وكنوسها أولاً يفهم ظهورها ثانياً ، وذكر الليل ثانياً يفهم حذف النهار أولاً"^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ظهرت) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِالْخُنُوسِ .. الْكُنُوسِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (النهار) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَاللَّيْلِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس -تختفي وتغيب- فمأراً ، والليل إذا عسعس فظهرت كواكبه . وقيل تقديره : "فلا أقسم بالخنس بالنهار ، الجوار الكنس بالليل ، ويكون المحذوف : الليل والنهار"^(٣) ؛ لأن موضع شبه الاحتباك منحصر في ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ وهذا جائز في باب شبه الاحتباك ، ولكن الأولى التقدير الأول ؛ لما سيأتي في بيان وجهه . وسره : أنه ذكر الأغرب الأدل على المراد ، وهو تحقق القدرة لله وحده .

فالتقابل في الآية ظهر من خلال فهم المعنى بين : (الخنس...الكنس) ؛ إذ إن معناها : (تختفي وتغيب) مقابل للمحذوف : (ظهور الكواكب) ، فمنشأ القول بالحذف قائم على تأمل "هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار"^(٤) . والذي يهدي إليه السياق العام والخاص يبرز أهمية حمل النظم على ذلك ؛ لما تحقق فيهما من علو نبرة التهديد الشديد التي سيطرت على بناء السورة بكليتها ، فتضمن العام تصوير يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت بقصد إعلاء شأن التهديد الشديد المترتب على إنكاره^(٥) ، وحملاً الخاصُّ الدلالة على عظيم القدرة في سياق الترهيب تخويفاً وإرعاباً من الخوض في تكذيب الحق وأعظم ما فيه القرآن الكريم ؛ ليحقق في العقول الغافلة حقيقة القرآن ، وأنه متره عن

(١) الخُنُوسُ ، الجَوَارُ ، الكُنُوسُ : واحدها كَانِسٌ ، وخنسٌ . ويقالُ : كَنَسَ وَخَنَسَ : إذا اختفى ، يَخْنِسُ بالنهار ، وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ . ينظر : غريب القرآن وتفسيره ، تأليف : أبي عبد الرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك اليزيدي ، حققه وعلق عليه : محمد سليم الحاج ، (بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، ص ٤١٧ .

(٢) نظم الدرر ٢٨٦/٢١ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، وأسراره ، ص ٣٨ .

(٤) جامع البيان ٧٤/٣٠ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٣٧٥/٢١ .

شوائب النقص ، لأنه كلام الملك الأعلى^(١) ، وفي تدبر دلالة شبه الاحتباك اتضح ما يلحق هذه الأجرام من عيوب اقتضتها طبيعة القدرة الإلهية بقصد الإعلام بأن القرآن متره عن كل شائبة نقص ؛ لذا ثبت ثباتاً قاطعاً أن الأمر فيه غنى عن كل قسم ؛ لشدة ظهوره وانتشار نوره^(٢) ، " وإنما نفى الإقسام بها ؛ لأنها وإن كانت عظيمة في أنفسها بما ناط بها — سبحانه — من المصالح ، وأنتم تعظمونها ، وتغفلون فيها ؛ لأن فيها نقائص الغيوبة وانبهار النور ، والقرآن المقسم لأجله متره عن ذلك ، بل الغالب على كل ما سواه من الكلام غلبة هي أعظم من غلبة ضياء الشمس لنور ما سواها من الكواكب " ^(٣) ، فأسهم الحذف في إعلام البشر بما هو غيب عنهم ؛ ليدفعهم إلى العلم بمكانة القرآن وعلو رتبته .

*

المطلب الثاني : مظاهر إنعام الله وتفضله على الخلق .

يكشف الاحتباك عن مدى إنعام الله وتفضله على عباده ، وذلك في قول الحق ﷻ :

﴿ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١م) ، ففي الآية الكريمة احتباك سببه اختلاف أوجه القراءة ^(٤) ، فذكر (دفع الله الناس) أولاً دليلاً على (دفع المخلوقات بعضها ببعض) ثانياً ، وذكر (فساد الأرض) ثانياً دليلاً على حذف (فساد الناس) أولاً ، وعليه فالحذف من الطرف

(١) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٨٤ وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢١/٢٨٦ .

(٤) قرأ نافع : (ولولا دفاع الله الناس) بالألف . وقرأ الباقر : (دفع الله) ، مصدر من (دفع دفعاً) . وحثهم : أن الله ﷻ لا مدافع له ، وأنه هو المتفرد بالدفع من خلفه . وكان أبو عمرو يقول : «إنما الدفاع من الناس ، والدفاع من الله» . وحجة نافع : أن الدفاع مصدر من (دفع) كالكتاب من (كتب) كما قال : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء: ٢٤م) ، ويجوز أن يكون مصدرًا لفاعل ، تقول : دفع الله عنك الشيء يدافع مدافعة ودفاعاً . والعرب تقول : أحسن الله عنك الدفاع . ينظر : حجة القراءات السبع ، تأليف : أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زحلة ، حققه وعلق عليه : سعيد الأفغاني ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م) ، ص ١٤٠ وما بعدها .

الأول (دفع بعض المخلوقات بعضها ببعض) ؛ لدلالة ذكر (دفاع الله الناس) في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (لفسد الناس) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : " ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض لفسدت الأرض -أي : من على الأرض- ولفسد الناس " (١) .
وسرّه : أنه ذكر السبب العام لجلب المنافع ودفع المضار تذكيراً بعظيم الامتنان -دفع الله- ؛ لشموله على ما أضر-دفع الناس- . ثم ذكر السبب العام لجلب المضار ودفع المنافع -فساد الأرض- ؛ لشموله على ما أضر -فساد الناس- .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إثبات فضل الله ومنه على العباد في دفعه البرّ من خلقه عن الفاجر ، والمطيع عن العاصي ، والمؤمن عن الكافر (٢) ، وهذا المعنى يبرز حسنه بمراعاة السياق العام بما يقرره من "إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب " (٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إنجاز وعد الله للمؤمنين على جهاد أعدائه وأعداء رسوله (٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في الركنين المذكورين ، الأول : في " ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وحربوا البلاد " (٥) ، والثاني : في " لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها " (٦) ، ولكن وراء الحذف لطائف ، من أهمها : إبراز فضل الله ونعمته في دفاع الناس بعضهم ببعض ودفع المخلوقات بعضها ببعض ، وأنه وحده هو المتفرد بالدفع عن خلقه ، ولا أحد يُدافعه فيغالبه (٧) ، كما أن في الحذف نعمة عليّة ، هي نعمة الإعلام بـ "أن بـ" أن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مئة أهل بيت من جيرانه البلاء " (٨) ، وهذا حتاً على التمسك بفعل الطاعات التي هي من أجلّ النعم التي يحسن مراعاتها والعمل بها ، كما أن فيه

(١) التحرير والتنوير ٥٠٣/٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٦٣٣/٢ .

(٣) نظم الدرر ٥٥/١ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٦٣٣/٢ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٠/٢ .

(٦) إرشاد العقل السليم ٢٤٥/١ .

(٧) ينظر : جامع البيان ٦٣٤/٢ .

(٨) المرجع السابق ٦٣٣/٢ .

دعوة إيمانية تغرس في النفوس الإقبال على إصلاح الأرض وصلاحها ، وذلك بالتمكين للخير بالكفاح مع الشر ؛ حتى يكون الصلاح والخير والنماء ، فهذه المعاني مجتمعة تدل على اجتماع الكلمة واتحاد الصف في نشر الخير والدعوة إليه ، حتى تعلم النفس أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض ، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل ؛ لأنها واثقة بالله أنها ستغلب في النهاية وتنتصر ؛ وأنها تمثل إرادة الله العليا في دفع الفساد عن الأرض ، وتمكين الصلاح في الحياة . وأنها تنتصر لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار^(١) ، وفي الحذف -أيضاً- حكم ربانية جليلة تهدف لقيام الدين وحفظه ، وذلك في جعل الناس يدفع بعضهم بعضاً ، فلو كانت السلطة والقوة لقوم معينين لأفسدوا وتجبروا ، ولكن القدرة الإلهية لهم بالمرصاد .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦م) ، احتباك اقتضاه السياق^(٢) ، فالحذوف من الطرف الأول (لتستبشر) ؛ (لتستبشر) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (طمأنينة لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : بشرى لتستبشر نفوسكم به ، وطمأنينة لكم لتطمئن قلوبكم به . وسره : أنه ذكر فضله ومثله على عباده ؛ ليحصل المقصود ، ويتحقق الهدف الأسمى من الرسالة المحمدية ، وهو : التصديق بنبوته محمد ﷺ ، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى من صور الحذف^(٣) .

(١) ينظر : في ظلال القرآن ٢/٢٧١ بتصرف يسير .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٥/٥٨ .

(٣) في سورة الأنفال موضع للاحتباك اتفق في الغرض مع هذا الموضع ، واختلف في كيفية صياغته ، ومن أبرز مواضع الاختلاف : * ذكر الضمير (لكم) في (بُشْرَىٰ لَكُمْ)-آل عمران- ، وتركه في الأنفال . * تقديم الفاعل (قلوبكم) وتأخير الجار والمحرور (به) في (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ)-آل عمران- والعكس في الأنفال (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) - وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ «الأنفال: ١٠م» ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ احتباك ، وتقديره : بشرى لتستبشر به نفوسكم وطمأنينة لتطمئن به قلوبكم . ينظر : نظم الدرر ٨/٢٣٢ .

فالحذف أسهم في إبراز منة الله على المؤمنين ؛ ليقفوا بنصر الله ، فيزداد نشاطهم في التوجه والالتجاء ، وهذا المقصد متحقق بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، ولكن في الحذف دقائق من أهمها : التنويه للعباد بعناية الله بهم ؛ كي يبصروا أن الفاعل الحقيقي لذلك النصر والإمداد هو الله ، فيقوى رجاء النصر منه سبحانه ، والطمع في عظيم رحمته ^(١) ، فتسكن الأرواح والقلوب إليه ، و" لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب ، بين قلب المؤمن وقدر الله بلا حواجز ولا عوائق " ^(٢) ، وهذا أجود في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في تعميق المعنى الجليل المتمثل في إبراز جليل النعم وعظيم الفضل في نفس البشر عامة ، والمسلمين خاصة ، فـ"أجرى سبحانه سنته مع أوليائه أنه إذا ضعفت نياتهم ، أو تناقصت إرادتهم ، أو أشرفت قلوبهم على بعض فترة ؛ أراهم من الألفاف ، وفنون الكرامات ما يُقوّي به أسباب عرفانهم ، وتتأكد به حقائق يقينهم " ^(٣) . كما أن فيه تثقيفاً للنفوس البشرية ؛ لتقف أولاً عند تأمل الإمداد الملائكي ، فتشكر الله عليه ، ومن جانب آخر فإن لجمال القصر بـ(ما ، وإلّا) وقعاً بلاغياً نستمد منه مقصداً جليلاً من مقاصد الاحتباك - حتى لا تتوقع النفس أن النصر كان بالإمداد - بالملائكة - بل هو متحقق بقدره الله التي هيأت لهم ذلك ، وما ظفركم إن ظفرتكم بعدوكم إلا بعون الله ، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة ، فعلى الله فتوكلوا ، وبه فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد ^(٤) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ حَٰرِثَ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ ^(٥) مِّنْ نَّشَأٍ ^ط وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف: ١١٠، ك) ، احتباك اقتضاه السياق ؛ إذ ذكر الماضي أولاً دليلاً على حذف مضارعه ثانياً ، وذكر المضارع ثانياً دليلاً على حذف ماضيه أولاً ، فالمحذوف من الطرف الأول (شئنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ نَشَأٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٧٧/٤ .

(٢) في ظلال القرآن ٤٧٠/٤ .

(٣) لطائف الإشارات ٢٧٨/١ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٨٤/٤ .

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي (فُنَجِّي) . ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها ، تأليف : أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي ، حققه وقدم له : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، القاهرة ، مطبعة المدني ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ٣١٧/١ وما بعدها .

الثاني حذف (ننجي) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَنُجِّيَ﴾ في الطرف الأول وتقديره : "فَنُجِّيَ من شئنا ممن نجا في القرون السابقة ، وننجي من نشاء في المستقبل من المكذبين" (١) .

وسره : أنه ذكر مطلق القدرة أولاً ، ومطلق المشيئة ثانياً ؛ لكونهما أدل على مطلق التوحيد ، ولما كان النصر قد وقع لأنبياء وأقوام سابقين أظهره في النظم وأبرزه ﴿فَنُجِّيَ﴾ ؛ لذا أثر التعبير بصيغة الماضي إعلاماً بتحقيق وقوعه ، وأضره بصيغة المضارع لكونه آنذاك لم يقع وسيقع من الله إكراماً لأولياته . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي عدة صور أخرى اتفقتا في الناتج الدلالي من وراء الحذف (٢) ، وبعضها حُمِلَ على الاحتباك بسبب تغاير أوجه

القراءة فيها ، وهي : في قول الحق ﷻ : ﴿ثُمَّ نُجِّي رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا

نُجْحَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٣، ك) ، فالاحتباك فيها (٣) على قراءة التخفيف والتثقيل (٤) ، على تقدير : وكذلك ننجي المؤمنين تنجية عظيمة وننجيهم إنجاء عظيمًا (٥) .

فالصورة التركيبية للحذف - في هذه المواضع - تشير إلى إبراز دلائل القدرة الإلهية في التفضل والمنّ على أشرف الخلق ؛ لكون السياق العام يقرر وحدانيته ، ويبين عظيم قدرته على ما عذب به الأمم ، وأنه حكم بالنصرة لعابديه ، فلا بد أن يكون ما أراداه ؛ لأنه إليه يرجع الأمر كله (٦) ، والخاص يقرر حال الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في إنذار قومهم لخلاصهم من الشقاء ، وتوعددهم من الله بأنواع العقوبات إن لم يتبعوهم ، فطال عليهم الأمر ، وتراخى النصر ، وهم يكذبونهم في تلك الإيعادات ، ويستهزئون بهم (٧) .

فالقاعدة الأم لفهم المعنى المراد تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : تحقق وعد الله ﷻ

(١) التحرير والتنوير ٧٠/١٣ .

(٢) قول الحق : ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنبياء: ٩، ك) ، إذ «الإتيان بصيغة

المستقبل في ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ ، على تقدير : فأنجيناهم ومن شئنا، وننجي رسولنا ومن نشاء منكم . ينظر :

التحرير والتنوير ١٣٠/٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢١٤/٩ .

(٤) «قرأ الكسائي وحفص عن عاصم : (ننج) خفيفة من أنجي ينجي ، وقرأ الباقون : (نُجِّي) مشدداً من نَجِي

ينجي» . إعراب القراءات السبع وعللها ١/٢٧٥ وما بعدها .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٢١٤/٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٠/١ وما بعدها .

(٧) ينظر : المرجع السابق ١٠/٢٥٣ وما بعدها .

لأنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم ، والثاني : وعد الله لمن آمن وصدق الرسل بالإنجاء والنصر^(١) ، وهذا من أعظم دلائل القدرة المستوجبة كمال التوحيد ، فبهما تحقق أصل المراد ، وهو تحقق صدق الوعد بإنجاء الرسل ومن تبعهم من المؤمنين ؛ لكونهما -الركنين المذكورين- من أسمى مبادئ تحقيق الإيمان المحرك في النفوس الخوف من الله ، ولكن في حمل النظم على الحذف جملة من لطائف المعاني تدعو إلى تعمق معنى العظمة الإلهية في الإعلام بأن سنته جرت بأنه يطيل الامتحان ، ويمد زمان الابتلاء والاعتبار ؛ حثاً للأتباع على الصبر ، وزجرًا للمكذبين عن التمادي في الاستهزاء^(٢) ، وهذا يؤكد للمؤمن صواب عقيدته ، وللكافر فسادها ، فوجب تحقق الدعوة إلى التوحيد ؛ لتعلم النفوس الغافلة حقيقة ربها ، فتدرك أنه مصدر إنعامها ، وفي هذا لطف جليل من الله بعباده ؛ إذ رغبتهم في الإيمان بإرسال الرسل وتحقيق وعده بالإنجاء ، وتحذير شديد منه لمن أعرض ؛ إذ رهبهم من الكفر والعصيان .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (الرعد: ١٢، ك) ، احتباك اقتضاه السياق "يريككم ذلك إخافة وإطماعاً ، فتخافون خوفاً وتطمعون طمعاً .فعل الإرادة دال على الإخافة ، والإطماع والخوف دالان على تخافون وتطمعون"^(٣) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لأجل إرادة الخوف) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (لأجل إرادة الطمع في رحمته) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ... وَطَمَعًا﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : هو الذي يريك البرق خوفاً ؛ لأجل إرادة الخوف من قدرته ، ويريك البرق طمعاً ؛ لأجل إرادة الطمع في رحمته .

أو : يكون النصب على المصدر "أي : تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً"^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تخافون) ؛ لدلالة ذكر: ﴿خَوْفًا﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٥٥/١٠ .

(٣) المرجع السابق ٢٩٤/١٠ .

(٤) روح المعاني ١١٨/١٣ .

(تطمعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَطَمَعًا﴾ .

وسرّه أنه ذكر الأهم للدلالة على مطلق إنعام الله ؛ ليتحقق للبشر حسن مراعاتها ، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي للحذف صورة أخرى ^(١) أسهمت في التذكير بمطلق القدرة ومنتهى الرحمة .

فمنشأ الحذف في الآية هو مراعاة أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ تشكل في مقابل كل ركن مذكور آخر محذوف يبرز معناه ويعمق دلالاته ؛ فتحقق بالاحتباك الإشارة إلى وحدانية الله عن طريق إبراز دلائل قدرته ، ومطلق علمه ، وسعة لطفه ، ونبيل رحمته ؛ ليرتقي البشر في سلم التصعيد الإيماني من خلال ملازمة تأمل باهر الدلائل ، فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المراد حمل النظم على الاحتباك ؛ إذ تضمن العام "وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه ، تارة يتأثر -[به]- مع أن له صوتاً وصيئاً وإرعاباً وإرهاباً يهدي بالفعل ، وتارة لا يتأثر بل يكون سبباً للضلال والعمى" ^(٢) ، والخاص بما تقرر فيه من إبراز عظيم الدلائل في السماء الدالة على كمال القدرة ومطلق العلم ^(٣) ، فتحقق بما عظم التنبيه وبسط الدلالات ، والتذكير بعظيم ما أُودِع في القرآن من باهر الأدلة والآيات ، وهذه هي الغاية العظمى التي يُحققها حذف التقابل في النظم ، فالقيمة الحقيقية لإيضاح المقصد الأعظم في جعل البرق مظهرًا ترجى منه النعمة ، وفي الوقت نفسه تخشى منه النقمة ، من أجل مظاهر كمال القدرة المستلزمة التوحيد ، وهذا تمثل في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : هو الذي يريكم البرق خوفًا للمسافر في أسفاره يخاف أذاه ومشقته ، والثاني : طمعًا للمقيم يرجو بركنه ومنفعته، ويطمع في رزق الله ^(٤) ، ولكن وراء الحذف أسراراً منها : أن في الخوف دافعاً قوياً يدفع المرء إلى الإيمان ؛ لأنه عندما يكون في حالة تخوف وترقب وإرعاب يستشعر عظيم القدرة ، فيعلم أن الفاعل الحقيقي لإراءته البرق وجعله

(١) ومثل هذه الصورة قول الحق ﷻ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فِيحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٤، ك) .

(٢) نظم الدرر ١٠/٢٦٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٠/٢٩٣ .

(٤) ينظر : جامع البيان ١٣/١٢٣ .

خَوْفًا وَطَمَعًا هُوَ اللَّهُ ^(١) . "فالآية في تراكيبها متلاحمة متلاصقة ، مبينة مظهرًا من مظاهر قدرة الله وعجيب صنعه ؛ إذ ترسم مشهدًا علويًا هائلًا يؤذن بالرعب والخوف الشديد ، وتلك نقلة عجيبة في سياق الآيات بارعة في نقل الحس والشعور ، فمن روائع النظم ذكر البرق ، والرعد ، والسحاب الثقال ، وبجانب تلك الظواهر تساق لفظتان ، هما : ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ؛ إذ إن الظواهر السابق ذكرها من برق ورعد وسحاب تُحدث في النفس البشرية أمرين ، هما : الخوف ، والطمع ، ولا ثالث لهما ، وهذا التعبير من براعة صحة التقسيم ^(٢) ، فليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطمع في الغيث " ^(٣) ، فتحقق الإعلام بأن جعل البرق خوفًا وطمعًا لطفًا جليلاً من الله ؛ لإرشاد النفوس ؛ لتأمل جليل تلك النعمة وعظيم تلك القدرة ، وهذا حق لله يعد من أسمى مبادئ تعلم المرء دينه .

*

وقيل في قول الحق **وَعَلَىٰ** : ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل: ٩، ١٠) ، احتباك "ذكر أن عليه بيان القصد أولاً دلالة على حذف أن عليه بيان الجائر ثانياً ، وذكر أن من الطرق الجائر ثانياً دلالة على حذف أن منها المستقيم أولاً " ^(٤) ، وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول (وعلى الله بيان الطريق) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (منها المستقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ . وتقديره : وعلى الله قصد السبيل وبيان الطريق ، فمنها المستقيم ومنها جائر .

وفيه نظر ؛ لأن الطرفين -الأول والثاني- بمعنى واحد ، فقصد السبيل ، هو بيان الطريق "وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم ... والسبيل : هـ و : الطريق ، والقصد من الطريق : المستقيم الذي لا اعوجاج فيه " ^(٥) ؛ لذا فالأحق بالمعنى ترك القول بالاحتباك ؛

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٩٥/٩ بتصرف .

(٢) وهو : «أن تذكر متعدياً ثم تضيف إلى كل منها ما هو له» . التبيان في البيان ، ص ٣٣٢ .

(٣) النظم القرآني في سورة الرعد ، تأليف : محمد بن سعيد بن حسن الدبل ، (الرياض ، عالم الكتب ، الطبعة

بدون ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ١١/١١ وما بعدها .

(٥) جامع البيان ٨٣/١٤ .

لأنه ناتج عن فهمه ، ولا حاجة إلى التأويل ؛ لاتضاح المراد .

*

في قول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ (النحل: ١٢٨، م) ، احتباك اقتضاه السياق ، ففي " ذكر (الذين اتقوا) أولاً دليل على حذف (الذين أحسنوا) ثانياً ، و(المحسنين) ثانياً ، دليل على حذف (المتقين) أولاً " ^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (المتقين) لدلالة ذكر ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذين أحسنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **الَّذِينَ اتَّقَوْا** ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الله مع الذين اتقوا وهو مع المتقين ، وهو مع الذين أحسنوا والذين هم محسنون ^(٢) .
وسرّه أنه ذكر معيته بمن هم في أدنى منازل التقوى ، وأعلى منازل الإحسان حثاً على الترقى في الطاعة ، وترغيباً في الإيمان لنيل عظيم فضله وشرف معيته .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز فضل الله ولطفه وعونه لجميع أهل التقوى والإحسان ؛ لما لهم من شرف العمل على عبادة الله وحده دون إشراك ؛ ليعظم في النفوس حب الإقبال على ملازمة الإيمان والعمل بالمحافظة على الطاعة ، وهذا من أبرز المعاني الإحسانية التي يحققها الاحتباك ، فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام القول بالاحتباك ؛ إذ تضمن العام "الدلالة على أنه تام القدرة والعلم ، فاعل بالاختيار ، متره عن شوائب النقص" ^(٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات العمل بالتقوى والإحسان ، فبهما يخلع المرء نفسه من الشرك إلى الإخلاص في العبادة ^(٤) ، فالأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول : معية الله لمن هم في أول منازل التقوى ، "الذين اتقوا الله في محارمه فاجتنبوها ، وخافوا عقابه عليها فأحجموا عن التقدم عليها" ^(٥) ، والثاني : معيته لمن هم في أعلى منازل الإحسان ، "الذين يحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه ، ولزوم طاعته فيما أمرهم به

(١) نظم الدرر ١١ / ٢٨٥ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعہ-أسراره ، ص ٩٧ .

(٣) نظم الدرر ١١ / ١٠١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١١ / ٢٨٥ وما بعدها .

(٥) جامع البيان ١٤ / ١٩٨ .

ونهاهم عنه" (١) ، وفي تدبر دلالة الاحتباك دعوة إلى الترقى في سلم الطاعات ؛ لتصل النفس إلى مرحلة الفناء عما سوى الله ، والإقبال الخالص له قولاً وعملاً واعتقاداً ، وفي هذا ما يجعل النفس المقصرة في حق الله تعمل على تلافي تقصيرها ، والمؤمنة تزيد في إيمانها ؛ لتحصل على شرف كرامته بمعيتها لها في كل حين ، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني أسهمت في إبراز عمق دلالة المعنى في جعل معية الله خاصة بكل من هم في درجات التقوى والإحسان أدناها وأوسطها وأعلاها ، والمراد بالمعية : "الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيءٍ من الجزع والحزن وضيق الصدور" (٢) . كما يغرس الحذف في النفس السوية إحساساً قوياً يدفعها نحو التوحيد ، ويجنبها الشرك ، وبه تدرك لطف الله بعباده ، فتتعلم المبادرة إلى فعل الطاعة واجتناب المعصية ؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، " فمن كان الله معه كان غالباً ، وصفقته راجحة ، وحالته سالحة ، وأمره عالياً ، وضده في أسوأ الأحوال" (٣) .

*

ويقول تعالى : ﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ احتباك اقتضاه السياق ، "تقديهِ : إن تكونوا صالحين أو ابين إلى الله فإنه كان للصالحين محسنًا وللأوابين غفورًا" (٤) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (أوابين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِلأَوَّابِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (للصالحين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ صَالِحِينَ ﴾ في الطرف الأول . وسرّه : أنه ذكر رمز الإيمان -الصلاح- ؛ لكونه أساس كل خيرٍ ، ثم ذكر العود لرياض الخير ترغيباً في التوبة والحث عليها . فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في إبراز خاصية الترغيب في التوبة والصلاح ؛ حرصاً على امتثال أوامر الله في وجوب الإحسان للوالدين ورعايتهما كما

(١) الموضوع السابق .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٥٣/٥ .

(٣) نظم الدرر ٢٨٥/١١ .

(٤) التحرير والتنوير ٧٥/١٥ .

أمر ، وفي تأمل دلالة الاحتباك في السياق إشارة عليّة تهذب النفوس وتلزمها مبدأ الحرص على التمسك بزمام الإيمان ؛ حتى لا يظهر المرء خلاف ما يبطن ^(١) ، فالذي يهدي إليه السياقان يُعلي من حسن القول بالاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من الدعوة إلى مراعاة ما يُوجب التوحيد ؛ فتحقق في العام الحث على "الإقبال على الله وحده ، وخلع كل ما سواه ؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور ، وتفضيل بعض الخلق على بعض ، وذلك هو العمل بالتقوى التي أدناها التوحيد " ^(٢) ، والخاص سعى إلى الحث على الإحسان إلى الوالدين ^(٣) . فالقيمة الحقيقية لفهم المراد -وهو : الحث على التوبة والصلاح- تحققت في الركنين المذكورين ، الأول : "إن أنتم أصلحتم نياتكم ، وأطعتم الله فيما أمركم به من البرّ بهم ، والقيام بحقوقهم عليكم ، بعد هفوة كانت منكم ، أو زلة في واجب لهم عليكم ، مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه " ^(٤) ، والثاني : "فإنه كان للأوَّابين بعد الزلّة ، والتائبين بعد الهفوة غفوراً " ^(٥) ، فتحقق بهما الإشارة إلى عظيم الفضل في تحقق التوبة من الخلق والغفران من الخالق رحمة ومنة للخلائق ؛ إذ دعت المعاني الإحسانية الناتجة من وراء الحذف إلى توجيه المسلم إلى مراعاة إخلاص القصد-ظاهراً وباطناً - في حق الوالدين ، فلإنسان ربما تظاهر بعبادة وإحسانٍ إلى والديه دون عقد ضمير على ذلك -رياء وسمعة - ، فالله أعلم بما انطوت عليه الضمائر من دون قصد عبادة الله والبر بالوالدين ^(٦) ، وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط جوهريّة بين المعاني أسهمت في توجيه العقول إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان والترقي فيها ؛ إيثاراً للمعاني ذات الصفات الحسنة ؛ للرجوع إلى الحالة المرضية في بر الوالدين والإحسان إليهما ، فلا يظهر أحدكم غير ما يبطن ، فإن ذلك لا ينفعه ولا ينجيّه ، إلا أن يحمل نفسه على ما يكون سبباً لرحمتها ، فهذا لا يتحقق إلا بمعالجة

(١) ينظر : نظم الدرر ١١/٤٠٤ .

(٢) المرجع السابق ١١/٢٨٦ بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١١/٤٠٢ وما بعدها .

(٤) جامع البيان ١٥/٦٨ .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٦/٢٧ .

النفس وإرجاعها مرة بعد مرة ، فإنه كان للرجاعين إلى الخير مرة إثر مرة بعد جماح أنفسهم عنه غفوراً^(١) . وفيه -أيضاً- فتح لباب التوبة والرحمة الإلهية الموجبة على العبد الرجوع إلى قصد الخير والصلاح ، وهذا من أعظم منن الله على عامة خلقه ، وفي استشعار ذلك الفضل لطف نبيل يُوجب على المرء الوقوف عند سعة كرمه ومنتهى رحمته ؛ أملاً في العمل برضاه ؛ ليكون المسلم على نفسه رقيياً^(٢) .

*

قيل في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (الحج: ٦٠م) ، احتباك ، فـ"ذكر النصرة دليل العزة والحكمة ، وذكر العفو منه سبحانه دليل حذف العفو من العبد " ^(٣) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (لعزير حكيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن عفا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : " ندباً إلى العفو بعد ضمان النصرة : إن الله لعزير حكيم ، ومن عفا وأصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره ، ومغفرته لذنوبه " ^(٤) .

وفيه بُعد ؛ لأنَّ القول بالاحتباك غير متحقق في الطرف الأول -في جعل النصرة دليل العزة والحكمة- ؛ لعدم التجانس في تركيب المعاني داخل النظم بعد تقديره .

*

وفي موضع آخر أسهم حذف التقابل في إبراز أجل مظاهر الإنعام المتمثلة في تحقق شمول القدرة والغلبة على أهل الكفر والفساد ، وذلك في قول الحق عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُكِنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمْ مِمَّنْهُمْ مَا كَانُوا أَحْذَرُونَ ﴾ (قصص: ٥-٦ك) ، ففيه احتباك "ذكر الاستضعاف أولاً دليل على القوة ثانياً ، وإراءة المحذور ثانياً دليل على إراءة المحبوب أولاً" ^(٥) ، وعلى هذا فالحذوف

(١) ينظر : نظم الدرر ٤٠٥/١١ ، وإرشاد العقل السليم ٢٦٧/٥ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٢٢٢/١٥ ، والتحرير والتنوير ٧٥/١٥ بتصرف .

(٣) نظم الدرر ، ٧٩/١٣ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) المرجع السابق ٢٤٢/١٤ .

فالمحذوف من الطرف الأول (نريهم في أنفسهم وأعدائهم وفق ما يحبون ، وفوق ما يأملون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (نأخذ الذين علوا في الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فذلوا وأهينوا ، ونريهم في أنفسهم وأعدائهم وفق ما يحبون وفوق ما يأملون... ونريد أن نأخذ الذين علوا في الأرض وهم فرعون وهامان وجنودهما ونري فرعون وهامان وجنودهما ، ما كانوا يحذرون . وسره : " أنه ذكر المسلمي المرجي ترفيهاً في الصبر ، وانتظار الفرج " (١) .

فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام للسورة ؛ لما تحقق فيه من إعلاء شأن التواضع المستلزم الاعتقاد الكامل بمظاهر العظمة والسلطان ، وإسقاط الكفر المستلزم شدة التعالي على الحق بالإعراض والخروج عليه ؛ لذا فصورة الحذف التركيبية أسهمت في إبراز جانبين عظيمين ، الأول : تمثل في فيض الرحمة للأولياء المستضعفين عن طريق تحقق دفع الفساد والضرر عنهم ، فحصل لهم ذلك بفضل تحقق القدرة الإلهية الموجبة تحقق التوحيد في النفوس ، والثاني في شدة غضبه وقوة سطوته في إهلاك الأعداء وما يتوصلون به من جنود يسعون بهم إلى الفساد (٢) . فتحقق بالحذف الإعلام بتحقيق مشيئة الله وقدرته في حصول التمكين لأهل الإيمان رفعةً وعلوًا ، وهذا يعني عناية فائقة بإنماء الجانب الإيماني من خلال حسن الترغيب الذي يُعظَّم في النفوس حب المجاهدة في التمسك بالطاعات ، وبطلان كيد الأعداء بهلاكهم جميعاً ؛ لإبعاد البشر أنفسهم عن التماذي في الكفر ، والتعالي على الحق .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

(الجنائفة: ٣-٤، ك) ، احتباك سببه تغاير أوجه القراءة ، فالأول للقول به جعله على قراءة النصب (٣) ؛ إذ " حذف أولاً الخلق بما دل عليه ثانياً ، وثانياً ذوات الأنفس بما دل عليه من

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٤١/١٤ وما بعدها .

(٣) اختلف القراء في قراءة ﴿آيَاتٌ﴾ ، فقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بكسر التاء في الموضعين وعلى هذا احتباك .

ذوات السموات أولاً^(١) ، فالحذوف من الطرف الأول (خلق) ؛ لدلالة ذكر ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (آيات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَأَيَّتِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن في خلق السموات والأرض آيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما بث فيها من دابة آيات لقوم يُوقنون .

وسرّه أن ذلك أدل على تحقق الترغيب في تدقيق النظر بتأمل أعظم آيات الوجود ؛ ليتحقق عِظَمُ الإيمان بشواهد القدرة وآثار الصنعة الدالة على التوحيد^(٢) ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز حسن القول بالاحتباك ، فلعل من أبرزها ، إيثار ذكر ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ "لما لها من الدلالة على صانعها ، وخلقتها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع وعظيم الصنعة ، ما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب ، والأرض بما حوت من المعادن ، والمعاش ، والمنابع ، والمعاون"^(٣) ، فهذا عون على استبصار دقائق وعجائب خلق الله في ذوات الأنفس المشار إليها — : ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ . ثم إن في إيثار

﴿ لَأَيَّتِ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ في الجانب الأول ، مقابل — (لآيات لقوم يوقنون) في الجانب الثاني معاني حسناً لها الأثر الفاعل في توجيه البشر إلى مراعاة التبصر في دلائل التوحيد والكمال ، فينبغي على المرء الترقى في أعمال الفكر ، وتدقيق النظر حتى يصل إلى أعلى درجات الإيمان —الذين هم أهل للنظر- ؛ لأن رهم يهديهم بحسن إيمانهم ، فشواهد الربوبية لهم لائحة ، وأدلة الإلهية واضحة^(٤) ، ولما كانت آيات الأنفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف ، أوتر التعبير عن أهل النظر فيها — : ﴿ لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ؛ إذ حصل لهم تجدد العروج في درجات الإيمان إلى أن وصلوا شرف الإيقان ، فلا يخالطهم شك في

أمّا قراءة الرفع فلا تحتاج إلى تقدير . ينظر: النشر في القراءات العشر ؛ تأليف : أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، قدم له : علي محمد الضباع ، خرج آياته : زكريا عميرات ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : بدون ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ٢- ٢٧٨ .

(١) نظم الدرر ٦٥/١٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٦٠/١٨ بتصرف .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٦١/١٨ .

وحدانيته مطلقاً^(١) ، فتحقق بذلك الإعلام بأن " آية النفس منبهة على آية الحس ، وآية الحس منبهة على آية النفس ، إلا أن آية النفس أعلق ، فهي لذلك أهدى ، فغاية آية الآفاق الإيمان ، وغاية آية النفس اليقين " ^(٢) .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ (القم: ٣٥، ك) ، احتباك اقتضاه السياق ؛ إذ " ذكر الإنعام أولاً دليلاً على حذفه ثانيًا ، والشكر ثانيًا دليلاً على حذفه أولاً " ^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (شكرهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ شَكَرَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بنعمتنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ نِعْمَةٌ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : نعمة من عندنا لشكرهم كذلك نجزي لنعمتنا من شكر ^(٤) .

وسرّه : أنه ذكر الإنعام أولاً ؛ لأنه السبب الحقيقي ، والشكر لأنه السبب الظاهر ^(٥) .
فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن فضل الله وقدرته في الإنعام لأهل طاعته ، وترشد إلى التحلي بملزوم الشكر ؛ لإتمام النعم ، فتحقق بذلك جانب مهم من جوانب العقيدة تمثل في أهمية الاعتراف بعظيم الفضل ومطلق الإحسان ؛ إذ أنعم على لوط وآله بالإنجاء إنعاماً عظيماً ، فكل إنجاء منه إنعام ^(٦) ، وللاحتباك الأثر الفاعل في توجيه العقول إلى الحرص على الترقى في مدارج الطاعات تقرباً من الله ، وهذا من جملة المعاني الإحسانية التي يحققها حذف التقابل في النظم . ثم إن في تبصر دلالة السياق العام والخاص ما يُعَلِّي من شأن الاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من إعلام البشر بمصدر الفضل الحقيقي حثاً على ملازمة عبادته ، وقطعاً لطرق الفساد والإشراك عنه ، فتضمن العام تحقق صدق وعد الله الذي أخبر به محمداً ﷺ ؛ ففيه إشارة عظمى أثبتت له - سبحانه - مطلق العلم ، وتمام

(١) ينظر : المرجع السابق ٦٥/١٨ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ١٢٥/١٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٢٥/١٩ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه أسراره ، ص ١٤٤ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٢٥/١٩ .

(٦) ينظر : روح المعاني ٩٠/٢٧ .

القدرة ، وسعة الرحمة^(١) ؛ لذا قامت السورة على " تهديد المشركين عن د إعراضهم عن الاتعاظ بآيات الله التي شاهدوها ، وآثار آياته على الأمم الماضية التي علموا أخبارها وشهدوا آثارها " ^(٢) ، والخاص قرر قدرته وعظمته في إحلال العذاب على من كذب فتوى ، والنعيم المقيم الأبدي لمن آمن فأطاع ، فتحقق إعلام البشر بأن الطاعة سبب النجاة الذي قوامه السعادة ، والمعصية سبب العذاب الذي أصله ملازمة الشقاء ، فمن وحّد الله وأوقع الشكر على نعمه بجميع أنواعه أنجاه الله ، وهذا يُحقق معنى التفرد الإلهي في النفوس ، وفي تدبر دلالة الخطاب ما يبرز عظيم تلك النعمة ؛ لذا أوتر التعبير عنها بـ : ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ ؛ ليتحقق في النفوس تأمل عظمتها واستبصار مصدرها ، فهي -بلا شك- نعمة عظيمة غريبة جداً^(٣) ؛ لشدة ملازمة أهلها الطاعة والشكر ، وهذا توجيه كريم يدعو إلى ملازمة الشكر ليدوم الإنعام ، فالشكر يتضمن معاني عظاماً مبدؤها لزوم الإيمان والطاعة في العمل بالأوامر والنواهي^(٤) ، وهو أصل نبيل من أصول المحافظة على العقيدة ، فالشكر نعمة نعمة من الله على عبده ، والشكر على النعم نعمة أخرى ، فمن بادر واستمر فلم يحرم زيادة الفضل ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧، ك) ، فحق على المرء التذكير بوحدانية الله ، لأن فيه إرشاداً علياً برز في ﴿ تَجْرِي مِّنْ شَكْرٍ ﴾ يُعلم بأن كل من شكر واستجاب لما تضمنه التوحيد من أوامر ونواهي داخل في حيز ذلك الإنعام ، وهذه نعمة عليّة ترشد لشدة ملازمة الطاعة .

*

- القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ: ﴿ أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ مَّكَّثْتُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) ينظر : نظم الدرر ١٩/٨٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/٢٠٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٩/١٢٥ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٧/١٤٤ .

قَرْنَاءَ الْآخِرِينَ ﴿ (الأنعام: ٦٠ك) ، شبه احتباك اقتضاه السياق القرآني ^(١) ، تقديره : "مكناهم في الأرض ما لم نمكنكم ، ومكناهم ما لم نمكن لكم ، ومعنى الأول : أنهم كانوا أشد منكم قوة وتمكنا في أرضهم ، فلم يكن يوجد حولهم من يضارعهم في قوتهم ، ويقدر على سلب استقلالهم ، ومعنى الثاني : أننا أعطيناهم من أسباب التمكّن في الأرض وضروب التصرف وأنواع النعم ما لم نعظكم . فحذف من كل من المتقابلين ما أثبت نظيره في الآخر ، وهذا من أعلى فنون الإيجاز الذي وصل في القرآن إلى أوج الإعجاز " ^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ما لم نمكنكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومكناهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَكَّنْتَهُمْ ﴾ في الطرف الأول .

وفي التعبير بهذا سر يكمن في أنه ذكر ما يدرك بالبصيرة أولاً لكونه أدلّ على القدرة وأشدّ في التهديد ؛ ردعاً لهم وترهيباً . ثم ما يدرك بالبصر ثانياً ؛ لكونه أدلّ على الاتعاض وأدعى إلى الرجوع عن معاصي الله؛ تحذيراً لهم من سوء المآل .

فالصورة التركيبية لشبه الاحتباك تدعو إلى التبصر في حقيقة المعنى المراد في سياقه العام الساعي لإثبات التوحيد بدلائل مطلق القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث ^(٣) ، والخاص بما فيه من الإخبار بتحقيق عذاب المكذبين بالآيات وتحتّم وقوعه ^(٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قائمة في أصل النظم في الركنين المذكورين ، الأول في : (مكناهم) ، أي : "جعلنا لهم فيها مكاناً وقررناهم فيها ، وأعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها" ^(٥) ، والثاني في : (ما لم نمكن لكم) ، أي : "ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة ما لم نعظكم من القوة والسعة في المال والاستظهار في العدد والأسباب" ^(٦) . ولكنّ ولكنّ في الحذف أسراراً من أهمها : إبراز القدرة الإلهية في إحلال العذاب على المكذبين ،

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٢/٧ .

(٢) تفسير المنار ٣٠٧/٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١/٧ .

(٤) ينظر : جامع البيان ١٤٩/٧ .

(٥) تفسير البيضاوي ٣٩٢/٢ .

(٦) الموضوع السابق .

بضرب صورة من صور عذاب السابقين الذين كانوا من أشد الناس تمكينًا وتمكنًا في الأرض ؛ أملًا في الرجوع إلى الله ، وتأمل موضع الحذف يزداد خوف المكذبين من سوء أعمالهم وأفعالهم الساعية بهم إلى العذاب ، فيتركوها خشية العذاب ، فإن النفوس إذا استشعرت عظمة الخالق في قدرته خافت عذابه ، وهذا من أعظم طرق البعد عن المعاصي والرجوع إلى الطاعات ، كما أن في الحذف تثقيفًا للنفوس تعلمها الشكر مقابل النعم ، ثم إن في تأمل جوهر السياق الخاص بما حمله من دلائل العظمة والقدرة أسمى عطاء للتعرف على الله ؛ لكونه دافعًا إلى التيقظ والتنبيه إلى أعظم دلائل التوحيد ، وفيه تذكير للنفوس الطاغية التي مكن الله لها في الأرض أسباب الرزق أن تنمي بداخلها همم الدعوة إلى الخير والعبودية لله ، وأن تسعى لعمل ما يرضي الله ، فهو الذي قدر لها أسباب التمكين والتمكين .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦، ك) ، شبه احتباك اقتضاه السياق ؛ لكون المعنى " ولو شئنا رفعه (لرفعناه) إلى المنازل العالية للأبرار العالمين بتلك الآياتِ العاملين بموجبها ، لكن لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخلٌ في ذلك أصلًا ، فإنه منافٍ للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الأجزية بالأفعال الاختيارية للعباد ، بل مع مباشرته للعمل المؤدِّي إلى الرفع بصرف اختياره إلى تحصيله ، كما ينبىء عنه (بها) ، أي : بسبب تلك الآياتِ بأن عمل بموجبها ، فإن اختياره وإن لم يكن مؤثرًا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه ، بل كلاهما بخلق الله تعالى ، لكن خلقه تعالى منوطٌ بذلك البتة بحسب جريان العادة الإلهية ، وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك بأن أسند ما يؤدي إلى نقيض التالي إليه ، حيث قيل : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ مع أن الإخلاد إليها أيضًا مما لا يتحقق عند صرف اختياره إليه بخلق الله تعالى ، كأنه قيل : لو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي أقوى أسباب الرفع ، ولكن لم نشأه ؛ لمباشرته لسبب نقيضه ، فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلاً على إشعار المذكور بالمطوي ... وتخصيص كل من

المذكورين بمقامه للإيدان بأن الرفع مرادٌ له تعالى بالذات ، وتفضّل محضٌ عليه لا دخل فيه لفعله حقيقةً ، كيف لا وجميعُ أفعاله من نعمه تعالى وتفضّلاته ، وأن نقيضه إنما أصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالإرادة الذاتية له سبحانه " (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (رفعه) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَرَفَعْتَهُ﴾ ، في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم نشأه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في الطرف الأول .

فمنشأ القول بالحذف قائم على مراعاة أوجه التماثل بين طرفي النظم الدالة على إبراز مشيئة الله ونفاذ أمره في خلقه ، وهذا يشكل أثرًا فاعلاً في إيضاح مبدأ جليل من مبادئ العقيدة يتمثل في إثبات مطلق القدرة على تحقق المشيئة وعدم تحققها ؛ ليتحقق الغرض الأسمى من الرسالة ، وهو : تخويف وإرعاب المعرضين عن الآيات ؛ لإبعادهم عن الخوص في الشرك بالإنذار ، والذي يهدي إليه السياق يُعلي من شأن الاحتباك ؛ إذ تضمن العام تحقق إنذار المعرضين عن التوحيد ، ففيه إشارة إلى مراعاة ما تتطلبه الجنة لأهلها من امتثال كل خير ، واجتناب كل شر ، والاتعاظ بكل مرفق ، وما تتطلبه النار من عكس ذلك (٢) ، والخاص علق الأمر فيه بالمشيئة تنبيهاً على أنها السبب الحقيقي ، وأن ما لم يشأه - سبحانه - لا يكون بأي وجه من الوجوه ؛ لأن مطلق القدرة بيده وحده لا شريك له (٣) ؛ فتحقق بالحذف تنبيه العباد إلى مشيئة الله وقدرته ، وأن ما يريد كائن لا محالة ، فلا يغتر أحد بما أوتي من المعارف ، وما حاز من المفاخر واللطائف ؛ لأن العبرة بالخواتم (٤) ، وفي هذا التنبيه مزيد إعلام للمرء يحرص به على مراعاة نعم الله عليه ، فمن كانت نعم الله في حقه أكثر ، كان بُعدُه عن الله إذا أعرض عنه أعظم وأكبر ، فإن في تبصر دلالة الخطاب إشارة عظيمة لشدة تمالك المعرض - عن تدبر آيات الله بعد أن أتبع نفسه هواها فتمكن منه الشيطان - على ما في الدنيا من الملاذ الحيوانية والشهوات النفسانية (٥) ، وهذا يعمق مبدأ لزوم الدعوة إلى عدم الإعراض عن قبول الحق ، فإن الهداية إليه من أجلّ النعم وأعظمها ؛ لأن فيها من الرفعة

(١) إرشاد العقل السليم ٣/٢٩٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٧/٣٤٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٨/١٥٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٨/١٦٠ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٨/١٥٩ .

وعلو المكانة ما يُسعد المرء ؛ لأنَّ الرفع " يَعْمُ معاني كثيرة ، منها : الرفع في المترلة عنده ، ومنها : الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها : الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع " (١) ، فـ"لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تَلَحُّهُ الشقاوةُ الأبدية ، ولكن من قصمته السوابق لم تنعشه اللواحق" (٢) .

*

وكذلك يأتي التقابل في سياق قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، في قول الحق عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١، ك) ، ففي هذه الآية شبه احتباك اقتضاه السياق ؛ إذ "أثبت التمكّن في الأرض ليدل على لازمه من الملك والتمكّن من العدل ، وذكر التعليم ليدل على ملزومه ، وهو النبوة" (٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (النبوة) ؛ لدلالة ذكر التعليم في ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لتمكّنه من الحكم بالعدل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض بالملك والنبوة فيها ؛ لتمكّنه من الحكم بالعدل ، ولنعلّمه من تأويل الأحاديث .

وسرّه : أنه ذكر التمكين في الأرض أولاً ، والتعليم ثانياً ؛ ليدل على تمام قدرته وشمول علمه ، وأضمر ما أضمر لتلازمهما مع ما ذكر . فتحقق بالحذف تحقق مشيئة الله ونفاذ أمره في إكرام نبيه يوسف عليه السلام بما دل على أن قدرة الله لا تصل لها قدرة مهما حاول البشر تبديلها ، ولا تقف في طريقها قوة مهما كان نوعها (٤) ، وفي الإعلام بعظيم قدرة الله ونفاذ أمره ما ينمي في النفوس مبدأ الرغبة في لزوم الحرص والإخلاص في عبادة الله .

وقيل في قول الحق عز وجل : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

(١) جامع البيان ١٢٧/٧ .

(٢) لطائف الإشارات ٢٨٢/٢ .

(٣) نظم الدرر ٤٩/١٠ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ١٢/١٩٧٩ بتصرف .

الْأَقْصَا الَّذِي نَزَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ

هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿الإسراء: ٢٠١ ك﴾ ، شبه احتباك ، فـ "ذكرُ

الإسراء أولاً دليلٌ على حذف مثله لموسى ﷺ ثانياً ، وذكر إتيان الكتاب ثانياً دليلٌ على

حذف مثله أولاً " (١) . وتقديره : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى

المسجد الأقصى ، وآتينا عبدنا محمداً ﷺ الكتاب المفصل المعجز ، وآتينا موسى الكتاب

وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، وأسرينا به من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى .

وسره : أنه ذكر الأظهر لنبيه محمد ﷺ ، ولموسى ﷺ ؛ لكونهما أدل على تحقق مطلق

القدرة ، فذكر الأهم في سياق إثبات دلائل التوحيد للإقبال على العبادة وخلع كل مظاهر

الشرك (٢) .

وفي هذا نظر ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن "هذا الموضع من أغرب لمحات

البقاعي في الاحتباك" (٣) ؛ لذا فالأولى تركه لغرابته ، والمتضح أنه يسعى جاهداً لإيجاد علائق

ربط بين المعاني ، فحقيقة الإسراء تختلف في : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ عن : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي

الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه: ٧٧، ك) ، فلا ضرورة تدعو له ؛ لكون الكلام منتظماً في

معناه دون تأويل .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمَ شَعْبَهُ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢، م) ، شبه

احتباك ، ذكر التعظيم أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والتقوى ثانياً دليلاً على حذفها أولاً (٤) ،

فالمحذوف من الطرف الأول (تقوى قلبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ في الطرف

الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (مُعِظْمَهَا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَنْ يُعِظْمَ﴾ في الطرف

الأول . وتقديره : ذلك ومن يُعِظْمُ شعائر الله خيرٌ له لدلالته على تقوى قلبه ، فإنها من

(١) نظم الدرر ٣٠١/١١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، ٢٨٦/١١ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم موافقه-أسراره ، ١٢١ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٤٥/١٣ .

تقوى القلوب فمُعْظَمُهَا مَتَّقٍ . وسرّه : أنه ذكر الأعم من أمر التوحيد ؛ لكونه أدل على مراعاة تعظيمه ؛ وفي جعل التقوى نتاج ملازمة التمسك والعمل بشعائر الله دليلٌ قاطعٌ يُوجب المحافظة على الهدى القرآني الشريف ؛ لأنّ في تبصر دلالة السورة -بكلّيتها- حثاً على العمل بما توجهه التكاليف السماوية من أوامر ونواهي تدعو في جملتها إلى التوحيد ، وتُظهِر من الشرك .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف تمثل في الدلالة على التمسك بالتوحيد وما هو مسبب عنه ؛ ليعلم البشر أن من راعى حدوده فقد فار ، ومن حاد عنها فقد خاب (١) ، فتحققت الدعوة إلى تعظيم شعائر الله ، من حيث : استحسان البدن ، واستسمانها ، وأداء مناسك الحج (٢) ، فالأهم في الآية إبراز خاصيتين ، الأولى : حسن التذكير بمراعاة شعائر الله ؛ لما فيها من عظيم المنافع وجيليل الفوائد ، والثانية : إبراز صفة التقوى حثاً على الاستعظام والاستمسك بمعالم الدين التي ندب إليها الإسلام ، وأمر بالقيام بها خصوصاً في الحج ، وهذا ما اقتضاه السياق والمقام (٣) ، وفي حمل النظم على شبه الاحتباك معانٍ ثرية تتكون في الذهن بعد مراعاة النظر في السياق العام ؛ لما تحقق فيه من الحث على ملازمة التقوى المنجية من هول يوم القيامة ، وهو الأمر الأعظم الدافع إلى إبراز حسن الحذف ؛ لذا صدرت السورة بمرعاة النداء في : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ (الحج: ١٠١) (٤) فإن لدلالة النداء -البياء- وقعاً جمالياً يكشف عن حاجة الناس لأن يُنبهوا ؛ لأنهم في مقام تغشاهم فيه الغفلة ، ثم تحقق الأمر لهم بالتقوى ؛ لأن في وسعهم وتحت مقدورهم القيام بما كلفوا ، وعلى هذا ، فللحذف أثر فاعل يأخذ بالبشرية إلى مدارج النور ؛ ليدفعهم إلى الحرص على الطاعة ، أمّا السياق الخاص فتضمن الإعلام بأن التحلي بالتقوى هدى يُوجب الخير ، وهذا فيه نداء لدلالة شبه الاحتباك من حيث الإقبال على التقوى ، والالتزام بتعظيم شعائر الدين ، فتحقق مزيد تأكيد على مراعاة الدين بحفظ أوامره جميعاً من الوفاء بالندور ، والطواف

(١) ينظر : المرجع السابق ٤٤/١٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٥٦/١٧ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٥٦/١٧ ، ونظم الدرر ٤٤/١٣ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١/١٣ .

بالبيت العتيق^(١) ، فأخبر أن تعظيم شعائره ، -وهي : ما حملته إعلاماً لخلقه فيما تعبدتهم به من مناسك حجهم ، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها ، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم - من تقوى قلوبهم ؛ لم يخص من ذلك شيئاً ، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب ، فحق على عباده المؤمنين تعظيم جميع ذلك^(٢) . وهذه المعاني اللطيفة تثير عزائم أهل الإيمان ومن هم في أدنى مراتب الطاعة منهم ؛ لإبعادهم عن الوقوع في المعصية ، ولدفعهم إلى الارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني . كما أحدث الحذف علائق ربط جوهرية أسهمت من خلال صورة التماثل في إعلام البشر أن وجل القلوب ثمرة ملازمة خشية الله الناتجة عن معرفته والإخلاص في توحيد^(٣) .

*

وفي قول الحق **وَعَلَىٰ** : ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكُمْ لِيَكْفُلُوهُ﴾ (القصص: ١٢، ك) ، شبه احتباك اقتضاه سياق العظمة والجلال ؛ فقد ذكر التحريم أولاً دليلاً على الإحلال ثانياً ، واستفهام أخته ثانياً دليلاً على استفهامهم لها أولاً^(٤) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (هل عندكم مرضع) ؛ لدلالة ذكر ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكُمْ لِيَكْفُلُوهُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فأحللنا رضاعها) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وحرمنا عليه المرضع من قبل ، فقالوا : هل عندك مرضع تدلينا عليها لعله يقبل ثديها؟ ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فأتت بأمرها ، فأحللنا له رضاعها . "وسرّه أنه ذكر الأغرب من أمره الأدل على القدرة"^(٥) .

فالعلائق الرابطة بين أركان الحذف أسهمت في إبراز لطف الله ومنته على أم موسى **العليق** ؛ وذلك بتحقيق صدق الوعد ؛ إذ إن في تبصر دلالة الخطاب إثباتاً لأصل عظيم من

(١) ينظر : جامع البيان ١٧/١٥٦ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) نظم الدرر ١٤/٢٥٠ .

(٥) الموضوع السابق .

أصول العقيدة ، يُحقق في القلوب التعرف على باهر العظمة ومطلق القدرة في حصول المنع من التحريم ؛ لذا ثبت الإعلام بالسبب الأعظم في رده لأمه تحققاً للقدرة التي لا يتخلف أمرها ويتضاءل كل شي دونها ^(١) ، كما حقق لموسى عليه السلام شرف الكرامة بفضل القدرة الإلهية أن يحميه فرعون ، وترعاه امرأته ، ويُرد إلى أمه لترضعه وهي آمنة ^(٢) ، ففي تبصر دلالة النظم في : ﴿الْمَرَضِعُ﴾ إشارة عليّة تحقق عجز البشر عن مخالفة أمر الله ، فالجمع أتى للتكثير ، ويزداد المراد دقة بعد مراعاة النظر في السياق العام بما يقرره من إثبات "التواضع لله المستلزم رد الأمر كله إليه الناشئ عن الإيمان بالآخرة" ^(٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات مطلق العظمة بدلائل التوحيد الساعية إلى إثبات أن وعد الله حق ؛ ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ذلك ، ولا يصدقون به ^(٤) ، فالأولى والأعلى إبراز ما يرشد إليه الاحتباك من الحرص على تأمل صدق الدلائل بغية الوصول إلى حقيقة مصدرها ؛ ليعرف الخلق حسن إدراك علامات التعرف على الله من خلال ملاحظة عظمته وسلطانه وحكمته ورحمته ^(٥) ، وهذه مجتمعة تحققت في النظم من خلال الحذف ، فلو حصل-للمكذبين - الإحاطة بما في الحذف من مظاهر العظمة والسلطان لأدركوا حقيقة ربهم ، ولمنعهم علمهم من معصيته ، وهذه من أجلّ النعم ؛ لأن في الإعلام بذلك مفاتيح خير تدل على الأنس بالله وصفاء العيش في ظل عبادته . وللحذف أثر فاعل في نشؤ علائق ربط أسهمت في الإعلام بما هو غيب من علم الله وإرادته في الأزل ^(٦) .

*

وفي قول الحق عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت) ،
ك٦٩ ، شبه احتباك اقتضاه السياق ؛ إذ "أثبت أولاً الجهاد دليلاً على حذفه ثانياً ،

(١) ينظر : المرجع السابق ٢٥٠/١ وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٠/٢٦٨٠ .

(٣) نظم الدرر ١٤/٢٣٢ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٠/٤٠ بتصرف .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠/٨٤ .

وثانياً (أنه لمع المحسنين) دليلاً على حذف المعية والإحسان أولاً " (١) ، وعليه فالحذف من الطرف الأول : (نكون معهم ؛ لأنهم أحسنوا المجاهدة) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (جهادهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿جَاهِدُوا فِيْنَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ونكون معهم بلطفنا ومعونتنا ؛ لأنهم أحسنوا المجاهدة فينا ، وإن الله لمع المحسنين لجهادهم (٢) . وسرّه : أنه ذكر معيته لمن هم في أعلى مراتب الإسلام -المجاهدين في سبيله- ، ولمن هم في أعلى منازل التقوى -المحسنين- تنبيهاً على شرفهم ، وحثاً على الترقى في سلم الطاعات ؛ ليشعروا برؤية الله لهم .

فالقول بالحذف أسهم في تحقيق مقاصد عظامٍ تدعو في المقام الأول إلى إبراز جليل عناية الله بالمجاهدين في سبيله ، والمحسنين في عبادته ، وهذا المقصد يزداد حسناً بمراعاة السياق العام بما يقرره من "الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعاء إلى الله وحده من غير فترة" (٣) ، والخاص بما تحقق فيه من الحث على اتباع السنة ولزوم الطاعات بمجاهدة الكفار (٤) ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت بالمعاني الجوهرية ، الأول : (في والذين جاهدوا فينا) -بنصر الدين ، والرد على المبطلين ، وقمع الظالمين ، وبجميع صور المجاهدة- لنهدينهم سبل ثوابنا (٥) ، والثاني : في إن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك (٦) ، ففي تبصر دلالة الخطاب أهمية عظيمة تشير إلى علو قدر المجاهدين عند ربهم ؛ لذا أوتر التعبير بـ﴿جَاهِدُوا فِيْنَا﴾ فأوقعوا الجهاد بالقول ، والفعل في الشدة والرخاء بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة ، فحصل لهم الاهتمام الأمثل ؛ لشدة استحضارهم مطلق العظمة ، والتخلي التام عن اتباع الهوى (٧) ، فتحقق بالحذف جملة ثرية

(١) نظم الدرر ، ٤٨٣/١٤ .

(٢) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص ٨٧ .

(٣) نظم الدرر ٣٨٠/١٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٨١/١٤ وما بعدها .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٣ .

(٦) ينظر : جامع البيان ١٥/٢١ .

(٧) ينظر : نظم الدرر ٤٨١/١٤ وما بعدها بتصرف .

من لطائف المعاني تضمنت التحريض على المجاهدة في سبيل الله بمنهج منضبط قائم على مراعاة أمر التوحيد من حيث اللطف في الدعوة ، والتصدي لكل من ليس مؤهلاً لمعرفة التوحيد ؛ لنقص عقيدته ، كما أن في الحذف نعمةً جليلاً ؛ الأولى : في تلمس فضل الله ومنته بمن أحسن المجاهدة فيه ، "فهن صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة" (١) ، ففيه حثٌ على استحضار عظمة الله ومراقبته في كل حين ، والثانية : في إعلام البشر بمبدأ عظيم من مبادئ التقرب إلى الله ، يشتمل على أبواب نشر الدين والدعوة إليه ؛ لذا تحقق حسن الدعوة إلى التصدي للشرك ومناقضة أهله .

*

ويبرز شبه الاحتباك فضل الله ﷻ على نبي الأمة محمد ﷺ ، وذلك في قوله: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنَّبِيِّ إِنَّا أَلْهَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَأْتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَدْلِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٠م) ، ففي قول الحق ﷻ: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَدْلِكَ﴾ شبه احتباك ، والأصل فيه : "بنات عمك وبنات أعمامك ، وبنات عماتك وبنات عمتك ، وبنات خالك وبنات أخوالك ، وبنات خالاتك وبنات خالتك" (٢) ، حيثُ ذكر الاسم المذكور المفرد في (عمك وخالك) أولاً دليلاً على حذف المؤنث منهما ثانياً ، وذكر الاسم المؤنث المجموع في (عماتك وخالاتك) ثانياً دليلاً على حذف المذكور منهما أولاً .
وسره : أنه بدأ بالعمومية ؛ لشرفها (٣) .

فمنشأ الحذف تمثل في أوجه التقابل بين طرفي النظم ، وتركيز النظر فيه من حيث الأفراد في جانب الذكور ، والجمع في جانب الإناث (٤) ، فمن خلال ذلك سعى الحذف في المقام

(١) المرجع السابق ٤٨٢/١٤ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٣٨٠/١٥ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) وقف بعض المفسرين عند أفراد الذكور وجمع الإناث في هذه الآية الكريمة ، وقد أجمل الألووسي في جمع بعض

آرائهم . ينظر : روح المعاني ٥٧/٢٢ .

الأول إلى بيان ما شَرَّفَ اللهُ به محمداً ﷺ وخصه من أمر التوسعة في النكاح ، إذ كرمه ربه بإحلال ذلك له وحده دون غيره من بني البشر^(١) ؛ ليعلمهم عِظَمَ خصوصيته ؛ لشرف أصله ، وهذا مزيدُ إكرامٍ من الخالق ومحبة من الخلائق^(٢) ، وفي تبصر دلالة الخطاب ما يُعَلِّي من بيان مراد حمل النظم على الحذف ؛ "إذ أفرد العم ؛ لأن واحد الذكور يجمع من غيره ؛ لشرفه وقوته ، وكونه الأصل الذي تفرع منه هذا النوع ، وعرف بجمع الإناث أن المراد به الجنس ؛ لئلا يتوهم أن المراد إباحة الأخوات مجتمعات"^(٣) . ثم إن في الحذف تشریفاً لأزواجه من جهة النسب ، فهن من نساء بني عبد المطلب ، وبني زهرة^(٤) ، فبالنظر في السياق يتضح أن البعيد متضمن الحث على لزوم الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق ؛ لأنه عليم بما يصلحهم ، حكيم فيما يفعله ، يعلي ويردي من شاء^(٥) ، والقريب يدعو إلى الاستجابة لما أمر الله به ؛ لما فيه من علو القدر وشرف الخلق ، فثبت له شرف الفضل في الإنعام ، وفي هذا تأكيد فضل الله - لأشرف خلقه - فيما وهبه ربه من تحليل الأزواج له ، وإعلام بعضهم تلك النعمة وشرفها ، وفي الإعلام بذلك نعمة عليّة يجب معرفتها ؛ لإثبات ما خصه الله لبني الأمة محمد ﷺ ، خاصة للذين ينكرون خصائصه ﷺ .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣) ، شبه احتباك اقتضاه السياق ، "كأنه قيل : لا تقنطوا من رحمة الله ومغفرته ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ويرحم"^(٦) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مغفرة الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يرحم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ رَّحْمَةَ اللَّهِ ﴾ في الطرف الأول . وسرّه : أنه ذكر مطلق الإنعام أملاً في الرجوع إلى الإيمان ترغيباً فيه .

(١) ينظر : جامع البيان ٢٠/٢٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٣٨٠/١٥ وما بعدها .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٢٧٣/١٥ .

(٦) روح المعاني ١٣/٢٤ .

فالغرض الأسمى من الحذف تمثل فيما أنتجته أوجه التماثل بين طرفي النظم من دلائل اللطف والكرم الإلهي الجليل، فالآية في سياقها العام تدعو إلى إثبات أنه - سبحانه وتعالى - الوعد له مطلق العلم، والخاص يدعو إلى عدم القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة^(١). فأصل المراد - وهو: إظهار دلائل الفضل والإنعام لإثبات الوحدانية - تمثل في المعاني الجوهريّة: لا يئسوا من رحمة الله، والثاني: سارعوا لنيل الغفران فضلاً منه وإحساناً ولكن وراء الحذف لطائف عظيمة تبرز في المقام الأول سعة الكرم واللطف الإلهي الجميل - للناس أجمعين - مما يفتح للعالمين باب الرجوع بالتوبة إلى الله مهما كان عظم حجم الذنب، فالوعد من الله بتحقيق مطلق الرحمة شرطه طلب المغفرة منه بالتوبة وهذا أنبل عطاء في فهم المراد لكون الركنين المحذوفين - الأول عدم القنوط من مغفرة الله، والثاني: سعة فضله في رحمته للتائبين - أسهما في تعمق أصول الكرم واللطف؛ لكونها رحمة واسعة تسع كل معصية كائنة ما كانت. وللحذف أثر فاعل في إبراز شمول العلم ومطلق الإحاطة في أن يَعْلَمُ حال خلقه ضعفاً وعجزاً ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واهٍ، وأنه مسكين سرعان ما يسقط فيفقد العروة التي تشده، وأن ما رُكِبَ في كيانه من وظائف وميول وشهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك ويوقعه في المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم؛ لذا مد العون فأجزل الرحمة أملاً في الرجوع وإرشاداً للنفوس؛ لتلمس من الرب، فيتعمق الإيمان فيها لترتقي في سلمه.

ويذهب بعض أهل العلم إلى ترك هذا الوجه من الحذف "وفيه بُعد"^(٢)، وكذا قيل: "وأما كونه من الاحتباك فمن ضيق العطن"^(٣)، ولا حجة لذلك القول، لأن في عدّه من شبه الاحتباك لا يفسد النظم ولا يُذهب جلاله.

*

وفي قول الحق وَعَلَيْكَ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَئِنَّهٗءَ الْعَجْمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلُّهُوٓ لَلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ

(١) ينظر: نظم الدرر ١٦/٣٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ٢٤/٣٠٥٨.

(٣) روح المعاني ١٣/٢٤.

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوي ٧/٣٤٤.

يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿فصلت: ٤٤، ك﴾ ، شبه احتباك اقتضاه السياق ؛ حيث "ذكر الهدى والشفاء أولاً دليلاً على الضلال والداء ثانياً ، والوقر والعمى ثانياً دليلاً على السمع والبصائر أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (آذانهم به سماعة ، وقلوبهم واعية ، وهو لهم بصائر) ؛ لدلالة ذكر ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقُرُّهُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ضلال وداء) ؛ لدلالة ذكر ﴿هُدًى وَشِفَاءً﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءً ، فأذانهم به سماعة ، وقلوبهم له واعية ، وهو لهم بصائر ، والذين لا يؤمنون في آذانهم قر وهو عليهم عمى ، فلهم به ضلال وداء (٢) . "وسرّ ذلك : أنه ذكر أمدح صفات المؤمنين وأذم صفات الكافرين ؛ لأنه لا أحقر من أصم أعمى" (٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز فضائل القرآن ، وعلو شأنه في قوة تأثيره في النفوس ، وخب الأذهان إليه ؛ ليعلم البشر قاطبة ألا شيء في الوجود يناظره ؛ لما فيه من جلائل العظمة المتضمنة تفصيله وتبيينه غاية البيان ، وهذا ما قرره السياق العام للسورة ؛ إذ حصل بها الإعلام بأن "القرآن رحمة لمن كان له علم ، وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه" (٤) ، فثبت بالدليل القطعي أنه سبب في زيادة إيمان المهتدي ، وإرشاد لبيان ضلال الضال ، أمّا الخاص فتقرر فيه ذكر الكافرين بالقرآن وما ظهر من تكذيبهم ؛ لإثبات أن قصدهم العناد فيما يتعللون به ، متجاهلين أن فيه رحمة عامة لبني الإنسان (٥) ، فالقيمة الحقيقية لإيضاح فضل الله ورحمته بعباده في جعل تدبر القرآن مفتاح تعمق الإيمان وزيادة النعيم ، والإغفال عن تدبره أساس الضلال تمثلت في المعاني الجوهرية ، الأول : في أن القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله بيان للحق وشفاء لما في الصدور من الظن والجهل (٦) ، والثاني : في أنه للذين لا يؤمنون بالله ورسوله في آذانهم ثقل عن استماعه ، فلا يبصرون حججه

(١) نظم الدرر ٢٠٧/١٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٠٧/١٧ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص ٤٨ .

(٣) نظم الدرر ٢٠٧/١٧ .

(٤) المرجع السابق ١٣٤/١٧ وما بعدها .

(٥) ينظر : البحر المحیط ٤٨٠/٧ ، والتحرير والتنوير ، ٣١٥/٢٤ .

(٦) ينظر : جامع البيان ١٢٤/١١ ، والبحر المحیط ٤٨١/٧ .

عليهم وما فيه من مواعظ^(١) ، فتحققت الإشارة إلى ثمره نفعه لأهل الإيمان في بيان كل مطلوب ، وشفاء كل ما في الصدور ؛ لحسن الإقبال المقتضي الترقى في درجات التأمل والإبصار ، وكذا عِظَمِ إعراض أهل الكفر عن سماع ما فيه ؛ لشدة سيطرة الكفر عليهم ، فأصبح وقع القرآن عليهم ثقلاً مُذهِباً للسمع مصمماً ؛ لذا لا يقدرّون على تأمله ، فحق لهم بذلك أن يكون لهم به ضلال وداء^(٢) ، وهذا من جملة المعاني الإحسانية التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في النفوس ، تذكيراً بعظيم نعمة تدبر القرآن وتفهم معانيه ؛ وترغيباً في الإقبال ، وترهيباً من الإعراض ؛ لأنه "شفاء للمؤمنين ، وسبب شقاء للكافرين ؛ شفاء للعلماء ؛ حيث استراحوا به عن كدّ الفكر وتحير الخواطر ، وشفاء لضيق صدور المرئيين ؛ لما فيه من التنعم بقراءته ، والتلذذ بالتفكير فيه ، وشفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق ؛ لما به من لطف المواجيد ، وشفاء لقلوب العارفين بما يتوالى عليها من أنوار التحقيق " ^(٣) ، فأساس الحكمة لتدبر القرآن تبرز في خاصية العلم به ، ليدرك طبيعته وحقيقته ، فيهتدي به في مطلق أحواله ، وفي تعمق معرفته بالقرآن قرب منه ، وهو من باب أولى قرب من الله . وللاحتباك أثر فاعل في إبراز خاصية التحذير من قبح ملازمة الكفر ، فإن فيه حرمان ثمره الانتفاع بتدبر القرآن^(٤) .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: ٥١) ، شبه احتباك «ذكر الإنعام أولاً دليل الانتقام ثانياً ، وذكر الشر ثانياً دليل الخير أولاً»^(٥) . وعليه فالحذوف من الطرف الأول (مسه الخير) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (انتقمنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَنْعَمْنَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا أنعمنا على الإنسان فمسه الخير أعرض ونأى بجانبه ، وإذا

(١) ينظر : جامع البيان ٢٤/١٢٨ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٧/٢٠٦ وما بعدها بتصرف .

(٣) لطائف الإشارات ٥/٣٣٦ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٤/٤١٥ .

(٥) نظم الدرر ١٧/٢٢٢ .

مسه الشر لانتقامنا منه فذو دعاء عريض^(١) .

"وسره : تعليم الأدب بنسبة الإنعام دون الشر إليه ، وإن كان الكل منه" ^(٢) .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في ترسيخ قاعدة عظمى من أهم قواعد العقيدة تمثلت في حسن التذكير بوجوب تقييد النعم بلزوم الشكر ، وهذه من أجل وأنبل المعاني التي يسعى الحذف في تحقيقها ؛ ليعلم البشر عامة -خصوصاً أهل الكفر والعناد- حقيقة تلك النعمة ؛ أملاً في الرجوع إلى معرفته ﷺ بنسبة الفضل والإنعام له ؛ و إيقاظاً للقلوب الغافلة في مواجهة النعم بالصد والجحود ، فحقق الحذف إعلامها بمصدر إنعامها ؛ كي تحسن التوجه إليه ؛ لتنال شرف الإنحاء وكرم المزيد ، والذي يهدي إليه السياق يُعمق من حسن الحذف ؛ إذ سعى العام إلى الإعلام بأن العلم الحقيقي هو العلم الحامل على الإيمان والاستقامة على الطاعة ، فثبت أن الإصرار على ملازمة الكفر قبح ؛ لأنه جهل محض^(٣) ، والخاص تضمن إبراز حال الكفرة المعاندين عند مس النعمة ومس الشر ؛ ليُظهر شدة ملازمتهم الكفر الناتج عن عِظَم جهلهم بالله^(٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في المعاني الجوهرية ، الأول : وإذا أنعمنا على الكافر أملاً في رجوعه إلى الحق فكشفنا ما به من ضرر ، ووزقناه غنى وسعة ، لم يعمل بواجبه تجاه ذلك الإنعام ، بل بُعد من لزوم الشكر قاطعاً بأن تلك النعمة خير محض ظاهراً وباطناً فهو يستديمها^(٥) ، والثاني : إذا مسه الشر فذو تضرع واستغاثة ، فلا يدعو إلا عند المس بالشر متجاهلاً أن ذلك ربما يكون نعمة باطنة وهو لا يشعر^(٦) ، وفي وفي تبصر دلالة الخطاب بـ ﴿أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ عند حصول الإنعام ، إشارة إلى قبح حال الكافر في إعراضه عن الانقياد إلى الحق وتكبره على الله^(٧) ، وبـ ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ عند المس بالشر إيضاح لشدة جهله بحقيقة الله ؛ إذ عرفه في البلاء ولم يعرفه في

(١) ينظر : نظم الدرر ١٧/٢٢٢ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص ٢٥٠ .

(٢) نظم الدرر ١٧/٢٢٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٣٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٧/٢٢١ وما بعده بتصرف .

(٥) ينظر : جامع البيان ٤/٢٥ ، ونظم الدرر ١٧/٢٢١ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٧٣ .

(٧) ينظر : الموضع السابق .

الرخاء^(١) ، فـ"إذا أصابه الله بنعمة أبطرتة النعمة ، وإذا مسه الشر ابتهل إلى الله وتضرع"^(٢) ؛ لذا تحقق أن القول بالحذف في هذا المقام عليّ يولد جملة ثرية من المعاني الإحسانية ، والتي من أبرزها : الإعلام بحال الخلق عند حلول المصائب وأنواع الشدائد في حسن الإقبال ، والإعراض حال الشعور بالأمن وتوفر سبل الراحة ، وهذه نعمة جلييلة تُعرّف الخلق برهم عن طريق إظهار باهر القدرة في الإنعام والخير ، والانتقام والشر بصورة أكثر عمقاً ؛ ليثبت إعلامها بأن القادر على الإنعام قادر-لا محالة- على الانتقام ، وفي هذا مزيد تذكير بخطأ عقيدتهم التي يسيرون عليها ؛ إذ من الواجب مقابلة الإحسان بمثله مع أقل الناس ، فكيف مع من هو أجلُّ وأعظمُ في جلب الإنعام والخير؟! . ففيه إيماء إلى أصل عليّ من أصول الإيمان ، وهو : الحث على الاجتهاد في الدعاء والشكر في حالتي الإنعام ومس الخير ، والبلاء ومس الشر ؛ ليعلم العبد أن القادر على ذلك : الله وحده ، فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة^(٣) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۗ وَلِتُنَبِّئُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٢-١٣، ك) ، ففي هذه الآية شبه احتباك^(٤) ؛ إذ المحذوف من الطرف الأول (آيات لقوم تفكروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ابتغوا من فضله وشكروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِتُنَبِّئُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : سخر لكم ما في البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون آيات لقوم تفكروا ، وسخر لكم ما في الأرض جميعاً ممن لقوم ابتغوا من فضل الله وشكروا ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

فالعرض الأسمى من حمل النظم على الحذف يتمثل في إبراز أعظم صفات الربوبية لله من

(١) ينظر : الموضوع السابق .

(٢) البحر المحيط ٤٨٢/٧ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٧٣/١٥ ، ونظم الدرر ١٧٢/١٧٢٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٣٣٦/٢٥ .

خلال الدعوة إلى مداومة التفكير والنظر في تلك الدلائل ؛ أملاً في تبصر عظيم تلك القدرة ، فقد سخر ذلك وحده من غير حول من بني البشر ؛ ليعلموا أنه بقدرته خاصة ؛ وليؤمنوا به^(١) . فالسورة في سياقها العام بُنيت على إثبات التفرد الإلهي بتمام العز والكبرياء ؛ إذ اقتضت حكمته نشر عدله وإظهار فضله لجميع خلقه طائعهم وعاصيهم^(٢) ، وسيقها الخاص أثبت دلائل القدرة على تسخير ما في الكون لأجل منافع الناس عامة ، فثبت بالحذف الإرشاد إلى أصل عظيم من أصول العقيدة تمثل في الحث على إفراد الله بالشكر والعبادة . وكذا فإن في إعلام البشر بما سخر لهم من عظيم الدلائل ، وجيل المنافع نعمةً عليّة تُوجب عليهم الاجتهاد في العمل على حسن التأمل والشكر ، "فما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا- ومن وجه- للإنسان به انتفاع . . . ومن الغيب أن يستسخر ما هو مُسَخَّرٌ لك!"^(٣) ، وللحذف أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني تسعى في المقام الأول إلى إظهار إحسان الله في الإنعام^(٤) ، ثم إرشاد النفوس إلى التمسك بملازمة التفكير في مظاهر ذلك الإحسان ؛ لأنه ملاك الأمر بعث الإيمان في نفوس المعرضين^(٥) ، وشكر المنعم على نعمه ؛ ليزيدها من فضله في الدنيا والآخرة ، فإن المقبل عليه المحب له^(٦) .

*

- المطلب الثالث : إثبات علم الله بما ظهر وبطن من أفعال وأعمال بني الإنسان .

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿ (النساء: ١٤٧-١٤٨م) ، احتباك "والظاهر أنه لما ذكر الشكر على وجه علم منه رضاه به ومحبة إظهاره ، تممه بذكر ضده ، فكأنه قال : إنه يجب الشكر وإعلانه ويكره السوء وإظهاره ، وما ذكره لا محصل

(١) ينظر : نظم الدرر ٧٥/١٨ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٥٨/١٨ وما بعدها .

(٣) لطائف الإشارات ٣٩١/٥ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٦٠/١٦ .

(٥) ينظر : روح المعاني ١٤٤/٢٥ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٧٥/١٨ وما بعدها .

له ، ولا تتم به المناسبة ، وفيه احتباك بديع^(١) . فهذا ليس باحتباك ؛ لتنافي التقابل بين طرفيه من حيث دلالة المذكور الموجود على المحذوف المقدر ، فالطرف الأول أركانه محذوفة (يجب الشكر وإعلانه) ، والطرف الثاني مذكورة (يكره السوء والجهر به) ، ومن جانب آخر فالشكر يقابله كفران النعم ، والجهر بالسوء يقابله إعلان الحسن والجهر به .

*

ويأتي التقابل بين الصفات على طريقة الاحتباك في قول الله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّن أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (الرعد: ١٠٠م) ، ففي قول الحق وَعَجَلِكُمْ : ﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ "ذكر (مستخف) أولاً دال على ضده ثانياً ، وذكر (سارب) ثانياً دال على ضده أو مثله أولاً"^(٢) . وعليه يكون المحذوف من الطرف الأول (سارب) أو (كامن) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَسَارِبٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ظاهر) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ في الطرف الأول . وعليه يكون التقدير الأول : ومن هو مستخف بالليل ، كامن فيه ، ومن هو ظاهر ، وسارب بالنهار . والثاني : ومن هو مستخف بالليل ، فسارب . ومن هو ظاهر ، وسارب بالنهار . وسره : أنه ذكر الخفي أولاً ؛ ليدل على عظيم قدرته وشمول علمه ، ثم الأظهر ثانياً ؛ ليدل على أن تلك القدرة سواء عنده ، "فذكر الاستخفاء مع الليل ؛ لكونه أشد خفاء ، وذكر السروب مع النهار ؛ لكونه أشد ظهوراً ، والمقصود أن هذين الصنفين سواء لدى علم الله"^(٣) ، "وتقديم الإسرار والاستخفاء لإظهار كمال علمه ، فكأنه في التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر ، وإلا فنسبته إلى الكل سواء"^(٤) .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز حقيقة التفرد الإلهي لله في إثبات مطلق العلم ، فسواء عنده سرُّ خلقه وعلاانيتهم ، في ليلهم ونهارهم ، سكونهم وحركتهم^(٥) ،

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٩٣/٣ .

(٢) نظم الدرر ٢٩١/١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٩٩/١٣ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٨/٥ .

(٥) ينظر : جامع البيان ١١٣/١٣ .

فتحقق بالحذف تقرير مبدأ كمال علم الله وشموله ^(١) ، فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال أسهمت في تثبيت ذلك المبدأ ؛ ليعلم البشر حقيقة علم الله المستلزم التوحيد ؛ إذ شمل علمه كل من هو مستخفٍ في ظلام الليل ، وكل من هو ظاهر في بياض النهار ^(٢) ، وهذا ما أبرزته المعاني الجوهرية في سياقها العام الساعي إلى التنبيه وبسط الدلالات والتذكير بعظيم الآيات الدالة على القدرة والاختيار ، والخاص بما تحقق فيه من البيان لاستواء الغيب والشهادة بالنسبة إلى علم الله ، ونفي ذلك عن غيره ^(٣) ، وفي حمل النظم على الاحتباك جملة ثرية من لطائف المعاني تدعو في المقام الأول إلى أن جنس بني الإنسان بحاجة إلى إيضاح دلائل علم الله المطلق ؛ لتوطين النفوس على مقاومة ما يناهز الإيمان ، وامتنال ما يدعو إليه ، فكل من حرص على زيادة إيمانه ، بتأمل دلائل كمال القدرة ومطلق العلم ، أصبح ممن يعبدون الله عن علم ، وهذا من أعظم علامات رسوخ الإيمان في القلب . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط جديدة أسهمت في تأكيد شمول علم الله بأحوال العباد الظاهرة والباطنة من خلال ما تشكل في الذهن من الحذف ؛ إذ أصبح في مقابل كل طرف مذكور آخر محذوف يعمق معناه ويبرز دلالاته .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(النحل: ١٢٥، ك) احتباك "ذكر (من أضل) دليلاً على حذف ضده ثانياً ، و(المهتدين) ثانياً دليلاً على حذف ضدهم أولاً" ^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أعلم بالضالين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أعلم بمن اهتدى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالضالين ، وهو أعلم بمن اهتدى لسبيله وهو أعلم بالمهتدين ^(٥) .

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٨/٥ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٣/١١٣ وما بعدها .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي ٣/٣٢٠ .

(٤) نظم الدرر ٢٨١/١١ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٢٨٠/١١ وما بعدها ، الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع أسراره ، ص ١٨٣ .

وسرّة : أن في ذكر من أضلّ أولاً زجراً لبشاعة ما هم فيه من المنافاة للدين ، وذكر المهتدين تشريفاً بما هم فيه من التصعيد الإيماني في مراتب الهداية . ومن جهة أخرى ذكر علمه بمطلق أحوالهم ؛ لكونه أدل على تمام الحكمة الموجبة التسليم له .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حقيقة علم الله المطلق ، فهو وحده أعلم من كل مَنْ يتوهم فيه علم ؛ ليتحقق أن الأنبياء لا علم لهم بشيء مطلقاً سوى إعلام الخلق بما ألزمهم الله من أمر الدعوة إليه^(١) . فالقول بال حذف يزداد حسناً بعد مراعاة السياق العام للسورة ، فهو ذو اعتلاق بالغ جداً ببيان ما يرشد الحذف إليه ؛ لأن غايته " الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم ، فاعل بالاختيار ، متره عن شوائب النقص "^(٢) ، أمّا السياق الخاص فتحقق فيه إثبات علم الله المطلق بكل من هم في أدنى درجات الضلال ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ، وبكل من كان مترسخاً في الهداية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَلْمُهْتَدِينَ﴾ ، فهذان الركنان كفيلا بإبراز سعة علم الله المطلق ، ولكن في الحذف جملة من لطائف المعاني أبرزها : أن الاحتباك يكشف في المقام الأول عن سعة علم الله بمطلق أحوال العباد ابتداءً بمن كان في أول درجات الضلال إلى من ترسخ فيها ، ومن كان في أدنى درجات الهداية إلى من ترسخ فيها ، وهذا يولد في النفوس تدبر عظمة الله ، ويدفع إلى الإيمان ؛ لأن في تأمل سعة علمه مفاتيح رحمة للبشر ، بما يعرفونه حق معرفته ، فيعبدونه عن علم . وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط بين طرفي النظم ، من حيث مقابلة المذكور : (أعلم بمن ضل) ، بـ : (أعلم بمن اهتدى) ، ومقابلة : (أعلم بالمهتدين) ، بـ : (أعلم بالضالين) ، فتشكل في الذهن عظم القدرة الإلهية الموجبة صرف العبادة لله وحده .

*

ويعود التعبير القرآني لإظهار علم الله تعالى بجميع ما أخفوا وما أعلنوا في صورة من صور التقابل بين ذكر الذين صدقوا والكاذبين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٤) ، ففي قول الحق ﴿وَعَلَىٰ الَّذِينَ صَدَقُوا أَن يَصْحَبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصْلُوا الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ١١) ، وبالذات الذين صدقوا على الذين كذبوا ، وبالكاذبين

(١) ينظر : نظم الدرر ١١/٢٨٠ وما بعدها بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق ١١/١٠١ .

على الصادقين" (١). وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وليعلمن الصادقين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وليعلمن الذين كذبوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الصادقين ، وليعلمن الذين كذبوا ، وليعلمن الكاذبين (٢) .

وفي موضع آخر يماثل الآية السابقة ، أبرز الاحتباك فيه خاصية شمول علم الله بالذين آمنوا والمنافقين ، وذلك في : ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (العنكبوت: ١١م) ، ففيه احتباك (٣) ، إذ حُذِفَ من الطرف الأول (وليعلمن المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وليعلمن الذين نافقوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المؤمنين ، وليعلمن الذين نافقوا وليعلمن المنافقين (٤) . وسرّه : أنه ذكر إحاطة علمه بأدنى مراتب الصدق والإيمان ، وأعلى أحوال الكذب والنفاق ؛ تنبيهاً على شمول علمه وإحاطته بكل شيء ، وأن في ذكر عموم أحوالهم دليلاً على تمام القدرة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك - في الموضعين - أسهمت في إيضاح القدرة الإلهية بإحاطة علم الله بكل شيء ، فدلالة الاحتباك تمثلت فيما أنتجتته أوجه التقابل من دلائل المعاني الساعية إلى إثبات الدعوة إلى الله (٥) ، من خلال إبراز خاصية مطلق علمه ، فمن أقر به قوَى إيمانه ، وهو من أهل الإيمان ، ومن أعرض عنه أبطل إيمانه ، وهو من أهل الكفر ، وهذا ما حققته السورة ودعت إليه في سياقها العام ؛ لأن مقصدها الأعظم تمثل في الحث على الاجتهاد في الدعاء إلى الله وحده من غير فترة ، فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين (٦) ، أمّا الخاص فتتحقق فيه إثبات علم الله الشامل وقدرته التامة في الدنيا ، أنه -

(١) المرجع السابق ٣٩١/١٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٣٩٠/١ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسرار ، ص ٢٤٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤٠٠/١ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٤٠٠/١ ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسرار ، ص ٢٧٢ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٣٨٠/١ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٣٨٤/١ .

سبحانه- عليّ العلم والقدرة بجميع عبادته^(١) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تكونت في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول- في الموضع الأول- : وليعلمن ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في دعواهم الإيمان ، ولو كانوا في أدنى مراتب الصدق ، فيكون أحدهم عند الرخاء برّاً ا شكوراً ، وعند البلاء حراً صبوراً ، والثاني : في ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ الراسخين في الكذب الذين يعبدون الله على حرف ، فإن أصابهم خير اطمأنوا به ، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم^(٢) ، وكذا- في الموضع الثاني- الأول : وليعلمن الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فوقع منهم إيمان ، ولو كانوا في أدنى مراتب الإيمان ، وليعلمن المنافقين الراسخين في النفاق^(٣) ، فثبت بالمذكور إثبات جانب عليّ من جوانب العقيدة تمثل في تحقق خاصية التفرد الإلهي بالعلم المطلق لله وحده ، فقد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما^(٤) ، كما تحقق " علم الله الحاصل في المستقبل كما يقتضيه توكيد فعل العلم بنون التوكيد التي لا يؤكد بها المضارع إلا مستقبلاً"^(٥) ، ولكن في حمل النظم على الاحتباك جليلٌ معانٍ تسعى إلى إعلام البشر بمطلق علم الله ، وهي نعمة عليّة يحسن التبصر فيها ؛ ليدرك المرء عجز الخلائق ، وسعة علم الخالق ؛ فيعبده حق عبادته . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط أضافت إلى أصل النظم معاني ذات حُسن من أجلها : الحث على ملازمة الصدق ، فهو دليل ثبات الإيمان في قلب المؤمن ، والتخلي بشعار الدعوة إلى الاعتقاد بعقيدة الله واتباع رسوله ، وتجنب الكذب والنفاق ؛ لأنهما دليل ترك الإيمان وتزلزله في قلب الكافر^(٦) ، فيترتب على تحقق مطلق القدرة على العلم المجازاة على حسن الأعمال وسيئها ، وفي تعريف المتصفين بصفتي الصدق والإيمان بالوصول ، والمتصفين بالكذب والنفاق باللام وبصيغة اسم الفاعل أثر نبيل يرشد النفوس إلى مراعاة التخلي بأعظم الصفات والتخلي عن أذناها^(٧) .

(١) ينظر : المرجع السابق ١٤/٣٩١ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٤/٣٩٠ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٤/٤٠٠ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٣/٣٣٠ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٠/٢٠٥ .

(٦) ينظر : الموضع السابق .

(٧) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٢٠٦ .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يُحسُّ فضيلة للاحتباك غير الإيجاز - في الموضوعين^(١) ، وفيه نظر ؛ لأن فيه من لطائف المعاني الآخذة بأيدي العباد إلى ملازمة التحلي بالإيمان من خلال أكمال الصفات ، والتخلي عن الشرك من خلال البعد عن أردل الصفات .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (نفسان: ٢٧، ك) ، احتباك " ذكر الأقلام دليلاً على حذف مدادها ، وذكر السبعة في مبالغة الأجر دليلاً على حذفها في الأشجار " ^(٢) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (سبع شجرات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (من بحر مداد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام سبع شجرات ، وما في الأرض من بحر مداد لتلك الأقلام ، والبحر يمد من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله^(٣) . وسره أن ذلك أدل على تحقيق الكمال المطلق لله في العقول والأذهان ، فلا حد لغناه ، ولا حصر لمعلوماته ومقدوراته الموجبة حمده وثناءه^(٤) ، فالغرض الإعلام بكثرة معاني كلمات الله ، وهي في نفسها غير متناهية^(٥) ، والسبع مراد بها الكثرة . والتنكير في شجر كذلك.

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم بشكل فاعل في إبراز عظمة الله ؛ ليعلم البشر أن تلك العظمة لا تتناهى مطلقاً ، وليثبت لليهود^(٦) علم الله وسعة إحاطته ، فلو أصبح جميع

(١) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، وأسراه ، ص ٢٤٧-٢٧٢ .

(٢) نظم الدرر ١٥ / ١٩٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٥ / ١٩٧ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراه ، ص ٤٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٥ / ١٩٦ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٦٩ .

(٦) «.. أن اليهود سألو رسول الله أو أغروا قريشاً بسؤاله لما سمعوا قول الله تعالى في شأنهم : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥) فقالوا : كيف وأنت تتلو فيما جاءك أنا

قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ لمن سألوه : هي في علم الله قليل ، ثم أنزل الله

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ

﴿...﴾

جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلاماً ، وجميع ما في الأرض من بحر تحول مداداً ، بل إن هذا البحر أمده سبعة أبحر كذلك . . . وجلس الكتاب يسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على علمه ، والمعبرة عن مشيئته ، لنفدت الأقلام ، ونفد المداد ، ونفدت الأشجار ، ونفدت البحار . . . وكلمات الله باقية لم تنفد ، ولم تأت لها نهاية . . . ؛ لأن إرادته لا تكف ؛ ومشيئته ماضية ليس لها حدود وقيود . . . (١) . وهذا ما أرشد إليه السياق العام للسورة ؛ إذ أنه يعلي من حسن القول بالاحتباك ؛ لهذا قيل في بيان وجهه أنه "من عظيم هذا الفن" (٢) ؛ لعظم ما تضمنه ذلك السياق من إثبات معالم قدرة الله على الإبداع من غير انتهاء (٣) ، وأنه لو شاء أن يبلغ ما في علمه لما وَفَّت به مخلوقاته لتسجل كلامه بالكتابة ، فضلاً عن الوفاء بإبلاغ ذلك بواسطة القول (٤) ، فتقرر في النفوس عظمة الله المستلزمة توحيده كما ينبغي . أما دلالة السياق الخاص فأبرزت الأهم في بيان ما يتعلق بالاحتباك ، من حيث مراعاة تبصر بناء التركيب ؛ لما احتواه من براعة التنكير في : ﴿سَجَرَةٍ﴾ ، ثم إثثار ﴿سَجَرَةٍ﴾ دون أشجار ، ثم في اختيار : ﴿أَقْلَمٌ﴾ دون قلام ، وكذا التعبير بلفظ : ﴿سَبْعَةٌ﴾ ، وبصيغة المضارع في : ﴿يَمْدُهُ﴾ كل هذه الدقائق مجتمعة أعطت المراد مزيد حسن وبلاغة . فالتنكير للتكثير ، أي : كل شجرة في الأرض (٥) . وقد كان الظاهر بعد جعل الشجر أقلاماً أن يقول : والبحر مداد ، فعدل عن ذلك ؛ لتصوير الإمداد على وجه الاستمرار التجديدي ؛ لأنه من شأن المداد دون الدواة (٦) . وقيل (شجرة) بناء الواحدة دون (شجر) أو (أشجار) ؛ لأن المراد تفصيل الشجر واستقصاؤها شجرة شجرة ، حتى لا يبقى

(لقمان:٢٧) الآيتين أو الآيات الثلاث . وعن السدّي قالت قريش : ما أكثر كلام محمدٍ ، فزلت : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا

الْأَرْضُ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ . . .﴾ . ينظر : جامع البيان ٨١/٢١ .

(١) ينظر : في ظلال القرآن ٢١/٢٧٩٥ .

(٢) نظم الدرر ١٥/١٩٨ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢١/١٨٠ .

(٥) ينظر : روح المعاني ٢١/٩٧ .

(٦) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ١٤١/٧ ، وروح المعاني ٢١/٩٧ .

واحدة من جنسها إلا وقد برت أقلامها ، ولو لم يفرد لم يفد هذا المعنى^(١) . واختيار جمع القلة في : (أقلام) مع أن الأنسب للمقام جمع الكثرة ؛ لأنه لم يعهد للقلم جمع سواه ، و(قلام) غير متداول ، فلا يحسن استعماله^(٢) . وعلم من السياق أن المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة ، لا حقيقتها ، وأن المراد بجمع القلة في (أبحر) الكثرة ؛ لقريظة المبالغة ، وبجمع القلة في (كلمات) حقيقتها ؛ لانتظام المعنى ، وكل ذلك شائع في لغة العرب ، وأشار بجمع القلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل ، فيفهم العجز عن الكلم من باب أولى ، ويتبع الكلمات الإبداع ، فلا تكون كلمة إلا لإحداث شأن من الشؤون^(٣) . وفي إثارة صيغة المضارع في : (يمده) تصوير الإمداد المستمر حالاً بعد حال ، فأفاد النظم الجليل جعل البحر بمنزلة الدواة ، وجعل أبحراً سبعة مثله مملوءة مداداً ، فهي تصب فيه مدادها صباً لا ينقطع ، فكيف تحسب اليهود ما في التوراة هو منتهى كلمات الله؟^(٤) .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣م) ، احتباك " والمعنى : أي شيء يدريك الساعة بعيدة أو قريبة؟ لعلها تكون قريباً ، ولعلها تكون بعيداً ، ففي الكلام احتباك " (٥) ، وفيه نظر ؛ لعدم توافق التقدير المذكور مع نمط طريقة الاحتباك من حيث تعادل أطراف التقدير ؛ وذلك لكون التقدير جامعاً لثلاثة جمل كلها محذوفة ؛ الأولى : (الساعة بعيدة) ، والثانية : (الساعة قريبة) ، والثالثة : (لعلها تكون بعيدة) ، والنظم تضمن جملة واحدة ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ . ويذهب بعض أهل العلم إلى أن الأحسن فيه أن يقدر على : " يسألك الناس عن

(١) ينظر : الكشاف ٣/٢٣٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ١٤١/٧ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٢١/٩٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٩٧/١ بتصرف .

(٤) ينظر : الكشاف ٣/٢٣٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ١٤١/٧ ، وروح المعاني ٢١/٩٨ ، والتحرير

والتنوير ٢١/١٨٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/١١٣ .

الساعة بعيدة أم قريبة ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ولعلها تكون بعيداً؟" (١) ، وفيه نظر .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الزمر: ٧٠، ك) ، احتباك " ذكر ما عملت أولاً يدل على ما فعلت ثانياً ، وذكر ما يفعلون ثانياً يدل على ما يفعلون أولاً" (٢) " (٣) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (والله أعلم بما يعملون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ما فعلت) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَّا عَمِلَتْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ووفيت كل نفس ما عملت ، والله أعلم بما يعملون ، ووفيت كل نفس ما فعلت ، وهو أعلم بما يفعلون (٤) . وسره " أن ما ذكر أوفق للمراد من نفي الظلم على حكم الوعد بالعدل والفضل ؛ لأن فيه الجزاء على كل ما بني على علم ، وأما المشتبه فما ذكر أنه يُجازى عليه ، بل الله يعلمه" (٥) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن ركنين جليلين من أركان العقيدة ؛ الأول : تمثل في إبراز حكمة الله في مطلق عدله ؛ إذ جعل الموفى نفس العمل ، أي : ما عملت من الحسنات ، لذلك عبر بالعمل الذي لا يكون إلا مع العلم (٦) ، والثاني : في إبراز خاصية علمه المطلق ؛ ليثبت أن له في ذلك مطلق الكمال ، فينفي به عن نفسه النقصان (٧) . وفي تبصر دلالة السياق العام ما يُنبئ القول بالحذف ويبرز حسنه ؛ لما احتواه من إشارات عليّة تدل على " أنه سبحانه صادق الوعد ، وأنه غالب لكل شيء ، فلا يعجل ؛ لأنه لا يفوته شيء ، ويضع الأشياء في أوفق محالها... كما قرر الحكم بين العباد بما

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٢) الأعلى لما يقتضيه النظم : ذكر ما يفعلون ثانياً يدل على ما يعملون أولاً ، لذا قال : «وأفهم الختام تقدير : والله أعلم بما يعملون» . ينظر : نظم الدرر ١٦ / ٥٦٤ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراره ، ص ٢٩١ .

(٥) نظم الدرر ١٦ / ٥٦٤ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

(٧) ينظر : الموضوع السابق .

استحقته أعمالهم عدلاً منه - سبحانه - في أهل النار ، فضلاً على المتقين الأبرار " (١) ، أما السياق الخاص فناسب المقام فيه ذكر الحذف ؛ لما تضمنه من " ذكر الوفاء والعمل لاقتضاء السياق ذلك بذكر الكتاب وما في حيزه من النبيين والشهداء والقضاء الحق ، وذلك أليق بذكر العمل المؤسس على العلم ، والوفاء الذي هو الركن الأعظم في الحق ، ومساق العلم والوفاء أوفق لجعل العمل نفسه هو الجزاء بأن يصور بما يستحقه من الصور المليحة إن كان ثواباً، والقبيحة إن كان عقاباً، والفرق بينه وبين العقل المؤسس على الشهوة وقوة الداعية" (٢) . فالقيمة الحقيقية لفهم المراد تحققت بالمعاني الجوهرية ، الأول : ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر ، والثاني : وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا ، فلا يفوته شيء من أعمالهم (٣) ، فبهما تحقق مطلق الكمال الإلهي في التفرد والمجازاة ، إذ ذكر الأهم في مقام إعادة الموعظة والترهيب للذين لم يتعظوا بما تكرر في القرآن من عظات (٤) ، ولكن في حمل النظم على الاحتباك جملة من المعاني الإحسانية المؤثرة في النفوس بلطائف المعاني الساعية إلى زيادة الوعيد والتهديد (٥) ، فلو حصل للمنكرين معرفة علم الله لمنعهم ذلك من التكذيب به ، ولأوجب لهم الإيمان الحق ؛ لأنه ﷺ صاحب العلم المطلق لا ينازعه في علمه أحد من خلقه، وهذا أكرم عطاء لفهم المراد ؛ إذ ثبت به إعلام البشر بمطلق علم الله وعدله ؛ إذ لا يحتاج كاتباً ولا شاهداً (٦) ، وفوق ذلك لا يعزب عنه علم شيء من أفعال وأعمال المطيعين المطيعين والمسيئين ، مثير المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء (٧) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك لا فضيلة له غير الإيجاز (٨) ، ولعل الأنسب لما عليه السياقان العام والخاص القول بالاحتباك ؛ لما فيه من معانٍ أبرزها : تثقيف النفوس البشرية فيما يتعلق بمراعاة تثبيت جوانب العقيدة الدالة على كمال الله في صفاته .

(١) المرجع السابق ٤٣٦/١٦ .

(٢) المرجع السابق ٥٦٣/١٦ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٣٣/٢٤ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٦٩/٢٤ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٤٢٤/٧ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٨٣/١٥ .

(٧) ينظر : جامع البيان ٣٣/٢٤ .

(٨) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه ، أسراره ، ص ٢٩١ .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ . أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق : ١١-١٤، ك) ، احتباك ، ... حذف الكون على الضلال ثانياً ؛ لدلالة الكون على الهدى في : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ، وحذف (ألم يعلم بأن الله يرى) ، أولاً لدلالة ذكره في : ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾^(١) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (ألم يعلم بأن الله يرى) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كان على الضلال) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : رأيت إن كان الناهي ثابتاً في نهيهِ متمكناً على الهدى ، أو قد أمر في ذلك بالتقوى ، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يصح أن يرى ، رأيت إن كذب وتولى فكان على الضلال والهوى متمكناً في ذلك ، بحيث لا يصدر عنه فعل إلا فاسد ، ألم يعلم بأن الله يرى؟^(٢) .

وثمة تقابلات أخرى يقتضيها النظم تمثلت في : " رأيت إن كان على الهدى وصدق وأقبل ، أو أمر بالتقوى ، ألم يعلم بأن الله يرى؟ رأيت إن كان على الضلال وكذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى؟ " ^(٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (صدق وأقبل) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أرأيت إن كان على

الضلال) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ في الطرف الأول .
وسرّه : أنه ذكر أشرف ما يكون عليه الناهي من الهدى والتقوى ؛ ترغيباً في الإقبال عليهما ، ثم ذكر مطلق علمه ترهيباً لمن فسد حاله وقبح مآله .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك حققت معنىً جليلاً تمثل في إبراز معنى شمولية علم الله ورؤيته لكل شيء ؛ وذلك من خلال أوجه التقابل والتناظر بين طرفي القول ، خصوصاً وأن قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ حقق في كل طرف معنىً جديداً أسهم في إبراز المقصد الأعظم ، وهو إثبات معنى التفرد والكمال في علم الله ﷻ ، فهو يعلم كل معلوم ، ويبصر كل مبصر ، فمن كان له ذلك كان جديراً بأن يهلك من يراه على الضلال والإضلال ،

(١) ينظر : نظم الدرر ١٦٨/٢٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٦٦/٢٢ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ٢٤٠ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ٢٤٠ .

وينصر من يطيع أمره على من يعاديه ^(١) ، فبالحذف برزت خاصية الترغيب في العبادة الموجبة الهدى ، والترهيب من الضلال الموجب الكفر ، وأنه لا سبيل لتحقيق الهدى إلا بعبادة الله والتخلي التام عن الشرك . وهذا ما دعت إليه السورة في سياقها العام ؛ إذ إنها تدعو إلى إقامة التوحيد بعبادة الله وحده ، والخاص بما تحقق فيه من بيان حال الناهي ؛ إذ كان متمكناً في الهداية والتقوى ، وحال من كان مرتكباً للضلال الذي لا يدعو إليه الهدى ^(٢) ، فـ"لما كان السؤال عن حال الناهي ؛ لأن الرؤية علمية لا بصرية ، فتشوف السامع إلى معرفتها ، وكان للناهي حالان : طاعة ومعصية" ^(٣) . فأصل المراد تحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : أرأيت إن كان الناهي ثابتاً في نهيه متمكناً على الهدى الكامل ، أو كان قد أمر في ذلك الأمر بالتقوى ، والثاني : في ألم يعلم بأن الله يرى فساده وضلاله ، أما المعاني الإحسانية فتمثلت في الركنين المحذوفين ؛ حيث الإرشاد والتوجيه إلى مراعاة القدرة الإلهية ، فتحقق لله وحده مطلق الرؤية ؛ لذا فمن الواجب على المرء الخوف من سطوته وعقابه ^(٤) ، وفي هذا دعوة ربانية جليلة تدعو إلى محاسبة النفس ، ووزن الأفعال بميزان الشرع والاعتدال ؛ ليعلم المرء أهى مما يرضي الله ليقره عليه كما يقر سائر ما يرضيه ، أو يسخطه فيمنعه منه ، وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني منها : إعلام البشر بمبدأ عظيم من مبادئ العقيدة تمثل في حسن التأدب في الخطاب والموعظة ؛ إذ وعظ الله على لسان نبيه محمداً ﷺ أبا جهل في تعرضه له عند البيت ^(٥) ، ففي هذا دافع إيماني نبيل يرشد النفوس إلى مراعاة تحكيم شرع الله وترك المعاصي والهوى ؛ لأن في الأول رمزاً للكمال الذي شعاره الإيمان والتقوى ، وفي الثاني رمزاً للنقصان الذي أساسه الكفر والفساد . كما تحقق بالحذف مزيد تأكيد لحقيقة التهديد والوعيد الشديد بعد التوبيخ ^(٦) ، "ويله! ألم يعلم أبو جهل بأن الله يرى ، أي : يراه ، ويعلم فعله"

(١) ينظر : نظم الدرر ١٦٦/٢٢ بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٥١/٢٢ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ١٦٧/٢٢ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٥٤/٣٠ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٢٤/٢٠ .

(٦) ينظر : روح المعاني ٢٣٨/٣٠ .

(١) . فدخل تحت هذا كل من نهى عن الصلاة ومنع منها فهو شريكه في الوعيد (٢) ، فمن الواجب على المرء تعلم مبدأ الالتزام بحسن مراعاة الخطاب ؛ فلا ينهى أحداً عن الصلاة مطلقاً ، وإذا رأى ما خالف الشرع من الصلاة في أوقات النهي أن يتلطف في الخطاب بأن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك .

*

-القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿وَأَنَا لَأَنْدَرِي أَشْرُ أُرِيدُ بِنَ فِي الْأَرْضِ أَمَّا أَرَادَ بِهِمْ رَشْدًا﴾ (الحج: ١٠٠، ك) ، شبه احتباك "ذكر الشر أولاً دليلاً على الخيرانياً، والرشد ثانياً دليلاً على الغي أولاً" (٣) . فالمحذوف من الطرف الأول (فينشأ عنها الغي) لدلالة ذكر ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَشْدًا﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (فينشأ عنه الخير)؛ لدلالة ذكر ﴿لَأَنْدَرِي أَشْرًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره: وأنا لا ندري أشراً أريد بمن في الأرض فينشأ عنها الغي أم أراد بهم ربهم رشداً فينشأ عنه الخير وسره أنه ذكر انتفاء مجامع العلم بالشر والخير؛ لأنه أدل على تحقق الغرض الأسمى وهو أن علم الغيب موكل إلى الله وحده، فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام رفع الهمم عن الخوض في شيء بغير علم؛ لتعظم في النفوس أهمية التفويض إلى علام الغيوب فلا ينسب شيء من أمور الله في كونه إلا له ؛ ليُبطل ما نُسب إلى غيره على وجه الإطلاق، وهذا يبرز جانب العلم والإرادة لله ؛ لأنه هو الفاعل المختار الذي له الإرادة الماضية النافذة. كما أسهم الحذف في إحداث نوعٍ من الترابط والتناسب بين المعاني ، فالشر ضده الخيروالرشد ضده الغي ، فأوجز النظم في ذكر انتفاء علمهم بالشر والرشد ليثبت أنهم غير قادرين على إعلام البشر بما يقدر لهم من الهداية والضلال (٥) .

*

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٢٤/٢٠ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٢٣٨/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٤٧٩/٢٠ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : جامع البيان ١١١/٢٩ .

– المطلب الرابع: قدرة الله على إضلال بني الإنسان وهدايتهم.

– القول بالاحتباك.

في قول الحق ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥، ك) ، احتباك "ذكر أولاً الضلال دليلاً على حذفه ثانياً ، وذكر الرجس ثانياً دليلاً على حذفه أولاً"^(١) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (الرجس) ؛ لدلالة ذكر ﴿الرِّجْسَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الضلال) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُضِلَّهُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً مرتجساً كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الضلال والرجس على الذين لا يؤمنون ^(٢) . وسرّه : أنه ذكر الضلال والرجس ؛ تقييحاً للكفر وترهيباً منهما ؛ لكونهما مما يستقدر . كما أن في تبصر دلالة الخطاب إبرازاً لعظيم القدرة الربانية في إحلال الضلال والرجس وإدامتهما في قلب كل كافر من أهل كل زمان ^(٣) ؛ لإرادته – سبحانه – دوام ضلالهم ^(٤) ؛ لذا أوتر التعبير بـ : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

فالقول بالاحتباك يشكل أثراً فاعلاً لإبعاد الكافرين عن مراتع الضلال من خلال إبراز باهر الإرادة ومطلق العظمة لله ، إذ إن في وصف حال الضال ، وتمكن الضلال والرجس منه إظهاراً لمطلق قدرة الله على جعل بعض القلوب متسعة لقبول الإيمان ، وأخرى ضيقة لا تصل إليها الموعظة ولا يدخلها النور ^(٥) ، فمدار القول بالاحتباك تركز في الصنف الثاني الذي لا يدخله النور ، "فصاحب هذا الصدر لا تكاد الهداية تصل إليه ، وإن وصل إليه شيء منها على لسان واعظ ، ومن طريق مرشد ناصح لم تجد مسلماً فنكصت ، وهكذا لا يزال في اضطراب وتردد أبداً" ^(٦) ، فتحقق بالحذف إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة

(١) نظم الدرر ٢٦٣/٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٦١/٧ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص ١٧٧ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ١٣/١٤٦ .

(٤) ينظر: نظم الدرر ٢٦٢/٧ وما بعدها.

(٥) ينظر : جامع البيان ٨/٣١ .

(٦) نظم الدرر ٧/٢٦٢ .

تمثل في إثبات مطلق التفرد الإلهي في مطلق القدرة حثاً على الإيمان وتنفيراً من الكفر ؛
فـ"من أراد الله منه الإيمان قوى دواعيه إلى الإيمان ، ومن أراد منه الكفر قوى صوارفه عن
الإيمان"^(١) ، فهو -تعالى- أعلم بمن طبع على قلبه ، فلا ينفك عن الضلال ، وإن مكر
المجرمين إنما هو بإرادته ونافذ قدرته ؛ ليعلم البشر أن الأمر أمره والقلوب بيده ، فكل من
سواه يُعد مملوكاً محكوماً عليه بالهداية والضلال^(٢) . وفي تدبر دلالة السياق العام والخاص
وقرائن الأحوال أهمية عظمى تُرشد إلى إثبات حقيقة الله ؛ إذ سعى العام إلى الاستدلال على
التوحيد بإثبات أنه -تعالى- حاوٍ لجميع الكمالات من الإيجاد ، والإعدام ، والبعث ، فدل
ما حوته السورة على إحاطة علمه ؛ لأن إحاطة علمه ملزومة لشمول القدرة وسائر
الكمالات^(٣) ، أمّا الخاص فتقرر فيه إبراز خاصية علم الله بما في القلوب^(٤) .

وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أسهمت في تأكيد القدرة التامة
والعظمة الباهرة لله ، من خلال أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ تشكل في مقابل كل
ركن مذكور آخر محذوف يعمق معناه ، ويبرز دلالاته ؛ ليثبت في العقول والقلوب قدرته
على ضلال الكافر ؛ " فكلما أصدته حركته الاختيارية أهبطته حركته الطبيعية القسرية
في : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾"^(٥) .

*

ويقول تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْأَلْبَتِ
لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨، ك) ، ففي قول الحق ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا
يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ احتباك^(٦) ، المحذوف من الطرف الأول (طيياً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ نَكِدًا ﴾ في
الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الخبث) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الطَّيِّبُ ﴾ في الطرف
الأول . فقيل في تقديره : " والبلد الطيب يخرج نباته طيباً بإذن ربه ، والنبات الذي خبث

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٥٨/٧ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٥٨/٧ .

(٥) المرجع السابق ٢٦٣/٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٤٢٤/٧ .

يُخرج نكدًا من البلد الخبيث " (١) ، فلو جعل التقدير : والبلد الطيب يخرج نباته طيبًا بإذن ربه ، والخبيث الذي خبث لا يخرج إلا نكدًا (٢) ؛ لكان أكثر دقةً للنظم ؛ حيثُ تحقق مراعاة التناسب في بناء التركيب . وسره : أنه ذكر أساس كل خير ونتيجة كل شر ؛ لكونهما أدل على القدرة الإلهية المقتضية للوحدانية الدالة على وقوع البعث بعد الموت ، واختلاف قابلية الناس للهدى ترغيبًا وترهيبًا .

فالنمط التركيبي للاحتباك تمثيلٌ يكشف عن خاصيتي الهدى والضلال في حالتي الاستجابة للدعوة والإعراض ؛ ليتحقق إعلام البشر بمطلق القدرة الإلهية المتضمنة القدرة على البعث من خلال ضرب المثل للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه مثل للمؤمن الذي لديه قابلية الاستجابة ، والذي خبث فلا يخرج نباته إلا نكدًا مثلًا للكافر الماكث في الضلال (٣) . وفي تدبر دلالة السياق العام ما يُعَلِّي من حسن الاحتباك ؛ لكونه داعيًا إلى إنذار من أعرض عن اتباع التوحيد ، فبه تحقق أن من رحمته انتقامه من أهل الكفر والضلال ، وهدايته لأهل الاصطفاء إلى لزوم طريق الإيمان (٤) ، فثبت أن أثر الاستجابة للدعوة امتثال كل خير واجتناب كل شر ، وأثر الإعراض عنها نكد يورث القلب امتثال كل شر واجتناب كل خير ، أمّا السياق الخاص فهو أشد بيانًا لما يقتضيه الحذف من المعاني الإحسانية ؛ ليثبت أنه لا فرق في التوحيد بين أموات الإيمان وأموات الأبدان "فكما فاونتا بين جواهر الأراضي بخلق بعضها جيدًا وبعضها رديئًا كذلك فاونتا بين عناصر الأناسي بجعل بعضها طيبًا ، وبعضها خبيثًا ، فالجيد العنصر يسهل إيمانه ، والخبيث الأصل يعسر إذعانه وتبعد استقامته" (٥) ، فاتضح أن " الخبيث لا يفلح ولا ينجب وإن كثر ، والطيب نافع حميد جميل العاقبة وإن قل " (٦) ، فـ"الهدى والآيات والموعظة تنزل على القلب كما ينزل الماء على التربة فإن كان القلب طيبًا كالبلد الطيب تفتح واستقبل وفاض بالخير . وإن كان

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٤٢٣/٧ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢١٢/٨ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣٤٧/٧ .

(٥) المرجع السابق ٤٢٣/٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٢٧/٦ .

فاسدًا كالذي خبث استغلق وقسا ، وفاض بالشر"^(١) ، فإن في العلم بهذا نعمة عليّة تجلب الخشية المعينة على كمال الإيمان ؛ فتكون النفوس ظاهرة نقية بعيدة عن شوائب الجهل ، إذا اتصل بها نور القرآن ظهرت فيها أنواع من الطاعات^(٢) .

*

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۗ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ (النحل: ٣٦، ك) ، احتباك "ذكر فعل الهداية أولاً دليلاً على فعل الضلال ثانياً ، وحقوق الضلالة ثانياً دليلاً على حقوق الهداية أولاً"^(٣) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (حقت له الهداية) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومنهم من أضله الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمنهم هدى الله فحقت له الهداية ، ومنهم من أضله الله فحقت عليه الضلالة^(٤) . الضلالة^(٤) .

وسرّه : أنه ذكر فعل الهداية أولاً ؛ لكونها الغاية العظمى التي هي فاتحة كل سعادة ؛ إعلاماً بقدرة الخالق ، وإشعاراً بعظيم ما يترتب عليها من الفوز ، وأسندت هداية بعضهم إلى الله مع أنه أمرهم جميعهم بالهدى ؛ تنبيهاً للمشركين على إزالة شبهتهم في قولهم : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٣٥ ، ك) ، بأن الله بين لهم الهدى ، فاهتداء المهتدين بسبب بيانه ، فهو الهادي لهم ، ثم ذكر حقوق الضلال ؛ لكونها أساس كل هلاك ؛ إعلاماً بأن ضلالهم عائد عليهم ، وفي ذلك إيحاء إلى أن بقاء الضلالة من كسب أنفسهم^(٥) ، فالتعبير في جانب الضلالة بلفظ : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ ﴾ دون إسناد الإضلال إلى الله ، إشارة "إلى أن الله لما فُتاهم عن الضلالة فقد كان تصميمهم عليها إبقاء لضلالتهم السابقة ، فحقت

(١) في ظلال القرآن ١٣٠٠/٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٨٦/٨ .

(٣) نظم الدرر ١٥٨/١١ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٥٧/١١ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسرار ، ص ١٨٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١٥٠/١٣ .

عليهم الضلالة ، أي : ثَبَّتْ ولم تَرْتَفِعْ " (١) . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى من صور الاحتباك أسهمت في إبراز القدرة الإلهية على إحلال الهدى والضلال (٢) . فأصل الاحتباك أسهم في إثبات مطلق القدرة لله بحقوق الهداية والضلال لبني الإنسان بعد بيان نهج الحق الواجب السير عليه ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ، فمن عمل بذلك كان متبعاً للرسول مرضياً لربه ، ومن أعرض كان مغضباً لهما ، فتحقق أنه لا يكون حكم المتنافيين واحداً أبداً (٣) ، فالقول بالاحتباك في هذا الموضوع ذو اعتلاق بالسياق العام للسورة ؛ إذ إن مقصودها "الدلالة على أنه -تعالى- تام القدرة والعلم ... مآثره عن شوائب النقص" (٤) ، وفي هذا عناية كبيرة بالحث على توحيد الله وتزويجه عن كل نقص من شرك وغيره ، وكذلك السياق الخاص فقد تحقق فيه إثبات الحكمة الإلهية من إرسال الرسل ، وهي : الدعوة إلى التوحيد كما أمر ، فتبين بالاحتباك أن الأمم تجاه إرسال الرسل قسمان : منهم من هدى الله للحق فحقت له الهداية ، فأبصروا واتبعوا الدعوة فيما أمروا به عن الله ، فحقت لهم بإذنه الجنة ، ففازوا وأفلحوا ونجوا من عذاب الله (٥) . ومنهم من حققت عليهم الضلالة بأن أضله م الله فتابذوا الأمر ، ولم يعملوا باتباع الرسل ، فحقت لهم النار ، فحسروا وأهلكهم الله بعقابه (٦) . وللاحتباك أثر فاعل في إعلام البشر بمبدأ جليل من مبادئ الدعوة الصحيحة تمثل في عظم الحكمة الإلهية في أمر الكل بالإيمان والنهي عن الكفر ، ثم خلق الإيمان في البعض والكفر في البعض الآخر (٧) ، "فلو كان كل ما شاءه حقاً كان الفريقان محقين فلم يعذب أحدهما ، لكنه لم يكن كذلك بل عُدبَ العاصي ونجى

(١) الموضوع السابق .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (الأعراف : ٣٠ ، ك) احتباك أثبت في الأول (هدى) دليلاً على حذف (أضل) ، وذكر في الثاني (حقوق الضلالة) دليلاً على حذف (حقوق الهدى) ، وتقديره : فريقاً هدى فحق الهداية في قلوبهم ، وفريقاً أضل فحق عليهم الضلالة . ينظر : نظم الدرر ٣٨٥/٧ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٥٦/١١ .

(٤) المرجع السابق ١٠١/١١ .

(٥) ينظر : جامع البيان ١٠٣/١٤ .

(٦) ينظر : جامع البيان ١٠٣/١٤ ، ونظم الدرر ١١١/١٥٧ وما بعدها .

(٧) ينظر : التفسير الكبير ٢٣/٢٠ .

الطائع في كل أمة على حسب ما قال الرسل " (١) ، وهذا دال -بلا ريب- على صدق الرسل وكذب مخالفهم (٢) ، كما أن في الحذف توجيهاً علياً يدل على أن صلاح أصل العمل وحسن النية يدفعان إلى نيل هداية الله وحقوقها ، وفساد أصل العمل وقبح النية يدفعان إلى نيل الضلال من الله وحقوقها ، فمن اعتبر بالدلائل هداه الله ، ومن أعرض وكفر أضله الله (٣) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧، ك) ، احتباك "ذكر الاهتداء أولاً دليلاً على حذف الضلال ثانياً ، والمرشد ثانياً دليلاً على حذف المضل أولاً" (٤) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فلن تجد له مضلاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فهو الضال) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من يهد الله فهو المهتد فلن تجد له مضلاً ، ومن يضل فهو الضال فلن تجد له ولياً مرشداً (٥) .
وسره : أنه ذكر أفضل ما يكون لأهل الإيمان ترغيباً ، وأسوأ ما يكون لأهل الكفر ترهيباً ؛ ليدل على أن مطلق الأمر بهداية المهتدي وإضلال الضال في أي زمان بيده وحده (٦) .
ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صور أخرى (٧) تبرز مطلق التفرد

(١) نظم الدرر ١١/١٥٨ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : البحر المحيط ٥/٤٧٦ .

(٤) نظم الدرر ١٢/٢٩ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٢/٢٨ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقع أسراره ، ص ١٨٦ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٢/٢٩ .

(٧) قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبِكَمَا وَصَمًا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتِ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿ (الإسراء: ٩٧، ك) ، احتباك «خبر

الأول يدل على حذف ضده ثانياً ، ونتيجة الثاني تدل على حذف ضدها من الأول» ، وتقديره : ومن يهد الله يخلق الهداية في قلبه فهو المهتد ، ومن يضل فهو الضال فلن تجد لهم أولياء من دونه . ينظر : المرجع

السابق ١١/٥١٦ . وكذا قول الحق ﷻ : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودُ

التفرد الإلهي في القدرة على الهداية والضلال .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تدعو في مجملها إلى إثبات أن الهداية والضلال فعل من أفعال الله الخاصة ، فمطلق القدرة بيده وحده ، من هداة اهتدى ومن أضله لا هادي له ^(١) . فبتبصر دلالة السياقين العام والخاص ما يُعَلِي من شأن الاحتباك ؛ إذ سعى العام إلى "وصف الكتاب بأنه قيم ؛ لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل" ^(٢) ، والخاص تحقق فيه الاستدلال بعظيم القدرة والعلم بكل شيء . وهذا من أبرز دلائل التوحيد الموجبة الاستسلام لله رباً واحداً ، فكشف الاحتباك عن أدق علائق الربط بين المعاني ؛ ليعث في النفوس مبدأ الحرص على جانب مهم من جوانب العقيدة ، وهو معرفة الله بكل صفات العظمة والكمال ، فتوحيده تتحقق السعادة ، وهي من الله هداية لا تزول إلا بأمره وقدرته ، وبالإشراك شقاوة ، هي من الله ضلال وحيرته لا تزول إلا بأمره وقدرته ، وفي هذا حافز يدفع إلى الازدياد من فعل الطاعات تقرباً ، والبعد عن فعل المعاصي تجنباً . كما تعمق بالحذف دلالة التفرد الإلهي ، فالله يهدي قومًا بالتأمل في الأدلة والبراهين ، ومن وسمه بسمة الحرمان لا عرفان ولا علم ولا إيمان لهم ^(٣) ، فمن خلق الله الهداية في قلوبهم أمعنوا النظر في تبصر آيات الله وانتفعوا بها ، ومن خلق الضلالة في قلوبهم أعمى بصائرهم عن طريق الهدى ، فيرون الآيات ويسمعونها ولا يعلمون أنها آيات فضلاً عن تدبر ما فيها والانتفاع بها ؛ لذا ففي حمل النظم على الاحتباك معان ثرية توجه البشر إلى مدارج الطاعات من خلال إطلاق النظر في معالم العظمة والكمال ^(٤) .

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَّيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر: ٢٣، ك) ، احتباك «ذكر أولاً إطلاق أمره في الهداية دليلاً على حذف مثله في

الضلال ، وثانياً انسداد باب الهداية على من أضله دليلاً على حذف مثله فيمن هداة » ، وتقديره : ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن هداة الله فماله من مضلّ ، ويضلل به من يشاء ، ومن يضلّل الله فماله من هاد .

ينظر : المرجع السابق ٤٩١/١٦ .

(١) ينظر : جامع البيان ١٦٧/١٥ .

(٢) نظم الدرر ١/١٢ .

(٣) ينظر : لطائف الإشارات ٥٥/٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٩/١٢ .

*

في قول الحق ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (مریم: ٧٥، ٧٦، ٧٧) ، احتباك "ذكر السعة بالمد للضلال أولاً دليلاً على حذف الضيق بالمنع للمهتدي ثانياً ، وزيادة الهداية ثانياً دليلاً على حذف زيادة الضلال أولاً" (١) . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (فيزداد ضلالاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يمد) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ في الطرف الأول . فالتقدير : قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً فيزيده بذلك ضلالاً ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومنعهم من الدنيا (٢) . ولكن الأنسب كون التقدير على نحو : "فليمدد له الرحمن مداً فيزداد ضلالاً ، ويمد للذين اهتدوا فيزدادوا هدى" (٣) . وسره : أنه ذكر أقبح ما للمضلين ، وأحسن ما للمهتدين ترغيباً وترهيباً .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة ضلالة الضال ؛ تقبيحاً وتشنيعاً لفعله ، وحسن الهداية في ازديادها للمهتدي إكراماً وإعزازاً ، فتحقق أن له - سبحانه- في ذلك حكماً ربانية تدعو إلى التبصر في جوهر الدليل ؛ لتدرك النفوس عظم قدرته وجلال هيئته فتعبده عن علم ، ففي تبصر دلالة التعبير بالاسم في ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ﴾ إشارة "إلى التجلي لهم بجميع الصفات العلا ؛ ليعرفوه حق معرفته" (٤) . وفي السياق البعيد تتجلى معالم القدرة ؛ "لاتصافه بصفات الكمال ؛ لشمول القدرة على إبداع المستغرب ، ولتمام القدرة على البعث" (٥) ، والخاص تحقق فيه التهديد من يوم القيامة بإثبات كمال القدرة في فعل الضلال والهداية (٦) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في الركنين

(١) المرجع السابق ٢٤٠/١٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٣٨/١٢ وما بعدها بتصرف .

(٣) التحرير والتنوير ١٥٧/١٦ .

(٤) نظم الدرر ٢٤٠/١٢ .

(٥) المرجع السابق ١٠٦/١٢ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٢٣٨/١٢ وما بعدها .

المذكورين ، الأول : من كان في الضلالة فليدعه في طغيان جهله وكفره^(١) ، والثاني : يزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشده هدى و يقيناً^(٢) ، فثبت للضالين مطلق الضلال ، وللمهتدين مطلق الهداية ، فعنده ﷺ كل صلاح و هدى ، فمن أقبل وفقه لكل خير ، ومن تولى أصابه بالضلال وزاد في إصابته به ؛ لأنه وحده القادر على إحقاقها وزوالها . ومن أبرز لطائف الحذف إعلام البشر عامة بأن ما "يفتخر به الضال في الدنيا لا يدل على حسن الحال في الآخرة ، بل على عكس ذلك"^(٣) ؛ فقد جرت عادته ﷺ أن يبسط في العاجلة للكافرين الراحة ، وطيب العيش ، والتنعم بأنواع الملاذ ، والطول في الأعمار ، وإنفاقها فيما يستلذ من الأوزار الكبار^(٤) ؛ إبرازاً لشدة عذاب الضالين ، واستدرجاً في زيادة الضلال . كما تحقق الإعلام بأن فعل الطاعات سبب في الهداية ، وفعل المعاصي سبب في الضلال ، فمن يسر الله له الهدى انشرح صدره ومد له في ذلك ، ومن لم يوفق ضاق صدره ومد له في الضلالة ، فإن في زيادة الضلال والمد فيها شدة عقاب ، وفي زيادة الهداية والمد فيها لطفاً ورحمة ، فتحقق أن "الكفرة يردون إلى خسارة وفناء والمؤمنين إلى ربح وبقاء"^(٥) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سأ:٥٠.ك) ، احتباك "حذف أولاً كون الضلال من نفسه بما دل عليه ثانياً من أن الهدى من الوحي ، وثانياً كون الهدى له بما دل عليه من كون الضلال عليه " ^(٦) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أضل بما في نفسي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (هداي لنفسي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل إن ضللت فإنما أضل بما في نفسي على نفسي ، وإن

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/١١٤ ، وتفسير البيضاوي ٤/٣٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٦/١١٩ .

(٣) نظم الدرر ١٢/٢٣٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٢/٢٣٩ .

(٥) المرجع السابق ١٢/٢٤١ .

(٦) المرجع السابق ١٥/٥٣٥ .

اهتديت فيما يوحي إليّ ربي وهداي لنفسي^(١) .

وسرّه : أنه ذكر الضلال ؛ لكونه أساساً لكل شر ، والهدى ؛ لكونه أساساً لكل خير ؛
إعلاماً بأن أثر الضلال والهدى عائدٌ عليه ، وليثبت أن بني البشر عامة لا يسلمون من
شواغل النفس بشهواتها وحظوظها وكسلها وفتورها إلا بفضل الله عليهم بالعصمة من
ذلك ؛ لذا أرسل رسلاً جردهم من تلك القواطع ، فجعل أخلاقهم شرائعهم ؛ فتحقق الأمر
على كل أن يتبع رسله المتخلقين بكتبه متهمًا عقله منابذاً رأيه ؛ ليكون مؤمناً بالغيب حق
الإيمان^(٢) .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت في إثبات الضلال وإسناده إلى لعبد ؛ نتيجة لمخالفة
الشرع ، وإثبات الهدى وإسناده إلى لحق نتيجة التوفيق منه ﷺ ، فهذا الوجه من الحذف
يُطل إبطالاً تاماً ما عليه المعاندون من إبطال دعوة الحق ؛ ليغرس في نفوسهم مبدأ جليلاً من
مبادئ العقيدة تمثل في : إثبات التفرد الإلهي في القدرة على الهداية . فمراعاة النظر في
السياق العام يتضح أن المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة يدعو إلى إثبات " حقيقة
الدار الآخرة ؛ لكونها كائنة لا ريب فيها ؛ لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة " ^(٣)
، والخاص تحقق فيه الكشف عن عناد أهل الباطل وتجرّئهم على معاندة الرسول ^(٤) ؛
ليثبت لهم أن هداه بوحى من ربه ، لا بيد غيره ، فلا يمكن بوجه من الوجوه فيه ضلال ؛
لأنه لا حظّ فيه للنفس مطلقاً ^(٥) ، فالنتائج عن الاحتباك من لطائف المعاني يدعو في المقام
الأول إلى تأكيد حقيقة أن الله جعل العقول صحيحة لا انحرف بها في الشهوات ، وإنما
النفوس منقادة مترامية نحو الباطل ، وهذا يدفع المرء إلى ربط جمح النفس وترويضها فيما
يوجهها إلى الحق ، وهو إرشاد عليّ لا يحسن فهمه إلا من عرف ما يملي عليه عقله أولاً ،
وما تريده نفسه ثانياً ، وماذا يختاره ثالثاً ، كما أن فيه -الحذف- إرشاداً آخرًا به تبرز
عظمة القدرة الإلهية في توجيه المرء إلى ربه ، فهو وحده هادٍ له يهديه نحو الهداية وثمرتها

(١) ينظر : نظم الدرر ١٥/٥٣٥ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراه ، ص ١٨٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٥/٥٣٦ .

(٣) المرجع السابق ١٥/٤٢٨ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٥/٥٣٥ بتصرف .

نفسه ، وضلالها عليها بما دفعته نفسه ، وعلاجها الرجوع إلى الحق ^(١) . وللاحتباك أثر فاعل في تحقيق توجيه عليّ يسعى بالنفوس إلى الارتقاء في تعلم أساليب التأدب في الخطاب ؛ إذ إن في تبصر دلالة الخطاب في سياق الاستعطاف بـ ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي ﴾ حكماً تربوية تغرس في النفوس مبدأ ملازمة حسن التلطف في الخطاب ^(٢) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ ^(محمد: ٢٤١م) . احتباك "ذكر ضلال الكفار أولاً دليلاً على إرادة الهدى للمؤمنين ثانيًا ، وإصلاح البال ثانيًا دليلاً على حذف إفساده أولاً" ^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أفسد بالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهدى أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم وأفسد بالهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم هدى أعمالهم وأصلح بالهم ^(٤) . وسره : أنه ذكر أقبح ما للكافرين من الضلال الموجب للكفر ، وأحسن ما للمؤمنين من الصلاح الناتج عن تمام الإيمان ، أو أنه ذكر "السبب الأصيل في إضلال أعمال الكافرين وإصلاح بال المؤمنين" ^(٥) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ أجل معاني القدرة الإلهية في فعل الضلالة و الهداية ؛ ليعلم المؤمنون بما هو في سابق علم الله من أن الهدى والضلال بيده ، فنبه على الطريقين بقوله : ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ، وقوله في الآخر : ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ

(١) ينظر : المرجع السابق ١٥/٥٣٤ وما بعدها .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ١٨/١٩٩ .

(٤) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم ، ص ٢٤٧ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٦/٧٦ .

بَالِهْتُمْ ﴿١﴾ ، وفي تبصر دلالة السياق ما يُنبئ القول به ؛ لما تقرر فيه من حث المؤمنين بإدامة جهاد الكافرين ﴿٢﴾ ، أمّا الخاص فهو ذو أثر بالغ في العناية بذكر ضلال الكافر وصلاح المؤمن . فتحقق بالحذف إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة تمثلت في إبراز أعظم أسباب الهداية والصلاح للمؤمنين ، وأعظم أسباب الضلال والفساد للكافرين ؛ تذكيراً بأن الوصول إلى الإيمان وتمكنه في العقل والقلب من أجلّ أسباب معرفة الله ونيل هدايته ، والخوض في الكفر وتغطيته للعقل والقلب من أعظم أسباب الجهل بالله واستحقاق ضلاله ؛ وهذا إرشاد نبيل يُعرّف النفوس الكافرة قبح مآلها ، وفساد حالها ، وضلال عقلها ؛ لتدرك أضرار القبح والفساد والضلال في نفسها ، فترجع إلى إعادة تأهيل ثُمّكنها من الرجوع إلى سبيل الحق ، فمن خلال تدبر العلاقات الرابطة بين المعاني المتقابلة ظهرت صفات القدرة المطلقة لله ؛ لأن في إظهار التعبير — ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تأكيداً لمطلق القدرة والعظمة ؛ إذ إن في دلالة الخطاب إشارة عليّة تشمل كل من هم في أدنى الطبقات إلى ما فوقهم في الفريقين ، الأول : طريق الضلال وفساد الحال ، والثاني : طريق الهداية وصلاح الحال ، كما ثبت أن السير عليهما لا يتحقق إلا بتحقيق الإرادة والمشية الإلهية بما فيها من إذلال الكافرين ، وإعزاز المؤمنين ﴿٣﴾ .

*

— القول بشبه الاحتباك .

في قول الحق ﷻ : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمَهُ قَالَ أَتُنْحَرِقُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٨٠، ك) ، شبه احتباك ، إذ حذف من الطرف الأول (فأنا أرجوه وأخافه ؛ لأنه قادر) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ولا أرجوهم لهداية ولا إضلال ؛ لأنهم عاجزون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وحاجّه قومه قال : أحتاجونني في الله وقد هدانا ، فأنا أرجوه وأخافه ؛ لأنه قادر ، ولا أخاف ما تشركون به

(١) ينظر : نظم الدرر ١٨/١٩٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٨/١٩٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢٧٢ .

ولا أرجوه م هداية ولا إضلال ؛ لأنهم عاجزون^(١) . وسره : أنه ذكر الأدل على الكمال في حق الله ﷻ ، والأدل على النقصان في حق ما عبده من دون الله . "فأثبت لله القدرة بالهداية ؛ لأنها أشرف ، وطوى الإضلال لدلالاتها ودلالة ما نفى في جانب الشركاء عليه ، وأثبت لآلهتهم العجز بنفي الخوف المستلزم لنفي القدرة على الضر . وذلك دال على أن الله تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحاً لهم بأن العاقل لا ينبغي له أن يخالف إلا من يأمن ضره ، فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر ، لا يرتكبها عاقل"^(٢) .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني تمثلت فيما أنتجته أوجه التقابل بين طرفي النظم من إثبات صفات الكمال المطلق لله في الهداية والخوف منه ؛ لأنه وحده القادر ، فمن رُجي خيره خيف ضيره^(٣) ، فأسهم الحذف في ترسيخ مبدأ العقيدة الصحيحة وترسّمه في النفس الإنسانية ؛ كي تسمو في عبادة ربها على الوجه الأمثل ، وفي تدبر دلالة السياق العام ما يهدي إلى حُسن الاحتباك ؛ لما تقرر فيه من إثبات أمر التوحيد بدلائل القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث^(٤) ، والخاص تحقق فيه من إثبات عجز الآلهة بنفي الخوف المستلزم نفي القدرة^(٥) . فتحقق بالدليل القاطع معرفة كل ما يُثبت لله من صفات الكمال ، وما ينفي عنه من الصفات الملازمة للنقصان ، فيأدراك هذا يتبين أنه -تعالى- قد أحسن إلى خلقه غاية الإحسان ، فمن الواجب على المرء مقابلة الإحسان بمثله مع أقل الناس اهتماماً ، فكيف يكون الأمر مع ربه المنعم عليه بتبصر طرق الهداية ، فحق على بني البشر عامة التوجه إليه وإفراده بالعبادة ، وهذا من أنبل مراتب الإيمان^(٦) .

فالقيمة الحقيقية لفهم المراد تمثلت بالمعاني الجوهرية المتضمنة بيان المراد : وقد هداي الله بفضل قدرته ومنه عليّ ؛ إذ وفقني لمعرفته ، وبصّرني طريق الحقّ ، حتى أيقنتُ أن لا شيء يستحق أن يُعبد سواه ، ولا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا

(١) ينظر : المرجع السابق ١٦٤ / ٧ .

(٢) الموضوع السابق.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٦٣ / ٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١ / ٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٦٤ / ٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٦٣ / ١٧ بتصرف .

مكروه ؛ لأنها لا تنفع ولا تضر ، ولكن خوفي من الله أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك ؛ لأنه القادر ^(١) . وهذا ما حققه الركنان المذكوران من إثبات وحدانية الله ونفي الشرك . وفي حمل النظم على الحذف لطائف عظام من أجلها : معرفة العبد ربه بتأمل مختلفة دلالاته ، وهذا يتم بالتبصر في أعظم مخلوقاته لفترات أطول تهتدي النفس بها إلى أن الموجد لها رب واحد يستحق أن يُعبد ، كما يُلهم الحذف أن في حسن التأمل والتمهل في تبصر الدلائل هداية للحق وإرشاداً إليه ، وهو مبدأ عليّ يحسن مراعاته والمبادرة إليه . وللحذف أثر فاعل في إبراز معنى الوحدانية الجليل ؛ إذ أسهم الركنان المحذوفان في غرس الخوف والخشية من الله ، فلهما أثر لطيف يدفع إلى حسن العبادة بفعل الطاعات ، واجتناب المنكرات ، وهذا أكرم عطاء في نفي النفع والضرر في جانب الشريك ؛ لأن معبوداتهم مسلوب عنها ذلك ^(٢) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَهُهُ مَنْ أَنْابَ ﴾ (الرعد: ٢٧م) ، شبه احتباك "ذكر المشيئة أولاً دال على حذفها ثانياً ، وذكر الإنابة ثانياً دال على حذف ضدها أولاً" ^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (من لم ينب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَنْ أَنْابَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لأنه شاء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل إن الله يضل من يشاء ممن لم ينب ، ويهدي إليه من أناب ؛ لأنه شاء إنابته ^(٤) . وسرّه : أنه ذكر المشيئة أولاً ؛ لأنها الأصل في قبول الأعمال ، والإنابة ثانياً ؛ لأنها أدل على التوحيد إفراداً واعتقاداً . فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إثبات ركنين عظيمين من أركان العقيدة ، الأول : تمثل في إبراز مطلق المشيئة في إضلال الضالين وهداية المهتدين ؛ ليعلم البشر علماً قاطعاً - خصوصاً الخارجين عن أمر الدين - أنه ليس إنزال الآيات - التي طالب بها الكافرون - سبباً

(١) ينظر : جامع البيان ٧/٢٠٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٧/١٦٤ .

(٣) المرجع السابق ١٠ / ٣٣٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٠/٣٣٥ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ١٩٣ .

للإيمان ، بل أمره راجعٌ إلى مشيئة الله الذي لا مشيئة لأحد معه ^(١) ، والثاني : يُرشد إلى أهمية الإنابة للرجوع إلى الله ، وذلك بإحكام العقل في تبصر دلائل وحدانيته التي هي سبب في الهداية إليه ، وهذا المعنى يظهر حسنه بما في السياق العام من "وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه تارة يتأثر -[به]- من له صوتٌ وصيتٌ يهدي بالفعل ، وتارة لا يتأثر بل يكون سبباً للضلال و العمى" ^(٢) ، ففي هذا إشارة عظيمة ترشد إلى أهمية توجيهه العقل ؛ لأنه أداة لمعرفة الصلاح الذي دعا إليه الكتاب فيتبع في كل أمر ، والفساد الذي نهي عنه فيجتنب في كل نهي ^(٣) ، أمّا الخاص فتحقق فيه الإشارة إلى أن أمر الإيمان راجع إليه وحده ^(٤) ، فتحقق بالحذف إعلام البشر بما يُحقق لهم الهداية والإضلال ، "فالله الذي لا أمر لأحد معه يضل من يشاء إضلاله ممن لم يُنب ، بل أعرض عن دلالة العقل ونقض ما أحكمه من ميثاق المقدمات المنتجة للقطع بلحقيقة ما دعت إليه الرسل لما جبل عليه قلبه من الغلظة ، فصار بحيث لا يؤمن ولو نزلت عليه كل آية ، لأنها كلها متساوية الأقدام في الدعوة إلى ما دعا إليه العقل لمن له عقل" ^(٥) ، فهو -تعالى- يهدي لطاعته بمجرد دليل العقل من غير طلب آية ممن كان قلبه ميالاً مع الأدلة ، راجعاً إليها ؛ لأنه شاء إنابته ، فترسيخ مبدأ الإيمان بأن مطلق المشيئة والإرادة لله ، فلا تكون لأحد غيره بأي وجه من الوجوه ، فهو يهدي إلى دينه وطاعته من رجع إليه بعقله وقلبه ^(٦) ، وفي هذا دفعٌ للنفس إلى البدار بالتوبة والإقبال بتأمل تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة ، وحث للإقلاع عن العتو و العناد ^(٧) .

*

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ شَبَّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (إبراهيم: ٢٧، ك) ، شبه احتباك "ذكر الثبات

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٣٥/١٠ .

(٢) المرجع السابق ٢٦٢/١٠ .

(٣) ينظر : السابق ٣٣٥/١٠ بتصرف .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣١٥/٩ .

(٧) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٠/٥ .

أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والإضلال ثانياً دليلاً على الهدى أولاً^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يهديهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيُضِلُّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يزلزلهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُثَبِّتُ﴾ في الطرف الأول وتقديره : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويهديهم ، ويضل الله الظالمين ويزلزلهم .

وسرّه : أنه ذكر ما اقتضاه السياق من الإشارة إلى كمال القدرة الإلهية على تحقق الثبات من الله للمؤمنين ؛ لكونه أدل على صحة عقيدتهم ، والضلال على الظالمين ؛ لكونه أدل على فساد عقيدتهم ؛ ليثبت أنه وحده القادر القاهر ؛ إرشاداً إلى الإقبال عليه^(٢) .

فالصورة التركيبية للحذف قائمة على مراعاة أوجه التقابل بين : (يثبت) و(يزلزل) و(يضل) ؛ و(يهدي) ، لتثبت مطلق القدرة والعظمة لله ، في الهداية والثبات للمؤمنين ، والضلال وعدم الثبات للظالمين ، فتحقق في أصل النظم التنويه بعظيم القدرة ؛ إذ أوتر التعبير بـ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، و بـ ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ ؛ ليرز مطلق قدرته على ثبات كل من هم في درجات الإيمان ، ودركات الكفران من أدناها إلى

أعلاها ، وهذا المعنى يبرز بصورة أكثر دقة بعد مراعاة السياق العام بما يقرره من "إثبات التوحيد ، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله ؛ لأنه كامل ببيان الصراط الدال عليه المؤدي إليه " ^(٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات وحدانية الله بدلائل قدرته في ثبات المؤمنين ، وإرشادهم لمتابعة الدليل ، وإحلال الضلال على الظالمين ، لما تحقق منهم من إبطال كلمة التوحيد بالإشراك ^(٤) . فالقيمة الحقيقية لبيان أصل المعنى تحققت في

الركنين المذكورين ، الأول : في إثبات مطلق القدرة في تشبيح الله الذين آمنوا وإدانتهم على القول الثابت ، والثاني في إثبات مطلق القدرة في إحلال الضلال على الظالمين ^(٥) ، فتحقق بالحذف جملة من دقائق المعاني تمثلت في ذكر ثبات المؤمنين وهدايتهم ، وضلال الظالمين وعدم ثباتهم ؛ تذكيراً للنفوس ؛ لتستشعر قدرة الله في توفيق المؤمنين حينما

(١) نظم الدرر ٤١٥/١٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٤١٤/١٠ وما بعدها بتصرف يسير .

(٣) المرجع السابق ٣٦٩/١٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤١٥/١٠ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢١٨/١٣ وما بعدها بتصرف .

تطيش العقول وتدهش الأفكار - ؛ لشدة الأهوال - إلى أحسن الأقوال عند السؤال ،
وقدرته في إضلال الظالمين وزلزلتهم لتمكن الضلال منهم ؛ لتقليبهم في الظلمات التي من
شأن صاحبها الضلال والخبث ، فيفعلون ما لا يرضاه عاقل ، ثم تختار طريقاً تسلكه بعد
معرفة مآل كل طريق (١) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ
أَلْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت: ١٧، ك) ، شبه احتباك "ذكر الهداية أولاً دليلاً على حذف الضلال
ثانياً ، والعمى ثانياً دليلاً على حذف الإبصار أولاً " (٢) . وتقديره : وأمّا ثمود فهديناهم
فأبصروا ، فاستحبوا العمى على الهدى فضلوا . "وسرّه : أنه نسب إليه أشرف فعله ،
وأسند إليهم ما لا يرضاه ذوروح" (٣) .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت بشكل بارز في ترسيخ جانب عليّ من جوانب
العقيدة تمثل في إثبات التفرد الإلهي في إيضاح مطلق القدرة على بيان طريقي الهداية الناشئة
عن ملازمة إبصار الأدلة الواضحة ، والضلال الناشئ عن عمى البصر أو البصيرة أو بهما
معاً (٤) ، ويتضح حسن المراد ، بعد النظر في السياق العام ، بما يقرره من "الحث على الإيمان
بالله والاستقامة على طاعته" (٥) ، والخاص بما تحقق فيه من الإخبار عن صاعقة ثمود ؛ لبيان
شدة ضلالهم وشدة عذابهم (٦) ، فتحقق بالحذف إثبات القدرة على البعث وعلى كل شيء ،
شيء ، فلا شريك لله في ذلك مطلقاً (٧) ، وفيه توجيه عليّ يرشد الكافر بالإنذار من الصد
عن اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ؛ لأن في إتياعهم نجاة وفي معارضتهم هلاكاً (٨)
وللحذف أثر فاعل في إبراز أوجه التقابل بين طرفي النظم ؛ ليتحقق إعلام البشر بأن طريق

(١) ينظر : نظم الدرر ١٠/٤١٥ .

(٢) المرجع السابق ١٧/١٦٧ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٦٦ .

(٥) المرجع السابق ١٧/١٣٤ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٦٦ .

(٧) ينظر : الموضوع السابق .

(٨) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٦٧ .

الهدى والضلال بعد بياهما من أعظم ممن الله تعالى .

*

– المبحث الثالث: إثبات الوحي والرسالة :

– القول بالاحتباك:

في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام: ٩٢، ك) ، احتباك " ذكر الإنذار والأم أولاً دال على حذفها ثانياً ، وإثبات الإيمان والصلاة ثانياً دليل على نفيهما أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الذين يكفرون بالآخرة لا يؤمنون به ، وهم في صلاتهم مفرطون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (فيهم قابلية الإيمان من أهل أم القرى ومن حولها) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لتندر أم القرى ومن حولها ممن لا يؤمن بالآخرة ، فهم لا يؤمنون به ، وهم في صلاتهم مفرطون ، والذين يؤمنون بالآخرة فيهم قابلية الإيمان من أهل أم القرى ومن حولها يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون (٢) . وسره: أنه ذكر أم القرى ؛ لكونها أعظم المدن بما لها من الفضائل ، ثم ذكر الإيمان ؛ لأنه داعٍ لكل خير بالخوف والرجاء (٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مهمة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في الدعوة إلى الإيمان بأعظم دعائه ؛ ليتحقق للبشر التأكيد على أهمية الأمر بالإنذار عن الخوض في الشرك الذي هو أعظم أنواع الفساد ، والمحافظة على الصلاة التي هي أساس قيام التوحيد (٤) ، ففي تأمل دلالة الأمر بـ ﴿وَلِنُنذِرَ﴾ فائدة عظيمة يرشد إليها السياق العام بما قرره من الدعوة إلى الله بإثبات التوحيد (٥) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات الرسالة وتقرير

(١) نظم الدرر ١٨٨/٧ .

(٢) ينظر: نظم الدرر ١٨٦/٧ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه - أسرارها ، ص: ٧٤ .

(٣) ينظر: نظم الدرر ١٨٨/٧ .

(٤) ينظر: الموضوع السابق .

(٥) ينظر: المرجع السابق ١/٧ .

وتقرير حقيقة القرآن ^(١) ؛ لُثبت أهمية الاستجابة لمطلق ذلك الأمر ؛ لأن في الاستجابة إيماناً ونجاةً، وفي الإعراض كفرًا وهلاكًا . وبالنظر في المعاني الجوهرية يتضح احتواؤها على إبراز أصل المراد على أتم وجه وأكمل بيان ، - ولتنذر بالقرآن عذابَ الله وبأسه مَنْ ففي أم القرى والأرض كلها ، وهذا ما تمثل في الركن الأول ، أمّا الثاني فتضمن الإشارة إلى أن من يؤمن باليوم الآخر يؤمن بحقيقة هذا القرآن ، ويحافظ على ما فيه من الأمر بالصلوات ^(٢) - أمّا الناتج من جملة المعاني الإحسانية فيظهر من حسن الاحتباك في الآية الكريمة ، فهو كما قيل: " من عجيب فن الاحتباك " ^(٣) ؛ وذلك لما حققه في النظم من إبراز مظاهر الكتاب في كونه جامعًا لخيري الدنيا والآخرة ، والأدل على تعظيمه إثثار نون العظمة في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ فثبت ثبوتًا قاطعًا أنه لا ريب فيه بوجه من الوجوه ؛ لأنه من عند الله ، وليعلم الخلق بذلك - خصوصًا أهل الكتاب- ؛ لذا قال : ﴿مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ﴾ ؛ لما فيه من معاني ثرية تأخذ بأيدي العباد إلى مدارج القرب من الله ، من خلال تقرير حقيقة "أن الذي يؤمن بالآخرة هو الذي يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ، ومن كان كذلك فإنه عظيم رغبته في تحصيل الثواب ، ورهبته من حلول العقاب" ^(٤) ، ففي الإيمان بالدعوة المحمدية إيمان بأصل التوحيد ، وإعلام البشر بهذا نعمة عليّة يحسن العمل بها ؛ لتسمو النفس في حسن عبادتها تطلعًا إلى بلوغ درجة الإحسان ، وهي درجة عالية في العبودية ، وللاحتباك أثر فاعل في تأكيد أهمية المحافظة على الصلاة من خلال ما أنتجته أوجه التقابل بين المعاني من دلالات تُوحى بعظم تلك المحافظة ؛ لأن المقام يُجسد وصف المنافقين بالتكاسل فيها ؛ لذا جعلت المحافظة عليها علمًا على الإيمان ^(٥) ، وكذا تأكيد أهمية إثبات الإنذار ، وجعله أساس أساس دعوة الرسول (عليهم الصلاة والسلام) إيماءً لجانب الخوف من الله ، وهذا دافع نبيل يدعو إلى إمعان النظر في حقيقة الرسالة ؛ لتدرك النفس أنه من كمال ربوبية الله ومطلق تصرفه لما فيه إصلاح حال البشر ، إرسال الرسل ، فمن الواجب الشكر والاتباع ؛ لأنَّ

(١) ينظر: المرجع السابق ١٨٧/٧ .

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٧٢/٧ .

(٣) نظم الدرر ١٨٨/٧ .

(٤) التفسير الكبير ٦٧/١٣ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٨٨/٧ .

الإيمان بهم أساس كل خير ، والكفر بهم حامل على كل شر^(١) .

*

كما أبرز الاحتباك أعظم خصائص القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٢، ك) ، إذ إن "إثبات (لتنذر) أولاً دالٌّ على حذف (لتذكر) ثانياً ، وإثبات (المؤمنين) ثانياً دال على حذف (المخالفين) أولاً"^(٢) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (لتذكر) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِيُنذِرَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (المخالفين أو الكافرين) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الطرف الأول . فقيل في تقديره : "لتنذر به وتذكر به ، فإنه نذرى للكافرين وذكرى للمؤمنين"^(٣) ، وقيل أيضاً : "لتنذر به الكافرين ، ولتذكر المؤمنين"^(٤) ، وهو أدق من سابقه ؛ لتحقيق نسبة الأول إلى الثالث والثاني إلى الرابع .

وسرّه : "حذف متعلق (تنذر) ، وصرح بمتعلق (ذكرى) ؛ لظهور تقدير المحذوف من ذكر مقابله المذكور ... وصرح بمتعلق الذكرى دون متعلق (تنذر) ؛ تنويهاً بشأن المؤمنين ، وتعريضاً بتحقيق الكافرين تجاه ذكر المؤمنين " (٥) ، " فإن النفوس على قسمين : نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في طلب اللذات ... ، فبعثة الرسل في حقهم إنذار وتخويف ، ونفوس شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية ، فبعثة الرسل في حقهم تذكير ؛ لأن هذه النفوس ، بمقتضى جواهرها الأصلية وجبلتها الخلقية ، مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس ، إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد ، فيعرض لها نوع ذهول وغفلة ، فإذا سمعت دعوة الأنبياء واتصلت بها أنوار أرواح رسل الله ، تذكرت مركزها وأبصرت منشأها " (٦) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ العقيدة ،

(١) ينظر : الموضوع السابق .

(٢) المرجع السابق ٣٤٩/٧ .

(٣) نظم الدرر ٣٤٩/٧ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره ، ص ٢٦٢ .

(٤) التحرير والتنوير ١٢/٨ .

(٥) المرجع السابق ١٤/٨ .

(٦) نظم الدرر ٣٤٩/٧ وما بعدها .

وهو : إبراز المقصد الأعظم من إرسال الرسول (عليهم الصلاة والسلام) المتمثل في النذارة عن الضلال من سرعة العقاب ؛ ليتحقق للكافرين الإنذار من الفساد والكفران ، وللمؤمنين ذكرى عظيمة بالبشر والمواعظ والغفران والرحمة ^(١) ، فبمراعاة السياق العام يتضح حسن الاحتباك ؛ لما تقرر فيه من إنذار المعرضين عن التوحيد ؛ لتتحقق الدعوة إلى امتثال كل خير ، واجتناب كل شر ^(٢) ، أما الخاص فهو أشد اعتلاقاً لبيان حقيقة الاحتباك ؛ إذ أسهم في بيان الغرض الأسمى من إرسال الرسل ^(٣) ، وهذه الغاية التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في العقول ؛ ليصح للبشر حسن الاتباع ، فتتحقق بالاحتباك جملة من لطائف المعاني العلية أسهمت في تأكيد دلالة الأمر بـ ﴿لِنُنذِرَ بِهِ﴾ في خطاب الشرع بأمر آخر - (لتذكر) - يوجب العلم بأهم خاصية من خصائص الرسالة المحمدية ، وهي عمومها لكل من أمكن إنذاره وتذكيره من العقلاء ^(٤) ، كما أن في تبصر دلالة التنكير في ﴿كَيْتَبُ﴾ توجيه عليّ أسهم في تعريف البشر بحقيقة الكتاب ؛ ليثبت أنه عظيم لا ريب فيه بوجه من الوجوه مطلقاً ، وأنه هدى لمن أراد أن يهتدي ، ففيه من الإنذار ما يخوف به الكافر ؛ أملاً في رجوعه إلى الصواب ، ومن التبشير ما يجعل المؤمن يتمسك بشريعته ^(٥) ، وهذا جليل لطف من الله لعباده ؛ لأن في إنزاله القرآن فضلاً من عظيم رحمانيته ^(٦) ، وفي إحسان تأمله نعم عظيمة يتنور بها القلب ليهتدي ؛ لأن أصل الرسالة لا يكون إلا بالنذارة من الضلال ، فشرع الحذف في إعلام البشر بما خص الله نبيه ﷺ من فضائل الإنعام والإكرام "بذكر ما أنعم عليه وعلى من استجاب له ، فأشار إلى نعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين" ^(٧) . ثم إن في الحذف إيضاحاً لمظهر عظيم من مظاهر الإعجاز ، وهو أن القرآن الكريم جمع بين الأمرين معاً - الإنذار والتبشير - ، فهو كتابٌ كاملٌ في شأنه ، حسنٌ في

(١) ينظر : المرجع السابق ٣٤٨/٧ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٣٤٧/٧ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٣٤٩/٧ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢١٠/٣ بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٧٣٤٨/٧ بتصرف .

(٧) المرجع السابق ٣٥٢/٧ وما بعدها .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِكَ وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي . أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه: ٤٢، ٤٣، ك) ، احتباك : " ذكر المذهوب إليه في قوله : ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ، وحذفه في الأول في قوله : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ﴾ اختصاراً في الكلام . وقيل : أمراً أولاً بالذهاب إلى عموم الناس ، ثم إلى فرعون بخصوصه ، وفيه بُعد ، بل الذهابان متوجهان إلى شيء واحد ، وهو فرعون ، وقد حذَفَ من كلِّ من الذهابين ما أثبتته في الآخر : وذلك أنه حذف المذهوبَ إليه من الأول وأثبتته في الثاني ، وحذَفَ المذهوبَ به ، وهو (بآياتي) من الثاني وأثبتته في الأول " (٢) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (فرعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (آياتي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بِآيَاتِي ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : اذهب أنت وأخوك إلى فرعون بآياتي ولا تنبأ في ذكري ، اذها إلى فرعون بآياتي إنه طغى .

ويحتمل أن يكون السر أنه حذف : (فرعون) أولاً تشریفاً لهما ، عليهما الصلاة والسلام ، ولاياته ، وذكره ثانياً تحقيراً له ولبشاعة جرمه وتعالیه على الحق .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني تمثلت فيما أنتجتته أوجه التماثل بين طرفي النظم ؛ إذ أسهم

الحذف في إبراز مهمة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في إنفاذ الأمر الإلهي ، وهو :

الذهاب بالآيات إلى الطاعين لإنذارهم ، وهذا أصل من أصول الدعوة إلى الله قرره السياق العام بما تمثل فيه من " الإعلام بامهال المدعويين والحلم عنهم والترفق بهم " (٣) ، والخاص بما تحقق فيه من تنفيذ أمر الله بإنذار الطاعين . ففي تبصر دلالة الأمر بالذهاب إلى فرعون بالآيات جليل من المعاني التي من أبرزها: إرشاد العباد إلى أعظم مبادئ العقيدة ، وهو حاجة المرء إلى من يُذكره بربه في طغيانه ، فمن رحمته ، سبحانه وتعالى ، إرسال الرسل للبشارة والندارة ؛ لِيَعْلَمَ المرءُ أن في الاستجابة له حافزاً قوياً يدفع لتغيير حياته وسلوكه السيئ .

(١) ينظر : روح المعاني ٧٥/٨ .

(٢) الدر المصون ٤٢/٨ .

(٣) نظم الدرر ٢٥٥/١٢ .

*

قيل في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَٰكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحراب: ٥٣)، احتباك "وزعم بعضهم" (١) كون أصله: يستحي منكم من إخراجكم ، والله لا يستحي منكم من إخراجكم ، على أنه من الاحتباك ، فيكاد أن يكون من الهذيان فضلاً عن كونه أنسب بإعجاز القرآن كما توهم " (٢) ، وقيل : "إن القول بالاحتباك هو الأنسب للإعجاز التزليلي والاختصار القرآني ، ولا يخفى ما فيه" (٣) . والظاهر أن التقدير السابق لا يتناسب مع القول بالاحتباك ؛ لعدم اكتمال صورته ، فالمحذوف الأول : (منكم) في : ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ﴾ ؛ لدلالة (منكم) في : ﴿فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ﴾ فقط . فكلا حرفي الجر ليسا بمعنى واحد ، بل الأول : (منكم) للابتداء ، والثاني : (من) للتعليل ، أمّا طرفا الاحتباك الآخران فهما مذكوران في الخطاب ﴿فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ﴾ .

*

وفي موضع آخر أسهم حذف التقابل في إبراز خاصية الإنذار تأكيداً على أهميتها في الدعوة إلى الله ، وذلك في قوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْبَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧، ك) ، إذ إن في "ذكر المنذرين أولاً دلالة على إرادتهم ثانياً ، وذكر المنذر به - وهو يوم الجمع - ثانياً دلالة على المنذر به من عذاب الأمم أولاً" (٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (ما عذبت به الأمم السالفة) ؛ لدلالة

(١) تتبعت هذه الآية الكريمة فيما بين يدي من كتب التفسير فلم أعتز على من قال بذلك .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٨٣/٧ .

(٣) روح المعاني ٧١/٢٢ .

(٤) نظم الدرر ٢٥٠/١٧ .

ذكر ﴿وَنُذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أم القرى ومن حولها) ؛
لدلالة ذكر ﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لتنذر أم القرى
ومن حولها عذاب يوم الجمع ، وتنذر أم القرى ومن حولها يوم الجمع^(١) .
وسرّه : "ليذهب الوهم في المحذوف كل مذهب ، فيكون أهول ، وذكر (يوم الجمع) ؛
لكونه أفخم وأوجل"^(٢) ، "ولما كان الإنذار- وهو الإعلام بموضع المخافة- تارة يكون عما
لا علم به ، وهو الأغلب ، وتارة عما وقع العمل به ، ثم خالف المنذر به علمه فعمل أعمال
من لا علم له به ، نبه على أنه من القسم الثاني بقوله في جملة حالية : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي :
لأنه قد ركز في فطرة كل أحد أن الحاكم إذا استعمل عبيده في شيء ثم تظالموا فلا بد له بما
تقتضيه السياسة من جمعهم لينصف بينهم وإلا عد سفيه^١ ، فما ظنك بأحكام
الحاكمين"^(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة
تمثل في بيان أهمية الدعوة المحمدية في الإنذار من شدة العذاب ، فتحقق بالحذف إعلام البشر
عامة - خصوصاً الذين تمادى بهم الكفر ، وغلب عليهم الظلم في اتخاذهم أولياء من دون
الله- شدة تحقق العذاب^(٤) ؛ وهذا ما أبرزه السياق العام الساعي إلى تقرير حقيقة
"الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان"^(٥) ، والخاص تحقق فيه إنذار عذاب يوم القيامة .
فمن خلال أوجه التماثل بين طرفي النظم تحققت الدعوة إلى المسارعة في العمل بما تقتضيه
دلالة الأمر من حسن الاستجابة ، واتباع تعاليم الدين التي دعا إليها النبي ﷺ ، فإن في عدم
الأخذ بها جهلاً بحقيقة الرسالة التي تسمو بالإنسان ؛ ليزداد الإيمان في قلبه ، والعلم في
عقله ؛ فيقويان ، ثم إن في تأمل موضع الحذف حاجة ماسة لردع النفس عن الخوض في
الكفر بتوجيهها وإرشادها .

*

(١) ينظر : نظم الدرر ١٧/٢٤٩ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه أسراره ، ص ٢٨٠ .
(٢) نظم الدرر ١٧/٢٣٠ .
(٣) المرجع السابق ١٧/٢٥٠ .
(٤) ينظر : المرجع السابق ١٧/٢٤٩ .
(٥) الموضوع السابق .

في قول الحق ﷻ : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٢، ك) ، احتباك سببه اختلاف أوجه القراءة (١) ، فحصل بها وصف الرسول ﷺ بأنه (منذر) ، ووصف الكتاب بأنه (بشرى) (٢) . ويمكن أن يتحقق وجه الاحتباك في النظم دون الرجوع إلى وجه القراءة المشار إليها ، إذ "أثبت أولاً (لينذر) و(الذين ظلموا) دلالة على حذف نحوه ثانياً ، و(بشرى) و(للمحسنين) ثانياً دلالة على (نذرى) و(للظالمين) أولاً " (٣) ، وهذا الموضع أدق من سابقه ؛ لأنه أعمق في الدلالة على المقصود بما ناسب أصل النظم دون اللجوء إلى اختلاف القراء فيه (٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (نذرى للظالمين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ليبشر الذين أحسنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لينذر الذين ظلموا ، فهو لهم نذرى كاملة ، وليبشر الذين أحسنوا ، وهو بشرى للمحسنين . وسره أن ذلك أدل على تحقق الغرض الأمثل من الرسالة المحمدية ؛ لتتحقق أهميتها الإنذار من عذاب النار ، والتبشير بنعيم الجنة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ حقيقة التبليغ ، من خلال إبراز ثمرة الكتاب المحكم المتزل ؛ ليزداد الإيمان في النفوس الضعيفة السقيمة ويقوى في النفوس الصحيحة ، وهذا من أدل الدلائل على حسن بيانه وعظيم شأنه (٥) . فتبصر دلالات السياق

(١) قرأ نافع ، وابن عمر : (لُتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) -بالتاء- ، أي : لتنذر أنت يا محمد ، وحجتهما قوله : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ (إبراهيم: ٤٤، ك) ، فجعل الفعل للنبي ﷺ ، فكذلك في قوله : (لُتُنذِرَ) . وقرأ الباقون : «لينذر» -بالياء- ، المعنى : لينذر القرآن أو لينذر الله ، وحجتهم قوله : ﴿ يُنذِرُ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا ﴾ (الكهف: ٢) . ينظر : حجة القراءات ، ص ٦٦٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٦/٢٦ .

(٣) نظم الدرر ١٤٣/١٨ .

(٤) ﴿ يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ متعلق بمصدق ، وفيه ضمير الكتاب أو الله تعالى أو الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، ويؤيد الأخير القراءة ببناء الخطاب ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ في حيز النصب عطفاً على محل لينذر ، وقيل : في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمير أي وهو بشرى ، وقيل : على أنه عطفاً على مصدق . ينظر : إرشاد العقل السليم ٨٢/٨ ، حاشية الشهاب على البيضاوي ٣٠/٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١١٨/١٨ .

العام والخاص يتضح حسن المراد ؛ لكون المقصد الأعظم الذي دعت إليه السورة بكليتها متحققاً في : "إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة اللازم للعزة والحكمة"^(١) ، فبه اتضح أن إرسال الرسل ، وإنزال الكتب رحمة من الله سبقت غضبه بإهلاك المكذبين ، وهذا يبرز أهمية الإنذار من سرعة العقاب بدخول النار ، فثبتت معالم قدرته - سبحانه - على إهلاك المكذبين ، أمّا الخاص فأسهّم في إبراز ثمره الكتاب في إنذار الذين ظلموا ، وتبشير المحسنين^(٢) ، فالقيمة الحقيقية لأصل النظم تمثلت في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : لينذر الكتاب الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ، والثاني : هو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا ، فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعته م في الدنيا^(٣) ، فهذان الركنان كفيلاً بإيضاح مهمة التبليغ بالإنذار لمن عصى الله وخالف أمره ، والتبشير لمن أطاع الله واتبع أمره ، أمّا الركنان المحذوفان فأسهما في تأكيد مهمة الكتاب من جانبي الإنذار والتبشير ، فهما عون للمرء يدفعانه لمراجعة حاله تجاه تعاليم الشرع والعمل بها ، واستبصار جوانب التقصير في حق الله والعمل على إصلاحها ، ففيه رحمة وفضل من الله بعباده^(٤) ؛ يسعد المؤمن بعبادته وإشاراته فيتهدي بندارته ، ويشقى الكافر بعدم الوقوف على تأمل دلائله ، فلا يهتدي بندارته^(٥) ، وهذا أسمى عطاء في فهم المراد ؛ وهو : إبراز المقصود الأعظم من إنزال الكتاب ، المتمثل في إنذار المعرضين وبشارة المطيعين^(٦) . فأعلام البشر بذلك المقصد يُعدّ نعمة جليّة يحسن مراعاتها باتباع ما هو خير ، واجتناب ما هو شر ، فالعمل بموجب تعاليم الكتاب توجيه للمرء يحثه إلى امتثال الاتجاه الأصيل الذي ينمي في النفوس اعتناق الإيمان ويرسخه في القلب^(٧) . وفي دلالة التعبير بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في الجانب الأول إشارة عليّة تدل على شمول

(١) المرجع السابق ١٤٣/١٨ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٤/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٩١ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ٢٦/٣٢٥٩ بتصرف .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٨/١٤٣ .

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم ٨/٨٢ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن ٢٦/٣٢٥٩ بتصرف .

شمول تحقق الإنذار لكل من هم في درجات الظلم من أدناها (الذين ظلموا) إلى أعلاها (الظالمين) . وفي الجانب الآخر بـ ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ، أي : تحقق البشري بالقرآن الكريم لكل من هم في درجات الإحسان من أدناها (الذين أحسنوا) إلى أعلاها (المحسنين) . وقد يُعترض على وجه الاحتباك لعدم تحقق شرط التقابل بين طرفي القول من حيث إن ذكر (الذين ظلموا) ليس بالضرورة أن يكون مقابلها (الذين أحسنوا) ، وإنما (الذين أحسنوا) مقابلها: (الذين أسأؤوا) وبشري (للمحسنين) يقابلها نذرى (للمسيئين^(١)) ، لكن له جليل أثر في المعنى

*

وأما قول الحق ﷻ : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٤٧) ، فقد جعل من قبيل الاحتباك ؛ لدلالة "الشرطية في : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ على الاستدراكية ، والاستدراكية في : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة^(٢) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (لكنه لا يطيعكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (لو خالفتموه في الأمور لعنتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ، ولكنه ﷻ لا يطيعكم لكراهته لما يشق ، لو خالفتموه في الأمور لعنتم ، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه ، فلزمت طاعته وعشقتم متابعتة^(٣) .

"ولعل السر في حذف الجملة الشرطية هو اللطف في لومهم ، وعدم مجابتهم"^(٤) . ويذهب بعض أهل العلم إلى أن عبارة البقاعي مستغلة^(٥) . وظاهر الأمر أن حمل النظم على

(١) إنما عدل عن العادلين إلى ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ، ليكون ذريعة إلى البشارة بنفي الخوف والحزن لمن قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، وقيل : ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ دون الذين أحسنوا بعد قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ، ليكون المعنى : لينذر الذين وجد منهم الظلم ، ويشير الذين ثبتوا واستقاموا على الصراط السوي ، فيناسب تعليل البشارة بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . ينظر : روح المعاني ١٦/٢٦ .

(٢) نظم الدرر ٣٦٩/١٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٦٩/١٨ ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ٤٦ .

(٤) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ٤٦ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

على الاحتباك أسهم في إبراز مبدأ جليل من مبادئ العقيدة تمثل في إبراز أهمية الرسالة الحمديّة من حيث العمل بملازمة تنفيذ أمر الله كما أمر ؛ لأنه "متخلق بطاعة الله والوقوف عند حدوده والتقيد في جميع الحركات والسكنات بأمره" (١) ، فلا يصح لبني البشر الإقدام على أي شيء إلا بمشاورته ﷺ ؛ ليعلمهم ما يأتون وما يذرون ، فتحقق بالحذف التنبيه إلى أمرين عظيمين يجب ملازمة العمل بهما : الأول : مشاورته في حياته ﷺ ، والثاني : بذل الجهد في استخراج الأمور من رسالته بعد موته ، ليثبت أنه لا يليق أن يتحرك إلا بأمر من أرسله ؛ لأن في ذلك رحمة لهم ، وفي مخالفته هلاكاً (٢) . فيثبت وجوب طاعة الرسول ﷺ ، لأنه لو عمل في الحوادث على مقتضى ما يعين لبني البشر لأصبح المتبوع تابعاً والمطاع طائعاً (٣) ، وهذا ينافي أهم خصائص الرسالة الحمديّة القائمة على أمر الدعوة إلى الله كما أمر "ومن أراد دائماً أن يكون أمر الرسول ﷺ تابعاً لأمره فقد زين له الشيطان الكفران" (٤) .

*

وكذا قيل في قول الحق : ﷻ : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَا مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ لِحَوَارِيِّنَا نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَمَا مَنَ تَطَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبِحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: ١٤م) ، احتباك ، "والأصل : كونوا أنصار الله حين قال لكم النبي ﷺ من أنصاري إلى الله ، كما قال الحواريون نحن أنصار الله ، حين قال لهم عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله؟ وهو كلام حسن" (٥) .

وفيه نظر ؛ لكون الجملة الأولى : ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ مذكورة ، ومقابلتها مذكورة : ﴿قَالَ لِحَوَارِيِّنَا نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ، وكذا فالطرف الثاني فيه محذوفان الأول : (حين قال لكم النبي من أنصاري) ، ومقابله محذوف : (حين قال لهم عيسى من أنصاري) ؛ لذا لم يُجعل من الاحتباك ؛ لانتفاء وجهه .

(١) نظم الدرر ٣٦٧/١٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٣٦٦/١٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) المرجع السابق ٣٦٧/١٨ .

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٩٤/٨ ، وروح المعاني ٩١/٢٨ .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز جانب عليٍّ من جوانب العقيدة ، تمثل في عظيم تحقق الاستجابة ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ (نوح: ٢٨، ك) ، فإثبات الدعاء أولاً مرشد إلى حذفه ثانياً ، وإثبات الدعاء بزيادة التبار ثانياً مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولاً ^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (ولا تزدهم إلا مفازاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ولا تكرم المارقين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزدهم إلا مفازاً ، ولا تكرم المارقين ولا تزد الظالمين إلا تباراً ^(٢) . وسره أن ذلك أدل على إكرام المؤمنين ترغيباً في الخلود إلى الإيمان ، وإهانة الكافرين ترهيباً من الخلود إلى الكفر .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت بشكل فاعل في إعلام البشر بما عليه الرسل (عليهم الصلاة والسلام) من أمر المحافظة على مصلحة الدين ؛ لاستمرار بقاء الإيمان في النفوس ، ورغبة في إقبال الخلق عليه ؛ لذا أثبت الاحتباك تحقق استجابة دعاء الرسل بالرحمة والغفران لأولياء الله ، وبالهلاك والتبار لأعدائه ^(٣) . فبتبصر دلالة السياق العام للسورة إشارة عظمية يُعَلِّي من شأن الاحتباك ؛ لما أثبتته من الدلالة على تمام القدرة على إهلاك المعرضين ، وتبديل خير منهم ، وكذا فإن معالم القدرة الربانية تحققت في مطلق القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به ، وهم عنه معرضون ، وبه مكذبون ، وعنه لاهون ^(٤) ، فبهذا تحقق ركن أصيل من أركان الدعوة إلى الله ، وهو : الإنذار تحويلاً من عواقب التكذيب ، كما أن في تدبر دلالة الخطاب إشارة عظيمة تتضمن شمولية الدعاء بالرحمة لكل من هم في درجة الوصف بـ (المؤمنين والمؤمنات) ، وبالانتقام لكل من هم في دركات الظلم في كل أمة من الأمم إلى آخر الدهور والأزمان ، وهذا - بلا شك - يُعَلِّي من عظمة الله وشمول

(١) ينظر : نظم الدرر ٤٦٠/٢٠ بتصرف بسير .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٤٥٨/٢٠ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ١٣٦ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤٦٠/٢٠ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٢٢/٢٠ وما بعدها .

رحمته بأهل الإيمان ، وشدة انتقامه من أهل الظلم ، ففي الحذف دعوة نبيلة تثقف النفوس وتعلمها حسن الارتقاء بالإيمان ، فمن المفترض أن يكن البشر من (المؤمنين والمؤمنات) ؛ لأن الإخلاق إلى أدنى درجات الإيمان -الذين آمنوا- قد يوقع في شبك المعاصي ثم الكفر . فتحقق إعلام البشر بمظهر جليّ من مظاهر قدرة الله في الاستجابة للرسول "وكما استجاب الله ﷻ له في أهل الإيمان والكفران من أهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب له في أهل الإيمان وأهل الخسران بالسعادة والتبار في جميع الأعصار إلى أن يقفوا بين يدي العزيز الجبار" (١) .

*

وفي موضع آخر سعى الاحتباك إلى تأكيد بشرية محمد ﷺ ؛ وذلك في قول الحق ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الحج: ٢١، ك) ، فإن ذكر الضر أولاً دليل على حذف النفع ثانياً ، وذكر الرشد ثانياً دليل على حذف الضلال أولاً (٢) ؛ لأن الضر يقابله النفع ، والرشد يقابله الضلال (٣) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (نفعاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ضَرًّا﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (ضلالاً أو غيياً) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَشَدًا﴾ في الطرف الأول . فقيل في تقديره : "لا أملك ضرراً ؛ لأني لا أملك لكم إضلالاً ولا أملك لكم رشداً" ، فلا أملك لكم نفعاً ، فإنه لا نفع في غير الرشاد ، ولا ضرر في غير الضلال" (٤) ، وقيل أيضاً : "لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً ، ولا غيياً ولا رشداً" (٥) ، وهذا أولى من سابقه ؛ لما فيه من حسن الإيجاز الملائم لما عليه النظم في بناء تركيبه .

وسرّه : أنه نفى عن نفسه مطلق الصفات ؛ لبيان عجزه ، إعلاماً بأن ذلك لا يكون إلا لمن بيده ملكوت كل شيء ؛ لأنه قادر على كل شيء .

فالحذف أسهم في إيضاح حقيقة الرسالة والرسول ، وأثبت عجز البشر جميعاً عن دفع الضر وجلب النفع ، وأثبت ذلك لله بطريق حذف التقابل ، فتحقق بالحذف أن لا

(١) المرجع السابق ٤٥٩/٢٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٤٩٤/٢٠ بتصرف .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/٢٤٣ .

(٤) نظم الدرر ٤٩٤/٢٠ .

(٥) إرشاد العقل السليم ٩/٤٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٨/٢٦٠ ، وروح المعاني ١٩/١١٦ ، والتحرير

والتنوير ٢٩/٢٤٣ .

مؤثر في شيء من الأشياء إلا الله ﷻ ، فالأعلى لما يقتضيه السياقان العام والخاص القول بالاحتباك ؛ لما تحقق فيهما من إبراز عظمة الله ورحمته بإرسال الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ؛ ليعم بالبيان ما يلزم الخلق من أمر الدين ^(١) ، وليحقق الغاية العظمى المتمثلة في أنهم بشر كلّفوا حمل الرسالة ، فالسياق العام تضمن إظهار الشرف لنبى الأمة لِيَلَيِّنَ له قلوب الإنس والجن ^(٢) ، والخاص تحقق فيه إثبات مهمته ﷺ ^(٣) ، ففي تبصر دلالة الأمر بـ ﴿ قُلْ ﴾ ما يُعَلِّي من هذا ؛ لما تحقق بها من إثبات تحقق بشرية محمد ﷺ ، فثبت بالحذف ثبوتاً قاطعاً نفي قدرة الرسل جميعاً على جلب نفع ودفع ضرر ، وأنه يستحيل عليهم ما يستحيل على جميع الممكنات ^(٤) ، وفي ذلك إعلام للبشر بحاجتهم إلى رهم في السراء والضراء ؛ لأنه القادر على نفعهم وضرهم ، وهذا يقرر أن الألوهية لله وحده ، والإخلاص فيها من أسمى درجات الإيمان ^(٥) ، كما أن في الحذف دافعاً قوياً ينمي في النفس إدراك قيم عظيمة ؛ من أجلها : عظمة الله ولطفه معاً ، فعظمته تكمن في قدرته الموجبة على البشر توحيده ، ولطفه في إرسال الرسل وبيان مهماتهم .

*

-القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بَوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧، ك) ، شبه احتباك ، تقديره : "وما جعلناك عليهم حفيظاً تحفظ عليهم أعمالهم لتحاسبهم وتجازيهم عليها ، ولا وكيلاً تتولى أمورهم وتتصرف فيها ، وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ بملك ولا سيادة" ^(٦) . وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (وكيل) ؛ لدلالة ذكر ﴿بَوَكِيلٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حفيظ) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَفِيظًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره باختصار : وما جعلناك عليهم حفيظاً ولا وكيلاً

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٠/٤٦١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٤٦٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٤٩٣ بتصرف .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ٢٩/٣٧٣٦ .

(٦) تفسير المنار ٧/٦٦٢ .

وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ . وسره : أنه نفى عنه ﷺ مطلق الصفات المؤهلة لرتبة العبودية ؛ لكونها أدل على تحقق نبوته ، فثبت أنه ﷺ عبد لله مكلف تبليغ الدعوة . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صور أخرى للحذف ^(١) أسهمت في إبراز مهمة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ونفي القدرة عنهم وإثباتها لله وحده .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني قائمة فيما أنتجته أوجه التماثل بين طرفي النظم من

لطائف المعاني الساعية إلى إبراز الغاية العظمى من إرسال الرسل (عليهم الصلاة

والسلام) ، وهي : إثبات مهمة التبليغ لهم ، ويزداد المراد دقة بعد مراعاة السياق العام

بما يقرره من إثبات التوحيد لله ، والخاص بما تقرر فيه من تسليمة الرسول ﷺ عن

استهزائهم به وردهم لقوله ^(٢) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحققت في الركنين

المذكورين ، الأول : "إنما بعثتك إليهم رسولاً مبلغاً ، ولم نبعثك حافظاً عليهم ما هم

(١) قول الحق ﷻ : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ

جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود:١٣٠م) ، شبه احتباك «نفى أولاً قدرته صلى الله

عليه وسلم ، على الإتيان بما سألوا دليلاً على قدرة مرسله على ذلك وغيره ثانياً ، وأثبت الوكالة ثانياً دليلاً على

نفيها أولاً» ، وتقديره : إنما أنت نذير ، فبلغهم ما أرسلت ، وما أنت عليهم بوكيل تتوصل إلى ردهم إلى الطاعة

بالقهر والغلبة . والله على كل شيء وكيل ، فهو يدبر الأمور على ما يعلمه من الحكم ، فإن شاء جاء بما سألوا ،

وإن لم يشأ لم يأت به ، ولا اعتراض عليه ينظر : نظم الدرر/٩/٢٤٧ .

والظاهر-والله أعلم- أن أداة القصر(إنما) حققت المقصود من النظم بأيسر الطرق وأوضحها من غير تأويل

بطريق حذف التقابل ، إذ المعنى : «أنت نذير ، لأموكل بإيقاع الإيمان في قلوبهم ، إذ ليس ذلك إليك ، بل هو

لله ، فافتضى القصر إبطال أن يكون وكيلاً على إجتاههم إلى الإيمان ، ومما شمله عموم (كل شيء) في ﴿ وَاللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أن الله وكيل على قلوب المكذبين مطلع على مكرهم ، وكيل على جزائهم .

ينظر : التحرير والتنوير ١٢/١٨ وما بعدها .

وقول الحق ﷻ : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

(العد:٧٤م) ، شبه احتباك «ذكر المنذر أولاً يدل على حذفه ثانياً ، وذكر الهادي ثانياً دال على حذف مثله

أولاً» ، وتقديره : إنما أنت منذر هادٍ لهم تهديهم ببيان ما أنزل عليك مما يوقع في الهلاك ، ولكل قوم نبي هادٍ

يهديهم إلى مرشدهم ، ومنذر ينذرهم من مغاوبهم . وقد جاءتا مؤكدتين بالاسمية مع ما فيهما من قوة الحصر

بـ(إنما) من إحكام وتناسق عجيب ، ثم التذييل بالأعم (ولكل قوم هاد) . ينظر : نظم الدرر ١٠/٢٨٧ ،

والتحرير والتنوير ١٣/٩٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر/٧/٢٢٥ .

عاملوه"^(١) ، والثاني : "لست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم"^(٢) ، ولكن في الحذف دقائق منها : أن إعلام الرسول ﷺ وتذكيره - مع علمه - حقيقة رسالته إعلام لبني البشر عامة ، وهذه نعمة عليّة يحسن مراعاتها والعمل بها في كل ما يكلفه المرء من أمور دينه وديناه ، فالبشر عامة ليس مقامهم مقام حفظ ولا وكالة ؛ لأن الحفيظ والوكيل هو الله وحده^(٣) ، كما أن في الحذف تثقيفاً للنفوس الساعية لبناء الدين والدعوة إليه في أنه لا يجوز أن يعلق قلبه وأمله وعمله بالمعرضين عن الدعوة الذين لا تفتح قلوبهم لدلائل الهدى وموجبلت الإيمان ، وإنما الواجب أن يراعي في نشر دعوته حدود صلاحياته في نشرها ، فيبذل الجهد الأعظم في سبيل إتمام الدين في القلوب^(٤) ، فالغرض الأساسي هو المحافظة على الدين .

*

وكذا فإن في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ إِيَّاهُ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس: ٤٦، ك) ، شبه احتباك "ذكر أولاً الإراءة دليلاً على حذفها ثانياً ، والوفاة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً"^(٥) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (وفاتك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ نَتُوفِّيَنَّكَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نريك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ نُرِيَنَّكَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإما نرينك قبل وفاتك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإننا مرجعهم فنريك^(٦) . وسره : أنه ذكر ما هو أقر لعين محمد ﷺ وأسر لقلبه^(٧) . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صور أخرى^(٨) أسهمت في تأكيد مطلق

(١) جامع البيان ٣٠٩/٧ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥٠/٧ بتصرف .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ١٦٩/٧ بتصرف .

(٥) نظم الدرر ١٣٢/٩ .

(٦) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم ومواقفه أسراره ، ص ١١٧ بتصرف .

(٧) ينظر : نظم الدرر ١٣٢/٩ .

(٨) قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ إِيَّاهُ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾

(العدد: ٤٠م) ، والآية من شبه الاحتباك كما مضى بيان ذلك في مثلها من سورة يونس عليه السلام ، وتقديره :

فإنما نرينك بعض الذي نعدهم قبل وفاتك ، أو نتوفينك قبل أن ترى . فالسياق العام يدعو إلى (وصف الكتاب

القدرة الإلهية على إحلال العذاب عليهم ؛ لتتحقق القدرة الباهرة بهلاك الأعداء .
فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في تحقيق أمرين عظيمين ، الأول : رفع
الحزن عن الرسول ﷺ بتسليته أعظم تسلية ، والثاني: تحقق القدرة الإلهية في إهلاك
المعاندين ؛ إذ إن في الإخبار الصادق بهلاكهم مزيد تأكيد لباهر العظمة ومطلق القدرة ،
فثبت إعلام أهل الكفر عامة أن محمداً ﷺ مبلغ عن ربه وليس مكلفاً غرس الإيمان في
قلوبهم^(١) ، فالسياق العام تضمن إبراز وحدانية الله ؛ لأن مبنى السورة قائم على وصف
الكتاب بأنه من عند الله ؛ لما اشتمل عليه من الحكمة ، وهذا دال -بلا ريب- على أنه -
سبحانه- واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره^(٢) ، فدل ذلك السياق قطعاً على أن
عذاب أهل الكفر متحقق لا محالة في الدارين ، وهذه الغاية التي يسعى الحذف إلى تحقيقها -
إما نرينك في حياتك بعض الذي نعد المشركين من قومك من العذاب ، والثاني : أو
نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم^(٣) - . ففي تبصر دلالة الحذف تحذيرٌ بالغ يكشف عظم
القدرة على تحقق العذاب ، وهذا ناتج عن إثارة التنكير في النظم ؛ ليتحقق عظم الإرادة بما
لله من مجامع العظمة ومنتهى القدرة ، فالناتج من وراء الحذف تمثل في تعليم البشر قيماً
عظيمة ؛ من أجلها : بذل الجهد الأكبر في نشر كلمة الحق ، والصبر على ما يقدره الله
للمرء في الحياة ، فلتكن ثقته بربه ، فلا يستعجل تحقيق وعده له . ثم إن في الحذف غرساً
لللطف ولين الخطاب في نفوس البشر المكلفين نشر الدعوة ، وهذه لمحة بارزة تكشف
لأصحاب الدعوة إلى الله طبيعة المنهج الذي سار عليه محمد ﷺ بتوجيه من ربه ، والاقتداء
به يعد أجود غذاء للروح ؛ لأنه الأصل الذي يهدي المرء إلى ربه ، ويعلم الدعوة أن واجبهم

بأنه الحق في نفسه) ، والخاص تحقق فيه الإعلام بنفي الحرج عليه في ضلالة من ضل ، فليس من واجبه أن
يردهم إلى الحق حتماً . ينظر : نظم الدرر ١٠/٢٦٢-٣٦٣ .

وقول الحق ﷻ : ﴿ فَأَصْبِرْ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَكَمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَا فَإِنَّا نَرْجِعُونَ ﴾
(غافر:٧٧،ك) ، ففيه شبه احتباك ، ذكر الوفاة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً ، والرؤية أولاً دليلاً على حذفها ثانياً ،
وتقديره : فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم قبل وفاتك ، أو نتوفينك قبل أن ترى . فالسياق العام يدعو إلى إثبات
العزة الكاملة والعلم الشامل لله وحده ، والخاص تحقق فيه تسلية الرسول ﷺ . ينظر : نظم الدرر ١٧/١٢٠ .

(١) ينظر : نظم الدرر ٩/١٣٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٩/٦١ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١١/١٢٠ .

في الدعوة محدد^(١) .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ قَالِ يَهُودُ مَنْ مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ (طه):

٩٢-٩٣، ك) ، شبه احتباك^(٢) ، المحذوف من الطرف الأول (اضطرك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَنَعَكَ ﴾

في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (أن لا تتبعني) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَلَا تَتَّبِعَنِ ﴾

في الطرف الثاني . وتقديره : " ما منعك أن تتبعني واضطرك إلى أن لا تتبعني " ^(٣) .

" والمقصود تأكيداً وتشديداً التوبيخ بإنكار أن يكون لهارون مانع حينئذ من اللحاق بموسى

ومقتضى لعدم اللحاق بموسى " ^(٤) . والظاهر أن في حمل النظم على شبه الاحتباك بُعداً ؛

لعدم اقتضاء السياق له .

*

ويعود الحذف بطريقة شبه الاحتباك إلى إبراز خاصية الرسالة الحمديّة في قول الحق ﷻ :

﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (يس:٧٠، ك) ، إذ «حذف الإيمان أولاً لما دل

عليه من ضده ثانياً ، وحذف الموت ثانياً لما دل عليه من ضده أولاً» ^(٥) ، وعليه فالمحذوف

من الطرف الأول (المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْكَافِرِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف

الثاني حذف (ميثاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حَيًّا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لينذر من كان

حيّاً مؤمناً ، ويحق القول على الكافرين فإنهم أموات ^(٦) .

وقيل أيضاً في تقديره : "لتنذر من كان حيّاً فيزداد حياة بامثال الذكر فيفوز ، ومن كان

ميثاً فلا ينتفع بالإنذار فيحق عليه القول" ^(٧) . فتحقق بهذا التقدير وجه الاحتباك ؛ إذ حذف

حذف من الطرف الأول (فينتفع ويفوز) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَيَحِقَّ الْقَوْلُ ﴾ في الطرف الثاني ،

(١) ينظر : في ظلال القرآن ١١/١٧٩٦ بتصرف .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٦/٢٩٢ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) نظم الدرر ١٦/١٦٩ .

(٦) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم ومواقفه أسرارها ، ص ١٢٥ .

(٧) التحرير والتنوير ٢٣/٦٦ .

ومن الطرف الثاني حذف (ميتًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَيًّا﴾ في الطرف الأول .
وسرّه : أنه ذكر الحياة الدائمة ؛ لكونها أدل على الانتفاع بدلائل القرآن الذي ثمرته الإيمان ،
ثم ذكر الكفر ؛ لكونه أدل على فقد الحس ، فهم كالأموات في عدم الانتفاع بدلائل
القرآن .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إثبات الغرض الأسمى من إرسال الرسل ؛
ليتحقق بيان ما عليه المندرون في اتباع بعضهم وإعراض الآخر ؛ لذا أبرز الحذف خاصية
عظمى من خصائص الرسالة وهي : إثبات مهمة التبليغ للرسل . وفي تبصر دلالة السياق
العام للسورة ما ينبئ عن حسن الحذف ؛ لكون مقصدها متحققًا في إثبات الرسالة التي هي
روح الوجود ؛ لتثبيت التوحيد ، بالإندار عن الشرك لإندار يوم الجمع ^(١) ، فثبت أن
الإندار بيوم الجمع رحمة عامة من الله لعبادة وجب عليهم مراعاتها ، أمّا الخاص فتضمن
إثبات الغاية العظمى من إنزال القرآن الكريم ، وإرسال الرسول ﷺ ؛ فهو لذلك ذو أثر بالغ
في العناية ببيان وجه الحذف ، فتحقق بالحذف إيضاح دوره ﷺ ، وبيان وظيفة القرآن
إعلامًا للبشر أنهم إزاء هذا القرآن فريقان : فريق يستجيب فهو حي ، وفريق لا يستجيب ،
فهو ميت ^(٢) . فمن كان حي القلب يعقل ما يقال له ، ويفهم ما يُبين له ، بخلاف من كان
ميتًا ^(٣) .

وللحذف -أيضًا- أثر بارز في إحداث علائق ربط بين دلالات المعاني ؛ ليُحقق في النفوس
الدعوة إلى التدبر والتفكر في فضل الله على عباده بإنزال القرآن وإرسال الرسل ، وكذا تأمل
حياة الإيمان ، وموت الكفر بالنسبة للروح ، فمن كان حيًّا فحياته تزداد بتأمل الدلائل
المعنوية التي يجلبها الإيمان ، وأهل هذا الفريق سعداء ، وهم قلة ؛ لذا أثر الأفراد في :
﴿حَيًّا﴾ ، ومن كان ميتًا يزداد موتًا بعدم الاستجابة لسماع الحق ، وأهل هذا الفريق
أشقياء ، وهم كثرة ؛ لذا جمع في : ﴿الْكَافِرِينَ﴾ ، وهذا يدعو المرء إلى مراجعة نفسه
وإلزامها كلمة الحق لتحيا حياة الإيمان ^(٤) .

(١) ينظر : نظم الدرر ١٦/٨٢ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٣/٢٩٧٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٣/٢٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٦/٦٨ وما بعدها .

*

وفي موضع آخر يقول الحق ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۗ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨، ك) ، ففيه شبه احتباك إذ "ذكر اختصاصه بضر الكذب أولاً دليلاً على ضده ، وهو اختصاصه بنفع الصدق ثانياً ، وإصابتهم ثانياً دليلاً على إصابته أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يصبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُصِيبْكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (له صدقه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، ويصبه ما يعدكم ، وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم ، وله صدقه (٢) . وسره : أنه "ذكر الضار في الموضوعين ؛ لأنه أنفع في الوعظ ؛ لأن من شأن النفس الإسراع في الهرب منه" (٣) .

فالقول بالحدف أسهم في إبراز جانب عليّ من جوانب العقيدة ، تمثل في إبراز خاصية حسن الوعظ والإرشاد في الدعوة إلى الله بقبول الحق والاستجابة له ، ليقرر في العقول الواعية مبدأ الالتزام بالأدب في مواجهة الخصم ، وعدم رد كلامه من غير حجة ظاهرة ودليل قاطع (٤) ، فبالنظر إلى ما عليه السياق العام من الدلالة على إثبات الدار الآخرة ، وتوفية كل ما يستحقه الخلق على سبيل العدل (٥) ، إشارة عظمى تحقق للبشر الدعوة إلى لزوم مبدأ العدل في المناصفة ؛ وإرشاد إلى عدم التسرع في إثبات الحكم ، فما فعله فرعون من إنكار دعوة موسى ﷺ ، والعزم على قتله يُعد جهلاً عظيماً (٦) . فإن في تبصر دلالة الخطاب بـ ﴿ يَكُ ﴾ في الموضوعين "دعوة إلى المسارعة إلى الإتيان بأقل ما يمكن" (٧) . وللحدف أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني أسهمت في تعليم البشر مبدأً عظيمًا

(١) المرجع السابق ٥٥/١٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٥٤/١٧ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم موقعه أسراره ، ص ١٦٣ .

(٣) نظم الدرر ٥٥/١٧ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق ٥٥/١٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١/١٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٥٣/١٧ وما بعدها .

(٧) المرجع السابق ٥٤/١٧ .

من مبادئ قبول الحق والاستجابة له ، ثمرة التريث في سماع كلام الخصم ، ففيه نعمة عليّة تغرس في النفوس قيماً تهذب الأخلاق ، وتقوم السلوك ، وتتغلب على شيطان النفس بسلطان العقل^(١) .

*

وفي موضع آخر أسهم شبه الاحتباك في إبراز الدعوة إلى الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر: ٤١، ك) ، إذ أن في "ذكر النجاة الملازمة للإيمان أولاً دليلاً على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانياً ، والنار ثانياً دليلاً على حذف الجنة أولاً"^(٢) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَى النَّارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الهلاك) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَى النَّجْوَةِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أدعوكم إلى النجاة والجنة ، وتدعونني إلى النار والهلاك^(٣) . وسرّه : "إثارة عزائمهم إلى الحياء منه ، بتذكيرهم أن ما يفعلونه معه ليس من شيم أهل المروءة يجازونه على إحسانه إليهم بالإساءة"^(٤) .

فالقول بالحذف شكّل أثراً فاعلاً في إبراز حسن دعوة المؤمنين إلى النجاة من عذاب الله وعقوبته ، وذلك في الوعظ بملازمة الإيمان ، وإتباع موسى عليه السلام ، وقبح دعوة الكافرين إلى النار ، بملازمة الشرك ، والإعراض عن الاتباع^(٥) ، فتحقق أن الدعوة إلى النجاة موجبة للإيمان لازمة لدخول الجنة ، والدعوة إلى النار موجبة للكفر لازمة للهلاك^(٦) ، وفي هذا إعلام بأن الناس قسمان هالك ، وناج^(٧) ، فالذي يهدي إليه السياق العام يعمق القول بالحذف ؛ إذ إنه سعى إلى إثبات حقيقة الجزاء والعقاب ، وذلك بتصنيف الناس في الآخرة

(١) ينظر : في ظلال القرآن ٣٠٧٩/٢٤ .

(٢) نظم الدرر ٧٦/١٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٧٥/١٧ وما بعدها ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه أسراره ، ص ١٦٨ .

(٤) نظم الدرر ٧٦/١٧ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٦٨/٢٤ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير ٦١/٢٧ .

(٧) ينظر : نظم الدرر ٧٥/١٧ .

إلى صنفين^(١) ، والخاص تحقق فيه التبكيث للكافرين من سوء مكافأتهم لأهل الإيمان بعدم سماع نصيحتهم^(٢) ، وهذا يرشد في المقام الأول إلى ترسيخ مبدأ حسن مقابلة الخير بالخير ، وقبح مقابلة الخير بالإساءة^(٣) ؛ "للموازنة بين الدعوتين دعوة - الرجل المؤمن من آل فرعون- إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار"^(٤) ، فبالوقوف عند براعة النداء بـ(يا) دلالة جليلة تكشف عما يحيط بالمنادى من غشاء الغفلة ، فتوجب به على المنادى سرعة لزوم ما تقتضيه دلالة النداء ، فكرر نداءهم ؛ إيقاظاً لما هم فيه من دوام الغفلة ، ومبالغة في توبيخهم على سوء صنيعهم^(٥) ؛ إيماء إلى شدة التمسك بالطاعات من أجل المحافظة على الإيمان ، وأمثلاً في الارتقاء بهم في مقامات الإيمان ، فتقرر بال حذف الإعلام بأن جنس الإنسان في خسر ، إلا من اتصف بالإيمان والصلاح^(٦) ، وبهذا يوطن المرء نفسه على مقاومة ما ينافي الإيمان من الشرك ؛ كي تصدق النفس في طاعتها ؛ فمن عرف الله حق المعرفة لم يرتب في تأمل صدق دلائل توحيده ، وصدق ما جاء به رسوله ، وصدق ما يدعو إليه الصالحون ، وهذا مبدأ عظيم من مبادئ الإيمان .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (غافر: ٤٢، ك) ، شبه احتباك "ذكر أولاً عدم العلم دليلاً على العلم ثانياً ، وثانياً العزة والمغفرة دليلاً على حذفهما أولاً"^(٧) . وعليه فالحذف من الطرف الأول (لم يكن به علم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني (لم يكن له عزة ولا مغفرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : تدعوني لأكفر بالله العزيز الغفار وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم لما لي به علم

(١) ينظر : المرجع السابق ١/١٧ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٧/٧٥ وما بعدها .

(٤) روح المعاني ٧١/٢٤ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي ٩٤/٥ ، وإرشاد العقل السليم ٢٧٧/٧ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٧٥/١٧ .

(٧) نظم الدرر ٧٧/١٧ .

إلى العزيز الغفار^(١) . وسرّه : أنه ذكر أقبح ما يدعونه إليه وأشرف ما يدعوهم إليه ؛ لينفي عن الشريك أهم الصفات اللازمة للألوهية وأثبتها لنفسه **وَعَلَّكَ** . فأبرز التقابل أهمية بذل الجهد في إبلاغ النصح غاية الإبلاغ ؛ ليتحقق المقصد الأعظم من خلق بني الإنسان على أتم وجه وأكمل بيان .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم بشكل فاعل في ترسيخ ناتج أهمية إبلاغ الدعوة السابقة ؛ ليتحقق بها إثبات التوحيد ؛ تزيهًا للخالق - سبحانه - عن اتخاذ الشريك^(٢) . فالأجدى لما عليه السياقان العام والخاص القول بشبه الاحتباك ؛ لما فيهما من إبراز مجامع القهر والعز والعظمة والكبر لله ؛ إذ تضمن العام إثبات معالم العزة الكاملة والعلم الشامل له سبحانه ؛ لأنه لا يقدر على غفران ما يشاء ولمن يشاء إلا كامل العزة ، ولا يعلم جميع الذنوب إلا بالغ العلم^(٣) ، والخاص أبرز أعظم دلائل التوحيد من خلال نفي صلاحية غير الله لاستحقاق العبادة ، وهذا يُعَلِّي من شأن الحذف ويسعى لإظهار حسنه ، فتحقق به إعلام البشر ، خصوصًا الكافرين ، إعلامًا قاطعًا بأن كل ما عداه ليس له من ذاته إلا

العدم^(٤) . فإن في : ﴿ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴾ إشارة عظيمة تشير إلى تحقق بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها ؛ لأنها باطلة في أساسها ، فانتهى بالدليل القطعي ما دعوا إليه من الكفر ، وتحقق ما دعاهم إليه ؛ لكونه الحق الواضح المبين ؛ لذا أوتر التعبير بـ : ﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ لما فيه من الإشارة إلى ثبوت دعوته وقوتها^(٥) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في المعاني الجوهرية المتضمنة بيان المراد - "تدعونني لأشرك بالله في عبادته أوثانًا لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله ؛ لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخير ولا عقل"^(٦) ، فثبت إعلامهم بنفي مطلق الفائدة من عبادة غير الله ، وهذا ما تمثل في الركن الأول ، أمّا الثاني فتمثل في إعلامهم بأن مطلق الفائدة تتحقق في عبادة الله

(١) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع أسراره ، ص ١٦٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٧٦/١٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/١٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٧٦/١٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٧٧/١٧ .

(٦) جامع البيان ٦٨/٢٤ .

"أنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به ، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدو له شيء ، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته" (١) ، -أمّا المعاني الإحسانية فأسهمت في ترسيخ مبدأ الوحدانية في النفوس ؛ حيثُ التنبيه على أن الإله يجب أن يكون كامل القدرة ، لا يعتره شيء من النقص ، إظهاراً لعجز فرعون وأنه في غاية العجز ، ففي تبصر دلالة التعبير بـ ﴿وَأَشْرِكْ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ دلالة عليّة تشير إلى حقارة فرعون ، فكيف يكون إلهاً يستحق العبادة! .

وللحذف أثر بارز في إحداث علائق ربط تدعو البشر إلى المبادرة بالتوبة ، "فلا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة ، فإن إله العالم وإن كان عزيزاً لا يغلب ، قادراً لا يغالب ، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة" (٢) ، وهذا أسمى في فهم المراد ؛ لأن في الحذف دعوة إلى إعمال الفكر في التأمل ، فكل من له عقل متزن يدرك حقيقة من يستحق أن يكون إلهاً بمشاهدة آثاره في نفسه وفي الكون ، فأثار الله في الوجود تشهد بتمام وحدانيته .

*

كما أظهر شبه الاحتباك جانباً من أهم جوانب القدرة الإلهية ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (الشورى: ٥١، ٥٢) ، ف"ذكر الوحي الدال على الخفاء أولاً دليلاً على الجهر ثانياً ، والحجاب ثانياً دليلاً على الرؤية أولاً" (٣) . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (برؤية) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (على وجه الجهر) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَحْيًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إلا وحياً خفياً أو برؤية بمنام ، أو من وراء حجاب على وجه الجهر .

"وسره أن ترك التصريح بالرؤية والدلالة عليها بالحجاب أولى بسياق العظمة" (٤) .

(١) الموضوع السابق .

(٢) التفسير الكبير ٦٢/٢٧ .

(٣) نظم الدرر ٣٥٩/١٧ .

العظمة" (١) .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إثبات مبدأ جليل من مبادئ العقيدة ، وهو :
تحقق القدرة الإلهية في وحي الله لرسله وأنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) ؛ إذ جعله -
سبحانه- بواسطة في بعض الأحيان عن طريق ملكه جبريل عليه السلام ، وفي أخرى بغير واسطة ؛
ليتحقق أن "الوحي نوعان : صريح وعبرة ، وتلويح وإشارة" (٢) . فالأنفع للسياق والأولى
لما يقتضيه المقام القول بالحذف ؛ لما تحقق فيهما من إبراز معالم القدرة ومطلق العلم ،
فالسباق العام أوضح "اتصافه -تعالى- بشمول الرحمة بإفاضة جميع النعم على جميع الخلق ،
وغاية هذا الاجتماع على الدين" (٣) ، والخاص أظهر "أنه تعالى تام العلم ، شامل
القدرة" (٤) ، فثبت بهما إيضاح الغاية العظمى من الحذف ، وهي : إثبات خاصية علم الله
المطلق "... أتبعه القسم الآخر الأعلى الذي العلم فيه أظهر ، وهو : الوحي الذي ختمت
آيته أول السورة (٥) بالحكمة التي هي سر العلم" (٦) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في
الركنين المذكورين ، الأول في : جعل الوحي كلاماً خفياً بغير واسطة ، فلا يطلع عليه أحد
إلا بخارق العادة (٧) وحذف مقابله ، وهو : ما كان جهراً بغير واسطة ، والثاني : في ذكر
من وراء حجاب ؛ لما في ذلك من إبراز مطلق الخفاء المنافي للرؤية ، "ولما كان الحجاب
الحسي يخفي ما وراءه عن العيان ، استعير لمطلق الخفاء" (٨) ، وحذف مقابله ، وهو : ما
كان على عكسه ، أي : برؤية في منام . ففي الحذف إعلام لليهود الذين قالوا للنبي ﷺ :

(١) الموضوع السابق .

(٢) المرجع السابق ٢٣٨/١٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٣١/١٧ .

(٤) المرجع السابق ٣٥٧/١٧ .

(٥) ﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الشورى:٣،ك) ، «ولما كان نفوذ الأمر دائراً على العزة

والحكمة قال : ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ أي : الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي يضع ما يصنعه في

أتقن محاله ؛ فلأجل ذلك لا يقدر على نقض ما أبرمه ، ولا نقض ما أحكمه . ينظر : المرجع

السابق ٢٤٩/١٧ وما بعدها .

(٦) المرجع السابق ٣٥٧/١٧ .

(٧) ينظر : المرجع السابق ٣٥٨/١٧ .

(٨) المرجع السابق ٣٥٩/١٧ .

ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه ، فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك ، فقال النبي ﷺ : "إِنَّ مُوسَى لَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ" (١) ، فثبت بالحذف دفع إيهام رؤية أحد لله (٢) ، فـ"من قال إن أحداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله" (٣) ، فـ"المحجوب العبد لا الرب ، والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية" (٤) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن التكلف واضح في حمل النظم على الاحتباك (٥) ، وفيه نظر ؛ لأن فيه إبرازاً لمظاهر العظمة والقدرة ، فتحقق به إعلام البشر بما هو غيب عنهم ؛ ليدفعهم إلى مدارج الطاعات -والله أعلم- .

*

- المبحث الرابع : تحميد الله وتمجيده

المطلب الأول : إثبات صفتي الجلال والإكرام لله .

- القول بالاحتباك .

في قول الحق ﷻ : ﴿بَارِكْ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨م) ، شبه احتباك "حذف من الأول متعلق الصفة وهو النعمة للأعداء ، ومن الثاني أثر الإكرام وهو الرحمة للأولياء" (٦) ، فالمحذوف من الطرف الأول (المنتقم من الأعداء أو الانتقام) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (الرحمة للأولياء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : تبارك اسم ربك ذو الجلال فهو المنتقم من الأعداء ، والإكرام المفضي لفيض الرحمة للأولياء .

وسرّه أن ذلك أدل على إثبات تمام القدرة ومطلق العظمة ؛ ليعلم البشر أنه جليل في

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٥٣/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٥٠/٢٧ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) لطائف الإشارات ٣٦٠/٥ .

(٥) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره ، ص ٥٨ .

(٦) نظم الدرر ١٩٤/١٩ .

ذاته ، كريم في أفعاله^(١) .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت بشكل كبير في إبراز جلائل القدرة ، والعظمة ، والكبرياء لله ، فهو "أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى"^(٢) ، فبتبصر دلالة الحذف يتضح أن القول به في هذا الموضوع ذا اعتلاق بالغ جداً بالسياق العام للسورة ، إذ إن "مقصدها إثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيباً في إنعامه وإحسانه ، وترهيباً من انتقامه بقطع مزيد امتنانه " ^(٣) ، وهذا يعني عناية فائقة بالحث على تأمل ما في السورة الكريمة من تعدد نعمه على خلقه في الدارين ^(٤) . فثبت أن الحذف عون على استبصار معاني الرحمة واللفظ الإلهي ، فهو لهذا ذو أثر سامي في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله بملازمة دوام الشكر على النعم ، فإن نتاج ذلك الاستبشار بحسن الجزاء ، وجميل اللقاء^(٥) ، كما أن في تدبر فاتحة السورة بـ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (الرحمن: ١، ك) ، توجيهاً علياً يُوجب الوقوف عند استشعار عموم الرحمة منه سبحانه ، فنعمة لا نهاية لها ولا انقضاء^(٦) ، وقيل في : ﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ "كأنه يريد بالاسم الذي افتتح به السورة ، وقد وقد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم ، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره ، والانتقام بإدخال النيران"^(٧) ، وهذا يعضد القول بأن الحذف فيه جملة من لطائف المعاني المثيرة لعزائم أهل الإيمان ، أمّا دلالة السياق الخاص فجاءت على نحو عجيب ناسب القول بالحذف على نسق شبه الاحتباك ، وأبرز ما فيها دلالة المفاعلة في : ﴿نُبْرَكَ﴾ ؛ إذ بها "ثبت ثباتاً لا يسع العقول جمع وصفه ؛ لكونه على صيغه المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته ، وذلك مع اليمن ، والبركة ، والإحسان"^(٨) ، كما ناسب هنا " ذكر ما

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٧/١٩٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ،(بيروت ،دار الفكر ، الطبعة :بدون ، ١٤٠١هـ-

١٩٨٠م) ١/١٩٧ .

(٣) نظم الدرر ١٩/١٣٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٩/١٤٠ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٧/١٩٣ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٩/١٤٠ .

(٧) المرجع السابق ١٩/١٩٤ . .

(٨) المرجع السابق ١٩/١٤٠ .

اشتق من البركة ، وهي : النمو والزيادة ؛ إذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المؤمنين ، وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته " (١) ، فتحقق بذلك أنه حقيق بالثناء والشكر ؛ وفي هذا تهذيب يعظم في النفوس حب الإقبال على الشكر ، والمحافظة على تلك الطاعة ، كما أن في إيثار التعبير بـ ﴿ رَبِّكَ ﴾ وقعا جمالياً يكشف عن لطف الله ، " وفي استحضار الجلالة بعنوان (رب) مضافاً إلى ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ إشارة إلى ما في معنى الرب من السيادة المشوبة بالرأفة والتنمية ، وإلى ما في الإضافة من التنويه بشأن المضاف إليه ، وإلى كون النبي ﷺ هو الواسطة في حصول تلك الخيرات للذين خافوا مقام ربهم بما بلغهم النبي ﷺ من الهدى " (٢) .

كما أحدث الحذف علائق ربط بين المعاني أسهمت في المقام الأعلى في إعلام البشر بأحوال الناس ، ليعلموا أن الرحمة من الله للأولياء من السابقين واللاحقين متحققة لا يشوبها أدنى نقص ، والانتقام من الأعداء المشاqqين من المصارعين والمنافقين من الثقلين متحققة بمجامع القدرة والعظمة (٣) .

*

المطلب الثاني : «إثبات مطلق الحمد والتسبيح له»

-القول بشبه الاحتباك.

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم: ١٧-١٨م، ك) ، شبه احتباك "ذكر التسبيح أولاً دليلاً على إرادته ثانياً ، والحمد ثانياً دليلاً على إرادته أولاً" (٤) ، وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول (وله الحمد في الصباح والمساء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وسبحان الله في ذلك كله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ . وقيل في تقديره :

(١) البحر المحيط ١٩٩/٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧٧/٢٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٩٥/١٩ .

(٤) المرجع السابق ٦١/١٥ .

"فسبحان الله وله الحمد حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد والتسبيح عشياً وحين تظهرون" ^(١) . فالأعلى بمقام الخطاب إحكام صورة التقدير بما يتوافق مع نمط التركيب ؛ لذا فالتقدير : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في هذين الجنسين ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ، وسبحان الله في كل ذلك ^(٢) .
وسرّه : أنه ذكر الأدل على الكمال تزيهاً عن الشريك ، "وتخصيئهما بتلك الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتزويجه تعالى واستحقاقه الحمد ، وموجبة لتسبيحه وتحميده حتماً" ^(٣) ، "والظاهر أنه أمر عباده بتزيهه في هذه الأوقات ، لما يتجدد فيها من النعم" ^(٤) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل من مبادئ العقيدة يدعو إلى إثبات مطلق الحمد والتسبيح لله وحده ؛ لكونه الفاعل الحقيقي المستحق لذلك ، وفي تدبر دلالة الخطاب حث جليل يدعو إلى ملازمة تسبيح الله وتحميده كما أمر ؛ إذ أثبت ﷺ التسبيح والتحميد لذاته في جميع الأوقات والأحوال ؛ لكونه أدل على الكمال المستلزم صرف العبادة ؛ تزيهاً لنفسه المقدسة عن شوائب النقص ^(٥) ، وبتبصر دلالة الحذف في الآية تتضح علاقة الربط بالسياق العام ؛ لكون السورة بكليتها تدعو في المقام الأول إلى "إثبات الأمر كله لله" ^(٦) ، فتحققت أعظم خصائص الربط بين الدالتين ، فصورة شبه الاحتباك تسعى إلى إثبات الكمال ، ونفي شوائب النقصان ، والسياق العام ينبئ عن ذلك المعنى ، من خلال إثبات الوحدانية ، والبعث ، ونصر الأولياء ، وخذلان الأعداء ^(٧) . أمّا السياق الخاص الخاص فأشدّ اعتلاقاً بشبه الاحتباك ؛ إذ تضمن أعظم الدلائل الموجبة صرف العبادة لله وحده إجلالاً وتسليماً ، فتقرر به الكشف عن نزاهة الله للمكذبين ؛ "لأن تكذيبهم به

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه وأسراره ، ص ٣٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٦٠/١ وما بعدها .

(٣) إرشاد العقل السليم ٥٤/٧ وما بعدها .

(٤) البحر المحيط ١٦١/٧ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٥٩/١ .

(٦) المرجع السابق ١/١٥ .

(٧) ينظر : الموضوع السابق .

مستلزم لاعتقاد نقائص كثيرة ، منها : العجز ، وإخلاف الوعد" (١) ، كما تطلب الحذف دقة الوقوف عند إيثار قوله : ﴿ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ؛ لما احتواه من معانٍ ثرية أبرزت جماله ، فأثبت بالدليل القاطع عظم النقص الذي يعتري الخلق في هذين الوقتين على سبيل التجدد والاستمرار ؛ ليتحقق لهم أنه متره عنه ، وكذا ليبصروا ما يتحدد فيها من مظاهر الإنعام والقدرة الدالة على البعث ، فحين تمسون يعتريكم الملل ، ويداخلكم الفتور ، والكسل ، وحين تصبحون تفعلون ما هو - سبحانه - متره عنه من الحركة والسعي في جلب النفع ودفع الضرر (٢) ، كما أبرز التذكير بما يحدث للآدمي من النقص والفتور في ذكر : ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ ؛ فأثر التعبير بما دل على الدوام ؛ " لأن وقت النوم الدال على النقص أولى بإثبات الكمال فيه " (٣) . فحمل النظم على الحذف عمق المقصود في بطلان صفات النقص والعجز عن الله بطريق حذف التقابل الذي أسهم في تعريف المكذبين بحقيقة نزاهة الله ، وأن التسبيح والحمد له ثابت في كل الأزمان والأماكن ؛ لذا كان إثبات صفة الكمال لله أبين وأظهر في التزاهة (٤) . كما أن للحذف أثرًا فاعلاً في نشوء علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني من أجلها : إعلام المكذبين بفساد عقيدتهم ؛ لتكذيبهم دلائل الحق ، ولإيضاح الدلائل الموجبة تنزيهه الله بأفعاله العالية التي لا مطمع لغيره في القدرة على نيل شيء منها (٥) ، كما تحقق إرشاد النفوس النبيلة لدوام ملازمة تسبيحه وتحميده ، فإن في ذلك نفعاً عظيماً الشأن عليّ المقدار ، فقد سمى إبراهيم عليه السلام خليله الذي وفي ؛ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (٦) ، فحق على أهل الأرض كلهم أن يسبحوه ويحمدوه ؛ لأن في أمر العباد بالتسبيح والتحميد لطفاً من الله تمثل في حدوث النفع لهم ، وهذا من أجل مراتب الدعوة إلى نمو التصعيد الإيماني .

(١) المرجع السابق ٥٩/١٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٦٠/١٥ .

(٣) المرجع السابق ٦١/١٥ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٦٠/١٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٥٩/١٥ .

(٦) ينظر : جامع البيان ٥٢٨/١ .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سبأ: ١، ك) ، شبه احتباك "حذف أولاً (وله الحمد في الأولى) ؛ لما دل عليه
ثانياً ، وثانياً (وله كل ما في الآخرة) ؛ لما دل عليه أولاً " (١) . وعليه جعل للنظم عدة
تأويلات : الأول : وأصله : "الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا ،
وله ما في الآخرة والحمد فيها" (٢) .

وفيه نظر ؛ لعدم تعادل المذكور والمحذوف من كل طرف .

حيثُ جعلَ المذكور في الطرف الأول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
مقابلاً للمذكور في الطرف الثاني : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ، والمحذوف من الطرف الأول :
(له ما في الدنيا) مقابلاً للمحذوف من الطرف الثاني ، (له ما في الآخرة) . والثاني : في
جعل التقدير : "الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الأولى ، وله كل ما
في الآخرة وله الحمد في الآخرة " (٣) ، فكأن في هذا التقدير نوعاً من الركافة لا يتطلبها
مقام العظمة ، فلو جعل التقدير : الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وله
الحمد في الأولى ، وله الحمد في الآخرة وكل ما فيها (٤) ؛ لكان أكثر دقة في بناء العبارة .
وسرّه أن حذف " فله الحمد في الأولى ؛ لأجل خفائه على أكثر الخلق ، وظهر ما في
الآخرة ؛ لظهوره ؛ لأنها دار كشف الغطاء" (٥) .

فالأنفع للسياق والأجدي بالمقام حمل النظم على شبه الاحتباك ؛ لأن الصورة التركيبية له
أسهمت بشكل فاعل في إثبات مطلق الحكمة ، ومنتهى القدرة ، وهذا ما انبنى عليه السياق
العام للسورة ؛ لأن " مقصودها أن الدار الآخرة كائنة لا ريب فيها ؛ لما في ذلك من
الحكمة ، وله عليه من القدرة ، وفي تركها من عدم الحكمة والتصوير بصورة الظلم " (٦) ،

(١) نظم الدرر ٤٣١/١٥ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٨٨/٧ ، وروح المعاني ١٠٣/٢٢ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراره ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٤٢٩/١٥ وما بعدها بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٤٣٠/١٥ .

(٦) المرجع السابق ٤٢٨/١٥ .

فتقرر أن الحمد الكامل والثناء الشامل كله لله^(١) ؛ لأن من دلائل شمول قدرته ؛ إذ أقام بعدله الحساب ، ومن عموم رحمته ؛ إذ رتب الثواب والعقاب ، ومن جزيل كرمه على أهل التوحيد ؛ إذ منّ عليهم بطاعته^(٢) ، فتأكد للبشر عامة "أن الكل ملكه ، وفي ملكه خائفون من عظمته ، مشفقون من قهر سطوته ، وقاهر جبروته ... فله الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق والأمر كله مطلقاً في الأولى والآخرة"^(٣) . فالحذف يأخذ بأيدي العباد إلى مدارج النور ، والتقوى ، والصلاح ؛ ليدفعهم إلى بلوغ مرتبة أهل الإحسان في العمل على إيقاع الحمد^(٤) كما ينبغي لجلال الله بما له على الجميع من نعم ، فإن في تبصر البدء بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقعاً بلاغياً تشير إليه دلالة التعريف ، فهو مستغرق لجميع المحامد^(٥) ، "أقلها نعمة الإيجاد ، حتى أهل النار فإنهم يحمدونه بما يحب إليهم في الدنيا من إسباغ نعمه ظاهرة وباطنة ، منها : إنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، فعلموا أنهم هم المفرطون حيث أبوا في الأولى حيث ينفع الإيمان ، واعترفوا في الآخرة حيث فات الأوان... وأيضاً فهم يحمدونه في الآخرة ؛ لعلمهم أنه لا يعذب أحداً منهم فوق ما يستحق ، وهو قادر على ذلك ، ولذلك جعل النار طبقات ، ورتبها دركات ، فكانوا في الأولى حامدين على غير وجهه ، فلم ينفعهم حمدهم ؛ لبنائه على غير أساس ، وحمده في الآخرة على وجهه فما أغنى عنهم ؛ لكونها ليست دار العمل ؛ لفوات شرطه ، وهو الإيمان بالغيب"^(٦) ، ففي هذا إرشاد عليّ لأصل جليل من أصول الإيمان ، وهو وجوب الإيمان بالغيب ، إلا أن الغاية العظمى تكمن في إثبات أنه "المحمود في الآخرة كما أنه المحمود في الدنيا ، والمالك للآخرة كما أنه المالك

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٥٩/١٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٤٢٨/١٥ بتصرف .

(٣) الموضوع السابق ٤٢٨/١٥ .

(٤) «أن الحمد تارة يكون بالنظر إلى الحامد ، وتارة بالنظر إلى المحمود ، فالثاني : اتصاف المحمود بالجميل ، والأول : وصف الحامد له بالجميل ، فحمد الله تعالى اتصافه بكل وصف جميل ، وحمد الحامد له وصفه بذلك ، فكل الأكوان ناطقة بألسن أحوالها بحمده ، سواء أنطق لسان القائل بذلك أم لا ، وهو محمود قبل تكوينها» .
ينظر : نظم الدرر ٤٣١/١٥ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٢٤٧/٧ . وقد يكون المراد : أن جنس الحمد مستحق لله . ينظر : التحرير والتنوير ١٣٥/٢٢ .

(٦) نظم الدرر ٤٣٠/١٥ وما بعدها .

للأولى" (١) . وهذا يتحقق في النظم من إيثار تقديم الصلة في : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛ "للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة" (٢) ، وتقديم المجرور في : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ؛ لإفادة الحصر ، أي لا حمد في الآخرة إلا له (٣) . كما نتج بالحذف إعلام البشر بأن له - سبحانه- ما يجويه عرشه من سموات وأرضين وما فيها ؛ لأن من المعلوم أن العرش محيط بالكل ، فالكل فيه ، وكل سماء في التي فوقها ، وكذا الأراضي ، فثبت بالدليل القاطع ، والحد الجازم أن له ما في الكل ، فتقرر بذلك في العقول والأذهان وجوب حمده في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من خلقه (٤) ، كما تقرر أنه أنه "محمود في الأزلى ؛ لاتصافه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال" (٥) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحديد: ٢، ١) ، شبه احتباك ، ذكر ما في السماوات والأرض أولاً دليلاً على حذف ما فيهما ثانياً ، وذكر الخافقين ثانياً دليلاً على حذف مثل ذلك أولاً (٦) . وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول (كل أرض ومن فيها وكل سماء ومن فيها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ما في السموات والأرض وما فيهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . وقيل تقديره : "سبح لله ما في السموات والأرض ، وله ملك السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم . وله ملك السموات والأرض وما فيهما يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير" (٧) ، ولعل الأكثر إحصاءً لتمثيل صورة شبه الاحتباك جعل التقدير على نحو : سبح لله ما في السموات

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٥٩/١٤ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٢٠/٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١٣٦/٢٢ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٥٩/٢٢ .

(٥) التفسير الكبير ٢٠٧/٢٥ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٢٥٤/١٩ .

(٧) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه - أسراره ، ص ٥٥ .

والأرض ، والذي فيهما ، وكل سماء وأرض ومن فيهما ، وما بينهما . له ملك السموات والأرض ، وملك ما فيهما ، وما بينهما ظاهراً وباطناً .

وسرّه : "ليكون التسبيح والملك شاملاً لكل" (١) . فتحقق أن حمل النظم على شبه الاحتباك أجدى في الدلالة على ذلك ؛ لأن فيه إشارة عظيمة تدل على "أن كل ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له ، وإقراراً بربوبيته ، وإذعاباً لطاعته" (٢) .

فالعرض الأسمى من القول بالحذف تمثل في إبراز جانب جليل من جوانب العقيدة ، وهو : إثبات مطلق التسبيح والملك لله ؛ وهذا الجانب ذو ارتباطٍ بالغٍ بسياق السورة ، فمقصودها "بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث...تحقيقاً لأنه سبحانه محتص بجميع صفات

الكمال ، تحقيقاً لتترهه عن كل شائبة نقص " (٣) ، فثبت أن إلهيته أحاطت بجميع المخلوقات ، فوسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات ؛ لذا جاء الحذف ليؤكد بالدليل الواضح ، والبرهان القاطع مطلق التسبيح والتقديس والتزيه لله (٤) ، وكما أن تدبر فاتحة

السورة بإيثار المضي بـ ﴿سَبَّحَ﴾ أثر فاعل في علو دلالة شبه الاحتباك من حيث إثبات مجامع الملك والكمال لله ، و"إعلاماً بأن هذه المكونات من لدن إخراجها من العدم ، إلى الوجود ، إلى الأبد ، مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولاً ، وفعلًا ، طوعاً ، وكرهًا" (٥) ، وهذه الغاية العظمى التي يسعى الحذف لإبرازها من خلال أوجه التماثل بين

طرفي النظم ؛ إذ أصبح في مقابل كل ركن مذكور آخر محذوف يبرز معنى التسبيح والملك ، ويُعمق معنى الحرص على ملازمته ، ففيل في ذلك "جاء في بعض الفواتح ﴿سَبَّحَ﴾ على لفظ الماضي ، وفي بعضها على لفظ المضارع ، وذلك إشارة إلى أن كون هذه الأشياء مسبحة غير محتص بوقت دون وقت ، بل هي كانت مسبحة أبداً في الماضي ، وتكون مسبحة أبداً في المستقبل ، وذلك لأن كونها مسبحة صفة لازمة لماهياتها ، فيستحيل انفكاك تلك الماهيات عن ذلك التسبيح ، وإنما قلنا : -[أي : الرازي]- إن هذه المسيحية صفة لازمة

(١) نظم الدرر ٢٥٤/١٩ .

(٢) جامع البيان ٢١٥/٢٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٥٠/١٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٥١/١٩ بتصرف .

(٥) روح المعاني ١٦٥/٢٧ .

لما هياتها ، لأن كل ما عدا الواجب ممكن ، وكل ممكن فهو مفتقر إلى الواجب ، وكون الواجب واجباً يقتضي تترتيبه عن كل سوء في الذات ، والصفات ، والأفعال ، والأحكام ، والأسماء ... " (١) . وللحذف أثر بارز في إحداثٍ علائقٍ ربطٍ أضافت معاني حسناً من أبرزها : تعريف البشر بملك الله الظاهر ، والباطن ؛ إذ الظاهر متمثل فيما في الكون من أرض مدحية ، وسماء مبنية ، وكواكب ، وأفلاك ، ورياح ، وسحاب ، وغيرها ، والملك الباطن الغائب عنا وهو الملكوت (٢) ، "الملك مبالغة من الملك ، وهو القدرة على الإبداع ، ولا مالك إلا الله" (٣) ، وكذا "تعريف المنكرين بما جهلوه من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى" (٤) ، وإلزامهم العمل بما تقتضيه دلالة الخطاب في الآية من التسييح قولاً وعملاً واعتقاداً ؛ ليكون خالصاً لله وحده ، فهو حق على أهل الأرض كما هو حق على أهل السماء الأعلى (٥) .

*

المطلب الثالث : تزيه الله عن الشرك .

– القول بالاحتباك .

في قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ (الإسراء: ٤٠، ك) ، احتباك (٦) ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول (رضي لنفسه البنات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (خصمك بلذکور) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا ﴾ . وتقديره : "أفأصفاكم بالبنين ورضي لنفسه البنات ، وخصمكم في نوعكم الذي هو أضعف ما يكون بالذکور ، واتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض وقلب أسفلها على أعلاها إناً" ا في غاية

(١) التفسير الكبير ٢٢/٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٥٤/١٩ .

(٣) لطائف الإشارات ٩٩/٦ .

(٤) نظم الدرر ٢٥٣/١٩ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٠٣/٨ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٤٢٠/١١ .

الرخاوة"^(١) . وهذا التقدير أشمل وأدق من غيره ^(٢) ، في تحقق نسبه الأول إلى الثاني ،
والثالث إلى الرابع في الدلالة على المراد .
وسرّه أنه "عبر أولاً بالبنين دون الذكور ؛ لأن اسم الابن ألد في السمع ، مرض لمن بشر به
من غير نظر في العاقبة ، وعبر في الثاني بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول اللفظ"^(٣) .
فحمل النظم على الاحتباك أسهم بشكل فاعل في إبراز ركن عليّ من أركان العقيدة ،
تمثل في وجوب النهي عن الشرك ، والأمر بالتوحيد ؛ لأنه من أخص صفات الإلهية ، وهذا
الركن وثيق الاتصال لما أشارت إليه السورة في سياقها البعيد ؛ إذ إن مقصودها "الإقبال
على الله وحده ، وخلع كل ما سواه ؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور ، وتفضيل بعض
الخلق على بعض"^(٤) ، فثبت أن الاحتباك يسعى في المقام الأول إلى إعلاء ما احتواه السياق
العام من إبراز وحدانية الله من خلال إثبات مطلق نزاهته عن الشرك أولاً ، واتخاذ المخلوقين
ثانياً ، أمّا دلالة السياق القريب فهي أشدّ علقه ؛ لتضمنه جملة من النواهي الإلهية^(٥) الدافعة
الدافعة إلى الارتقاء في عبادته ، يُعلّم البشر أن الجهل في معرفة الخالق سبب لكل سوء ،
والشرك أعظم جهل^(٦) ، فتحقق بالحذف إظهار شدة جهلهم ، وعظم خطيئهم في نسبة
البنين والبنات لله ؛ إذ نسبوا له - ﷻ - أدنى خلقه ، وهم لا يرضونه لأنفسهم^(٧) ، كما
ثبت بالحذف إرشاد جليل يثقف النفوس إلى مراعاة نعم الله ، فلا يصح في العقل مطلقاً
الاعتقاد بلبن الولد قسمان ؛ أشرف القسمين البنون ، وأخسهما البنات ، والأعظم من ذلك
إثبات البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم ، وإثبات البنات لله مع علمهم

(١) الموضوع السابق

(٢) «أفأصفاكم ربكم بالبنين ورضي لنفسه البنات؟ ، واتخذ من الملائكة إناثاً ، وأصفاكم بالبنين؟» . ينظر :
الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراره ، ص ٢٣١ .

(٣) نظم الدرر ٤٢٠/١١ .

(٤) المرجع السابق ٢٨٦/١١ .

(٥) ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا... وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا

مَذْحُورًا﴾ (الإسراء: ٣٧-٣٩، ك) .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٤١٧/١١ .

(٧) ينظر : جامع البيان ٩٠/١٥ .

بأنه الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له ، والجلال الذي لا غاية له ^(١) ، فالاحتباك أبرز الدلالة في النهي عن الشرك من خلال الاستفهام في : ﴿ أَفَأَصْفَكَمُ ﴾ ؛ لينكر على القائلين - بأن الملائكة بنات الله- باطل قولهم ^(٢) ، كما تقرر معنى الإنكار وازداد تأكداً في : ﴿ إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ؛ لأن بها حصل "تقرير لمعنى الإنكار وبيان له ، أي : تقولون : اتخذ الله الملائكة بنات . وأكد فعل (تقولون) بمصدره تأكيداً لمعنى الإنكار ، وجعله مجرد قول ؛ لأنه لا يعدو أن يكون كلاماً ا صدر عن غير روية ، لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلاً" ^(٣) ، وهذا لإبعاد الكافرين عن الشرك حتى لا يتعرضوا لشدة لشدة المجازاة ^(٤) ، فإن "إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدهم ، وهو أنهم بنات الله ، فإذا تبين بطلان ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة" ^(٥) . آلهة" ^(٥) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك اقتصر على إبراز خاصية الإيجاز ^(٦) ، وفيه نظر ؛ لأن فيه جليل معانٍ أظهرت نزاهة الله في صفاته ، وفوق ذلك هو في بصيرة المتأمل معين يهدف إلى استنباط جواهر الأسرار ولطائف المعاني .

*

ويبرز القول بالاحتباك حال الكفرة من الإنس والجن في افتراء الكذب على الله بنسبة صاحبة والولد له ، فقال مخبراً عن ذلك على لسان نفر من الجن الذين يسمعون القرآن : ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسِ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ^(الجن:٥٠،ك) ، ففي الآية احتباك ، سببه تغاير أوجه القراءة ^(٧) فـ "فعل التقول أولاً دليل على فعل الكذب ثانياً ، ومصدر الكذب ثانياً دليل على

(١) ينظر : التفسير الكبير ١٧٢/٢٠ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٨١/١٥ .

(٣) التحرير والتنوير ١٠٨/١٥ .

(٤) ينظر : روح المعاني ٨١/١٥ .

(٥) التحرير والتنوير ١٠٧/١٥ .

(٦) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه - أسراره ، ص ٢٣١ .

(٧) قرأ يعقوب بفتح القاف والواو مشددة : تَقُولُ . ينظر : النشر في القراءات العشر ٢٩٣/٢-١ .

على مصدر التقول أولاً^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قولاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَبًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (تكذب) ؛ لدلالة ذكر (تَقَوَّل) في الطرف الأول . وتقديره : وأنا ظننا أن لن تَقَوَّلَ الإنس والجن على الله قولاً ، وأن تكذب كذباً . فالسياق وقرائن الأحوال تدعو إلى حمل النظم على الاحتباك ؛ لما فيهما من لطيف المسالك المنجية من الوقوع في المهالك ؛ إذ سعى الاحتباك في المقام الأول إلى إبطال ما كان يزعمه الزاعمون من اتخاذ الله الصاحبة والولد ؛ لإبعاد البشر عن تصديقهم بدون دليل قاطع^(٢) ، وفي تبصر سياق السورة العام تتضح خاصية إرسال الرسل من أجل توجيه المخالفين من أهل الأرض إلى بيان صدق الحق ، وأبرز ما فيها "بيان سيرة الجن في تلقيهم لهذا القرآن بالأخذ إرثاً من أشرف النبيين ، وإلقائهم له بالإبلاغ إلى غيرهم من وارث العلم منهم ؛ ليكون لهم الشرفان : شرف العلم لكمال أنفسهم والتعليم لتكميل غيرهم"^(٣) ، فتحقق بالحذف إعلام الخلق عامة أن هذه الدعوة تقتضي الارتقاء بالنفوس في نيل شرف تعلم وتعليم مبادئ التوحيد من أجل الخلوص من الشرك ، وأن العمل بهذا سمة أهل الإسلام ، والخاص تضمن الإشارة إلى عدم توقع الجن - قبل سماع القرآن - أن تفتري الإنس والجن على الله كذباً ، "وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجنّ على الله كذباً من القول"^(٤) ، فاعتقدنا أن لا يجترئ يجترئ أحد على أن يكذب على الله ، فينسب إليه الصاحبة والولد ، فلذلك صدقناهم في أن لله صاحبة وولداً ، حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق ، فتبيننا كذبهم^(٥) . فتعظم في النفوس إثماء جانب مهم من جوانب العقيدة ، وهو : التأكد من صدق الدليل ، وصحة القول ؛ "إشارة إلى خطر التقليد في العقيدة ، وأنها لا يجوز فيها الأخذ بحسن الظن بالقلد ، بل يتعين النظر واتهام رأي المقلد حتى ينهض دليله"^(٦) .

وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر بارز يأخذ بأيدي العباد إلى حسن سماع الحق والعمل به ؛

(١) نظم الدرر ٤٧١/٢٠ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٠٧/٢٩ .

(٣) نظم الدرر ٤٦٢/٢٠ .

(٤) جامع البيان ١٠٧/٢٩ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/١٩ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٢٤/٢٩ .

ليوقنوا حقيقة صدق الداعين إلى الحق وكذب المعارضين له ^(١) ، فتحقق بالحذف إيضاح أن
التقول لا يكون إلا كذباً ^(٢) ، فأصبح الكذب ملازماً لهم في أقوالهم لا ينفك عنهم ، ففي
هذا تحذير من التصديق لمجرد الظن .

*

الفصل الثاني :

**أسلوب الاتهام في آيات الحلال شرعية ،
والتكاليف الإلهية من حيث ليس يقل والصرى رآثره في
المتلقي**

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/١٩ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي ٥/٣٩٨ .

الفصل الثاني : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية ، والتكاليف الإلهية من حيث السياق والصورة وأثره في المتلقي .

وقوع الاحتباك في آيات الأحكام الشرعية يبدو قليلاً مقارنة بغيره من آيات العقيدة ، وآيات الترغيب والترهيب ، فقد بلغ عدد مواضعه : (اثنين وعشرين) موضعاً ، ولعل سبب قلة وروده : أن بيان الأحكام التشريعية يتطلب دقةً في التفصيل ، وبيانا في الإيضاح . فالمعنى الذي أبرزته آيات التكاليف والأحكام تمثل في :

أ - ما يتعلق بالعلاقات الخارجية بالأمم الأخرى .

- تثقيف النفوس بواجبها تجاه أهمية فرض القتال في سبيل الله .

- القول بالاحتباك .

في قول الحق تعالى : ﴿ سَأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ ﴾ (البقرة: ٢١٧م) ، احتباك^(١) ، إذ

حذف من الطرف الأول (الصد عن المسجد الحرام) ؛ لدلالة ذكر (الإخراج) في :

﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (السؤال

عن القتال في المسجد الحرام) ؛ لدلالة ذكر ﴿ سَأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ في الطرف

الأول . وتقديره : يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله

والمسجد الحرام ، ويسألونك عن المسجد الحرام قتال فيه وإخراج أهله منه أكبر عند الله .

وسرّه : "أنه لما كان القتال في الشهر الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في

سرية عبد الله بن جحش ، أبرز السؤال عنه والجواب ، ولما كان القتال في المسجد الحرام لم

يقع بعد ، وسيقع من المسلمين أيضاً عام الفتح^(٢) ، طواه وأضمّره ، ولما كان الصدّ عن

سبيل الله الذي هو البيت ، والكفر الواقع بسببه لم يقع ، وسيقع من الكفار عام

(١) ينظر : نظم الدرر ٣/ ٢٢٩ .

(٢) وقع في السنة الثامنة من رمضان ، فيها كُسِّرتُ الأصنام ، وَهَدِمَتِ الْعُزَى . ينظر : الرحيق المختوم - بحث في

السيرة النبوية- ، لصفي الرحمن المباركفوري ، (دار المؤيد الإسلامية ، الطبعة : بدون ، ١٤١٧هـ -

١٩٩٦م) ، ص ٣٥٩ .

الحديبية^(١) ، أخفى خبره وقدره - [ما دل على هذا مذكور في النص القرآني ، وليس مقدرًا ، وهو : ﴿وَصَدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - ، ولما كان الإخراج قد وقع منهم^(٢) ذكر خبره وأظهره ؛ فأظهر ﷺ ما أبرزه على يد الحدثان ، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان ، وصرح بما صرح به لسان الواقع ، ولوح إلى ما لوح إليه صارم الفتح القاطع^(٣) .

وحاصل القول فيه من وجهين ، الأول : ظاهر في أن القول بالاحتباك فيه نظر ؛ لكون ركني الطرف الأول مذكورين معًا ، وهما : ﴿وَصَدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ . والثاني : خفي أرشد إليه السياق الترتيلي ؛ إذ نزلت الآية الكريمة في سرية عبد الله بن جحش^(٤) ، وهذا هو : المقصود بـ : فأظهر سبحانه ما أبرزه على يد الحدثان ، وأضمر ما أضمره في صدر الزمان ، وصرح بما صرح به لسان الواقع ، ولوح إلى ما لوح إليه صارم الفتح القاطع .

فعند نزول الآية الكريمة قد حصل ما حصل في سرية عبد الله بن جحش من السؤال عن القتال في الشهر الحرام في السنة الثانية ، وكذا الإخراج الذي حصل في خروج الرسول ﷺ في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية . بخلاف ما حصل في صلح الحديبية من الصد عن المسجد الحرام في السنة السادسة للهجرة ، والسؤال عن القتال في الشهر الحرام في فتح مكة في السنة الثامنة ، فإنه لم يقع وقت نزول الآية .

*

- القول بشبه الاحتباك .

من أبرز الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن الجهاد قول الحق ﷻ : ﴿كُنْتُمْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾

(١) وقع في السنة السادسة ، بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ . ينظر : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(٢) في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية عندما خرج الرسول ﷺ ، وأبو بكر من مكة مهاجرين إلى المدينة بسبب

شدة الأذى . ينظر : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٢٩/٣ وما بعدها .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣٤٩/٢ .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١٦ م﴾ ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَعَسَىٰ (١) أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ (٢) أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ شبه احتباك اقتضاه السياق القرآني ، ف"ذكر الخير أولاً دال على حذفه ثانياً ، وذكر الشر ثانياً دال على حذفه مثله أولاً" (٣) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (شر لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿شَرُّ لَكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (خير لكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : عسى أن تكرهوا شيئاً لظنكم أنه شرٌ لكم وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً لظنكم أنه خيرٌ لكم ، وهو شرٌ لكم .

ويصح على التقدير السابق أن يكون النظم من قبيل الاحتباك ، ذكر الخير أولاً دال على ضده ثانياً ، وذكر الشر ثانياً دال على ضده أولاً .
وقيل في تقديره : "كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم ، ومنعتم منه وهو حُبٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا القتال وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوه وهو شر لكم" (٤) .
وفيه نظر ؛ حيث لا وجه للاحتباك فيما قُدِّرَ ؛ لانعدام الجهة الجامعة بين الأركان من خلال التقدير ، لأن التقدير السابق تضمن أربع فقرات ؛ الأولى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ - مذكورة- ، والثانية : (وهو حب لكم) -محذوفة- ، والثالثة : ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ - مذكورة- ، والرابعة : ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ -مذكورة- ؛ لذا انتفى القول بالاحتباك على الأصح ، والأولى بالصواب التقدير الأول ؛ لتحقق شرط التقابل بين المحذوف والمذكور من كل طرف .

(١) ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هنا للإشفاق لا للترجي ، ومجيئها للإشفاق قليل ، وهي هنا تامة لا تحتاج إلى خبر ، ولو كانت ناقصة لكانت مثل قوله : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا﴾ (محمد: ٢٢ م) . البحر المحيط ١٥٢/٢ .

(٢) ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ عسى هنا للترجي ، ومجيئها له هو الكثير في لسان العرب ، وقالوا : كل (عسى) في القرآن للتحقيق ، يعنون به الوقوع ، إلا قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا أَبْكَارًا...﴾ (التحریم: ٥٠ م) . المرجع السابق ١٥٣/٢ .

(٣) نظم الدرر ٢٢٢/٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٣٢١/٢ .

وسرّه أنّه ذكر الأولى للسياق والمناسب للمقام ؛ ترغيباً في القتال ؛ لما فيه من الخير المتمثل في الظفر ، والغنيمة ، أو الشهادة والجنة ، وترهيباً من القعود عنه لما يخشى فيه من الشر المتمثل في الذل ، والفقر ، وحرمان الغنيمة والأجر^(١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في توعية النفس الإنسانية بأمر القتال في سبيل الله ؛ تنويهاً إلى أن الخلود إلى الراحة وترك القتال أمر خطير ينبغي تفاديه^(٢) ، توازماً مع نظرة الشرع في الحرص على العمل بفرض قتال الكفار ، فهو خير لا شرّ كما يتوهمون ويتوقعون ، فهم يكرهون القتال ، ويجبون القعود^(٣) ، ففي تبصر دلالة الخطاب بـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ إشارات عليّة تغرس في النفوس مبدأ لزوم الحرص على بذل النفس من أجل المدافعة عن الدين ؛ لأنه لا راحة لمؤمن صح إيمانه ، واستقامت نيته ، وسلم قلبه إلا في لقاء ربه ، والذي يستدعيه السياق والمقام - هنا - طلب لقاءه بالشهادة في الحرب^(٤) ، فتحقق بالحذف إرشاد نبيل يُوجب أهمية المدافعة عن الدين ، "فجرى ما شأنه المدافعة بمعنى الكتب"^(٥) ، فهي رأس صفات أهل التقوى ، وشعار أهل الإحسان ؛ لقرهم من الله ، "وهو - [أي : القتال] - عند المحيين للقاء الله من أحلى ما تناله أنفسهم حتى كان ينازع الرجل منهم في أن يقف فيقسم على الذي يمسه أن يدعه والشهادة..."^(٦) . فمن خلال تدبر دلالة السياق العام من حيث الدعوة إلى الترقى في مراتب الإيمان ، والخاص من حيث تحقق الدعوة إلى لزوم القتال ؛ لأن فيه جهاد العدو^(٧) العدو^(٧) الذي يُعد من أسمى قواعد المحافظة على الدين انكشف أن القول بالحذف في هذا هذا المقام عليّ يُولد جملة من المعاني الإحسانية التي من أبرزها وأعلىها : أهمية لزوم المحافظة على جهاد العدو ؛ حتى يستقيم أمر الدين ، وهذا يتطلب من النفس التحلي

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٢٢/٣ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ١٦٢/٢ .

(٣) ينظر : تفسير آيات الأحكام ، تأليف : عبد القادر شيبه ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ،

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ١-٢/٢٢٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢١٨/٣ بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٢١٧/٣ وما بعدها .

(٦) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ٣٨٦ .

(٧) ينظر : نظم الدرر ٢١٧/٣ .

بأعلى مقامات الصبر ؛ لما في القتال على المال من المؤدبة ، وعلى النفس من المشقة ، وعلى الروح من الخطر ^(١) ، "فالمقاعد له في تقاعده آفات وشر في الدنيا والآخرة ، ليس أن لا ينال خير الجهاد فقط بل وينال شر التقاعد والتخلف ^(٢) . وللحذف أثر فاعل في تثقيف النفوس بأمر دينها ؛ لتتعلم حسن المبادرة إلى كل ما يأمرها به وإن شق عليها وصعب ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير وهي لا تعلم بذلك ، فالخير متمثل في الدرجة الأولى في العمل بما كتبه الله ، والشر متمثل في تركه ^(٣) ؛ لذا نفى العلم عنهم — ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

*

وفي موضع آخر يبرز الحذف أهمية لزوم المدافعة عن الدين بالجهاد فيه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤م) . ففي قول الحق ﴿وَعَلَى﴾ : ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ شبه احتباك "ذكر القتل أولاً دليل على السلامة ثانياً ، وذكر الغلبة ثانياً دليل على المغلوبة أولاً" ^(٤) ، وعليه فالخدوف من الطرف الأول (المغلوبة) ؛ لدلالة ذكر (الغلبة) في ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (السلامة) ؛ لدلالة ذكر (القتل) في ﴿فَيُقْتَلْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل بعد أن يُغلب أو يُغلب فيسلم . وسره أنه ذكر ما اقتضاه السياق لكونه أدل على المقصود ، أو أنه ذكر مطلق أحوالهم تشریفاً لهم ، وتنويهاً برفعة منزلتهم عند الله ، "وإنما اقتصر على القتل والغلبة في : ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ولم يزد أو (يؤسر) إبانة من أن يذكر لهم حالة ذميمة لا يرضاها الله للمؤمنين ، وهي حالة الأسر ؛ فسكت عنها لئلا يذكرها في معرض الترغيب ، وإن كان للمسلم عليها أجر عظيم أيضاً إذا بذل جهده في الحرب فغلب ؛ إذ الحرب لا تخلو من ذلك ، وليس بمأمور أن يلقي بيده إلى التهلكة إذا علم أنه لا يجدي عنه الاستبسال ، فإن من

(١) ينظر : المرجع السابق ٢٢٠/٣ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ٣٨٨ .

(٣) ينظر : تأملات في سورة البقرة ، تأليف : حسن محمد باجودة ، (القاهرة ، مكتبة مصر ، الطبعة : بدون ،

١٤١٠هـ—١٩٨٩م) ٢٣٠/٣ بتصرف .

(٤) نظم الدرر ٣٢٦/٥ وما بعدها .

منافع الإسلام استبقاءً رجاله لدفاع العدو" (١). فقدم قوله: ﴿فَيُقْتَلُ﴾ ؛ "لأنها درجة شهادة ، وهي أعظم من غيرها ، وثبتت بالغلبة وهي تشمل نوعين : قتل أعداء الله ، والظفر بالغنيمة ، والأولى أعظم من الثانية" (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في حض النفوس على المسارعة لتلبية الأمر الإلهي المقتضي إنفاذ القتال في سبيل الحق والعدل ، لا في سبيل الهوى والطمع (٣) ، دون تركيز النظر على النتيجة الدنيوية ؛ لأنه يدعو إلى السعادة الحقيقية ، والعيش الهانئ الطيب ، فلا تتحقق إلا بتمثل الأمر على أكمل وجه ، ثم التحلي بالصبر الذي هو شعار صلابة الإيمان ، فحمل النظم على الحذف أسمى في فهم المراد ؛ حيث الإقبال على مراعاة ما يقتضيه دلالة الأمر من لزوم التكليف والعمل بمقتضاه ، فالسياق العام أرشد إلى أهميه الحرص على العمل بموجب التكاليف عامة ؛ حثاً للاجتماع على التوحيد (٤) ، والخاص تضمن الترغيب في لزوم العمل بالأمر الكريم ؛ لما تحقق فيه من بروز حسن الأجر الذي هو قصد المجاهد من إقباله (٥) . فالقاعدة الأم تمثلت في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : الاستشهاد في سبيل الله في: ﴿فَيُقْتَلُ﴾ وهذا شرف عظيم بأن يقتل في سبيل الله ، والثاني : الانتصار على الأعداء في : ﴿يُغْلِبُ﴾ وهذه غاية الإسلام من الجهاد ، فبهما تحققت نظرة الشرع المثلى في توجيه المسلم لبلوغ أشرف المراتب ، ونيل أعظم الدرجات ؛ لكونهما غايتين مرسومتين لهدف التطلع إلى الكمال ؛ لأنه دين الكمال في كل شيء (٦) . أمّا المعاني الإحسانية المتمثلة في الركنين المحذوفين ، الأول : في ذكر الهزيمة والأسر في : ﴿يُغْلِبُ﴾ ، والثاني : في ذكر السلامة من القتل في : (يسلم) ، فإنها تدعو المسلم في المقام الأول لتبصر حقيقة الإسلام ؛ إذ إنه يدعو لشرف القصد ، وارتفاع الهدف ، فليس همّ المسلم في جهاده قتل الأعداء أو الاستحواذ على الغنائم ، بل همّه نصر الإسلام والاستشهاد في سبيل ه ،

(١) التحرير والتنوير ١٢٢/٥ .

(٢) الدرر المصون ٣٦/٤ .

(٣) ينظر : المنار ٢٥٩/٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٦٩/٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٢٦/٥ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن ٧٠٨/٥ بتصرف .

والظفر بالأجر العظيم ، فدل التعبير بـ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طول عمر المجاهد غالباً ، وهذا خلافاً لما يتوهمه كثير من الناس ، ففي الإعلام بهذا نعم عظام يُوجب في النفوس حب ملازمة العمل في نصرة الإسلام والذود عنه^(١) .

*

ب - ما يتعلق بالعلاقة الاجتماعية بالأمة .

- اتباع الشرع في حفظ حق ذوي الأرحام في الميراث .

- القول بشبه الاحتباك .

في قول الحق ﷻ : ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الأحزاب: ٥٦م) ، شبه احتباك "أثبت وصف الإيمان أولاً دليلاً على حذفه ثانيًا ، ووصف الهجرة ثانيًا دليلاً على حذف النصرة أولاً"^(٢) ، فالمحذوف من الطرف الأول (الأنصار) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين الأنصار-من غير قرابة مرجحة- ، والمهاجرين المؤمنين-من غير قرابة كذلك-^(٣) . وسرّه : أن غيرهم أولى بسبب القرابة ؛ ف"القرب في الرحم أولى من غيره " ^(٤) ، فصارت الموارث لذوي الأرحام ، بعد أن كان التوارث بالهجرة ، والنصرة ، والمؤاخاة^(٥) . فالأولى والأعلى حمل النظم على شبه الاحتباك ؛ لما فيه من تأصيل مبدأ المحافظة على ملازمة العمل بموجب دلالة الخطاب ؛ إذ إن هذه الآية ناسخة لما في خاتمة سورة الأنفال^(٦) من التوارث بالهجرة ، والمؤاخاة ، فإن لهم ما لكم ، وعليهم ما

(١) ينظر : نظم الدرر ٥/٣٢٧ ؛ في ظلال القرآن ٥/٧٠٨ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ١٥/٢٩٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٥/٢٩٢ .

(٤) المرجع السابق ٨/٣٤٨ .

(٥) ينظر : جامع البيان ١٠/٥٢ .

(٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَائِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلِيِّهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

ما عليكم من المواريث ، والمغانم ، وغيرها^(١) .

فالصورة التركيبية للحذف تدعو في مجملها إلى المحافظة على تعاليم الدين بحفظ حق أولي الأرحام من أهل الدين ، وفي تبصر دلالة الخطاب حث على ملازمة العمل باتباع الوحي ؛ لأنّ في ذلك طاعة لله وتقوى ، إذ أرشد السياق العام إلى مراعاة الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق ؛ لأنه عليم بما يصلحهم ، حكيم فيما يفعله^(٢) ، والخاص تضمن "النهي عن التشتت والتشعب"^(٣) ، فالذي يهدي إليه السياقان - العام والخاص - يعمق دلالة القول بالحذف ؛ إذ إنهما سعيا إلى إبراز خاصية شدة التمسك بالطاعة في تنفيذ أحكام الله والمحافظة عليها ، فالقاعدة المثلى في "إن أوصيتم فغير الوارثين أولى ، وإن لم توصوا فالوارثون أولى بميراثكم وبما تركتم"^(٤) ، فتتحقق بالحذف إبراز القاعدة العظمى في أن التوارث يكون بين الأقارب ، وإعلام البشر بذلك نعمة تهدف إلى إنماء التواد والتعاطف في النفوس ، وتقربهم من نيل رضا الله ؛ إذ تمسكوا بموجب حكمه . وللحذف أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني تسعى في المقام الأول إلى التذكير بحق أصحاب أولي الفضل في الميراث من غير قرابة مرجحة ﴿تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ ، فمن المفترض أن يكون المرء أقل كرمًا فيوصي لغير قرابته ، فيصير الموصي له أولى من قريبه ، وكأنه بالوصية قطع الإرث^(٥) ؛ لما في ذلك من "تكثر قتلتم ، ونصر ذلتكم ، وجمع شتاتكم ، وجعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب"^(٦) .

*

- بيان العلة الشرعية في زيادة عدد النساء على الرجال في شهادة عقد المداينة .

- القول بشبه الاحتباك :

مَيْتَقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿الأنفال: ٧٢م﴾ .

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٤٨/٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٧٣/١٥ .

(٣) المرجع السابق ٢٩١/١٥ .

(٤) التفسير الكبير ١٧٠/٢٥ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) نظم الدرر ٣٤٩/٨ .

في قول الحق ﷻ: ﴿...أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ^(١) إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى...﴾ (البقرة ٢٨٢م) ، شبه احتباك^(٢) ، المحذوف من الطرف الأول (فتنسى) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (تتهدي) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَضِلَّ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره: أن تضل إحداهما فتنسى الشهادة أو شيئاً منها فتذكر إحداهما الأخرى فتتهدي إلى ما ضلت إليه بواسطة الذاكرة وسرّه: أنه ذكر السبب الأساسي لنقص الضبط فيهن - وهو ضعف حفظهن - ، ثم ذكر السبب الأساسي لقبول الشهادة منهن - وهو التذكير - "ولما شرط في القيام مقام الواحد من الرجال العدد من النساء ، علله بما يشير إلى نقص الضبط فيهن ، فقال: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ ، أي: تغيب عنها الشهادة فتنساها أو شيئاً منها: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى﴾ فتتهدي إلى ما ضلت عنه بواسطة الذاكرة ؛ لأنها أعرف بمدخل الضلال عليها"^(٣) .

فالقول بالحذف يُعد وجهاً من وجوه فهم المراد لم يبرز عند جمهرة المفسرين^(٤) ؛ فلا ضرورة ضرورة تدعو له ؛ إذ الكلام منتظم في معناه^(٥) دون تقدير بتلك الطريقة .

(١) وجه القراءة: قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو: «من الشهداء أن تَضِلَّ» ، بفتح «أن» ، «فَتُذَكِّرَ» ، بإسكان الذال ، وفتح الراء . وقرأ حمزة - وحده - : «إِنْ تَضِلَّ» بكسر «إِنْ» ، «فَتُذَكِّرُ» بتشديد الكاف ورفع .
 وقرأ الباقون: «أن تَضِلَّ» بفتح «أن» ، «فَتُذَكِّرَ» بالتشديد ونصب الراء . وحجة من قرأ «فَتُذَكِّرَ» بالتخفيف حكاها الأصمعي عن أبي عمرو ، قال أبو عمرو: إذا شهدت المرأة على شهادة ثم جاءت الأخرى فشهدت معها أذكرتها ، أي: جعلتها ذكراً ؛ لأنهما تقومان ، يعني: صارت المرأتان كذكر . وحجة التشديد: أنهما لغتان ، وتأويله: فجعل الله المرأتين بإزاء رجل ؛ لضعفهما وضعف حفظهن وتذكرهن ؛ ولمزية الرجال على النساء ، وفضل رأيهم إن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان ، فمتى نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى .
 ينظر: حجة القراءات ، ص ١٥٠ وما بعدها ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٤١٠ .

(٢) ينظر: نظم الدرر ٤/١٥٥ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر: جامع البيان ٣ / ٤٢١ ، والكشاف ١ / ٤٠٣ ، والمحزر الوجيز ١ / ٣٨٠ ، والتفسير الكبير ٧ / ١٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٩٧ وما بعدها ، وتفسير البيضاوي ١ / ٥٧٩ وما بعدها ، والبحر المحيظ ٢ / ٣٦٥ وما بعدها ، وإرشاد العقل السليم ١ / ٢٧٠ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢ / ٣٤٩ ، وروح المعاني ٣ / ٥٨ وما بعدها .

(٥) خلاصة المعنى: قال أبو عبيدة: معنى تضل تنسى ، [تفسير الضلال بالنسيان لا يتلاءم مع قول الحق ﷻ:

﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه: ٥٢...) ، فعطف (ينسى) على (يضل) فدل على تغييرهما -

والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ، ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالاً . ومن نسي الشهادة جملة فليس يقال: ضل فيها . وموضع الشرط وجوابه رفع على الصفة للمرأتين والرجل . ومن فتح

*

- تحقق الأمر بالوفاء في الكيل والميزان حتى يتم استيفاء مجمل الحقوق .

- القول بالاحتباك:

يقول تعالى: ﴿وَالِئِنَّ مَدِينَةَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوْرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥، ك) ، ففي قول الحق ﷻ: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ احتباك^(١)، فالمحذوف من الطرف الأول (المكيل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الوزن) ؛ لدلالة ذكر ﴿الْكَيْلَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "أوفوا الكيل والمكيال والوزن والميزان"^(٢) .

وسره : أن الحث غالباً يكون في الكيل لا في المكيال ، وفي الميزان لا في الوزن ؛ لكون الوفاء من جهة المكيال إنما يغفل في الكيل لا في المكيال ، والوزن لا الميزان^(٣) ، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي للحذف صورة أخرى^(٤) .
فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز دلالة الأمر حثاً على امتثال العمل

(أن) فهي مفعولٌ له . والعامل فيها محذوف . وانتصب ، (فتذكر) على قراءة الجماعة عطفاً على الفعل المنصوب بـ(أن) . وأما أن تضلّ-بفتح الهمزة- فهو في موضع المفعول من أجله ، أي : لأن (تضلّ) تنزيل السبب -وهو : الإضلال- منزلة المسبب عنه -وهو : الإذكار- كما يتزلّ المسبب منزلة السبب ؛ لالتباسهما واتصالهما ، فهو كلام محمولٌ على المعنى ؛ لأنه تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت . ولا يجوز أن يكون التقدير مخافة أن تضلّ ؛ لأجل عطف (فتذكر) عليه ، ومعنى الضلال -هنا- : هو عدم الاهتمام للشهادة لنسيانٍ أو غفلة ، ولذلك قوبل بقوله : (فتذكر) وهو من الذكر . فتذكر إحداهما الأخرى ، فتذكر -بالتشديد- أي : تنبّهها إذا غفلت ونسيت ، وتذكر يتعدى لمفعولين ، والثاني محذوف : أي : فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة . ينظر : جامع البيان ٤٢١/٣ ؛ والجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/٣ وما بعدها ، والبحر المحيظ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ، وتأمّلات في سورة البقرة ١٧٤٢/٣ وما بعدها .

(١) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوجه (٤٧١) (مخطوط) ، ونظم الدرر ٤٦٠/٧ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوجه (٤٧١) مخطوط .

(٤) قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ مِنْكُمْ وَصَنَّكُمْ يَدَيْكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام : ١٥٢، ك) .

بما يوجهه الخطاب الإلهي ؛ لتحقيق الغاية العظمى من وراء فرضه ، وهي : إعطاء صاحب الحق حقه على أكمل وجه دون زيادة مفرطة أو نقصان مجحف ، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب زيادة ، فثبت بالحذف تأكيد الحث على لزوم العمل به في كافة المعاملات ، وفي تبصر دلالة الخطاب في إيراد النهي عن البخس بعد الأمر فائدة عليّة تؤكد حسن الأمر بالإيفاء وتنهى عن النقص لقبحه ، فالسياق العام تضمن إنذار المعرضين عن التوحيد ^(١) ، والخاص حمل جملة الأوامر والنواهي الدالة على كمال أمر الدين ، الواجب العمل بها تسليمًا لأمره ﷺ ، فأصل المراد - وهو : الدعوة إلى العمل بموجب الأمر في الوفاء بالكيل والوزن - قائم في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ ، والثاني : في ذكر ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ ، فمن خلال التركيب العام للاحتباك - أوفوا الكيل والمكيال والوزن والميزان - تحققت أهمية العمل بما يقتضيه الحذف ؛ لكون المعاني الإحسانية الناتجة من ورائه تأخذ بأيدي العباد إلى الترقى في مقام القرب من الله ، قربًا يعظم العمل بالعدل ودفع الظلم ، فيرسخ في النفوس عظم دلالة الأمر بالوفاء ؛ وذلك بإعطاء الناس حقوقهم تامة ، فإن الاعتدال في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء من أهم مبادئ الإيمان التي تحفظ للمشتري حقه ^(٢) ، ففي إلزام البشر العمل بذلك نعمة عليّة ترشد المؤمنين إلى إكمال إيمانهم بالتزام الشرائع الفرعية ، كما أن فيها تبيغًا لمن لم يؤمن بما يلزمه بعد الإيمان بالله وحده ^(٣) . فكان للاحتباك أثر بارز في تحقق حسن الوعظ بإثبات نبل الوفاء في الحقوق والمعاملات ؛ فإن تمام العمل بالوفاء فيهما يُعد من أهم الأحكام التشريعية الفرعية المترتبة على كمال التوحيد ^(٤) .

*

- تحقق النهي عن الوقوع في المن والأذى كي لا تدنس فضائل الأعمال .
- القول بالاحتباك :

يقول تعالى في سياق الترهيب من إحباط الصدقة بالمن والأذى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٤٧/٧ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٣٧/٨ ، والتحرير والتنوير ٢٤٣/٨ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٤١/٨ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُ، وَابِلٌ فَتَرَكَهُ، صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٦٤﴾ ، ففي قول الحق ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ ، احتباك^(١) ، إذ المحذوف من الطرف الأول (الرياء) ؛ لدلالة ذكر ﴿رِثَاءَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (المن والأذى) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى رياء الناس كالذي ينفق ماله منّا وأذى رياء الناس .

وسرّه أنه ذكر المن والأذى في الصدقة ؛ لشدة تعلقه بهما ، والرياء في الإنفاق أيضاً ؛ لشدة تعلقه به ؛ تويخاً من سوء الصنيع ؛ وزجرًا عن فعله ، "فالرياء يمنع انعقادها سبباً للثواب ، والمن والأذى يبطل الثواب التي كانت سبباً له" ^(٢) ، "فإنّ المن والأذى في الصدقة أكثر حصولاً ؛ لكون الصدقة متعلّقة بأشخاص معيّنين ، بخلاف الإنفاق في سبيل الله ؛ فإن أكثر من تناولهم النفقة لا يعلمهم المنفق" ^(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية التحذير الشديد من إبطال النفقة وإتباعها بالمن والأذى ، مبالغة في التنفير عن هاتين الرذيلتين وما يقتضيه ولوع الناس بهما^(٤) في سياق إثبات الأحكام التشريعية الدالة على التوحيد ؛ لوجوب العمل بها ، وهذا ما دعت إليه السورة في المقام الأول ؛ لكونها ترسخ الإيمان الحقيقي ، وتدلل على معنى الوحدانية ، فدلالة النهي في خطاب الشرع تهدف إلى التخلي عما يبطل الأعمال ويزيل ثوابها^(٥) ، وهذا متحقق في الركنين المذكورين : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ ، فثبت أن الأصل في تحقق قبول الصدقات : العمل بما يقتضيه النهي من التخلي التام عن نوازع النفس ، وطلب ثواب الله بها باطنًا وظاهرًا^(٦) ، فاتضح بالحذف أهمية لزوم العمل بدلالة النهي ؛ لأن في ذلك تنبيهًا جليلاً يرشد العباد إلى

(١) ينظر : نظم الدرر ٤/٨١ .

(٢) التفسير القيم ، ص ١٥٢ .

(٣) نظم الدرر ٤/٤٤ .

(٤) ينظر : المنار ٣/٦٥ بتصرف يسير .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣/٣١١ .

(٦) ينظر : جامع البيان ٣/٦٤ .

مراعاة التمسك بما تقتضيه التكاليف الإلهية ، والبعد عن صفات أهل الكفر والنفاق في أفعالهم ، فهم لا يفعلون إلا ليشكروا بين الناس ، فظاهرهم طلب الثواب ، وباطنهم حمد الناس لهم^(١) . فتحقق مزيد التنبيه لمن لديهم قابلية الإيمان ؛ لذا جاء النداء بـ : ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ ؛ لما هم فيه من الغفلة ، ثم إرشادهم لما يبطل أعمالهم ؛ لأن الخطاب بـ : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ دليل على أن المخاطبين ما زالوا في بداية الإيمان ، فجاء التكليف الكريم بما يستطيعون فعله ، ويرتقون به في مقامات القرب من الله .

*

ج - ما يتعلق بالعلاقة الأسرية .

- إرشاد العقل إلى تدبر الحكمة من تحقق المنع من العضل في الإسلام .

-القول بشبه الاحتباك .

في قول الحق ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلِغَنِّ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٣٢م) ، شبه احتباك اقتضاه السياق " (طلقتم) يفهم الأزواج من (تعضلوهن)

و(تعضلوهن) يفهم الأولياء من (طلقتم)"^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فلا

تعضلوهن) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف

(طلقتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : وإذا طلقتم النساء -أيها

الأزواج- لا تعضلوهن ، فلا تعضلوهن -أيها الأولياء- إن طلقن .

وسرّه أنه ذكر الطلاق أولاً وما يترتب عليه ثانياً ؛ تحذيراً من الوقوع في العضل ؛ لما فيه

من ظلم للمرأة ، وامتهان كرامتها .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف يتجلى في عظمة الخطاب الإلهي المتضمن

الحرص على العمل بما يوجبه النهي في ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾^(٣) ؛ لما فيه من حفظ حق

(١) ينظر : الموضوع السابق بتصرف .

(٢) نظم الدرر ٣/٣٢٤ وما بعدها .

(٣) والعضل هو : «هو أسوأ المنع ، من عضلت الدجاجة إذا نشبت بيضتها فيها حتى تهلك » . تراث أبي الحسن

الحرالي في التفسير ، ص ٤٠٣ .

المطلقة في الرجعة إلى زوجها بعقد نكاح جديد يوجب لها حقها ويحفظ كرامتها ،
فالإيمان يحرم على الأولياء عضل المرأة نهيًا عن إيقاع المضرة بها ^(١) ظلمًا وقسرًا لحماية
الجاهلية ^(٢) ، وهذا ما كشفته المعاني الجوهرية المتمثلة في الركنين المذكورين ، فالقول
بالحذف يرشد إليه السياق التزليلي ^(٣) ؛ لما فيه من لطيف المعاني الباعثة في النفوس
الرحمة والطف بالنساء ، والساعية إلى صيانة المرأة بحفظ حقها في الشرع ، كما أن
في الحذف تثقيفًا للأولياء -جميعًا- ، يرشدهم إلى سماحة الإسلام في الرقي من أخلاق
الجاهلية إلى أخلاق الإسلام بفرض النهي ، و"تهويل أمر العضل بأن من حق الأولياء
أن لا يحوموا حوله ، وحق الناس كافة أن ينصروا المظلوم" ^(٤) .

أهل العلم على خلاف في مرجع الضمير: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ^(٥) ،
وقيل : "الأولياء والأزواج . وقيل : الناس كلهم ، والمعنى : لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر ،

(١) ينظر : جامع البيان ٢/٤٨٤ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ١/٢٢٩ .

(٣) سبب التزول . ينظر : جامع البيان ٢/٤٨٤ وما بعدها .

(٤) إرشاد العقل السليم ١/٢٢٩ .

(٥) ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ، قيل : نزلت في كل من منع امرأة من نسائه عن النكاح
بغيره إذا طلقها ، وقيل : في معقل بن يسار ... ، فعلى السبب الأول يكون المخاطبون هم الأزواج ، وعلى
السبب الثاني الأولياء ، وفيه بُعد ؛ لأن نسبة الطلاق إليهم هو مجاز بعيد ، وهو أن يكون الأولياء قد تسببوا في
الطلاق حتى وقع ، فنسب إليهم الطلاق بهذا الاعتبار ، ويبعد جدًا أن يكون الخطاب في : ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ﴾
للأزواج ، وفي ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ، للأولياء ؛ لتنافي التخاطب ، ولتنافر الشرط والجزاء ، فالأولى ، والذي
يناسبه سياق الكلام : أن الخطاب في الشرط والجزاء للأزواج ؛ لأن الخطاب من أول الآيات هو مع الأزواج ،
ولم يجر للأولياء ذكر ؛ ولأن الآية قبل هذه خطاب مع الأزواج في كيفية معاملة النساء قبل انقضاء العدة ،
وهذه الآية خطاب لهم في كيفية معاملتهم معهن بعد انقضاء العدة ، ويكون الأزواج المطلقون قد انتهوا عن
العضل ؛ إذ كانوا يفعلون ذلك ظلمًا وقهراً وحمية الجاهلية ، لا يتركونهن يتزوجن من شأن من الأزواج ، وعلى
هذا يكون معنى : ﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي : من يردن أن يتزوجنه ، فسموا أزواجًا باعتبار ما يؤولون
إليه ، وعلى القول بأن الخطاب للأولياء يكون أزواجهن هم المطلقون ، سمو أزواجًا باعتبار ما كانوا عليه ،
وإن لم يكونوا بعد انقضاء العدة أزواجًا حقيقة . ينظر : البحر المحيط ٢/٢٢٢٠ .

فإنه إذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا الفاعلين له ^(١)، ومنهم من حمل الآية على الالتفات في كون مرجع الضمير : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ للأزواج ، ثم التفت إلى الأولياء : ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ^(٢) .

*

- إرشاد العقل إلى تدبر الحكمة من تحقق المنع من وطء الحائض .

- القول بالاحتباك .

يكشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالمحافظة على أسمى الحقوق الإنسانية النبيلة بين الزوجين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْرَضُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ احتباك أساسه تغاير أوجه القراءة في الآية ^(٣) ، لذا فالمحذوف من الطرف الأول (يتطهرن) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَطَهَّرْنَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فإن طهرن) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَطْهَرْنَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإن طهرن وتطهرن فأتوهن" ^(٤) .

وسرّه أنه ذكر قاعدة الحكم الشرعي حرصاً على سلامة المسلم الحسية والمعنوية .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تنقيف النفوس ؛ لمعرفة حد الشرع فيما يجب عليهم تجاه وطء الحائض ، وبيانه متوقف على الجمع بين القراءتين : "ف(طَهَّرَ) يستعمل فيما لا كسب فيه للإنسان ، وهو : انقطاع دم الحيض . وأما (تَطَهَّرْنَ) فيستعمل

(١) تفسير البيضاوي ٥٢٢/١ ، والكشاف ٣٦٩/١ ، والحرر الوجيز ٣١٠/١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٢٢٢/٢ .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (يَطْهَرْنَ) خفيفة ، وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر والمفضل ، وحمزة

والكسائي : (يَطْهَرْنَ) مشددة . ينظر : الحجة للقراء السبعة - أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين

ذكرهم أبو بكر بن مجاهد - لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه :

كامل مصطفى الهنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -

٢٠٠١م) ٤٣٨/١ .

(٤) المترع البديع ، ص ١٩٧ .

فيما يكسبه الإنسان ، وهو : الاغتسال بالماء"^(١) . فالقول بالاحتباك تضمن معاني لطيفةً جليلاً تدعو في المقام الأول إلى تأصيل مبدأ إرشاد الأزواج ، وتوجيه سلوكهم مع زوجاتهم مدة الحيض^(٢) ، وقد تبين بهذا الإرشاد والتوجيه سر من أسرار التزويل ، تمثل في وجوب احترام نظرة الشرع والعمل بمقتضاه ، ثم بيان ما ينبغي على الزوج التزامه في حق زوجته وقت حيضها . فبأصل النظم تحققت القاعدة الأم التي ينبغي مراعاتها ، وتمثلت في الركنين المذكورين : ﴿حَتَّى يَطْهُرَنَّ فَإِذَا تَطَهَّرَنَّ﴾ ، ولكن المنهج القرآني التربوي الحكيم يرشد إلى الحالة الأمثل ، والمنهج الأقوم ؛ مراعاة للكمال في التطهر ؛ للوصول إلى مرحلة أرفع فيه ، وهي غسل جميع البدن كغسل الجنب^(٣) ، دون الاقتصار على مكان الأذى^(٤) . والحاصل من ذلك أنّ رأي الشافعي على قراءة التخفيف يكون مبنياً على أنّ التقدير في الأصل : (ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) ، واقتصر في كل من المتقابلين على ذكر أحدهما لدلالة المذكور على المحذوف في كل منهما ، وهذا هو ما تؤيده قراءة التشديد ، فصارت القراءة الثانية مؤيدة لهذا التقدير ، كما يؤيده : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرَنَّ فَأَتُوهُنَّ﴾ . ومذهب الشافعي يميل إلى وجوب الكمال ؛ لما فيه من مراعاة الفطر السامية التي تنفر من الإتيان دون أن تكون الزوجة في أحسن حالتها ، وعلى ذلك معظم فقهاء الأمصار . وعلى أي حال فإن رأي الشافعي قد عمق دلالة الأسلوب على قراءة التخفيف بحيث اشتمل على انقطاع الدم والاعتسال معاً ، واكتفي بذكر واحد في الطرفين ؛ لشمولهما للأمرين ؛ مما يعني عن ذكر المحذوفين اللذين لا يحسن ذكرهما في الأسلوب الفصيح العلي ، وهذا هو ما تعضده قراءة التشديد كما تعضده نهاية الآية ؛ لأنها تبغي الكمال ، ولأن صيغة الأمر من الله تعالى لا تقع إلّا على الوجه الأكمل... وهكذا أفادتنا قراءة التخفيف فائدة مضاعفة من الحذف الذي يبدو في ظاهره كأنه نقصان ، وهو

(١) تفسير آيات الأحكام ١-٢/٢٤٢ .

(٢) ينظر : تأملات في سورة البقرة ٣/١٢٧٩ .

(٣) هذا ما أجمع عليه جمهرة من العلماء من أمثال : الإمام مالك ، والشافعي ، والطبري وغيرهم . ينظر : جامع

البيان ٢/٣٨٥ ، والبحر المحيظ ٢/١٧٨ ، وتأملات في سورة البقرة ٣/١٢٧٦ .

(٤) قال به الإمام ابن حنيفة . ينظر : الموضوع السابق .

في الحقيقة غاية التمام وآية الكمال^(١) . كما نتج عنه نوعٌ من الإيجاز الدقيق ، وهذا يلحظ بعقد المقارنة بين أصل النظم قبل التقدير : ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ ، وبعده : (ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن ، فإن طهرن وتطهرن فأتوهن) ، وتلمس الفرق بينهما في الذهن إذ يكشف عن مدى كثافة المعنى وعمقه ، كما كشف عن حرص التشريع الإسلامي على تطبيق مبدأ الكمال في كل شيء ؛ لأنه دين الجلال والجمال ، والكمال ، وهذا مقصد من مقاصده^(٢) .

*

- إرشاد العقل إلى مراعاة حق الزوجين .

-القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي ، يتعلق بمراعاة حق الزوجين بعضهما تجاه بعض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْمَطْلَقَاتُ يَرِيصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللِّرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨ م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ﴾ احتباك اقتضاه السياق ، فالحذوف من الطرف الأول (عليهم) - أي : (لأزواجهن) - ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيْنَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لهم) - أي : (على أزواجهن) - ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَهُنَّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ولهن عليهم مثل الذي لهم عليهن" أو : "ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن"^(٣) .

وسرّه أنه ذكر ما لهن وما عليهن من حقوق أملاً في الرجعة إلى عصمة الزوج ، ومن جانب آخر فإن "الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال ، وتشبيهه بما للرجال على النساء ؛ لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة ، مسلمة من أقدم عصور البشر ، وأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه ، أو كانت متهاوناً بها ، وموكولة إلى مقدار حظوة

(١) ينظر : مقال من صور الحذف البليغ ٣/١٢٨٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : تأملات في سورة البقرة ٣/١٢٨٠ بتصرف .

(٣) البحر المحیط ٢/١٨٩ ، والتحرير والتنوير ٢/٣٩٦ ، وبلاغة الاحتباك في القرآن الكريم ، ص ٢١ .

المرأة عند زوجها ، حتى جاء الإسلام فأقامها ^(١) ؛ تذكيراً بمدى أهميتها ، وتنبهاً للعمل بها .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إثبات العدل والمساواة في حق كل من الزوجين بعضهما تجاه بعض ؛ مراعاةً للعمل بمقتضى الشرع ، وهذا الحكم صيغ بطريقة في غاية التناسق والترابط في سياق الحديث عن عدة المطلقات وما لهن من أحكام ، خصوصاً عند تفكك عرا الزوجية بينهم ؛ تذكيراً بما على المرأة من حقوق في فترة التربص ^(٢) ، لذا أوجز اللفظ مراعاةً لحال النفس المتقبلة له . فليس الزواج في الشرع عقد تمليك ؛ وإنما هو عقد يوجب على الزوج حقوقاً للمرأة كما يوجب على المرأة حقوقاً للزوج ^(٣) ، "ألا إن لكم على نساءكم حقاً ، ولنساءكم عليكم حقاً" ^(٤) .

فالقاعدة الأم لبيان حقوق الزوجيين تمكنت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : في لفظ (عليهن) ، والثاني : في لفظ (لهن) ؛ إذ أفادت إيضاح نظرة الشرع في فرض مبدأ المماثلة في الوجوب ، لا في جنس الفعل ^(٥) . أمّا المعاني الإضافية فنتج عنها مزيد تأكيد للمعنى عمق خاصية الائتلاف بين الزوجيين ^(٦) ؛ لذا فحمل النظم عليه أكثر دقةً وأكرم عطاءً لبيان المعنى ؛ لأنه يوقظ العقول كي تعمل بموجب الشرع على الدوام ، والآية تعم جميع حقوق الزوجية ^(٧) .

*

د - ما يتعلق بالعلاقة بالله تعالى

- تحقق الأمر بإقامة الصلاة .

(١) التحرير والتنوير ٢/٣٩٦ .

(٢) أي : «إمهال وتمكث يتحمل فيه الصبر» . ينظر : تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ٣٩٦ .

(٣) ينظر : تفسير آيات الأحكام ١-٢/٢٦٠ .

(٤) أخرجه الترمذي - بنصه - في سننه ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣/٤٦٧ ،

رقم (١١٦٣) ، و برقم (٣٠٨٧) ، وقال : «حسن صحيح» .

(٥) أهل العلم من المفسرين اختلفوا في تحديد هذه المماثلة . ينظر : البحر المحيط ٢/٢٠٠ .

(٦) ينظر : روح المعاني ٤/٢٥٦ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز ١/٣٠٥ .

– القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن بيان قاعدة شرعية تمثلت في إتمام العبودية لله وحده ، وذلك في قوله

تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي

أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُمَّتِنَا قُلْ إِيَّاكَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ

الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلنُّسْلِمِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿

(الأعام: ٧١-٧٢، ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَمْرًا لِلنُّسْلِمِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

احتباك تنامي في السياق القرآني "حذف الصلاة أولاً ؛ لدلالة ذكرها ثانياً ، والإسلام ثانياً ؛

لدلالة ذكره أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الصلاة) ؛ لدلالة ذكر

﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الإسلام) ؛ لدلالة ذكر

﴿ وَأَمْرًا لِلنُّسْلِمِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أمرنا لنسلم ونقيم الصلاة لرب العالمين ،

وأن أسلموا وأقيموا الصلاة (٢) .

وسرّه أنه ذكر أعلى مراتب التوحيد تنبيهاً على أهمية الأمر به ، وأنه سبب السعادة لمن

أرادها ، ثم ذكر عماد ذلك ترغيباً فيه وفي القيام بها على أكمل وجه للوصول إلى تلك

السعادة الأبدية .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل ، به توثقت عرا

الإيمان الكامل في النفوس ، وهو : وجوب الاستسلام لرب العالمين ، فهو وحده الذي

يستسلم له العالمون ، والعالم كلها مستسلمة له ، -فما الذي يجعل الإنسان يشذ عن

الاستسلام لهذه الربوبية الشاملة التي تستسلم لها العوالم في السماوات والأرضين؟ (٣) ، وهذا

تمثل في علو دلالة الأمر في خطاب الشرع مقترناً بالأحوال والملابسات التي جاءت قبله

وبعده ، وهذه الأحوال لا تظهر إلا بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة ، فهي في المقام

الأول دالة على إثبات التوحيد لله وحده بأعظم دلائله (٤) ، ثم على دقة النظر في سياق الآية

(١) نظم الدرر ١٥٣/٧ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠٥/٧ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن ١١٣٣/٧ بتصرف يسير .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ١١٧/١٢ ، ونظم الدرر ١/٧ .

الآية الذي اقتضى إبراز الأمر ؛ ليثبت معناه في نفوس أولئك المشركين الذين أمروا المؤمنين بالانصراف عن دين محمد ﷺ واتباع دينهم ، ولتعمق معناه -أيضاً- في نفوس المؤمنين ؛ لكون المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام^(١) .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة الأمر تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : الأمر بالإسلام ، والثاني : الأمر بإقامة الصلاة ، فهما كفيلا ببيان أشرف أقسام الهدى "الإسلام الذي هو رئيس الطاعات الروحانية ، والصلاة التي هي رئيسة الطاعات الجسمانية"^(٢) ، ولكن الحذف على طريق الاحتباك عمق المقصود من خلال الركنين المحذوفين ، الأول : الأمر بالصلاة ، والثاني : الأمر بالإسلام ومقابلتهما بما ذكر ؛ تأكيداً للمعنى ، وهذا أكرم عطاءً في فهم المراد : أمرنا بأن نوقع الإسلام فنتخلى عن كل هوى ، وأن نقيم الصلاة فتتحلى بفعالها أشرف حلى لرب العالمين ، وأن أسلموا وأقيموا الصلاة لوجهه^(٣) ؛ أملاً في الرجوع إلى دين الحق ، وبياناً لأهمية وجوب الإسلام والصلاة في بناء العقيدة الصحيحة . وللاحتباك -أيضاً- أثر بارز في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني ذات حُسن ، من أجلها وأطفالها : تثبيت قاعدة التوحيد ، وإثباتها لله وحده .

*

- تحقق الأمر بالاستغفار والتوبة .

- القول بالاحتباك :

يبرز التقابل عظمة الأمر ترغيباً في الحث على الاستغفار والتوبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر: ٣٠٣) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ، احتباك اقتضاه السياق^(٤) ، في الاستغفار طلب غفران

(١) ينظر : التفسير الكبير ٢٥/١٣ ، والتحرير والتنوير ٣٠٣/٧ .

(٢) في ظلال القرآن ١١٣٣/٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٥٢/٧ .

(٤) القول بالاحتباك أيده ما ورد في السنة النبوية من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : «كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ...» . ينظر : صحيح البخاري ٤/١٩٠٠، ١٩٠١ ، باب تفسير سورة : النصر ، حديث رقم : «٤٦٨٤» . وكذا بما في

لما مضى ، وفي التوبة وعد بالاستغفار فيما هو آت ، فـ"دل بالأمر بالاستغفار على الأمر بالتوبة ، وبتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار" (١) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (إنه كان غفاراً) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وتب إليه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "واستغفره إنه كان غفاراً ، وتب إليه إنه كان تواباً" (٢) .

وسرّه أنه ذكر القاعدة العظمى (الأمر بالاستغفار) ؛ لكونها مفتاح التوبة ترغيباً ، وللغفور بها ، وامتنالاً لاستجابة أمره ، وتنبهها على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود (٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ جليل تمثل في علو دلالة الأمر في خطاب الشرع مقترناً بالأحوال والملابسات التي جاءت قبله وبعده ، وهذه الأحوال لا تظهر إلا بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة ، فهي في المقام الأول "دالة على تمام الدعوة ، وكمال أمر الدين" (٤) ، ثم على دقة النظر في السياق القريب الذي برز في هيبية الأمر وجلالته في أنه ﷺ أمر بما أمر به بعد تحقق الوعد ، فرأى ما أخبره به ربه من النصر ، والدخول في الدين . لذا فدلالة الأمر تحققت في مشروعية الاستغفار بعد تحقق المراد ، "ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم ، ورعي أوقاتهم ما يفني بعليّ أجورهم كما وعدهم" (٥) ؛ حثاً على المبادرة لبلوغ أسمى مراتب الكمال ، وهذا فضل خصه الله لأنبيائه ،

صحيح مسلم عن عائشة ، قالت : «كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ من قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، قالت : فقلت : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْكَ تُكثِرُ من قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فقال : حَبْرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ من قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ رَأَيْتَهَا» . ينظر : صحيح مسلم ٣٥١/١ ، باب ما يُقَالُ في الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، حديث رقم : (٤٨٤) .

(١) نظم الدرر ٣٢١/٢٢ .

(٢) روح المعاني ٣٣١/٣٠ ، وروح البيان ٤٦٠/١٧ .

(٣) ينظر : روح المعاني ١٣١/٣٠ .

(٤) تفسير البيضاوي ٥٤٢/٥ ، ونظم الدرر ٣١٢/٢٢ .

(٥) نظم الدرر ٣١٥/٢٢ .

عليهم الصلاة والسلام^(١) ، فمحمد ﷺ لما أن جاءه نصر الله والفتح ، نسي فرحة النصر وانحنى انحناءة الشكر ، وسبح وحمد واستغفر كما لقنه ربه ، ثم إن ذلك الشعور بالنقص والعجز والتقصير والاتجاه إلى الله طلباً للعفو والسماحة والمغفرة ثمرته اعتقاد الكمال في ربه ، وليراقب المنتصر الله فيهم ، فهو الذي سلطه عليهم ، وهو العاجز القاصر المقصر . وإنما سلطه الله عليهم ؛ تحقيقاً لأمرٍ يريد به هو ، والنصر نصره ، والفتح فتحه ، والدين دينه^(٢) .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة الأمر-لبي الأمة ﷺ- تحققت في المعاني الجوهرية التي تقوم في النظم ، ويقوم النظم بها ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : استغفره يا محمد بطلب غفرانه ؛ لتقتدي بك أمتك^(٣) ، والثاني : في إعلامه أنه ﷺ تَوَّابٌ عَلَىٰ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ . فهما كفيلاً بإيضاح مشروعية الاستغفار الذي هو في الأصل التزام طلب المغفرة بشروط على أتم بيان ، وأكمل وجه ، فتوبة الله على عبده نتيجة توبته^(٤) . ولكن وراء الحذف مقاصد عظام تحققت في المعاني الإحسانية التي تهتف بالنفوس البشرية لتتطلع وترتقي إلى الكمال ، فتتجرد في لحظة النصر من حظ النفس ليذكر الله وحده^(٥) ، وهذا أكرم عطاء في فهم المراد ؛ لكون الركنين المحذوفين أسهماً أولاً في تأكيد الأمر-بالاستغفار- بأمر آخر ،

(١) مثلاً : نبي الله يوسف ﷺ في اللحظة التي تم فيها كل شيء ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِي عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠، ك)-فتوارى الجاه والسلطان وبدأ الابتهاج إلى الله ﷻ . نبي الله سليمان ﷺ رأى عرش ملكة سبأ حاضراً بين يديه : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ... ﴾ (النمل: ٤٠، ك) . وهذا هو الأدب الذي اتسمت به النبوة دائماً ، يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه ، أو تتطلع إلى هذه الآفاق دائماً . ينظر : في ظلال القرآن ٣٠/٣٩٩٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٢/٣٢٠ ، وفي ظلال القرآن ٣٠/٣٩٩٧ .

(٣) يقول بعض أهل العلم في تأويل ما يستغفر منه النبي ﷺ في هذه الآيات : «الاستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح ، وفرحة الظفر بعد طول العناء . وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري . فمن هذا يكون الاستغفار . والاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه في فترة الكفاح الطويل والعناء القاسي ، والشدة الطاغية والكرب الغامر ، من ضيق بالشدة ، واستبطاء لوعده الله بالنصر ، وزلزلة : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

وَالضَّرَّاءُ وَرَزَقُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعِيَ نَصْرُ اللَّهِ ۗ لَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤م) - فمن هذا يكون الاستغفار . في ظلال القرآن ٣٠/٣٩٩٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٢/٣٢٠ بتصرف .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ٣٠/٣٩٩٧ بتصرف .

هو : التوبة في (وتب إليه) التي تحقق معناها في : ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ، وثانيًا في تأكيد علة الأمر بعله أخرى ، هي : (إنه كان غفارًا) التي تحقق أصلها في الأمر بها في ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ لإبراز سعة الكرم واللفظ الإلهي الجميل في طلب الاستغفار والتوبة منه ﷻ .

وللاحتباك -أيضًا- أثرٌ بارز في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني ذات حسن ، من أجلها وألطفها : تعمق مشروعية الاستغفار والتوبة عند تحقق المراد ، ومع ذلك حافظ التركيب على جماله . وهذا يُعد وجهًا من وجوه فهم المعنى ، اعترض عليه الشهاب الخفاجي قائلاً : "لا وجه لجعله احتباكًا" (١) ، وما ذهب إليه الخفاجي فيه نظر ؛ لأنَّ القول بالاحتباك لا يفسد النظم ، وإن لم يقل به جمهرة المفسرين . بل يبرز جليل أثر في النفس وفي المعنى .

ومن أبرز لطائف النظم بجانب الاحتباك : إيثار التعبير بصيغة (فعالًا) في : ﴿تَوَّابًا﴾ "دلالة على قبول توبة الخلق منذ خلق المكلفين ، فليكن المستغفر التائب متوقعًا للقبول" (٢) ، فهو منظور فيه إلى كثرة من حاز التوبة ، ثم إنَّ "التواب في حق الله تعالى أنه يقبل التوبة كثيرًا ، فيجب على العبد أن يكون إتيانه بالتوبة كثيرًا" (٣) ، فهو منظور إلى تعدد عطاء التوبة من الله للعبد الواحد. ثم "اختيار ﴿تَوَّابًا﴾ على (غفارًا) مع أنه الذي يستدعيه (استغفره) ظاهرًا ؛ للتنبيه على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة" (٤) ، ثم العدول عن مقتضى الظاهر في : ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ففقتضى الظاهر أن يقال : (إنه كان غفارًا) ، كما في : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠٠، ك) ، فيُجرى الوصف على ما يناسب قوله : ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ ، فعدل عن ذلك تطفأً مع النبي ﷺ بأن أمره بالاستغفار ليس مقتضى إثبات ذنب له (٥) ، وفيه بشرى بالعون ؛ لأن في توبة الله على عبده عونًا له في

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ٤٠٧/٨ .

(٢) روح المعاني ١٣١/٣٠ .

(٣) التفسير الكبير ١٥٠/٣٢ .

(٤) روح المعاني ١٣١/٣٠ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ٥٩٧/٣٠ وما بعدها .

في أيامة المقبلة بالحفظ من المعاصي .

*

- تحقق الأمر بالتبتل والخلوص إلى الله .

- القول بالاحتباك:

يبرز التقابل أهمية الذكر ترغيباً للإخلاص فيه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (الزمر: ٨، ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ احتباك اقتضاه السياق "ذكر فعل (التبتل) دليلاً على حذف مصدره (تبتلاً) ، وذكر مصدر (بتل) دليلاً على حذف فعله (يبتلك)"^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تبتلاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يبتلك) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَبْتِيلاً﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "تبتل إليه تبتلاً يبتلك عما سواه تبتيلاً ، والأنسب : يبتلك اسم ربك بفناء صفاتك وأفعالك وتبتل إليه تبتيلاً بفناء ذلك وبقاء ذاته"^(٢) .

وسره أنه مبدأ الأمر ومنتهاه ، المتمثل في صيغة التفعّل أولاً ، ثم التفعيل ثانياً .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز دلالة الأمر "بالذكر الخاشع

المتبتل"^(٣) ، وهيبة هذا الأمر وجلالته تظهر بصورة أكثر دقة بعد مراعاة السياق العام للسورة ، فهي في المقام الأول داعية إلى النهوض بالطاعة وإخلاصها لله رب العالمين ، ثم إلى دقة النظر في السياق القريب المتمثل في الأمر بالتبتل والتبتيل ، فناسب الخطاب حالة الرسول ﷺ ؛ إذ خاطبه ربه بهذا في أول فترات الوحي قبل تبليغ الرسالة^(٤) ؛ "إعلاماً بأنه ﷺ من ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص"^(٥) . فكان ذكر الأمر بـ ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أنسب بمقام الخطاب ؛ لأنه يتطلب من النفس الخلوص إلى الله ، والانقطاع في ذلك بالعبادة والذكر كما أمر ﷺ ؛ وللاستعداد لتحمل التكاليف العظيمة الشاقة التي تتطلب الصبر والجلد .

(١) نظم الدرر ١٥/٢١ .

(٢) روح البيان ٢٠٧/١٦ .

(٣) في ظلال القرآن ٣٧٤٦/٣٠ .

(٤) ينظر : تفسير البغوي ٤٠٦/٤ .

(٥) البحر المحيط ٣٥٢/٨ وما بعدها .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة الأمر-لنبي الأمة ﷺ- تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : صيغة التفعّل في (تبتل) ، والثاني : صيغة التفعيل في (تبتيلًا) ، فهما يتضح مبدأ جليل ينمي في النفوس مبدأ الإقبال على العمل بموجب الأمر-خصوصاً في خطاب الشرع- وهو البدء بالتدرج شيئاً فشيئاً ، وهذا ناتج من أن كلمة (تبتل) تفيد التدرج في العبادة ، ومصدر الفعل (بتل) وهو : (تبتيلًا) دال على التكثير ، فأثر القرآن التعبير الأول بصيغة الفعل ، ثم بمصدر فعل آخر ؛ "لتجمع بين التدرج ، والتكلف ، والمبالغة ، والتكثير ، فالتبتل هو : الانقطاع إلى الله في العبادة ، وقد علمنا ﷺ أن نبدأ بالتدرج في العبادة شيئاً فشيئاً ، ثم ندخل في التكثير ولا ندخل في العبادة الكثيرة مباشرة ؛ لأن التدرج في العبادة يؤدي إلى الكثرة فيها فيما بعد ، وهذه هي الطريقة التربوية للعبادة تبدأ بالتدرج وتحمل نفسك على العبادة شيئاً فشيئاً ، ثم تنتهي بالتكثير والكثرة في العبادة . والتدرج والتكلف جاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ﴿ وَتَبَتَّلْ ﴾ ، ثم جاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت ﴿ تَبَتُّلًا ﴾^(١) . وهذا المعنى يتضح في المعاني الإحسانية في الركنين المذكورين ، الأول : مصدر الفعل (تبتل) ، وهو : (تبتلًا) ، والثاني : الفعل من المصدر (تبتيلًا) وهو : (بتل) ، فهما أسهما في تأكيد الأمر ، وتعمق معناه من خلال الجمع بينهما .

وللاحتباك-أيضاً- أثرٌ بارز في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني من أجلها : تعمق مشروعية الانقطاع إلى العبادة والتدرج فيها ؛ لتصل النفس مراتب الكمال في ذكر الله كما ينبغي .

*

- تحقّق الأمر بالدعاء .

- القول بالاحتباك :

من أبرز الآيات القرآنية التي تناولت جانب الأمر بالدعاء ، عبادةً وخضوعاً وتضرعاً ، قول الحق ﷻ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥، ك) ، ففي الآية

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، لفاضل صالح السامرني ، (دار عمار ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-)

الكريمة احتباك^(١) اقتضاه السياق ؛ إذ حذف من الطرف الأول (يجب المخلصين) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (لا تتركوا الإخلاص) ؛ لدلالة ذكر ﴿تَضَرَّعًا وَخَفِيَّةً﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه يجب المخلصين ، ولا تتركوا الإخلاص فتكونوا معتدين إنه لا يجب المعتدين^(٢) . وسرّه : أنه ذكر الركن الأهم في الدعاء - وهو ملازمة التذلل ظاهراً وباطناً ؛ لكونه أدل على صحة اليقين بوحداية الله^(٣) ، وأدعى إلى الإجابة ، وأبعد عن الرئي^(٤) - ؛ ليتحقق قبوله ؛ حثاً على العمل بموجب الأمر .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني في صورة الاحتباك ترشد في المقام الأول إلى لزوم العمل بمقتضى الأمر في خطاب الشرع حثاً على الإخلاص في الدعاء بقلوب خاشعة منكسرة ، تحمل في باطنها وظاهرها كمال التذلل والخضوع لله^(٥) ، فتحقق بالحذف ترسيخ مبدأ الإخلاص في العبادة ، فشرط الدعاء أن يجمع البشر ، إلى خضوع الظاهر ، خضوع الباطن وفاءً بحق الله عليهم ، "إنه يجب المخلصين ؛ لأن تفرد به بأن يدعى هو اللائق بمقام عز الربوبية ، والتذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية... فالعبد لا يدعو إلا وقد استحضر من نفسه الذل والحاجة ، ومن ربه العلم والقدرة والكفاية ، وهذا هو المقصود من جميع العبادات ، فلهذا كان الدعاء مخ العبادة " ^(٦) ، فلخطاب بـ : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ خاص بالمسلمين ؛ لأنه تعليم لأدب دعاء الله تعالى وعبادته^(٧) ، فدلالة الأمر حققت معنى جليلاً - أبرزه الحذف - فهو يرشد إلى عدم رفع الصوت في الدعاء فوق الحد الذي حدّه لعباده في دعائه ومسألته^(٨) ، "إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً! إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو

(١) ينظر : نظم الدرر ٤١٩/٧ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٠٦/٨ .

(٤) ينظر : البحر المحیط ٣١٢/٤ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٠٦/٨ وما بعدها بتصرف .

(٦) نظم الدرر ٤١٩/٧ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير ١٧١/٨ .

(٨) ينظر : جامع البيان ٢٠٧/٨ .

معكم" (١) ، فارقوا بأنفسكم وأقصروا من الصياح في الدعاء (٢) ، فالعمل بما يُوجبه الأمر طاعة لله ﷻ ، بما يحصل صلاح الدنيا وفلاح الآخرة ، فتتخلص الأعمال من الرياء والسمعة (٣) ، فـ"الشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرًا من الجهر" (٤) ، فبتأمل وجه الاحتباك واستشعار دلالة الخطاب تتضح خاصية القرب من رحمة الله الموجبة كمال اللطف بتحقيق الإجابة (٥) ؛ "لأنّ في لفظ الرّب إشعارًا بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية ، ولتوصل بإضافة الرّب إلى ضمير المخاطبين إلى تشریف المؤمنين وعناية الرّب بهم" (٦) .

فلاحتباك كشف بدقة عن أوجه التقابل بين المعاني في دلالاتها الموحية بالمراد ، فثبت أن الركنين المذكورين ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ، و﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧) يلازمهما ركنان آخران محذوفان : (لا تتركوا الإخلاص) ، و(يجب المخلصين) ، وبذلك يبرزان هيبة المعنى ؛ لذا تحقق توجيه البشر إلى مراعاة ملازمة التضرع والخضوع في الدعاء ؛ لأنهما شعار الإخلاص ، والله يحب المخلصين ، "فإن الإخفاء دليل الإخلاص" (٨) ، وتركهما وتركهما فيه خروج عن العمل بالأمر الإلهي ، والله لا يحب المتجاوزين للحد ، فـ"سيكون قوم يعتدون في الدعاء" (٩) ، فيطلبون مالا ينبغي ولا يليق (١) .

(١) أخرجه بنصه البخاري في صحيحه ، كتاب : «الدعوات وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ، باب : الدعاء إذا علا عقبه ، ٢٣٤٦/٥ ، رقم : (٦٠٢١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٣٣/٣ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٢٣/٧ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١٧١/٨ .

(٦) الموضوع السابق .

(٧) «الاعتداء في الدعاء على وجوه ، منها : الجهر الكثير والصياح ، ومنها : أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة

نبي ، أو يدعو في محال ، ومنها : أن يدعو طالباً معصية وغير ذلك ، ومنها : أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة... وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء» . الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٢٦/٧ .

(٨) ينظر : تفسير البيضاوي ٢٧/٣ .

(٩) أخرجه بنصه ابن ماجه في سننه ، كتاب : الدعاء ، باب : كراهية الاعتداء في الدعاء ١٢٧١/٢ ، رقم (٣٨٦٤)

من حديث ابن عبد الله بن مفلح ﷺ . قال الألباني : «صحيح» . صحيح سنن ابن ماجه ٣٣١/٢ ، رقم :

– القول بشبه الاحتباك:

في موضع آخر يبرز الحذف أهمية الأمر بالدعاء ؛ لكونه أصل العبادات كلها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠، ك) ، ففيه شبه احتباك "ذكر الدعاء أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والعبادة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً" (٢) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تعبدوني) ؛ لدلالة ذكر ﴿عِبَادَتِي﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (دعائي) ؛ لدلالة ذكر ﴿ادْعُونِي﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ادعوني بأن تعبدوني وحدي أستجب لكم ما دعوتم به ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي ويعرضون عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين .

وسرّه : أنه ذكر أصل العبادة حثاً على العمل بمقتضى الأمر مع الإخلاص فيه . فالقول بالحذف يبرز عظمة الأمر في خطاب الشرع ، ويشير إلى سعة رحمة الله بعباده في استجابة الدعاء وجعله أصل العبادة ، وهذا المقصود يظهر بصورة أدق في تصور المعنى بعد رعاية السياق العام بما يُقرره من إثبات حقيقة الله المتمثلة في أنه لا يقدر على غفران ما يشاء ولمن يشاء إلا كامل العزة وشامل العلم (٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إثبات الأمر بالدعاء الذي هو العبادة . فالقيمة الحقيقية تمثلت في علو دلالة الأمر بالدعاء ، ثم في تسميته عبادة ، ثم في الوعد الصادق بالاستجابة ، اعبدوني وأخلصوا لي العبادة أُجِبْ دعاءكم ، فأعفو عنكم وأرحمكم ، وهذا متحقق بالمعاني الجوهرية التي تقوم بالنظم ويقوم النظم بها ،

(٣١١٦) .

(١) ينظر : تفسير البيضاوي ٢٧/٣ .

(٢) نظم الدرر ١٧/١٠٠ .

يقول ابن عاشور : «فلما جمعت الآية بين الفعلين على تفاوت بين شيوع الإطلاق في كليهما علمنا أن في المعنى المراد ما يشبه الاحتباك بأن صرح بالمعنى المشهور في كلا الفعلين ، ثم أعقب بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فعلنا أن المراد الدعاء والعبادة ، وأن الاستجابة أريد بها قبول الدعاء وحصول أثر العبادة . ففعل ﴿ادْعُونِي﴾ مستعمل في معنياه بطريقة عموم المشترك . وفعل ﴿أَسْتَجِبْ﴾ مستعمل في حقيقته ومجازه ، والقرينة ما علمت ، وذلك من الإنجاز والكلام الجامع» . التحرير والتنوير ٤/٨١ وما بعدها .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٧/١ بتصرف يسير .

ولكنَّ في الحذف أسراراً ، منها : أن في إعلام البشر بما يُوصلهم إلى رضا الله ودخول جناته نعمة عليّة يحسُن مراعاتها والعمل بها ، فالدعاء مأمّن من غوائل الدنيا ، به يسعد المرء في حياته ؛ لأن الله أوجب على نفسه أن يُجيب من دعاه وأخلص له في ذلك ^(١) ، فليعلم المرء أن الدعاء نصف العبادة ، بل العبادة كلها ^(٢) ، ثم يعمل حريصاً جاداً في أهم المهمات التي أمرَ بها أمراً إلهياً مبدؤه صلاحه ، ونهايته فلاحه . وفي الحذف -أيضاً- دعوة تنمي في القلب معرفة الله بوسع فضله وكريم عطفه وجليل لطفه ، فإذا أدرك المرء صفات ربه عرف علو قدره فترك ما يغضبه وعمل على توحيده ، وهذا أجود في فهم المراد ؛ لأن الركنين المحذوفين أسهما في تأكيد هبة أمر الله " إذ أمرهم بالدعاء ووعدهم الاستجابة ، وليس بينهما شرط " ^(٣) ، ففي القيام بأمر الله خضوع ، والاستسلام ينفي الشرك ^(٤) ، فجعل الدعاء عبادة -إنَّ عِبَادَتِي دُعَائِي - ، واستغفاراً بالإخلاص فيهما تكون الإجابة والعفو والرحمة والغفران ^(٥) ، وفي هذا بشارة عظمى لبني البشر عامة تعمق في قلوبهم مبدأ القيام بمراعاة حق الله -الدعاء- والإخلاص فيه ؛ لذا آثر التعبير بـ ﴿لَكُمْ﴾ في ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

*

- تحقّق الأمر بالصلاة على النبي ﷺ .

- القول بالاحتباك :

يقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦م) . ففي قول الحق ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ، احتباك "حذف التأكيد أولاً لفعل الصلاة لما دل عليه من التأكيد بمصدر السلام ، وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه ﷺ ، وليصلح أن يكون عليه وأن يكون له . فيصلح أن تجعل التسليم بمعنى الإذعان " ^(٦) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تصلية) ؛ لدلالة

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٧٨/٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٧٩/٢٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٢٧/١٥ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ٧١/٢٧ بتصرف يسير .

(٥) ينظر : جامع البيان ٧٩/٢٤ وما بعدها .

(٦) نظم الدرر ٤٠٩/١٥ .

ذكر ﴿تَسْلِيمًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يسلمون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُصَلُّونَ﴾ في الطرف الأول . والأصل "صلوا عليه تصلية ، وسلموا عليه تسليمًا" (١) .
فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تمثلت في علو دلالة الأمر في خطاب الشرع حثاً على المبادرة بالاستجابة ، والعمل بموجب النداء المتضمن وجوب الأمر بالصلاة والتسليم على نبي الأمة ﷺ ؛ تعظيماً وتشريفاً له .

فالقاعدة الأم لفقهاء دلالة الأمر تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : الأمر بالصلاة عليه ﷺ في كل حين عند ذكر اسمه ، والثاني : في الأمر بالسلام عليه ﷺ ، أما المعاني الإضافية فقد تمثلت في الركنين المحذوفين ، الأول : في تأكيد وجوب الصلاة في (صلوا عليه تصلية) ، والثاني : في تأكيد متعلق السلام عليه في (سلموا عليه تسليمًا) ، فلم تُضف إلى أصل النظم جديداً سوى الإيجاز والاختصار ؛ فالقول به - أي : الاحتباك - يُعد وجهاً من وجوه فهم المعنى ليس بالضرورة أن يصار إليه ، وهذا ما أجمع عليه جمهور المفسرين ، فالتسليم جاء مؤكداً بخلاف الصلاة ؛ ليكتمل السلام عليه ، ولم يؤكد الصلاة - بالمصدر - ؛ لأنها كانت مؤكدة بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (٢) .

*

- تحقق الأمر بامتنال الإسلام .

- القول بالاحتباك :

في قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَمَ تُوْمِنُوْا وَلَكِن قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ (الحجرات: ١٤م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ لَمَ تُوْمِنُوْا وَلَكِن قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا﴾ احتباك "نفى الإيمان الشرعي أولاً يدل على إثبات الإسلام اللغوي ثانياً ، والأمر بالقول بالإسلام ثانياً يدل على النهي عن القول بالإيمان

(١) روح المعاني ٢٢/٨٠ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ٢٥/١٩٧ .

أولاً^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا تقولوا آمنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿قُولُوا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ولكن أسلمتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَمْ تُوْمِنُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "قل لم تؤمنوا ، فلا تقولوا آمنا ، ولكن أسلمتم ، فقولوا أسلمنا"^(٢) .

وسرّه أنه ذكر ما دل على الباطن أولاً ؛ ثم ما دل على الظاهر ثانياً ؛ لكونهما أحق برعاية السياق والمقام . فالمقام يستدعي كشف حقيقة أولئك الأعراب الذين أظهروا إيمانهم وهم ليسوا بمؤمنين ؛ لأنهم صدقوا بألسنتهم ولم يصدقوا بفعالهم ؛ لذا أمروا بأن يقولوا : ﴿قُولُوا﴾ ﴿أَسْلَمْنَا﴾ فالإسلام قول ، والإيمان قول وفعل^(٣) ، ثم إن إطلاق مسمى الأعراب عليهم أولى بمقام التذكير والحث على أنهم قبلوا ما جاء به الرسول خوفاً على أنفسهم - وهذه صفة المنافقين - ، فلم يسموا مهاجرين كما يريدون^(٤) ، والسياق يرشد إلى تذكيرهم حقيقة ما هم عليه من انتقال الإيمان بمجرد الكلام دون العمل^(٥) ، وبهذا الأمر يتضح لهم أن الإيمان أخص من الإسلام في علو الرتبة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تأصيل مبدأ الدخول الحقيقي في الدين ، وهذا تمثل في دلالة النهي والأمر في خطاب الشرع ، فدلالة النهي والأمر تبرز بصورة أكثر دقة بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة ، فهي في المقام الأول تقدم أصولاً وتوجيهات تربوية داعية لامتثال القيم والآداب ؛ لكونها الأس الجامع في تعلم تلك الآداب ، ومن ثم التمرن عليها^(٦) ، ثم على دقة النظر في السياق القريب الذي اقتضى إبراز الأمر والنهي ، أولاً في : ﴿قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا﴾ ، ثم في الاستدراك بـ : ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ .

فالقاعدة الأم لفهم دلالة النهي والأمر - لهؤلاء الأعراب - تحققت في المعاني الجوهرية ،

(١) نظم الدرر ٣٨٦/١٨ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ٨٢/٨ ، وروح المعاني ١٦٨/٢٨ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٤١/٢٦ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٤٨/١٦ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) ينظر : جامع البيان ١٤١/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٤٨/١٦ ، والبحر المحيط ١١٦/٨ ، ونظم

الدرر ٣٤٩/١٨ بتصرف .

وتمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : نهيهم عن القول بأنهم مؤمنون ، والثاني : في أمرهم بالقول بأنهم مسلمون ، فهما كفيلا بإيضاح علة النهي عن ادعاء الإيمان ، والأمر بما أظهره من الإسلام ؛ لأن شطر الدخول في الدين الإيمان الذي محله القلب ، أما إظهار الشهادتين فدليله الإسلام ، ومحله اللسان ، "فدل على أن الإيمان ليس الإسلام ، فإن الإيمان باطن ، والإسلام ظاهر"^(١) . ولكن الحذف جارٍ على مقتضى الظاهر ؛ لتحصل المقابلة بين أطراف القول^(٢) ، فالركن الأول : (لا تقولوا آمنا) ، والركن الثاني : (ولكن أسلمتم) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن ترك هذا الوجه من الحذف أبلغ^(٣) ؛ لما تحقق في أصل النظم من مزايا ، "فإنهم ادعوا الإيمان فنفي عنهم ، ثم استدرك عليه فقال : ادعوا ادعاء الإيمان وادعوا الإسلام ؛ فإنه ينبغي أن يصدر عنكم ما فيه ، فنفي الإيمان أثبت لهم قول الإسلام دون الاتصاف به ، وهو أبلغ مما ذكر من الاحتباك ، مع سلامته من الحذف بلا قرينة"^(٤) . و"كذا فإنه عدل عن الظاهر اكتفاءً بحصولها من حيث المعنى ، مع إدماج فوائد زوائد ، بيان ذلك أن الغرض المسوق له الكلام توبيخ هؤلاء في مننهم بإيمانهم بأنهم خلوا عنه أولاً ، وبأنهم الممتنون إن صدقوا ثانياً ، فالأصل في الإرشاد إلى جوابهم : قل كذبتهم ، ولكن أخرج إلى ما هو عليه المتزل ؛ ليفيد عدم المكافحة بنسبة الكذب ، وفيه حمل له ﷺ على الأدب في شأن الكل ؛ ليصير ملكة لأتباعه ، وأن لا يلبسوا جلد النمر لمن يخاطبهم به ، وتلخيص ما كذبوا فيه . ومن الدليل على أنه الأصل قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: ١٥م) ، تعريضاً بأن الكذب منحصر فيهم ، وأوثر على : لا تقولوا آمنا ؛ لاستهجان ذلك ، لاسيما من النبي ﷺ المبعوث للدعوة إلى الإيمان ، على أن إفادة ﴿لَمْ تُوْمِنُوا﴾ لمعنى (كذبتهم) أظهر من إفادة : لا تقولوا آمنا كما لا يخفى ، ثم قوبل بقوله : ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ كأنه قيل : قل لم تؤمنوا ، فلا تكذبوا ، ولكن قولوا أسلمنا ؛ لتفوزوا بالصدق إن فاتكم الإيمان والتصديق ، ولو قيل : ولكن أسلمتم ، لم يؤد هذا المعنى ، وفيه تلويح بأن

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٤٣/٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني ١٦٧/٢٦ .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي ٢٢٠/٥ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٨٢/٨ .

(٤) الموضوع السابق .

إسلامهم - وهو خلو عن التصديق - غير معتدّ به ، ولو قيل : ولكن أسلمتم ، لكان ذلك موهماً أن ذلك معتدّ به ، والمطلوب كماله بالإيمان ، ولا يحتاج هذا إلى أن يقال : القول في المتزل مستعمل في معنى الزعم " (١) ؛ لذا يستحسن حمل النظم على أصله دون تقدير .

*

- تحقق الأمر ببيان حكم الحج .

- القول بالاحتباك :

كشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو أداء فريضة الحج ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّهِيْمٌ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧م) . ففي قول الحق **وَعَلَى اللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ** احتباك "لأن إثبات فرضه أولاً يدل على كفر من أباه ، وإثبات (ومن كفر) ثانياً يدل على إيمان من حجه " (٢) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (كان مؤمناً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن لم يحج مع الاستطاعة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ من الطرف الأول . وتقديره : والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، فمن حج كان مؤمناً ، ومن لم يحج مع الاستطاعة كفر بالنعمة ، أو كان كافراً -بدليل سبب التزول- ، فلما نزلت آية الحج ، جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم ، فقال : يا أيها الناس ، إن الله **وَعَلَى كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحَجُّوا** ، فأمنت به ملة واحدة ، وهي من صدق النبي ﷺ وآمن به ، وكفرت به خمس ملل ، قالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلي إليه ، ولا نستقبله (٣) . فأنزل الله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ومن جهة أخرى تكشف أن المراد بقوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ ، أي : كفر بالله ، أنه أوجب تعالى الحج ، ثم أتبعه بـ ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فهم منه أن هذا الكفر هو ترك ما تقدم -الحج مع الاستطاعة- ، فالغرض التنفير من ترك فريضة الحج ، والتغليظ على المستطيعين ؛ حتى يؤديها (٤) . وسره أنه ذكر الحكم

(١) روح المعاني ١٦٧/٢٦ .

(٢) نظم الدرر ١٠/٥ .

(٣) هي : ملة مشركي العرب ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئين . ينظر : جامع البيان ٢٠/٤ .

(٤) ينظر : تفسير آيات الأحكام ١-٢/٣٣٢ وما بعدها .

الشرعي ترغيباً فيه ، وما يترتب على تاركه ترهيباً منه .
فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حكم الحج وما يترتب على فعله ،
وتركه إذا حصل شطره ، وهو : (الاستطاعة) ؛ لتقبل النفوس على العمل بمقتضاه ؛ لذا
فحمل النظم عليه عمق الدلالة على المقصود من خلال صورة التقابل التي تمثلت في فرض
الحكم الشرعي ، ثم الإشادة بنتيجة العمل به -الإيمان والكفر- ، خصوصاً وأن
السياق سياق تذكير متضمنٍ وعيداً عاماً لكل من كفر بالله^(١) ، والمقام لمن لم يعمل بمقتضى
التشريع عامة .

فالقاعدة الأم لحكم الحج تحققت في المعاني الجوهرية ، وتمثلت في الركنين المذكورين ،
الأول : لله على الناس حج البيت من استطاع ، والثاني : ومن كفر ، فهما كفيلاان ببيان
مشروعية الحج في الإسلام ؛ لما لهما من عِظَم الأهمية التي بها اتضح وجوب الحج مع
الاستطاعة ، وكما أن في التصريح بـ ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قاعدة -أخرى- كشفت نتيجة ترك
العمل بالحج مع توفر شطره ، فهذان الركنان شطر في فهم النظم لا يمكن حذفهما . أما
الركنان الآخران فهما بمثابة التكميل لبيان حكم الحج ، اللذان استغنى عنهما النظم من
جهة ، ومن جهة أخرى يفهمان من الركنين الجوهريين ؛ لما بينهما من علائق التقابل ؛
حيث إن الأول : (الحج مع الاستطاعة) لا بد أن يقابله ضده : (ترك الحج مع الاستطاعة) ،
والنتيجة في الثاني (كفر من أبي الحج) قابلها ضدها (إيمان من حج) .

*

- تحقق الأمر بتعيين شهر الصيام .

-القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالركن الرابع من أركان الإسلام ، وهو :
أداء فريضة الصيام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥م) . احتباك " ذكر الشهود أولاً يدل على عدمه ثانياً ،

(١) الموضوع السابق .

وذكر الإكمال لأجل الغمام ثانيًا يدل على الصحو أولاً^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الصحو) ؛ لدلالة ذكر (الإكمال لأجل الغمام) ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف الناتج عن الغمام هو (عدم الرؤية للهلال) ؛ لدلالة ذكر : (الرؤية) ، ﴿شَهَدَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن شهد منكم الهلال برؤية بينة لوجود الصحو فليصمه ، وإن لم تشهدوا الهلال لوجود الغمام فلتكملوا العدة . وقيل : "تقديره : لتوفوا الصوم بالرؤية ، ولتكملوا إن عُمِّيَ عليكم ، ففي هذا الخطاب تعادل ذكر الصحو في الابتداء بقوله (شهد) ، وذكر الغيم في الانتهاء بالإكمال"^(٢) . وسرّه أنه ذكر الركن الأساسي لمعرفة بداية الصيام لزوال الإبهام .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في بيان حكم شرعي يترتب عليه معرفة بداية دخول الشهر ؛ للشروع في بدء شهر الصيام ؛ وذلك لتثقيف النفس الإنسانية تجاه مراعاة تطبيق الحكم وتحري الرؤية ، وأن الصيام لا يجب إلا برؤية هلاله : "الشهر تسع وعشرون ، ولا تصوموا حتى تروه ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غمَّ عليكم فاقدروا له"^(٣) . فالصيام متوقف على رؤية الهلال ، وهذا ما كشفته حركة الاحتباك في النص القرآني ، حيث احتوى أصل النظم على المعاني الجوهرية التي أفادت بيان معرفة بدء الشهر الكريم ، وهي رؤية الهلال ، وإن لم يتعين فالإكمال ، فبهما (الرؤية ، والإكمال) يصح تحديد زمن الصيام ، أمّا ما حققه من المعاني الإضافية ، فليس بالضرورة إبرازه ؛ لكونها مستخلصة من فهم تلك المعاني الجوهرية ، بمعنى : أن صيام الشهر لا يتعين شرعاً وعرفاً إلا بظهور هلاله ، وهذا يكون في الصحو ، فإن غمَّ لوجود الغمام فليكملوا الشهر ثلاثين .

فالنتائج عن القول بالاحتباك أحدث تجلية للترابط وانسجاماً يظهر في ربط المعاني الجوهرية : (الرؤية ، والإكمال) ، بالمعاني الإضافية : (الصحو ، والغمام) ، من خلال أوجه التقابل بينهما ، كما نتج عن القول به نوع من الإيجاز الدقيق ، وهذا يلحظ بعقد

(١) نظم الدرر ٦٤/٣ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ٣٤٤ ، ونظم الدرر ٦٣/٣ .

(٣) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، والفطر لرؤية الهلال ، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً ٧٦٠/٢ ، رقم (١٠٨٠) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

المقارنة بين أصل النظم : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ وبعده : فمن شهد منكم الهلال برؤية بينة لوجود الصحو فليصمه ، وإن لم تشهدوا الهلال لوجود الغمام فلتكملوا العدة ، وتلمس الفرق بينهما يكشف عن روعة القرآن في بيان مقاصده .

*

– تحقق الأمر بلزوم الشروط وتقييد الالتزام بها .

– القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٨، ك) ، شبه احتباك ، فالخدوف من الطرف الأول (بينك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَبَيْنَكَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (بيني) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بَيْنِي ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "فراق بيني من بينك كما أجبرت ، وفراق بينك من بيني كما اشترطت" (١) .

وسرّه : أن ذكر حقيقة الفراق بلفظين أعمق في إبراز دلالتها ؛ وأدل على تحققها . فالمقام يتطلب إبراز ذلك الفراق ؛ حتى يتبصر المرء ما تؤول إليه عاقبة أفعاله التي يفعلها ، إذ لم يهتدع ترك المسألة عنها ، والصبر على نكير ما فيها (٢) .

فالقول بالخدوف يشكل أثراً فاعلاً في تأكيد حقيقة الفراق بين الخضر وموسى ﷺ (٣) ، ليعلم موسى ﷺ أنه وقع منه بسبب السؤال : ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الكهف: ٧٧، ك) ، "فبعد أن كان البينان بيناً واحداً لاتصالهما فلا بين ، فهو في الحقيقة فوق ما كان متصلًا من بينهما" (٤) . فحصل تحقق شرط الفراق ، وهو : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ (الكهف: ٧٦، ك) . فأصل المراد متحقق في المعاني الجوهرية المتضمنة أن الخضر عامل موسى ﷺ بقوله ، فلم يصبر موسى معه في ترك السؤال ، ولم يصبر الخضر -أيضاً- معه في إدامة الصحبة ، فاختر الفراق (٥) .

(١) نظم الدرر ١١٧/١٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٩١/١٥ .

(٣) ينظر : نظم الدرر في ١١٧/١٢ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) ينظر : لطائف الإشارات ٥٨/٤ .

فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام للسورة ؛ لأنها في المقام الأول تدعو إلى الاجتهاد في إقامة التوحيد وإبطال الشرك ، وهذا يتطلب لا محالة ملازمة الصبر على تحمل معاناة الدعوة ؛ إذ إن الظروف لا تسير الظاهر دائماً ، بل ربما يكون الأمر خلاف ما يُقدر له ، وهذا ما أنتجه الحذف من أن موسى كان يظن أنه قادر على مرافقة الخضر ، غير أن الظروف على عكس ما كان ظاهراً له ، فلم يكن متوقعاً للفراق ، إلا أن عدم ملازمة الصبر أجبرته عليه ، فما أشكل ظاهره على موسى ، أظهر الله للخضر باطنه^(١) ، "وهذا العالم ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور بل كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر ؛ وذلك لأن الظاهر أنه يحرم..."^(٢) ، وبهذا تتحقق جملة من لطائف المعاني ترشد إلى أن إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة عليّة تعلمهم أن الاستزادة من العلم تثري العقول ، والتريث في طلبه شطر لفهمه ، "ويقال : كما أن موسى عليه السلام كان يجب صحبة الخضر ؛ لما له في ذلك من غرض الاستزادة من العلم ، فإن الخضر كان يجب ترك صحبة موسى عليه السلام ؛ إيثاراً للخلوة بالله عن المخلوقين " ^(٣) ، كما أظهر الحذف أن "مرتبة موسى عليه السلام في معرفة الشرائع والأحكام بناء الأمر على الظاهر ، وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والاطلاع على أسرارها الكامنة ، فبهذا الطريق ظهر أن مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام"^(٤) ، وفيه أن "العلم بظواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة ، وأما العلم ببواطن الأشياء فإنما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن ، وتجريد النفس ، وتطهير القلب عن

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، بتصرف .

(٢) التفسير الكبير ١٣٥/٢١ «...التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسألة الأولى ، وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الإنسان من غير سبب ظاهر ، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر ، والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل في المسألة الثالثة تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر ، وفي هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبني عن الأسباب الظاهرة المعلومة ، بل كان ذلك الحكم مبني على أسباب معتبرة في نفس الأمر ، وهذا يدل على أن ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عقلية قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ويطلع بما على حقائق الأشياء» . الموضوع السابق.

(٣) لطائف الإشارات ٥٨/٤ .

(٤) التفسير الكبير ١٣٥/٢١ .

العلائق الجسدية" (١) .

ولا يخفى على ذي بصيرة أثر الحذف في إثماء جوانب عدة من أبرزها : الدعوة إلى تعلم الصبر ؛ حتى يتحقق المراد ، فمحمد ﷺ ، يقول : "يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما" (٢) . والدعوة إلى تعلم العلم ؛ حتى تتمكن النفوس من حسن عبادة ربها ، وقيل : "إن الخضر قال لموسى لما أراد أن يفارقه : يا موسى ، تعلم العلم لتعمل به ، ولا تتعلمه لتحدث به" (٣) ، والتقيد بملازمة ما يأخذه المرء على نفسه من شروط ؛ لأنه مؤاخذ بما شرط على نفسه (٤) ، ووجوب العمل بمقتضى النص ، "عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى" (٥) ، فوجب على النفس تحمل الضرر الأقل في مقابلة دفع الأعظم منه .

*

- تحقق الأمر بلزوم طاعة الله ورسوله .

-القول بشبه الاحتباك:

في قول الحق ﷻ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣) ، شبه احتباك "ذكر الطاعة أولاً دليلاً على المعصية ثانيًا ، والإبطال ثانيًا دليلاً على الصحة أولاً" (٦) . وعلى هذا فالخذف من الطرف الأول (تصلح أعمالكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (تعصوا الله والرسول) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ، وتقديره : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول تصلحوا أعمالكم ، ولا تبطلوا أعمالكم بمعصيتهما .

(١) المرجع السابق/ ١٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه ، كتاب : العلم ، باب : ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إليه ١/٥٧ ، رقم(١٢٢) ، ومسلم بلفظه في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر (عليه السلام) ٤/١٨٤٩ ، رقم(١٣٨٠) كلها من حديث أبي عمر ؓ .

(٣) روح المعاني ١٦/٨ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١١/٣٣ .

(٥) التفسير الكبير ٢١/١٣٥ .

(٦) نظم الدرر ١٨/٢٦٠ .

وسره : "أنه أمر بمبدأ السعادة ، ونهى عن نهاية الفساد ثانيًا ؛ لأنه أعظم في النهي عن الفساد ؛ لما فيه من تقبيح صورته وهتك سريره" (١) .

فالقاعدة العظمى من وراء الحذف تتجلى في أهمية الأمر الإلهي في سياق " ترغيب المخلص وترهيب المتردد " (٢) بما يحفز النفوس على العمل بمقتضى الأمر في ﴿أَطِيعُوا﴾ أولًا ، ثم في أهمية النهي الدافع إلى التخلي عن مفسدات الأعمال بوجه عام في : ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣) ثانيًا ، والمحور الأساسي للعمل بموجب خطاب الشرع قائم في حفظ الدين بإدامة جهاد الكفار (٤) ، وهذا ما أبرزه السياق العام للسورة بكليتها ، ولا يتحقق ذلك الغرض إلا بالتخلي عن الكفر الذي هو أصل بطلان الأعمال ، وهذا ما تحقق في السياق الخاص ؛ فهما يدلان دلالة قاطعة على أن الطاعة سبب صلاح الأعمال ، والمعصية سبب إبطالها ، وهذا يرشد إلى وجوب العمل على طاعة الله ورسوله ، وهو متحقق بالمعاني الجوهرية ، الأول : في الأمر بليوم طاعة الله في أوامره والرسول في سننه (٥) ، والثاني : في "لا تبطلوا أعمالكم بمعصيتكم إياهما ، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم ، فإن الكفر بالله يجبط السالف من العمل الصالح" (٦) . ففي الحذف لطيف معانٍ من أجلها : الدعوة إلى لزوم لزوم طاعة الله ورسوله ؛ لذا أوتر النداء بـ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ دلالة على أنهم بحاجة لمن ينبههم لما هم فيه من الغفلة ، ثم إن المخاطبين في بداية سلم الإيمان ليسوا بعاجزين عن تحقيق ما أمرُوا به ، وهذا عون للمرء يدفعه إلى الارتقاء في القرب من ربه "فمن استطاع أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيئ فليفعل ... فإن الخير ينسخ الشر ، وإن الشر ينسخ الخير" (٧) ، وفي إعلام البشر بهذا وتوجيههم لسماع الأوامر والنواهي نعمة عليّة وفضل من الله على عباده يحسن إخلاص العمل فيهما . وثمة لطيفة أخرى تلحظ من أثر الحذف ، وهي

(١) الموضوع السابق .

(٢) المرجع السابق ٢٥٩/١٨ .

(٣) بالكفر والنفاق والعجب والريا والمن والأذى ونحوها . ينظر : تفسير البيضاوي ١٩٦/٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٨/١٩٤ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٥٤/١٦ .

(٦) جامع البيان ٦٢/٢٦ .

(٧) الموضوع السابق .

إرشاد النفوس إلى أن العمل بعد حصول العلم واجب على المرء فعليه : "يا أيها الذين آمنوا علمتم الحق فافعلوا الخير" (١) ، كما أن في طلب العوض عن فعل الخير من بني البشر يعد فساداً للأعمال ، دليله عدم الإخلاص ، فلم يأتِ النظم على نحو : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول تصلحوا أعمالكم ، ولا تبطلوا أعمالكم بمعصيتهما ؛ ليتحقق بلاغته وإيجازه .

*

الفصل الثالث :

أسلوب الاحتواء بهه في آي انثرت رغبة أولت رهي ة من
حي اللوس يقل وال صر رة ثوره فالي متلقي .

الفصل الثالث : أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيث السياق والصورة وأثره في المتلقي .

وقوع الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب احتل مكاناً كبيراً مقارنة بغيره من آيات العقيدة والأحكام ، فقد بلغ عدد مواضعه (مائتين وأربعة) مواضع . أما المعاني التي حققها الاحتباك وشبهه في هذا الباب فذات حسن ، أظهرت جانب النعيم مقابلة بجانب الجحيم ، وجانب الرحمة مقابلة بجانب العذاب ، وقررت في النفوس حب الإيمان ترغيباً ، وتجنب الكفر ترهيباً ، ودعت إلى الطاعات ورهبت من المعاصي ، وكل ذلك لحكم تدعو إلى العمل بما يرضى الله لنا وترك ما يكره لنا ﷺ . فتضمن هذا الفصل عدة مباحث أسهمت في إبراز مقاصد الترغيب والترهيب .

المبحث الأول : أحوال أهل الإيمان وأهل الكفر ترغيباً في الجنة ، وترهيباً من النار .

المطلب الأول : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان حال أهل الطاعة .

-القول بالاحتباك:

يرشد الاحتباك إلى إبراز حال المؤمنين في توكلهم على ربهم ترغيباً ، وذلك في قول تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴾ (آل عمران: ١٢٢م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴾ احتباك اقتضاه السياق ، فـ"الأمر بالتوكل ثانياً دال على وجوده أولاً ، وإثبات الولاية أولاً دال على الأمر بها ثانياً"^(١) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (لتوكلهما وإيمانهما) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فتولوا الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "والله وليهما لتوكلهما وإيمانهما ، فلم يمكن الفشل منهما ، فتولوا الله ، وتوكلوا عليه ؛ ليصونكم من الوهن ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون كلهم ليفعل بهم ذلك"^(٢) .

وسرّه : أنه ذكر الولاية أولاً والتوكل ثانياً ؛ لكونهما أنبل عُدَدِ المجاهد ، وأعظم أسباب

(١) نظم الدرر ٤٩/٥ .

(٢) الموضوع السابق .

السعادة ترغيباً في الإقبال على الحق ، ومتابعة الرسول ﷺ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن أهمية الإيمان الحقيقي من المؤمنين ، وتوجه عامة البشر إليه ؛ ترغيباً في ملازمة التوكل والاعتماد على الله ، من خلال إيضاح حال فئة من المؤمنين في قتالهم ، في سياق النهي عن اتخاذ بطانة السوء ، والأمر بالتوكل^(١) ، فالقول به في هذا الموضوع أشد اعتلاقاً لما تحتويه دلالة السياق الخاص من تحقق فيض الرحمة المتمثلة في حصول العصمة لأهل الإيمان ، فالسبب الأمثل في تحقق العصمة الحرص على لزوم ما قرره السياق العام من جملة الأصول الواجبة مراعاتها والعمل بها . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قامت في المعاني الجوهرية المتضمنة بيان " ما همّا به من الفشل ، والانصراف عن رسول ﷺ والمؤمنين ، جنباً منهم من غير شك -منهم- في الإسلام ولا نفاق ، فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ، ومضوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له ، فأثنى الله عليهما بثبوتهما على الحق ، وأخبر أنه وليّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار " ^(٢) ، فثبت لهم حسن الثواب المتمثل في التوفيق والهداية والعصمة من الوقوع في الزلل .

وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط تدعو في المقام الأول إلى توجيه البشر إلى مراعاة حقيقة التوكل والاعتماد على الله ليقوموا بنصره ، دون الاعتماد على غيره ليضعفوا بخذلانه^(٣) ، ففي التوكل على الله حفظ لهما وصيانة عن فعل ما يوجب غضبه ؛ لذا تحقق لهم منه العصمة وهزم عدوهم ، والاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وصحة الولاية^(٤) . وفي الحذف تثقيفٌ جليلٌ يوطن في النفوس ملازمة الصبر والتوكل على الله في المواقف التي يصعب على المرء مواجهتها واللقاء فيها ، " ولا شك أن النفس عندما تلاقي الحروب ومن يجالدها يزيد عليها مثلين وأكثر يلحقها بعض الضعف عن الملاقاة ، ثم يوطنها صاحبها على القتال فتثبت وتستقر " ^(٥) ؛ لذا اعتبر القول بالاحتباك وجهاً حسناً من وجوه

(١) ينظر : المرجع السابق ٤٨/٥ .

(٢) جامع البيان ٧٤/٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤٩/٥ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٧٤/٤ ، والبحر المحيط ٥٠/٣ وما بعدها بتصرف يسير .

(٥) البحر المحيط ٥٠/٣ .

فهم المعنى^(١) ؛ لما حققه في النظم من لطائف وأسرار تدعو إلى المثابرة على طاعة الله ورسوله ، والعمل بها^(٢) . وثمة لطيفة أخرى تعمق في القلوب التحريض على القتال والنهي عن الفشل ، وذلك بالإخلاص في العقيدة ، "فالعقيدة لا تحتل شركة في قلب صاحبها ، ولا تطبق لها فيه شريكاً! فإما أن يخلص لها وحدها ، وإما أن تجانبه هي وتحتويه!"^(٣) .

*

كما يكشف الاحتباك عن حال أهل الإيمان ترغيباً في الاستقامة على الدين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٤: ٤٥م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ احتباك اقتضاه السياق القرآني ، ف" أثبت الانقلاب وعدم الضر أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، والجزء ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً"^(٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وسيجزي الله الشاكرين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن سار ثابتاً على المنهج السوي فإنما ينفع نفسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ، ومن سار ثابتاً على المنهج السوي فإنما ينفع نفسه ، وسيجزي الله الشاكرين . وسره : أنه ذكر ما اقتضى المقام ذكره ودعت الحاجة إلى بيانه ، وهو أن "الرسول ﷺ ليس مقصوداً لذاته ، فيبقى للناس ، وإنما المقصود من إرساله ما أرسل به من الهداية ، فيجب العمل بها من بعده ، كما وجب في عهده"^(٥) . وفي هذا توجيه جليل يرشد إلى مراعاة التمسك بالإيمان ؛ لأنه حق لله وحده لا ينتهي إلا بقيام أمره .

(١) ينظر : نظم الدرر ٤٩/٥ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٥٠/٣ .

(٣) في ظلال القرآن ٤٦٨/٤ .

(٤) نظم الدرر ٨٣/٥ .

(٥) تفسير المنار ١٦١/٤ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر بعد الإيمان ؛ تأكيداً لأهمية الحرص على الدعوة إلى الله في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته ؛ لكون المتراجع من أهل الإيمان عن نصره الحق ، المنقلب عن الهدى بعد وفاة الرسول يضر نفسه بسوء الصنيع ، والترغيب في لزوم الهدى والاتباع له في حياة الرسول ومماته ﷺ . فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام وقرائن الأحوال القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في العام من إثبات دلائل وحدانية الله ، والخاص من إرشاد المؤمنين وتوجيههم إلى مراعاة دوام الإيمان والعمل به ، وهذا مقصد من مقاصد الاحتباك سعى بمعونة السياق إلى إنمائه ؛ ليثبت أن الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان لا يوهن عزة الله و سلطانه ، بل يضر المنقلب نفسه^(١) ، إيماء إلى أهمية رسوخ العقيدة الحقة في نفوس المؤمنين ، من خلال إعلامهم حقيقة أن الأديان لا تزول بموت الأنبياء (عليهم السلام) ، وفي هذا حث لهم على اتباعهم أحياءً وأمواتاً ، والعمل بسنتهم^(٢) . فالغرض الأسمى من الاحتباك تمثل فيما أنتجته أوجه التقابل من لطائف المعاني الساعية بالنفوس إلى تعلم الشجاعة والصبر عند حلول المصائب ؛ لكون " الشجاعة والجرأة حداهما ثبوت القلب عند حلول المصائب " ^(٣) ، فحصل تنبيه العباد بحقيقة أن الرسل بشرٌ مصيرهم الفناء ، والعقيدة إلى البقاء ، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس من الرسل على مر الأزمان ، وهذا يرشد النفس إلى التمسك بالدين^(٤) . ثم إن في إبراز حالة المنقلب إلى الكفر بعد الإيمان تنفيراً من قبح الرجوع إلى الضلال بعد الهدى ، وفي تأكيد جزاء الله للشاكرين غرساً لحب تمكن الصبر من النفس حال الهلع ، حتى ترتقي به إلى الشكر على الشدائد ، وهذا أعلى مراتب الإيمان ، وأنبأ درجات الصبر .

*

كما يبرز الاحتباك حسن إسلام الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) واقتداء الأتباع ؛ ترغيباً في الحفاظ على الإسلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا

(١) ينظر : جامع البيان ٤/ ١١٠ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٤/ ٢٢٢ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ٤/ ٢٢٢ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ٤/ ٤٧٨ .

الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَنِيِّونَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿المائدة: ٤٤، م﴾ ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَنِيِّونَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ احتباك «ترك أولاً بما استحفظوا ؛ لدلالة ما ذكر عليه ، وترك ذكر الإسلام هنا ؛ لدلالة ذكره أولاً عليه»^(١) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (بما استحفظوا من كتاب الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذين أسلموا) ؛ لدلالة ذكر ﴿الَّذِينَ اسْلَمُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا بما استحفظوا من كتاب الله للذين هادوا والربانيون والأحبار الذين أسلموا بما استحفظوا من كتاب الله . وسره : أنه "خص الأول بذكر الإسلام ؛ لأن الأنبياء أحق به ، وهو داع إلى الحفظ قطعاً ، وخص الثاني بالاستحفاظ ؛ لأن الأتباع أولى به ، وهو دال على الإسلام"^(٢) .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز صحة العقيدة ؛ حيث الثناء الرباني لمن راعى الأحكام وعمل بموجبها ؛ ترغيباً في حسن الانقياد والاتباع ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى أهمية إثبات أصول تشريعية تدل على وحدانية الله ، وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فأبرز الثناء الحسن الجميل لمن أخلص الانقياد ، وأحسن الاتباع . فهو لهذا ذو أثر جليل في العناية بالجانب الإيماني بغية ترسيخ أصول الشرع في النفوس أولاً ، وتقرير حقائقها في العقول ثانياً ، وتحقيق العمل بموجبها ثالثاً ، ففي الحذف دعوة سامية للالتزام بالعمل بالكتاب المحكم وتطبيق أحكامه ؛ نزعاً للظلم ، ومراعاةً لنشر العدل ، فثبت الوجوب على كل من استحفظ كتاب الله أن يحفظه ويعمل بموجبه .

*

و من أبرز الشواهد القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك ، والتي تضمنت الحديث عن وصف حال أهل الطاعة قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتِمْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩، ك) ، ففي قول الحق

(١) نظم الدرر ١٤٥/٦ .

(٢) الموضوع السابق .

﴿أَمَّنْهُوَ فَتَنْتَءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ احتباك سببه تغاير أوجه القراءة في النظم^(١) "ذكر السجود دليلاً على الركوع ، والقيام دليلاً على القعود"^(٢) ، وعليه فالخذف من الطرف الأول (راكعاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿سَاجِدًا﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (قاعدًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَقَائِمًا﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أمَّنْهُوَ قانت آناء الليل ساجدًا وراكعًا ، قاعدًا وقائمًا . وسرّه "أن السجود يدل على العبادة ، وقرن القيام به دال على أنه قيام منه فهو عبادة ، وذلك مع الإيدان بأتهما أعظم الأركان ، فهو ندب إلى تطويلهما على الركنين الآخرين ؛ لأن القعود إنما هو للرفق بالاستراحة ، والركوع إنما أريد به إخلاص الأركان للعبادة ؛ لأنه لا يمكن عادة أن يكون لغيرها ، وأما السجود فيطرقة احتمال السقوط والقيام والقعود مما جرت به العوائد ، فلما ضم إليهما الركوع تمحصا للخضوع بين يدي الملك العليم العزيز الرحيم"^(٣) .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في إبراز حال أهل الطاعة ترغيباً في لزوم المحافظة على إتمام الصلاة ، وتأكيداً على أهمية الحرص والإخلاص في أدائها على أكمل وجه ، فثبت أن له الأثر الفاعل في توجيه العقول إلى امتثال الحرص على التقوى المعينة على حسن القيام بموجبات الشرع ، الموصلة إلى تحقق الغاية العظمى من الإيجاد ، وهي : إثبات التوحيد ؛ لذا فالقول به ذو ارتباط وثيق بما اشتمل عليه السياق العام من تحقق الأمر في مفتتح السورة بالإخلاص الذي هو نقيض الشرك^(٤) ، أما الخاص فتضمن الإخبار بحال المؤمنين بغية نفي التسوية بينهم وبين ما تقدم من ذكر حال المشركين^(٥) ، فتقرر في السياقين الدعوة إلى عبادة الله وترك عبادة غيره من خلقه ، وهذا يعني عناية جليلة بالتصعيد الإيماني من خلال لزوم الطاعات والمجاهدة فيها، ثم إن في تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعلي من شأن

(١) قوله ﴿أَمَّنْهُوَ فَتَنْتَءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يقرأ بتشديد الميم وتخفيفها فالحجة لمن شدد أنه رده على قوله : ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ فكأنه قال : أهذا خير أمَّنْهُوَ قانت . والحجة لمن خفف أنه أقام الألف مقام حرف النداء ، فكأنه قال : يا من هو قانت . ينظر : حجة القراءات السبع ٣٠٨/١ وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٤٦٦/١٦ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٣٧/١٦ وما بعدها .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٤٦٦/١٦ .

الاحْتَبَاكَ ، منها : إيثار التعبير بـ ﴿سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ تنبيهًا على دوام الإخلاص حال السجود والقيام^(١) ؛ ليتمكن في الإخلاص ، فإن "أفضل الصلاة طول القنوت"^(٢) ، كما تحقق في الحذف دعوة تُعَلِّمُ البشر تخير أوقات بعد العباد عن ربهم لفعل الطاعات التي توصل لنيل الرضوان ، " فالليل محل سكون العباد وغفلة العاصين ، والعبادة فيه أستر عن العيون ، فتكون أبعد عن الرياء ، وإن الظلمة تمنع من الإبصار ، ونوم الخلق يمنع من السماع ، فإذا صار القلب فارغًا عن الاشتغال عاد إلى المطلوب الأصلي ، وهو معرفة الله"^(٣) .

*

- القول بشبه الاحتباك :

سعى الحذف لإبراز حال الملائكة في الانقياد والتسليم لأمر الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤) (النحل: ٥٠)، ففيه شبه احتباك ، فـ "ذكر الخوف أولًا دال على الرجاء ثانيًا ، وذكر الفعل ثانيًا دال على الانتهاء أولًا"^(٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (ينتھون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَفْعَلُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يرجون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَخَافُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يخافون ربهم من فوقهم ، فهم عما نهوا عنه ينتھون ، ويفعلون ما يؤمرون ، فهم لرحمة ربهم يرجون . وسرّه : أنه ذكر الخوف من ربهم ، والفعل لأمره ؛ لكونهما أعظم موجبات التوحيد ، وأتم متطلبات العقيدة ؛ ترغيبًا في لزوم الإخلاص ، وحسن الانقياد من عامة الخلق .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال الملائكة في انقيادهم وتسليمهم لربهم ؛ ترغيبًا في العبادة ، وإظهارًا لعظم التوحيد في أنفسهم ، ويبرز حسن المعنى بعد النظر في السياق العام بما فيه من الدلالة على أنه ﷻ تام القدرة والعلم ، متره عن شوائب النقص^(٥) ، والخاص بما

(١) ينظر : الموضوع السابق بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ، باب أفضل الصلاة طول القنوت ٥٢٠/١ ، رقم : (٧٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/٢١٨ .

(٤) نظم الدرر ١٥/١٧٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١١/١٠١ .

فيه من الإشادة بأن الملائكة كغيرهم في الوقوف بين الخوف والرجاء^(١) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية الدالة على الإخبار بحال الملائكة في أنهم : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ... وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ، فيؤدّون حقوقه ، ويجتنبون سُخْطه^(٢) . وفي القول بالحذف لطائف عظام أسهمت في إعلام البشر عامة بحال الملائكة في خوفهم ورجائهم طوعاً وانقياداً ، وهم أعظم الموحدين وأعظم الساجدين ، وفي هذا نعمة عليّة تنمي في النفس عظم الخوف من الله ، الدافع إلى تمكّن الخشية ، والرجاء الدافع إلى طلب مزيد الرحمة^(٣) ، كما أن في إعلامهم بما هو غيب عنهم نعمة أخرى تزيد العلم ، وتدفع الجهل . وفي ذكر حال الملائكة تنبيه لبني الإنسان أنه ينبغي -بل يجب عليهم- أن يكونوا طائعين منقادين لأمره ، فتقرر أنّ الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء^(٤) .

*

المطلب الثاني : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان حال أهل المعصية .

- القول بالاحتباك :

للاحتباك أثر فاعل في الكشف عن خبث ملة أهل الكفر والفساد ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفَرْنَا وَإِنَّا مِنكُمُوتٌ بِمَا وُرِّدْنَا وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩١، م) ، ففي قول الحق ﷻ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، احتباك "حذف من الأول الشرط ومن الثاني الجواب " (٥) . وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (إن كنتم مؤمنين) -فعل الشرط- ؛ لدلالة ذكر ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فلم تقتلوهم) -جواب الشرط- ؛ لدلالة ذكر ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ، فإن كنتم

(١) ينظر : المرجع السابق ١١/١٧٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٤/١١٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١١/١٧٥ ، وإرشاد العقل السليم ٥/١١٩ بتصرف يسير .

(٤) ينظر : تفسير البضاوي ٣/٤٠٣ ، البحر المحیط ٥/٤٨٠ .

(٥) حاشية الشهاب على البضاوي ٢/٢٠٥ .

مؤمنين فلم تقتلوهم؟ .

وسرّه أن ذلك أدل على تحقق التحذير والشدة في التهويل لهؤلاء من سوء الصنيع .
فقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه إشعار بأن مثل ذلك لا يصدر من متلبس بالإيمان^(١) .
فطبيعة الاحتباك أسهمت بأثر فاعل في محاولة إبعاد الشرك عن النفوس البشرية من
خلال إيضاح حال المعرضين عن قبول الحق ترهيباً من الرضا بأفعال أسلافهم الموجبة
خروجهم عن دائرة الإيمان والدعوة إلى الله ، وهذا ما أرشد إليه السياق العام الساعي إلى
إثبات أصول العقيدة وإنمائها في النفوس ترغيباً في الإيمان بالغيب ؛ لكونه الركن الأعظم
الأدل على تحقق صدق التوحيد . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية ،
الأول : " إن كنتم -يا معشر اليهود- مؤمنين بما أنزل الله عليكم فلم تقتلون أنبياءه ، وقد
حرم في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم ، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم
وتصديقهم"^(٢) ، والثاني : في " إن كنتم معتقدين الإيمان فلم رضيتم بقتل الأنبياء!"^(٣) ،
فبالركنين المذكورين نتج قبح فعلهم الصادر عن اتباعهم الهوى ، فتحقق انتفاء ما كان
يدعونه من الإيمان في قولهم : "نؤمن بما أنزل علينا"^(٤) ، وبالمحذوفين نتج ترغيب الكفار في
التخلي عن الشرك من خلال تقييح حال أسلافهم في فعلهم ، فاتضح لهم أسباب الوقوع
في الشرك ؛ لإرشادهم إلى أن طريق المؤمنين الإيمان بالله واتباع رسوله . ففي علائق الربط
بين المعاني دلالات عظام أضافت إلى النظم معاني ذات حسن تمثلت في إعلام البشر حقيقة
جهل اليهود والكافرين في خروجهم عن الدين والكفر بالرسول ، فسوء جرمهم جرهم إلى
استحقاق العذاب ، وهو : أن في الرضا بما عليه الأسلاف من الكفر بالأنبياء والتكذيب بهم
يُعد كفرةً بهم وقتلاً لهم^(٥) . كما تحقق إقناع الكافرين بالعدول عن ما كان عليه الأسلاف ،
الأسلاف ، وذلك بـ"إلزام الحاضرين بما فعله أسلافهم ؛ لأنهم يرونهم على حق فيما فعلوا

(١) نظم الدرر ٥٠/٢ .

(٢) جامع البيان ٤١٩/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٠/٢ .

(٤) تفسير البيضاوي ٣٦١/١ .

(٥) ينظر : الموضع السابق .

من قتل الأنبياء^(١) ، فثبت توجيههم إلى الإيمان باستشعار عظم الذنب .

*

كما كشف الاحتباك عن حال المنافق إذا تولى من عند رسول الله ﷺ عمل في الأرض بما حرم الله عليه من إهلاك الحرث والنسل^(٢) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (البقرة : ٢٠٥) . ففيه وجهان للاحتباك ، الوجه الأول : في : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ ﴾ إذ "ذكر أولاً الإفساد ليدل على حذفه ثانياً ، وثانياً الإهلاك ليدل على حذفه أولاً"^(٣) . فالمحذوف من الطرف الأول (الإهلاك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَيُهْلِكَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الإفساد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِيُفْسِدَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد ويهلك فيها ، ويفسد ويهلك الحرث .

والوجه الثاني : في : ﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ ؛ حيث ذكر الحرث الذي هو السبب لدلالة على الناسل ، والنسل الذي هو المسبب لدلالة على الزرع^(٤) ، فالمحذوف من الطرف الأول (الزرع) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَالنَّسْلَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الناسل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْحَرْثَ ﴾ في الطرف الأول . وتقدير النظم : ويهلك الحرث والزرع والناسل والنسل . وسره أنه ذكر الأعم مبالغة في إظهار فساد حاله تحذيراً من سوء ما صنع ؛ " لأن الفساد شامل يدخل تحته إهلاك الحرث والنسل ، ولكنه خصصهما بالذكر ؛ لأنهما أعظم ما تحتاج إليه في عمارة الدنيا ، فكان فسادهما غاية الإفساد"^(٥) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تصوير حالة ذلك المنافق وما يترتب عليها من بشاعة مظاهر التخريب والإفساد في كلا الموضعين ، إلا أن الموضع الأول أدق من الثاني ؛ لأنه أتى بالمعنى عاماً ؛ ليشمل كل فساد ، بخلاف الموضع الثاني الذي صور جزءاً من

(١) التحرير والتنوير ٦٠٨/١ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٣١٦/٢ وما بعدها بتصرف .

(٣) نظم الدرر ١٧٤/٣ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

(٥) البحر المحیط ١٢٥/٢ .

إفساده ؛ لكونه حُدِّدَ بحالة الحرث والنسل ؛ لهذا يستحسن-والله أعلم- الاقتصار على الموضوع الأول دون الثاني ؛ لتمام المعنى . فالقول بالاحتباك حقق جملة ثرية من لطائف المعاني أسهمت في إبراز بشاعة جرم التخريب والفساد ؛ ليتحقق في النفوس حب إصلاح الأرض والسعي لعمارتهما ، وهذا أصل جليل من أعظم مبادئ تكوين العقيدة الصحيحة الدالة على فعل الخير^(١) . ففي تبصر دلالة الخطاب إرشاد عليّ يُوجب ترك العدوان وتجنب الظلم ، ويدعو إلى محاربتهما ، فإذا رأى الناس الظالم ولم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده^(٢) ، وفي الإعلام بهذا نعمة عظيمة يجب العمل بها والاجتهاد في محاربة مختلف مظاهر الفساد .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى مرغباً في حسن الاتباع ، ومرهباً من قبح الإعراض : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٢م) ، ففي قول الحق وَعَلَيْكَ : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ ، احتباك "إثبات التولية في الأول يدل على حذف الإقبال من الثاني ، وإثبات الكراهة في الثاني يدل على حذف مثلها في الأول" ^(٣) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الله لا يحبهم لكفرانهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (إن أقبلوا) ؛ لدلالة ذكر التولي ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "فإن تولوا فإن الله لا يحبهم لكفرانهم ، وإن أقبلوا فإن الله يحبهم لإيمانهم ، فإن الله لا يحب الكافرين ، والله يحب المؤمنين" ^(٤) .
وسرّه أنه ذكر أقبح ما يكون منهم من الإعراض عن دعوة الحق ، وأنكأ ما يكون من الحق لهم ترهيباً .

(١) «الفساد يكون بأنواع مرها : الجور ، والقتل ، والنهب ، والسي ، ويكون بالكفر» . المرجع السابق ١٢٤/٢ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧١/٣ .

(٣) نظم الدرر ٣٣٩/٤ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ٣٣٩/٤ وما بعدها .

بالنظر في التقدير يتبادر إلى الذهن أن الأفضل أن يقال : إثبات الكراهية في الثاني يدل على حذف ضدها - المحبة- في الأول ، لما يحققه التقابل بين المعاني من دلالات تعمق بيان حال المؤمن في الإقبال ، والكافر في التولي والإعراض ، ولكن السياق الخاص لا يتواءم مع ذلك لكونه خاصاً ببيان ما عليه أهل الشرك .

فالاحتباك أسهم في إبراز حال الكافرين تجاه دعوة الحق ترهيباً من الوقوع في الكفر الذي سببه الإعراض عن طاعة الله ورسوله ، ليكشف لهم قبح صنيعهم الناتج عن ضعف عقولهم ، في سياق تقرير الدلائل الدالة على كمال وحدانية الله ، وهذا ما قرره السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه الأمر بطاعة الله والرسول وعدم الإعراض عنهما ^(١) . فدلالة الأمر تعمق في النفوس هيبة الأمر المتضمن إلزام أهل الشرك العمل بمقتضى الخطاب ، وكل ذلك متحقق في المعاني الجوهرية "فإن تولوا عما أمروا به من اتباع الرسول وطاعته فإن الله لا يحب من كان كافراً" ^(٢) . فثبت بالركنين المحذوفين ترغيب أهل الشرك في الإيمان بالله، والبعد عن اتخاذ الشريك من دونه ؛ لأن في إعلامهم أن الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق ، وأنكره بعد علمه ^(٣) أهمية عظمى ترشد إلى ترسيخ أهم مبدأ من مبادئ العقيدة الصحيحة ، وهو : أن محبة الله وطاعته لا تتحقق إلا بمحبة الرسول وطاعته ، فالطريق إلى الله هو طريق الاتباع للرسول ^(٤) ؛ " لأن الكفر ينفي عنه الحب فنفي منه ما يناله العفو أو المغفرة والرحمة ، وحب الله للعبد بحسب توحيده ، كلما كان أكمل توحيداً كان أحب ، وما سقط عن رتبة أدنى التوحيد الذي هو محل الأمر بطاعة الله ، سبحانه وتعالى ، ورسوله كان كفوفاً بحسب ما يغطي على تلك الرتبة من التوحيد ، لأن هذه السورة سورة إلهية إيمانية توحيدية " ^(٥) ، ولهذا فالقول بالاحتباك في هذا الموضع علي يولد جملة ثرية من لطائف المعاني ، من أبرزها : إنماء الجانب الإيماني ، وهذا ينمي في القلوب الحية حب السمع والانقياد ، ويرشد الضالة إلى امتثال الأمر وعدم التولي والإعراض . ثم إن العلائق الرابطة بين المذكورين والمحذوفين أسهمت في ذكر الجانب الأهم لوصف حالة الكافرين في الدنيا ، وهو : التولي والإعراض ، ليتحقق -لهم- في أنفسهم شدة القبح الذي أوجب لهم الكراهية فأخرجهم عن نيل محبة الله ، فباستشعار عظم الفرق بين من تولى ونال الكراهية لإعراضه ، ومن أقبل ونال المحبة لإقباله إقناع بالعدول عن كل ما يُوجب الكفر ، فثبت للمقبل لحسن

(١) ينظر : جامع البيان ٣/٢٣٣ بتصرف .

(٢) البحر المحيط ٢/٤٤٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٣/٢٣٣ بتصرف .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ٣/٣٨٧ .

(٥) نظم الدرر ٤/٣٣٩ وما بعدها .

إقباله محبة الله ، وللمعرض لقبح توليه كراهية الله .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الشرك والنفاق ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ

تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ

فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا

خَرَجُوا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ (المائدة: ٤١م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ سَمَّعُونَ

لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ ، احتباك "حذف أولاً الإتيان وأثبت عدمه

ثانياً ؛ للدلالة عليه ، وحذف ثانياً الصدق ودل عليه بإثبات ضده -الكذب- في

الأول" (١) . وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (يأتونك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾

في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (الصدق) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِلْكَذِبِ ﴾ في

الطرف الأول . وتقدير الكلام : سماعون للكذب يأتونك ، سماعون للصدق لم يأتوك .

وسرّه أنه ذكر حث أفعالهم لعظم بشاعتها تحذيراً من السقوط في مراتب الكفر ، وتنبهها

لفساد أفكارهم جراء افتراء تحريف حكم الله . والمقصود بغض على نفاقهم يحرفون الكلم

الذي يسمعونك على وجهه ، فيبالغون في تغييره وإمالاته (٢) . وهذا يظهر بشاعة ما

أقدموا عليه حينما أرادوا أن يغيروا حكم الله .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حال الكافرين في مخالفة أمر الله

واتباعهم الأهواء ترهيباً من التجرد من الإيمان ؛ لكونه سبب تحقق شدة العقاب والعذاب ،

فتقرر بالحذف أن الإيمان بالرسول ينجي من العذاب ، والكفر به يوقع في العذاب ، فارتبط

الحذف بإبراز خاصيتي الترهيب الشديد من الكذب ، والترغيب الجميل في ملازمة الصدق

في سياق إبراز الأصول التشريعية الدالة على إثبات وحدانية الله (٣) ؛ لكونها المقصد الأعظم

(١) نظم الدرر ١٤٠/٦ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/٦ .

الذي تمثل في السياق العام ، أمّا الخاص فحمل علة نفي الحزن على شيء من أمر اليهود الجاحدين النبوة ، وأمر غيرهم ممن عصوا الله وخالفوا أحكامه ^(١) ؛ لكونهم تجاوزوا الحد في الخروج عن أمر الله ونهيه ، فالقول بالاحتباك كشف بدقة بالغة عن حال الكافرين ، وشدة فرط عداوتهم وبغضهم للرسول ﷺ ^(٢) ، وأرشد النفوس السوية إلى ملازمة الصدق في نقل الأخبار عند سماعها ، خصوصاً من أصحاب الرسالة والعلم ؛ لأن فيه تطبيق الشرع كما أمر التزليل ، لا كما يأمر الواهمون الذين جعلوا حد الزاني المحصن التحميم والجلد مكان الرجم ^(٣) ، فتحقق جرم من حرف أو أخفى أو ترك العمل بما يوجب الشرع ^(٤) ، ومن كان عيناً على الرسول ﷺ وأصحابه في زمانهم يسمع أخبارهم فيسرع في تحريفها بما ينفع نفسه متجاهلاً أن ذلك وبالأعلى عليه ^(٥) .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ (الأنعام: ٩٠ك) ، "...احتباك ؛ لأن كلا اللبسين هو بتقدير الله تعالى ؛ لأنه حرمهم التوفيق ، فالتقدير : وللبسنا عليهم في شأن الملك فيلبسون على أنفسهم في شأنه كما لبسنا عليهم في شأن محمد ﷺ ؛ إذ يلبسون على أنفسهم في شأنه . وهذا الكلام منظور فيه إلى حمل اقتراحهم على ظاهر حاله من إرادتهم الاستدلال " ^(٧) ، وهو

(١) ينظر : المرجع السابق ١٣٧/٦ .

«(سماعون للكذب) ، يعني هؤلاء المنافقين من اليهود ، يقول : هم يسمعون الكذب ، و(سمعهم الكذب) ، سمعهم قول أخبارهم : أن حكم الزاني المحصن في التوراة ، التحميم والجلد ، (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) ، يقول : يسمعون لأهل الزاني الذين أرادوا الاحتكام إلى رسول الله ﷺ وهم القوم الآخرون الذين لم يكونوا أتوا رسول الله ، وكانوا مصرّين على أن يأتوه» . جامع البيان ٢٣٤/١٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني ١٣٦/٦ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٨١/٦ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٣٥/٦ بتصرف .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٥٠٠/٣ بتصرف .

(٦) «في (ما) قولان ، أحدهما : أمّا موصولة بمعنى الذي ، أي : وَلَخَلَطْنَا عَلَيْهِم مَّا يَخْلُطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ عَلَى غَيْرِهِمْ . قاله أبو البقاء ، وتكون (ما) حينئذ مفعولاً بها . والثاني : أمّا مصدرية ، أي : وَلَكَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَثَل مَا يَلْبَسُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَيَسْلُكُونَهُمْ» . الدر المنثور ٥٤٤/٤ .

(٧) التحرير والتنوير ١٣٦/٧ .

وهو غير دقيق ؛ لكون التقدير المشار إليه لا يفصح عن وجه الاحتباك ، فعلى حد قوله يصبح المحذوف من الطرف الأول (يلبسون على أنفسهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَلْبَسُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لبسنا عليهم في شأن الملك) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَلْبَسْنَا﴾ في الطرف الأول . ولم يبرز هذا الوجه عند جمهرة المفسرين ؛ لذا فالأولى حمل المعنى على ظاهره من غير تأويل ؛ لوضوح المراد^(١) .

*

كما قيل في بيان قول الحق ﷻ : ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأعام: ٢٨، ك) ، "أن في الكلام احتباكاً ، وتقديره : بل بدا ما كان يبدو لهم في الدنيا ، فأظهروه الآن وكانوا يخفونه" ^(٢) . وعلى حد قوله يصبح المحذوف من الطرف الأول (يبدو لهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُخْفُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (أظهر) ؛ لدلالة ذكر ﴿بَدَأَ﴾ في الطرف الأول .

وفيه نظر ؛ وذلك لأن ما قُدِّرَ في الطرف الأول يعد بمثابة التفسير لما ذكر ، ودليل هذا أن (بدا) المذكور بمعنى (أظهر) المقدر ، فلا وجه لحمل الآية على الاحتباك.

*

وفي موضع آخر يرشد الاحتباك إلى عدم تحقق حزن أهل الإيمان لأهل الكفر ؛ لشدة بعدهم عن آيات الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ بِمَجْحَدُونَ﴾ (الأعام: ٣٣، ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ احتباك ؛ حذف من الجملة الأولى سبب الحزن وهو التكذيب ؛ لدلالة الثانية عليه ، ومن الثانية النهي عن المسبب ؛ لدلالة الأولى عليه ^(٣) ، فالمحذوف من الطرف الأول (تكذبيهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (فلا تحزن) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ في الطرف الأول .

(١) ينظر : جامع البيان ١٥٢/٧ ، والكشاف ٧/٢ ، والبحر المحيط ٤/٨٤ ، وإرشاد العقل السليم ٣/١١٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٧/١٨٥ .

(٣) نظم الدرر ٧/٩٦ .

وتقديره : قد نعلم إنه ليحزنك تكذيبهم الذي يقولون ، فلا تحزن ؛ فإنهم لا يكذبونك ، أو قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون من تكذيبك فلا يحزنك ذلك ؛ فإنهم لا يكذبونك .
وقيل تقديره : " فإنهم لا يكذبونك ولا يكذبون الآيات ، ولكنهم يجحدون بالآيات ويجحدون بصدقك " (١) . والتقدير الأول أولى ؛ لكونه أقرب إلى بلاغة القرآن وسمو نظمه .
وسرّه أنه حذف سبب الحزن أولاً إظهاراً لشرف النبي ﷺ وأدباً معه ، ثم ذكره ثانياً إعلاماً له بنجث نواياهم وفحش صنيعهم ؛ تحذيراً منهم .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك يكشف عن خبث حال الجاحدين لوحداية لله ، وعظيم ما هم عليه من الكفر والبذاءة ترهيباً من الخوض في الكفر والمكوث فيه ؛ لإبعاد البشر عن شدة العذاب ، وفي تبصر دلالة السياق إشارة عظمية تُعلي من شأن القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في العام من إثبات التوحيد بمظاهر العظمة والسلطان (٢) ؛ ليتحقق في نفوس أهل الكفر بطلان ما يسعون لأجله من الإعراض والخروج عن مقتضى الشرع ، أمّا السياق الخاص فأبرز حال الكافرين تجاه سماع دعوة الحق تسلياً للرسول ﷺ ؛ ليتحقق إعلامه ﷺ بحقيقة حال المعاندين تجاه دعوته ، فإنهم لا يكذبونك بل أنت عندهم الأمين ، ولكنهم لشدة عنادهم وعجزهم ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيقتها (٣) . فحسن الحذف يتضح في دقة المعاني الإحسانية المتمثلة في إعلام البشر عامة ، والرسول خاصة ، أن من علم أن ربه يُرضي المطيع له بجزيل الثواب ، ويجزي عاصيه بشديد العذاب لا ينبغي أن يحزن بل يسرّ ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُوبُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (يس:٧٦، ك) ، فلحزن عند وقوع ما يسوء من طبع البشر الذي لا يقدر على الانفكاك عنه ، فالنهى إنما هو نهي عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدي إلى الجزع الموصل إلى عدم الصبر (٤) . فمن عرف الرسول ﷺ حق المعرفة لم يرتب في صدقه وصدق ما جاء به ، فمعرفته ﷺ توجب في النفس المبادرة إلى الإيمان ، ودحض شبهة المكذبين بالصبر عليهم .

كما أبرز الاحتباك حال أهل الكفر عند حلول العذاب ترهيباً من الغفلة ، وذلك في قوله

(١) التحرير والتنوير ٢٠٠/٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١/٧ بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٩٤/٧ وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٤، ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ احتباك " دلّ إثبات (بَيِّنًا) أولاً على حذف (قائلة) ثانياً ، وإثبات (هُم قَائِلُونَ) ثانياً على حذف (هم نائمون) أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قائلة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (هم نائمون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بَيِّنًا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "بيئاتهم فيه بائتون ، أي : نائمون ، أو قائلة هم فيها قائلون ، أي : نائمون" (٢) .

وسره : أنه ذكر أنسب الأوقات لحلول العذاب والانتقام ؛ لكونهما أشدّ وأنكأ ؛ للزوم الراحة وتمكن الغفلة فيهما ترهيباً . وفي هذا تصوير لعظم وهول ما أصابهم ، فهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر أحد منهم التصويب إلى مدافعة العذاب (٣) ، "وتخصيصُ الحالتين بالعذاب لما أن نزولَ المكروه عند الغفلة والدعة أفضح ، وحكايته للسامعين أزرُ وأردعُ عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة ، ووصفُ الكلِّ بوصفي البيات والقيولة مع أن بعضَ المهلكين بمعزل منهما ، لاسيما القيولة ؛ للإيدان بكمال غفلتهم وأمنهم" (٤) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة تمكن الغفلة من المشركين لشدة جهلهم بالله ترهيباً اقتضاه السياق العام المتضمن إنذار من أعرض عن التوحيد (٥) ، والخاص لما تحقق فيه من إثبات مطلق القدرة على إهلاك المشركين . فالقيمة الحقيقة لأصل المراد وهو : ذكر شدة غفلتهم ولهوهم ، متحققة في المعاني الجوهرية التي أبرزت حالهم وقت حلول العذاب ، فالركن الأول في ذكر حلول العذاب عليهم ﴿ بَيِّنًا ﴾ حيث الاستكنان في البيوت ، والثاني في حلوله و ﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ وقت القائلة وهم مستريحون من غير نوم (٦) ، نوم (٦) ، فاتضح بالركنين المذكورين شدة تمكن الغفلة فيهم ، وتحقق معنى القدرة الإلهية في

(١) المرجع السابق ٣٥٧/٧ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) إرشاد العقل السليم ٢١٢/٣ ، والتحرير والتنوير ٢٣/٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٣٤٧/٧ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٣٥٧/٧ .

حلول العقاب والعذاب لكل من طغى وكفر . فالاحتباك كشف بصورة أكثر دقة وبيانا عن وصف حالهم وقت حلول العقاب عليهم ؛ ليثبت أن للكافرين العذاب ، وللغافلين التذكير ؛ للاتعاظ والاعتبار ، وللعاقل التمسك بدينه ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(الأعراف: ٩٩، ك) .

*

كما أسهم حذف التقابل في إبراز أعظم أسباب الكفر ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ سَاءَ صِرْفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٤٦-١٤٧، ك) ، ففي قول الحق : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، احتباك "إثبات الغفلة أولاً يدل على إرادتها ثانياً ، واللقاء ثانياً يدل على إرادته أولاً" (١) ، وعلى هذا فالحدوف من الطرف الأول (لقاء الآخرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كانوا غافلين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ذلك بأنهم كذبوا بآيتنا ولقاء الآخرة وكانوا غافلين ، والذين كذبوا بآيتنا ولقاء الآخرة كانوا غافلين . وسره : أنه ذكر أقبح ما هم سالكوه من طرق الضلالة ؛ لكونها حاجزاً بينهم وبين الوصول إلى الحسن ترهيباً .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في تأكيد شدة ضلال الكافرين ؛ لشدة بعدهم عن الدين ، فقد لازموا صفتي التكذيب ، والغفلة عن تدبر الآيات ، لذا أنكروا حقيقة القيامة استكباراً وتكديماً ، وهذه من أعظم الصفات الموجبة العذاب الأليم ، وفي تدبر دلالة الخطاب إشارات عظمية تبرز حسن الحذف ؛ إذ أوتر التعبير ﴿ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ ليتمكن عظم التنبيه في القلوب الغافلة فتنبه ، ولـ"التنبيه على أن غفلتهم عن قصد" (٢) .

(١) المرجع السابق ٨٤/٨ .

(٢) التحرير والتنوير ١٠٧/٩ .

فتحقق بالاحتباك الإشارة إلى بطلان أعمالهم ، وتحقق شدة عذابه لهم ، "ذهبت أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبتت ؛ لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضي الله ، فصارت أعمالهم عليهم وبالاً" (١) ، فثبت أن العذاب سيقع على كل من كفر ؛ لأن أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن (٢) . فمن خلال إبراز أوجه التماثل بين طرفي النظم تحقق -أولاً : - تمكن الضلال والغفلة فيهم ؛ لملازمتهم التكذيب بالآيات ، فأصبح دأبهم وديدهم ملازمة الغفلة والتكذيب ، وهذا أبشع مظاهر الكفر (٣) ، و-ثانياً : - تحقق العذاب لهم نتيجة تكذيبهم في الدنيا ، فلا محالة أنهم في العذاب محضرون . كما تقرر بالحذف جملة من المعاني الإحسانية الساعية إلى إنماء الجانب الإيماني ، والترفع عن الوقوع في الجهل الذي يلزمه دوام الغفلة الناتجة من عدم تدبر دلائل الحق والإعراض عنها (٤) ، فإن في التفكير والاتعاظ بتبديد الغفلة ، وفي حسن العمل بما توجهه الدلائل تبديداً للتكذيب (٥) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿وَإِنْ نَدَعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٣، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (٦) ، المحذوف من الطرف الأول (أم أنتم صامتون) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صمتهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَدَعَوْتُهُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "أدعوتهم مرة أو أنتم داعوهم دائماً أم صمتتم عن دعائهم في وقت ما ، أم أنتم صامتون دائماً عن دعائهم" (٧) .

وسره : أنه عبر بالفعل أولاً ثم بالاسم ثانياً إشارة إلى تساوي الحالتين في عدم الإجابة ، وفي هذا إعلام بأنهم أغرق الخلق في بحر الضلال ؛ لكونهم جهلاء ضربوا أنفسهم بأنفسهم . فصيغة الفعل مشعرة بالتجدد والحدوث حالاً بعد حال ، وصيغة الاسم مشعرة بالدوام

(١) جامع البيان ٦١/٩ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٨٤/٨ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٤/١٤ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٣٨٩/٤ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٩٤/٨ .

(٧) الموضوع السابق .

والثبات والاستمرار^(١) .

فصورة الحذف التركيبية أسهمت في إبراز عظيم خطئهم وقبح اختيارهم في عبادة غير الله ؛ ترهيباً^(٢) اقتضاه السياق العام المتمثل في الدعوة إلى إنذار من أعرض عن اتباع التوحيد^(٣) ، والخاص لما تحقق فيه من انتفاء عبادة غير الله ؛ لكون صورة الحذف ارتبطت ارتباطاً قوياً بهما ؛ لتحقيق خاصية الترهيب الشديد من الإعراض عن الاستجابة فيهما ؛ لذا فالقول به ذو ارتباط بالغ بدلالة السياقين العام والخاص . وللاحتباك أثر فاعل في الكشف عن قبح حالهم ؛ لإعلامهم أن "المعبود يجب أن يكون قادراً ، فمن كان عاجزاً نوع عجز كان مربوباً"^(٤) ، فثبت أن الرب "هو النافع من يعبده ، الضار من يعصيه ، الناصر وليه ، الخاذل عدوه ، الهادي إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه"^(٥) ، أمّا ما عبده فهى فهي أملاك لله مربوبة ، لا تملك من الأمر شيئاً ، فمهما بُذِلَ في ملازمة الجد والجهد في دعائها لا تضر ولا تنفع ؛ لكونها عن السمع معزولة ، ومن الاستجابة ممنوعة^(٦) ، ومستو عندكم دعاؤكم وبقاؤكم على صمتكم ، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين ، كما لا يتغير حالهم بحكم أنهم جماد^(٧) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (هود: ٢٠) ، احتباك ، نفي الاستطاعة أولاً دال على نفيها ثانياً ، ونفي الإبصار ثانياً دال على نفي السمع أولاً^(٨) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فما كانوا يسمعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَا كَانُوا﴾

(١) ينظر : البحر المحيط ٤/٤٣٩ بتصرف .

(٢) ينظر : جامع البيان ٩/١٥٠ بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٧/٣٤٧ .

(٤) المرجع السابق ٨/١٩٣ .

(٥) جامع البيان ٩/١٥٠ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق ، بتصرف .

(٧) ينظر : الموضوع السابق .

(٨) ينظر : نظم الدرر ٩/٢٥٨ .

يُبْصِرُونَ ﴿ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وما كانوا يستطيعون الإبصار) ؛
لدلالة ذكر ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ في الطرف الأول . وتقدير الكلام : ما كانوا
يستطيعون السمع ، فما كانوا يسمعون . وما كانوا يستطيعون الإبصار ، فما كانوا
يبصرون .

وسره أنه ذكر أبشع ما يصور حالهم تجاه الحق ترهيباً وتحذيراً ؛ وذلك لفرط تصامهم عن
الحق ، وعدم إدعائهم له ؛ لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الأنفس والآفاق^(١) ، وكذا فإن
نفي الاستطاعة أغرق في العيب وأدل على النقص ، وأنكأ من نفي السمع ؛ لأنهم قد يحملونه
على الإجابة ، وأما نفي البصر فغير منفك عن النقص سواء كان للعين أو للقلب ، وحقيقة
الاحتباك أتت لتثبت أنهم لا سمع ولا بصر لهم ، فهم لا شيء ؛ لفساد عقيدتهم^(٢) ، فبرزت
خاصية الترهيب المقتضي أمل رجوعهم إلى الحق ؛ كي يبصروا بعين الإبصار السليمة ،
ويسمعوا بأذان السمع الواعية، وهذا ادعى كي يرجعوا^(٣) . ففي تبصر دلالة السياقين العام بما
تقرر فيه من إثبات حقيقة القرآن وما تضمنه من حالي البشارة والندارة، والعناية بكل دابة،
والقدرة على كل شيء من البعث وغيره؛ لإثبات التفرد لله وحده^(٤) ، والخاص بما تحقق فيه من
من الإشارة إلى إيضاح قدرة الله على الكافرين في الدارين^(٥) ، اتضح أن القول بالاحتباك يحقق
جملة من المعاني الإحسانية الساعية إلى إرشاد الضال ودفعه إلى عدم الانشغال بالكفر وترك طاعة
الله ، وتوظيف السمع لسماع ما هو نافع دال على الخير ، والبصر لتأمل دلائل العظمة
والسلطان ؛ ليعرفوا الله ويطلعوا على علامات وحدانيته ، ففي السمع والبصر نعم عظام بها
يدرك المرء باهر الدلائل وأعظم العظات ، فمن الواجب الترفع عن سماع كل قبيح ورؤية كل
فاسد^(٦) .

*

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٤/١٩٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٩/٢٥٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٩/٢٥٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٩/٢٢٤ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٩/٢٥٧ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٩/١٩ .

وفي موضع آخر قيل في قول الحق ﷻ: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَمٌ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ (الأنبياء، ك)، احتباك "... أريد كل واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه، ولكنه ترك في جانب المشبه ذكر الإرسال، وفي جانب المشبه به ذكر الإتيان^(١)، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (إن أرسل) لدلالة ذكر ﴿كَمَا أُرْسِلَ﴾^(٢) **الْأُولُونَ** في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (فأتوا بآية) لدلالة ذكر ﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ في الطرف الأول. وتقديره: "إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية".
وسره: "أن عدم تصريحهم بالإرسال في جانب النبي ﷺ والاكتفاء في التعبير بالإتيان ، راجع إلى أن في التعبير به وعدم التصريح بالإرسال إيماءً إلى أن ما أتى وما يأتي به —على فرض استجابته لهم— من عنده ، وإنكاراً لأن يكون مرسلًا به من عند الله ، نفيًا لرسالته من أصلها ، كما أن ذكر الإرسال في جانب الرسل الأولين فيه إيماءً إلى أن ما أتوا به من عند الله ، وتعريض بأن ما أتوا به حق ؛ لأنهم رسل الله حقًا ، فكان ذكر الإرسال هنا أهم لهم ، كما كان ذكر الإتيان أهم في الأول ، وحذف الإرسال من الأول فيه إشارة إلى هذه الأسرار النفسية التي تحول بهذه الأنفس المريضة المصرة على الكفر ، كما حذف الإتيان من الثاني ؛ لأن الإرسال الذي أثبتوه للسابقين لا بد أن يتضمن إتيانًا بالآيات " (٤) . وهذا السر السر — قال به أبو السعود (٥) — ليس متوقفًا عليه فهم المقصود ، وإنما المقصود الأهم متضح في سياق النظم ، وهو الكشف عن خبث طباع أولئك المعرضين في الافتراء على الحق ، وهذه أمانة من أمارات الباطل نتيجة الاضطراب في أقوالهم ، فقد طلبوا آية على صدق ما يدعو إليه ﷺ ، فقالوا : فليأتنا دليلًا على رسالته بآية ؛ لأننا قد بينا بطعننا أن القرآن ليس بآية ، ثم خيلوا النصفة بقولهم : مثل ما أرسل الأولون بالآيات —مثل تسييح الجبال ،

(١) إرشاد العقل السليم ٥٥/٦ .

(٢) «قوله : ﴿كَمَا أُرْسِلَ﴾ يجوز في هذه (الكاف) وجهان ، أحدهما : أن تكون في محل جر نعتًا لـ(آية) أي : آية إرسال الأولين . فـ(ما) مصدرية . والثاني : أن تكون نعتًا لمصدر محذوف . أي : إتيانًا مثل إرسال الأولين» . الدر المنصون ١٣٤/٨ .

(٣) المترع البديع ، ص ١٩٦ ، والبرهان ١٢٩/٣ .

(٤) مقال من صور الحذف البليغ ١٣٨٤/٤ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ٥٥/٦ .

وتسخير الرياح وغيرها- ، وهذا تناقض في اعترافهم برسالة الأولين مع معرفتهم أنهم بشر ، وإنكارهم رسالة محمد ﷺ ؛ لكونه بشراً ، ولم يستحووا بعد التناقض من المكابرة فيما أتاهم به من انشقاق القمر ، وتسييح الحصى^(١) ، وهذا إشارة لفساد طعنهم في نبوته ﷺ ، وهو مقصود النظم تحقق دون تأويل بطريقة الاحتباك . فالقول بالاحتباك يُعد وجهاً من وجوه فهم المعنى لم يتضح حسنه ، وقيل : فيه بعد^(٢) .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَحَتْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان: ٣٢، ك) ، احتباك «دل ذكر المقتصد أولاً على (ومنهم جاحد) ثانياً ، وحصر الجحود في الكفور ثانياً على حصر الاقتصاد في الشكر أولاً»^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وما يقتصد إلا كل صبار شكور) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومنهم جاحد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين فمنهم مقتصد ، ومنهم جاحد ، وما يقتصد إلا كل صبار شكور ، وما يجحد إلا كل ختار كفور .

إن النظر في قوله : ﴿ الْمَرْتَانَ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ - [ثم في] - وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَحَتْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان: ٣١ ، ٣٢ ، ك) ، يُظهر جمال النظم دون الرجوع إلى الاحتباك من حيث مراعاة أمرين :

أ- أن المعنى يتطلب أن تكون هيئة التقدير على النحو التالي : فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين ؛ فمنهم مقتصد ، ومنهم جاحد ، فالمقابل للمقتصد محذوف دل عليه

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٨٧/١٢ وما بعدها .

(٢) ينظر: روح المعاني ١٠/١٧ وما بعدها ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢٤٢/٦ ، كما ينظر :

الكشاف ٥٦٣/٢ ، وتفسير البيضاوي ٨٣/٤ .

(٣) نظم الدرر ٢٠٩/١٥ .

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ وهذا وجه أجمع عليه بعض المفسرين^(١) ، وعليه يكون المعنى مقتصد ، أي : مؤمن مقتصد في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء^(٢) .

ب - جمال المقابلة والطباق في : ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ، ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾
فـ(خَتَّارٍ) مقابل لـ(صَبَّارٍ) ؛ لأن من غدر لم يصبر على العهد ، و(كفور) مقابل لـ(شكور)^(٣) ، فقوله : ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ كناية رمزية عن المؤمنين وتعريض رمزي بالمشركين ووجه إيثار خلقي الصبر والشكر هنا للكناية بهما من بين شعب الإيمان ؛ أنهما أنسب بمقام السير في البحر ؛ إذ راكب البحر بين خطر وسلامة ، وهما مظهر الصبر والشكر .

*

وفي موضع آخر قيل بالاحتباك في قول الحق ﴿عَلَيْكَ﴾ : ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾^(٤) ص:٦٣، ك) ، حيث "أثبت الاتخاذ المذكور الذي يلزمه بحكم العناد بين الجملتين عدم كون المستسخر بهم معهم في النار أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، وهو كونهم معهم فيها ، وأثبت زيغ الأبصار ثانياً اللازم منه بمثل ذلك كونهم معهم في النار دليلاً على ضده ، وهو كونهم ليسوا معهم" ^(٤) . وفيه نظر ؛ لخفاء وجه المقابلة في ظاهر النص القرآني ؛ إذ لا وجه للمقارنة بين (اتخذناهم سحرياً) و(زيغ الأبصار) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى مظهراً سوء حال الكافرين في القيامة ترهيباً : ﴿أَلَيْسَ الَّذِينَ خَالِصُوا إِلَيْنَا أُولِيكَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٥) (الزمر: ٢٣، ك) ، ففي قول الحق ﴿عَلَيْكَ﴾ : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ احتباك "ذكر فعل التقريب أولاً دليلاً على فعل

(١) ينظر : روح المعاني ١٠٦/٢١ ، والتحرير والتنوير ١٩٢/٢١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ١٨٩/٧ .

(٣) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ١٤٤/٧ ، و روح المعاني ١٠٦/٢١ وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ٤١٢/١٦ .

الزلف ثانياً ، واسم الزلف ثانياً دليلاً على الاسم من التقريب أولاً^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تقريباً) ؛ لدلالة ذكر ﴿زُلْفَى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يزلفونا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِيُقَرَّبُونَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويزلفونا إليه زلفى . وسره "أنهم أرادوا بهذا الاعتذار المسكت عن قبيح صنيعهم ، فأتى سبحانه في حكايته عنهم بالتأكيد على أبلغ وجه ؛ لأن الدلالة على المعنى بلفظين أجدر في ثباته وتكثيره من لفظ واحد ، وبدأ بأرشق الفعلين وأشهرهما وأخفهما وأوضحهما ، وقد خسر غاية الخسارة قوم تمذهبوا بأقبح المذاهب ، وجعلوا عذرهم هذه الآية التي ذم الله المعتذر بها ، وعلى ذلك فقد راج اعتذارهم بها على كثير من العقول ، وهم أهل الإلحاد الذين لا أسخف من عقولهم ولا أجمد من أذهانهم"^(٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حال المشركين وبطلان اعتذارهم بـ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ترهيباً من سوء المآل ، وقبح القول الذي به يحتجون ، في سياق إثبات الدلائل المقررة أنه سبحانه صادق الوعد غالب لا يفوته شيء ، حكم بين الخلق بما استحقتهم أعمالهم عدلاً وفضلاً^(٣) ، وهذا ما تمثل في السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه ذكر إثبات استحقاق الله وحده للعبادة ، ثم ذكر المشركين وعنادهم وسوء اتخاذهم الأنداد والشركاء^(٤) . فبالحذف تعمّقت دلالة المراد في تصوير قبح احتجاج المشركين ، فقد افتروا على الله بقولهم في الآلهة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ . فعلائق الربط بين الركنين المذكورين والمحذوفين تبرز أهمية طاعة الله ؛ "لأن كل ما دونه ملكه ، وعلى المملوك طاعة مالكة لا من لا يملك منه شيئاً"^(٥) ، فلا يليق بعاقل أن يقول إذا سئل من ربك وخالقك؟ فيقول الله ، فيقال له : ولم تعبد الأصنام؟ فيقول : ليقربونا إلى الله زلفى ، ويشفعوا لنا عنده ، فهذا الصنيع لا يوثق علائق القرب ، ولا يُوجب الشفاعة ؛ لأن التقرب من الله يكون بحسن الطاعات ، فتأكد لهم أنها تزلفهم من النار وتقصيصهم من الله

(١) المرجع السابق ٤٤٥/١٦ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٤٣٦/١٦ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٤١/١٦ وما بعدها .

(٥) جامع البيان ١٩١/٢٣ .

ورحمته^(١) .

*

وفي قول الحق **﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** (غافر: ٨٣، ك) ، احتباك "إثبات الفرح أولاً دليلٌ على حذف ضده ثانياً ، والاستهزاء ثانياً دليلٌ على حذف مثله أولاً " ^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (استهزؤوا) ؛ لدلالة ذكر **﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾** في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أزال فرحهم) ؛ لدلالة ذكر **﴿فَرِحُوا﴾** في الطرف الأول . وتقديره : فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ، واستهزؤوا بما أتاهم به الرسل ، وأتيناهم بما أزال فرحهم وحق بهم ما كانوا يستهزئون .

وسره أنه ذكر أشبع ما كان منهم من الفرح الأشر البطر ترهيباً من سوء الصنيع ؛ لأنهم نصبوا أنفسهم منصب العالم المنطيق وهم في الجهل ما كثون^(٣) .

فالاحتباك كشف بدقة عن حال المشركين ترهيباً من سيطرة الجهل والشرك على القلوب ، ليوضح أسباب الكفر أمام عقول الكفار حتى يتنبهوا إلى طريق الرشد ، فالسياق العام قرر مبدأ جليلاً من مبادئ التشريع ، هو تصنيف الناس يوم القيامة صنفين يوفى كلُّ ما يستحقه من العذاب والنعيم^(٤) ، والخاص تحقق فيه بيان حال المشركين الذي أدى إلى هلاكهم^(٥) ، فثبت تحقق العذاب الشديد ؛ ليزيل به ما حصل لهم من الفرح بالنعم ، فبأصل فبأصل المراد تحقق أنهم "فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم ، وقالوا : لن نُبْعَثَ ، ولن يُعَذِّبنا الله"^(٦) ، ثم "حق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية"^(٧) . فللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى النظم لطائف

(١) ينظر : المرجع السابق ٢٣/١٤٤ .

(٢) نظم الدرر ١٧/١٣٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٢٩ بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١/١٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٢٧ .

(٦) جامع البيان ٢٤/٨٨ .

(٧) المرجع السابق ٢٤/٨٩ .

لطائف عظاما تهذب النفوس ، وتعلمها الإعراض عن الفاني ، والإقبال على الباقي ، والخوف مما بعد الموت ، وتُجنبها الفرح الأشر ، والتفاخر ، والتعاضم ، والتكاثر المؤدي إلى التعالي على الحق والهلاك^(١) ، وفي هذا إعلام للبشر أن الله يبغض البذخين الفرحين ، ويجب كل قلب حزين، وهي نعمة عليّة تنمي في العقول العلم ، وفي القلوب الإيمان ، وفي النفوس عدم الافتخار بما عندها من علم الدنيا^(٢) ، فإن أعظم الاستهزاء وأقبحه ما كان بالحق ، وبما جاء به الرسل من علم الله^(٣) .

*

ويقول تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (الشورى: ٤٨ ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ احتباك "ذكر الفرح أولاً دال على حذف الحزن ثانياً ، وذكر الكفران ثانياً دال على حذفه أولاً" ^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (كافر للنعمة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَفُورٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حزنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَرِحَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ، فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر ، فكان لذلك كافرًا للنعمة ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم حزنوا فكفروا ، فإن الإنسان كفور . وسرّه أنه ذكر أفضل ما ينالهم وقت الرحمة ، وأنكأ ما يكون منهم وقت الشدة ؛ تنويهاً ببشاعة صنيعهم ، فـ"الإنسان جحود نعم ربه ، يعدد المصائب ويحسد النعم"^(٥) .

فالغرض الأسمى من حمل النظم على الاحتباك إيضاح حال الكافر وقت إتمام النعم ؛ ترغيباً في ملازمة الشكر ، وعند إصابته بالنقم ؛ ترهيباً من ملازمة الجحود ، فالحذف يقرر مبدأً مهمًّا من مبادئ الحفاظ على النعم في سياق بيان ما جبل عليه الإنسان من الفرح

(١) ينظر : نظم الدرر ١٧/١٢٧ وما بعدها .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٣٣٦ وما بعدها بتصرف يسير .

(٣) ينظر : روح المعاني ٩١/٢٤ .

(٤) نظم الدرر ١٧/٣٥١ .

(٥) جامع البيان ٤٤/٢٥ .

بالنعمة فرح شر وبطر ، والقنوط واليأس بالنقمة ، فبالمعاني الجوهرية تحقق أصل المراد وهو : إبراز حال الكافر ، إذا أعطاه ربه من عنده سعة في الرزق سر بها ، فتجاهل صاحب الإنعام ولم يقدر النعم ، وإن أصابته فاقة وفقر بما فعل من معاصي الله أيس من الخير ^(١) . فتأكد بالحذف لطائف عظام من أجلها : إبراز حالة الكافر ترهيباً "إذا أذقنا الإنسان مِنَّا رفاهيةً ونعمةً فَرِحَ بتلك الحالة ، وقابلها بالبَطْرِ ، وتوصَّلَ بتمام عافيته إلى المخالفة ، وجعل السلامة ذريعةً للمخالفة . وإن أصابته فتنةٌ وبليةٌ ومَسْتَةٌ مصيبةٌ فإنه كفورٌ بنعمائنا ، وجحودٌ لآياتنا" ^(٢) ، يظن أنه فاز بكل المنى ووصل إلى أقاصي السعادات ^(٣) . فشكل الاحتباك أثرًا قويًا لإبعاد المرء نفسه عن ملازمة الجحود ، والحث على التخلق بأخلاق المؤمن "إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" ^(٤) .

فالاحتباك أسهم في إحداث علائق ربط بين دلالات المعاني المذكورة والمخدوفة على السواء تُعلم البشر أن إبدال الشكر بالفرح والكفر مخالفة للفطر السوية ، وتعلمهم أن تلك الطريقة "طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الآخرة ، وهي مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة" ^(٥) . فكان هذا "تنبيهًا على أن طبع الإنسان الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان وإشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه إلا من نفسه ، ولو أن أهل الأرض كلهم في نقمة وبؤس وعمى ، أخرجهم الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر" ^(٦) .

*

وفي قول الحق **وَعَبَّكَ : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ بِالْحَمَىٰ إِذْ أَمْرُهم قَوْمٌ طَاعُونَ﴾** (الطور: ٣٢، ك) ، احتباك "ذكر الأحلام أولًا دليلًا على ضدها ثانيًا ، والطغيان ثانيًا دليلًا على ضده (العدل السواء)

(١) ينظر : المرجع السابق ٤٣/٢٥ وما بعدها .

(٢) لطائف الإشارات ٣٥٩/٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٤٤/٢٥ ، ونظم الدرر ٣٥١/١٧ ، والتفسير الكبير ١٥٨/٢٧ .

(٤) أخرجهم مسلم في صحيحه ، كتاب : الزهد والرفائق ، باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤ ، رقم : (٢٩٩٩)

من حديث صهيب رضي الله عنه .

(٥) التفسير الكبير ١٥٨/٢٧ .

(٦) نظم الدرر ٣٥١/١٧ .

أولاً^(١) ، وعلى هذا فالخذوف من الطرف الأول (العدل السواء) ؛ لدلالة ذكر ﴿طَاغُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ليس لهم عقول) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَحْلَمُهُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أم تأمرهم أحلامهم بهذا وهم يعتقدون صحته وأنه العدل السواء ، فليس لهم عقول أصلاً لقولهم هذا ، أم هم قوم طاغون .
وسره «أن ما ذكر أشد تنفيراً من السوء وأعظم تقييحاً له وتحذيراً منه»^(٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية التويخ الشديد من سوء حال المشركين في إعراضهم عن الرسالة الحمديّة ، وإتهامهم الرسول بأنه شاعر ترهيباً من خطر الوقوع في العذاب ، فالسياق العام قرر تحقق وقوع العذاب^(٣) ، والخاص كشف عن حقيقة المشركين و عما قالوا في حق الرسالة والرسول ؛ لذا فالسياق تضمن الإنكار عليهم في قولهم^(٤) ، وهذا المقصد الأعظم من القول بالاحتباك ؛ لأنه نفى عنهم أكمل صفات البشرية المتمثلة في العقل ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا﴾ ، فنفى عنهم الحق - سبحانه - أهم الصفات وأثبت لهم أقبحها ؛ للدلالة على أنهم بلا عقول أصلاً ، وقد طغوا فتجاوزوا حكم الشرع في الأمر بعبادة الله^(٥) ، وهذا ما حملته المعاني الجوهرية ، فثبت بالركنين المذكورين إبراز حقيقة طغيانهم ؛ لخروجهم عن الشرع رغم ظهوره ، وكل ذلك كفراً وطغياناً^(٦) ، وبالركنين الخذوفين أهمية نماء العقول بالمعرفة من خلال الحرص على التزود بالحسن من الأقوال والأعمال ، فـ"العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن ، وإنما للكافر الذهن والذهن يقبل العلم جملة ، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهي " ^(٧) .
فتحقق أن من له عقل لزم العمل بطاعة الله لا محالة ، ومن كان جاهلاً أعرض عن الحق فطغى ، فتلك عقول كادها الله وَعَجَلَ فإم يصحبها التوفيق ؛ لذا لم يؤمنوا وكفروا ،

(١) المرجع السابق ٢٤/١٩ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/١٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣٢/٢٧ بتصرف .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٧٣/١٧ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

(٧) الموضوع السابق .

فالمشركون في إعراضهم عن الله بلا عقول ، لأن أصحاب العقول عرفوا الحق فاتبعوه ،
والباطل فاجتنبوه^(١) .

*

وكذلك قيل في : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَابِهِمْ وَاللَّهُ مِتِّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف: ٨-١٠٩) ، احتباك ، على تقدير :
"ويعلم أن غير المشركين يكرهون ظهور هذا الدين ؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الدين ؛ لأنهم
يكرهون ظهور هذا الدين"^(٢) .

وهو غير دقيق ؛ لعدم اتضاح وجه الاحتباك فيه ؛ ولكون التقدير المشار إليه حمل ثلاثة
أركان فقط ، كلها محذوفة من أصل النظم ، وهذا لا يتمثل في القول بالاحتباك .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا
أُخِّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: ١٠١) ، احتباك "وأما قوله : ﴿ وَأَكُن ﴾
فقد اختلف فيه القراء^(٣) . فأما الجمهور فقرأوه مجزوماً بسكون آخره على اعتباره جواباً للطلب
مباشرة ؛ لعدم وجود فاء السببية فيه واعتبار الواو عاطفة جملة على جملة وليست عاطفة مفرداً
على مفرد ؛ وذلك لقصد تضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن
فعل الشرط . فتقديره : إن تؤخرني إلى أجل قريب أكن من الصالحين ، جمعاً بين التسبب المفاد
بالفاء ، والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل . وإذا كان الفعل الأول هو المؤثر في الفعلين الواقع
أحدهما بعد فاء السببية والآخر بعد الواو العاطفة عليه فقد أفاد الكلام التسبب والتعليق في كلا
الفعلين ، وذلك يرجع إلى مُحَسِّنِ الاحتباك . فكأنه قيل : لولا أخرتني إلى أجل قريب فَأَصَّدَّقَ

(١) ينظر : روح المعاني ٣٦/٢٧ وما بعدها .

(٢) التحرير والتنوير ١٩٣/٢٨ .

(٣) «قرأ أبو عمرو : «فأصدق وأكون من الصالحين» ، وقرأ الباقيون : -ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة ،
والكسائي- : «فأصدق وأكن» ، كأنه جواب معنى الاستفهام ، والمعنى : لئن أخرتني ، وجزم «وأكن» عطفاً
على موضعه . ألا ترى أنك إذا قلت : «أخري أصدق» ، كان جزماً بأنه جواب الجزاء ، وقد أغنى السؤال عن
ذلك الشرط ، والتقدير : أخري فإن تؤخرني أصدق ، فلما كان الفعل المنسوب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم
بأنه جزاء الشرط حمل قوله : «وأكن» عليه» . حجة القراءات السبع ، ص ٧١٠ .

وأكون من الصالحين. إن تؤخرني إلى أجل قريب أصدّق وأكُن من الصالحين^(١).
وفيه نظر ؛ لتنافي شرط التقابل بين المذكورين والمحدوفين من كل طرف ؛ حيث إن
الطرف الأول فيه مذكوران هما : ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ و﴿فَأَصَدَّق﴾ والطرف الثاني فيه
محدوفان هما : (إن تؤخرني) و(أصدّق) .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿وإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ
إِلَّا الذِّكْرُ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القم: ٥٢، ٥١ ك) ، احتباك^(٢) ، فالمحدوف من الطرف الأول (كلام مجنون) ؛ لدلالة
ذكر ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ما أنت إلا مذكر) ؛
لدلالة ذكر ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا الذِّكْرُ لِلْعَالَمِينَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ويقولون إنه مجنون وإن
القرآن كلام مجنون ، وما القرآن إلا ذكر ، وما أنت إلا مذكر"^(٣) .
وفيه نظر ؛ إذ لا فائدة من حمل النظم على الاحتباك ؛ لتكلف وجه التقدير من حيث
ركاكة العبارة وخلوها من الحسن .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ . فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ . وَأَمَّا عَادٌ
فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ... وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ . ففَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ
أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ (الحاقة: ٤-١٠ ك) ، احتباك "ففي عطف هؤلاء على ثمود وعاد في سياق ذكر التكذيب
بالقارعة إيماء إلى أنهم تشابهوا في التكذيب بالقارعة كما تشابهوا في الجحىء بالخاطئة وعصيان
رسل ربهم ، فحصل في الكلام احتباك"^(٤) .

فالقول بالاحتباك -هنا- حمل ثلاثة تقابلات من كل طرف ، فقد لازموا التكذيب
بالبعث أولاً ، والإقدام على الكفر ثانياً ، ومعصية الرسل ثالثاً ؛ ليرز حال الكافرين في
ملازمة التكذيب الذي هو نتيجة لارتكاب المعاصي ترهيباً من الكفر ، وعلى هذا فالتقدير :

(١) التحرير والتنوير ٢٨/٢٥٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٩/١٠٩ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) المرجع السابق ٢٩/١٢٠ .

كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، وجاءوا بالخاطئة ، فعصوا رسل ربهم ، وكذب فرعون ومن قبله بالقارعة وجاءوا بالخاطئة ، فعصوا رسول ربهم . وفيه نظر ؛ لكون المقصد الأعظم يسعى لإبراز مظاهر القدرة الإلهية الموجبة صرف العبادة لله وحده ، "ولما ذكر المهلكين بالصيحة لأجل التكذيب بالقارعة تحذيراً لمن يكذب بها ، أتبعه المهلكين بما هو سبب لإنفاذ الصيحة وتقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من العذاب بالاختيار"^(١) ، فحمل النظم على ظاهره أجود عطاءً في إبراز كمال قدرة الله .

*

وكذلك قيل في قول الحق ﷻ : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٢-٣، ك) ، احتباك "لم لم يقل : إذا اکتالوا على الناس يستوفون ، وإذا وزنوهم يخسرون ؛ ليعلم من القرينتين أنهم يستوفون الكيل ويخسرون بالتر الحقيير بالطريق الأولى ، ويكون في الكلام ما هو من قبيل الاحتباك . وقال الزجاج : المعنى : إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، وكذلك إذا اتزنوا استوفوا الوزن ولم يذكر إذا اتزنوا ؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن ، فلستغنى بذكر إحدى القرينتين عن الأخرى ؛ لدلالة القرينة الآتية عليها"^(٢) .

وفيه نظر: وذلك لأن أركان الطرف الأول مذكورة ، وأركان الطرف الثاني محذوفة ؛ لذا انتفى شرط القول بالحذف ، والأولى تركه ، "فكأنه ذكر (اكتالوا) ولم يذكر (اتزنوا) ؛ لأنه لا يتأتى في الوزن من المعالجة ما يتأتى في الكيل ؛ ولأنهم يتمكنون في الاكتيال من المبالغة في استيفاء المؤدي إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله في الاتزان ، وهذا بخلاف الإخسار ؛ فإن التمكن بسببه حاصل في الموضعين ، فلذلك ذكرهما فيه"^(٣) . وكذلك فإن "الاقتصار على

﴿إِذَا أَكْتَالُوا﴾ دون أن يقول : وإذا اتزنوا كما قال : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ اكتفاء بذكر الوزن في الثاني ؛ تجنباً لفعل : (اتزنوا) ؛ لقلّة دورانه في الكلام ، فكان فيه شيء من الثقل . ولنكتة أخرى ؛ وهي أن المطففين هم أهل التجر ، -[التجار]- وهم

(١) نظم الدرر ٣٤٢/٢٠ .

(٢) روح المعاني ١٩/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٣١٣/٢١ .

يأخذون السلع من الجاليين في الغالب بالكيل ؛ لأن الجاليين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال ، ويدفعون لهم الأثمان عيناً بما يوزن من ذهب أو فضة ، مسكوكين أو غير مسكوكين ، فلذلك اقتصر في ابتاعهم من الجاليين على الاكتيال ؛ نظراً إلى الغالب ، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن ؛ لأنهم يبيعون الأشياء كيلاً ويقبضون الأثمان وزناً^(١) .

*

وقيل في قول الحق **عَلَيْكُمْ** : ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (الفجر: ١٧-١٨، ك) ، "قد حصل في الآية احتباك ؛ لأنهم لما نُفِي إكرامهم اليتيم وقبول بنفي أن يحضوا على طعام المسكين ، علم أنهم لا يحضون على إكرام أيتامهم ، أي لا يحضون أولياء الأيتام على ذلك ، وعلم أنهم لا يطعمون المساكين من أموالهم"^(٢) .

وفيه نظر ؛ لتحقيق وجه الاحتباك في طرف واحد ، وهو أن المحذوف (لا يحضون على إكرام أيتامهم) ؛ لدلالة ذكر: ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ . وانتفى في الطرف الآخر جعل المحذوف (لا يطعمون المساكين من أموالهم) ؛ لأنه ناتج من تفسير النظم ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ، فالمعنى على قراءة ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(٣) . بمعنى : ولا يحض بعضكم بعضاً على طعام المسكين ، وعلى قراءة «يُحَاضُونَ» فمعناه ولا يحافظون^(٤) ، وعلى قراءة «وَلَا تَحْضُونَ»^(٥) . بمعنى : ولا تأمرون بإطعام المسكين .

*

— القول بشبه الاحتباك :

يقول تعالى : ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨، ك) ، ففي قول الحق **عَلَيْكُمْ** : ﴿فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ شبه احتباك "إثبات" ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

(١) التحرير والتنوير ١٩١/٣٠ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٣٣٣/٣٠ .

(٣) قراءة أهل الكوفة . ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها ، ص ٤٧٩ .

(٤) قراءة أبي عمرو وحده . ينظر : الموضوع السابق .

(٥) قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر . ينظر : الموضوع السابق .

أولاً دال على حذفه ثانياً ، وإثبات التزيين ثانياً دليل على حذفه أولاً^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (زينا أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بغير علم) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ... فيسبوا الله عدواً بغير علم ؛ لأننا زينا لهم أعمالهم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم بغير علم . وسرّه أنه ذكر نتيجة سوء عملهم ، والسبب الذي حملهم على ذلك الجرم ؛ لعظم بشاعته ، تسلياً للرسول ﷺ .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف يتمثل فيما تنتجه أوجه التماثل من لطائف المعاني المؤثرة في النفوس ؛ لكونها تدعو في مجملها إلى العمل بما تقتضيه دلالة النهي عن سب ما اتخذه الكفار من الأنداد ؛ لأنه يجر إلى ارتكاب معصية في حق الدين ، فأظهر الحذف انتفاء العقل عنهم ؛ لذا أثبت لهم أقبح الصفات الموجبة للنقص الملازم لضعف العقول والقلوب ، في سياق إثبات دلائل التوحيد لله بعظيم القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث ، وهذا ما أرشد إليه السياق العام ، أمّا الخاص فتقرر فيه إبراز النهي عن سب ما عبد من دون الله . فأصل المراد متحقق في الركنين المذكورين ، الأول : "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسبّ المشركون الله جهلاً منهم برهم ، واعتداءً بغير علم"^(٢) ، والثاني : في ذكر تزيين المشركين في حب الأصنام والدفاع عنها ، فتحققت جملة من المعاني تدعو في المقام الأول إلى توجيه المسلم للحفاظ على مبادئ دينه وسلامة عقيدته ، بالترفع عن سب ما هو في الحقارة أقل وأدنى، وإن كان فيه مصلحة -وهي سب الشرك وأهله والتبرؤ منهم- إلا أنه يترتب عليه مفساد أعظم منبعها الجهل بالتوحيد^(٣) ، وفي هذا نعمة عليّة ترشد النفوس إلى ترك ما يؤدي إلى الشر ؛ لأنه شر عظيم^(٤) .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إبراز قبح حال الكافرين ترهيباً من المكوث في الكفر والضلال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

(١) نظم الدرر ٢٢٨/٧ .

(٢) جامع البيان ٣٠٩/٧ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٣٠٩/٧ وما بعدها بتصرف ، وتفسير البيضاوي ٤٤١/٢ ، والبحر المحيظ ٢٠٢/٤ بتصرف .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي ٤٤١/٢ .

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (الأَنْعَام: ١٢٢، ك) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ شبه احتباك " أثبت أولاً كونه في الظلمات دليلاً على تقديره ثانياً ، وثانياً التزيين دليلاً على تقديره أولاً" (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (زين له سوء أعماله) ؛ لدلالة ذكر ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فهم أبداً في الظلمات) ؛ لدلالة ذكر ﴿فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بما زين له سوء أعماله ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعلمون ، فهم أبداً في الظلمات . وسرّه : أنه ذكر أقبح ما هم عليه من الفسوق والعصيان ؛ لكونه أدل على فساد الفطرة ، وتمكن الكفر في نفوسهم ترهيباً من الاتباع ، "والعبرة في هذا المثل أن يطالب المسلم نفسه بأن يكون حياً عالماً على بصيرة في دينه وأعماله وحسن سيرته في الناس ، وقدوة لهم في الفضائل والخيرات ، وحجة على فضل دينه على جميع الأديان ، وعلو آدابه على جميع الآداب" (٢) .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني حققت للنظم مزيد تأكيد لبشاعة صورة الكافر ، فتحقق كونه في الضلال أبداً ؛ لما زين له من سوء عمله (٣) ، تحذيراً من طاعة المشركين ، وتنفيراً منهم ؛ لما هم عليه من الفسق والضلال ، ويرز حسن المراد بعد النظر في السياق العام الساعي لإثبات وحدانية الله من خلال إثبات مظاهر العظمة من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث (٤) ، والخاص بما تحقق فيه من انتفاء التسوية بين من كان كافراً يجادل في حكم الله فصار مؤمناً - بهدايه الله - يعرف مضار نفسه ومنافعها ، وبين الكافر الضال الذي لا يبصر رشداً ولا يعرف حقاً (٥) ، فاتضح للبشر أسباب الوقوع في الكفر ؛ ليتجنبوا خطرهما ، فبهذا يبصرون الطريق الصحيح طريق الإيمان . وللحذف أثر كبير في إحداث علائق ربطٍ أضافت إلى أصل النظم معاني حسناً من أبرزها : إظهار حالة الكافر في سيطرة

(١) نظم الدرر ٢٥٣/٧ وما بعدها .

(٢) التحرير والتنوير ٣١/٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٢/٨ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١/٧ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٢/٨ .

الكفر على نفسه ، وتمكن الظلام على عقله ، فلا يبصر للحق طريقاً ، ولا يعرف للكفر مخرجاً ؛ لتمكنه فيه^(١) ، فإن في تأمل حالة هذا الكافر ، واستشعار قبح حاله ، وبأس مآله نعمة عليّة لإقناع الكفار بالعدول عن كفرهم ، كما أن فيه توجيهاً كريماً إلى حسن استخدام العقل في إقامة الدليل ، والنهي عن اتباع الأهواء المضلة بغير هدى ، فـ"القلب الذي ينقطع عن الحياة ، والإيمان ، والنور ، يسمع في الظلمة للوسوسة ، فلا يرى ولا يحس ولا يميز الهدى من الضلال"^(٢) . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعلي من شأن الحذف ، منها : بناء الفعل ﴿زُيِّنَ﴾ للمجهول ، "وقد بني فعل التزيين هنا للمفعول ؛ لأن المشبه به حسن وقبيح ، فالأول تزيين عمل المؤمن للمؤمن ، والثاني تزيين عمل الكافر للكافر ، وإنما لم يذكر في المشبه إلا النوع الثاني ؛ لأن السياق له ، وإنما ذكر الأول في المثل المشار إليه في التشبيه ؛ لبيان قبح الضد بمقابلته بحسن ضده ، والذي يزين للكافرين أعمالهم القبيحة هو الشيطان بوسوسته"^(٣) ، ثم جمال الاستعارة في ﴿الظُّلْمَتِ﴾ حيثُ استعيرت للجهل والضلال والكفر بجامع عدم الإدراك في كل ، ثم الكناية في ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ عن دوام تلك النقم التي أحل الكافر فيها نفسه بإصراره على كفره ، فهو كأنه محبوسٌ في مكان تحيط به الظلمات من كل جهة ، ضيقة أنفاسه ، كالح وجهه ، منقبض صدره ، وزيادة حرف الباء في خبر ليس -﴿بِخَارِجٍ﴾ - لزيادة في المعنى هي : تأكيد عدم الخروج من ذلك السّجن الذي حبس الكافر فيه كفره ، وأحاطت به خطيئته^(٤) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْفَلِ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، شبه احتباك "أثبت أولاً الإشراك

(١) ينظر : الموضوع السابق بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ١٢٠١/٨ .

(٣) تفسير المنار ٣١/٨ وما بعدها .

(٤) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ٣٤٠/١ .

دليلاً على حذفه ثانياً ، وثانياً التكذيب دليلاً على حذفه أولاً " (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تكذيباً) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أشركوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَشْرَكُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : سيقول الذين أشركوا تكذيباً منهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين أشركوا من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا .

وسرّه أنه ذكر أعظم الكبائر ترهيباً من سوء الصنيع وبشاعة الجرم الذي سيقولون به . إن الغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل في إبراز صورة الكافرين في شدة ملازمتهم الشرك والتكذيب ترهيباً اقتضاه السياق ودعا إليه المقام ؛ لكون المقصد الأعظم من بناء السورة يسعى لإيضاح دلائل القدرة على تحقق البعث ، ففيه إرشاد إلى أهمية الإيمان بالغيب ؛ لأنه أدل على التوحيد ، أمّا الخاص فتضمن الإخبار بقول الكفار بمشيئة الله في إبطال نبوة الأنبياء ، وهذا باطل يمنع من اتباع الظن في الأمور العقديّة (٢) ، فأصل المراد متحقق في أن الله كلف البشر عامة أن يعلموا أوامره ونواهيه ، ثم يكلفوا أنفسهم القيام بها طاعة وتسليماً ، وحين يحاولون العمل بحقيقتها يهديهم الله ويشرح صدورهم لنور الإسلام (٣) ، فثبت أن العذاب سيقع على كل من لازم الكفر أولاً ، وتأكد حقيقة قيام الساعة ثانياً ، تحقق سؤال الكافرين عن سبب شركهم وتكذيبهم ثالثاً ؛ حثاً على الحرص والاجتهاد في طلب الحق والعمل به ، لترتقي به النفوس في معرفة وحدانية ربها (٤) . ومن أبرز لطائف القول بالحذف الحث على مراعاة الصحة في تقديم الحجج والبراهين ؛ لتكون سنداً صحيحاً به يتقوى صاحبها ، لا سنداً باطلاً يهوى بصاحبه في النار . ثم إعلام النبي ﷺ خاصة والبشر عامة بحال المشركين يوم القيامة وهو غيب عند الله ؛ للإرشاد إلى حقيقة كفر المشركين لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه في الدنيا ، فإن في العلم نوراً به تحيا القلوب ، وفي الجهل ظلاماً يطمس العقول ، فالعبد لو أراد أن يفعل بالتكاليف

(١) نظم الدرر ٣١٢/٧ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي ٤٤١/٢ ، والتفسير الكبير ١٨٦/١٣ ، التحرير والتنوير ١٤٨/٨ بتصرف .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن ١٢٢٧/٨ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٢٨/٧ وما بعدها بتصرف .

من أوامر ونواهيٍّ لأمكنه ذلك بنور الفطرة السليمة ويقين العقل المبين ^(١) .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَارِبُ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأفال: ١٣م) ، شبه احتباك " ذكر الفعل المدغم أولاً دليلاً على حذف المظهر ثانياً ، والمظهر ثانياً دليلاً على حذف المدغم أولاً " ^(٢) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (شاقوه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُشَاقِقِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يشاقه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ شَاقُوا ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله وشاقوه -باشتهار السيف جهراً- ، ومن يشاقق الله ويشاقه -سراً أو جهراً- ورسوله فإن الله شديد العقاب .

وفيه نظر ؛ لتكلف التقدير ؛ لما فيه من ركافة لا تناسب جمال النظم وهيبته ، ثم إن المقصود من الحذف -وهو : بيان بشاعة حال المخالفين أمر الله ورسوله ، حيث قال بنبرة التهيب الشديد من سوء الصنيع وسوء الجزاء : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَارِبُ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ فأظهر الإدغام في المضارع (يشاقق) ؛ لأن القصة للعرب ، وكان أمرهم في عداوتهم بعد الهجرة فيه مجاهرة وشدة ، وأدغم في الماضي (شاقوا) ؛ لأن ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالمحاكرة ومجاهرة بالمقاهرة ، وعبر بالمضارع ندباً إلى التوبة بتقيّد الوعيد بالاستمرار ^(٣) -متحقق دون تأويل . وفي موضع آخر من سورة الحشر ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٤م) ، أدغم في الموضعين (شاقوا ، ويشاقق) ؛ لأن القصة لليهود ، وأمرهم كان ضعيفاً ومساترة في محاكرة ^(٤) . فما أصابهم من العذاب الفظيع كان بسبب مشاققتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبتة أصلاً ، فبلغ بهم العذاب أقصى درجات الشدة والفظاعة ،

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) نظم الدرر ٢٣٩/٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٣٨/٨ .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

وهذا ما اتضح من إيثار التعبير باسم الإشارة (ذلك) ، فهو للبعيد^(١) ، ومن إظهار لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار ؛ وذلك لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه ، ومن التذييل^(٢) الذي عمّ كل من يشاقق الله ، وعم أصناف العقائد في ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٣) .

*

كما أسهم الحذف في نفي الإيمان من أهل الكفر ترهيباً، وذلك في : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُزْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة: ٤٥، م) ، ففيه شبه احتباك^(٤) ، فالحذوف من الطرف الأول (لم يؤمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (ترتاب قلوبهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأُزْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، في الطرف الثاني . وتقديره : "الذين لم يؤمنوا ولا يؤمنون وارتابت وترتاب قلوبهم"^(٥) . وسره أن "الارتباب ملازم لانتفاء الإيمان"^(٦) .

فصورة الحذف التركيبية -هنا- تركز على إبراز حال المشركين ؛ لإظهار شدة ملازمتهم الكفر ترهيباً اقتضاه السياق العام المتضمن معاداة من أعرض عن التوحيد وموالاته من أقبل عليه^(٧) ، وكذا الخاص لما تحقق فيه إبراز صفات المنافقين في تخلفهم عن الجهاد ، فهم "في شكهم متحيرون ، وفي ظلمة الحيرة مترددون ، لا يعرفون حقاً من باطل"^(٨) ، وهذا هو أصل المراد المتحقق في المعاني الجوهرية ، الأول : في ذكر أنهم ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، والثاني : في ذكر ﴿ وَأُزْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، فثبت بالركنين المذكورين ملازمة الكفر والارتباب لهم ؛ لإنكارهم أهم مبادئ التوحيد ، وبالحذوفين مزيد التأكيد

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٤/ ١١ .

(٢) وهو : أن يقطع الكلام بما يشتمل على معناه توكيداً لا محل له ، التبيان في البيان ، ص ٣٠٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٩/ ٢٨٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٠/ ٢١٣ .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) الموضوع السابق .

(٧) ينظر : نظم الدرر ٨/ ٣٥٠ .

(٨) جامع البيان ١٠/ ١٤٣ .

لتتحقق تلك الصفات ، فهم لا يجزمون بشيء من التوحيد ؛ لما فيهم من الشك^(١) ، فللشاك المرتاب غير مؤمن بالله^(٢) ، ففيه إرشاد يوجب أهمية الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهذا يُعظم في النفوس المحافظة على الطاعة . وللحذف أثر بارز في إعلام البشر عامة أن الباعث على ملازمة الجهاد هو صدق الإيمان بالله واليوم الآخر ، " فمن آمن بهما قاتل في سبيل دينه وتوحيده وهان عليه القتل فيه ؛ لما يرجوه في اليوم الآخر من النعيم المقيم ، ومن لم يؤمن بمعزل عن ذلك ، فللإيمان بهما مستلزم للإيمان بسائر ما يجب الإيمان به " ^(٣) .

*

وكما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ ﴾ (يونس: ٧٧، ك) ، شبه احتباك " ذكر القول في الأول دال على حذف مثله في الثاني ، وذكر السحر في الثاني دال على حذف مثله في الأول " ^(٤) . وعليه فالحذف من الطرف الأول (السحر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَسِحْرٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (تقولون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقدير الكلام : أتقولون للحق لما جاءكم ، إنه سحر ، أسحر هذا حتى تقولون فيه ذلك .
وفي هذا نظر ؛ لتكلف القول بالحذف ؛ لكون المعنى لا يحتمل التأويل على تلك الطريقة ؛ لأن العلة منه ظاهرة- في أنه ذكر أبشع ما كان منهم تجاه الحق ترهيباً ، وإعلاماً بأن استكبارهم عائد عليهم ؛ لكون القول والسحر مجتمعين في عدم الصحة ، فلا ثبات لهما ولا أصل لما يقولون- في سياق الآية مع ما قبلها ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وما بعدها ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٧٨، ك) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدْلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (إبراهيم: ١١٠)

(١) ينظر : نظم الدرر ٨/٤٨٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ١٦/٦٢ .

(٣) روح المعاني ١٠/١١٠ .

(٤) نظم الدرر ٩/١٧١ .

ك،٢٨ ، شبه احتباك ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول (شكرها) ؛ لدلالة ذكر ﴿كُفْرًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (نقمة) ؛ لدلالة ذكر ﴿نِعْمَتًا﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "بدلوا نعمة الله وشكرها كفرًا بها ونقمةً منه" (١) .

وسرّه : أنه ذكر أفضل ما من به عليهم من النعم ترغيباً في لزوم شكرها ، وأقبح ما كان منهم في مقابلة تلك النعم ترهيباً من كفرها ؛ إذ "وضعوا الكفران محل الشكر ، فاستعملوا النعمة للكفر ، بدلاً من استعمالها فيما كان ينبغي لها من الشكر " (٢) . فالأعلى بمقام الخطاب والأولى لما يقتضيه السياق حمل النظم على شبه الاحتباك ؛ لما فيه من المساهمة في إبراز الجانب الإيماني من خلال تقييح صورة الكافرين في لزوم الجحود والنكران . وبتبصر دلالة السياق العام يتضح حسن الحذف ؛ لأن مقصد السورة الأساسي متمثلٌ في تحقيق الدعوة إلى التوحيد (٣) ، فمن فيض رحمانيته إرسال الرسل رحمة ، ونعمة للخلائق ، فمن أقبل وشكر دخل الجنة ، ومن أعرض وكفر دخل النار ، والخاص مختص بالحديث عن كفار أهل مكة (٤) ، فبعد أن ذكر حال المؤمنين وهداهم ، وحال الكافرين وإضلالهم ، ذكر السبب في إضلال المشركين وهو تبديل نعمة الله كفرًا (٥) ، فتحقق بالحذف تأكيد قبح إعراضهم عن شكر نعم الله ، والتي من أجلها نعمة إرسال محمد ﷺ بالتوحيد إليهم ، فلم يصدر منهم أدنى شكر ، و"لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا ، فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر" (٦) . وفي تدبر دلالة الاحتباك تحذير بالغ يكشف عن قبح ملازمة الجحود والنكران ، وحثّ يرشد إلى الحرص على دوام شكرها ، فإن في دوام شكرها تأكيد بقائها .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَدْبَارُ الْأَشْيَاءِ فَنَزَّلْنَا الذِّلَّةَ وَالرِّجْسَ مِنَ السَّمَاءِ فَأَلْجَأُوا الْكُفْرَ وَالنُّكَرَانَ وَاتَّخَذُوا الْأَعْيُنَ حُجَّتًا لَّهُمْ فَبَدَّلْنَا طِينَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ نَارًا لَّيًّا يُسَمَّرُونَ هُمْ وَرِجْسُهُمْ فِئْتَانٌ يَدْعَوْنَ إِلَى الْغَيْبِ وَهُمْ فِي حُجَّتٍ أَلْمُوزَةِ ﴾

(١) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٣ .

(٢) لطائف الإشارات ٢٥١/٣ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٦٩/١٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢١٩/١٣ .

(٥) ينظر : البحر المحیط ٤١٩/٥ .

(٦) الكشف ٣٧٧/٢ .

وَلِيَّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النحل: ٦٣﴾ ، شبه احتباك^(١) ، فلحذوف من الطرف الأول (زين لهم الشيطان أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (كان وليهم من قبل) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ في الطرف الثاني . وتقدير الكلام : "لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فكان وليهم حينئذٍ ، وهو وليّ المشركين اليوم يُزيّن لهم أعمالهم كما كان وليّ من قبلهم"^(٢) .

وفيه نظر ؛ لأن أركني الطرف الأول مذكوران معاً ، والطرف الثاني محذوفان معاً .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (طه: ٨٦ك) ، شبه احتباك " ذكر طول العهد الموجب للنسيان أولاً دليلاً على حذف العناد ثانياً ، وذكر حلول الغضب ثانياً دليلاً على انتفاء الجناح أولاً " ^(٣) ، المحذوف من الطرف الأول (لم يكن عليكم في الإخلاف جناح) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عاندتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "أطال عليكم العهد بزيادة عشرة أيام فنسيتم ، فلم يكن عليكم في الإخلاف جناح؟ أم أردتم أن يحل عليكم الغضب فعاندتم"^(٤) .
وسرّه "أنه ذكر السبب الذي هو طول العهد أدل على النسيان الذي -هو المسبب- ، وإثبات الغضب وهو المسبب أنكأ من إثبات سببه الذي هو العناد " ^(٥) . وفيه نظر ؛ لعدم اتضاح المراد منه .

*

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٤/١٩٥ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) نظم الدرر ١٢/٣٢٧ وما بعدها .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) الموضوع السابق .

وفي موضع آخر أبرز الحذف حال أهل الكفر ترهيباً ، وذلك في قول الحق ﷻ :

﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج: ٣١م) ، ففيه شبه احتباك "خطف الطير الملزوم للتقطع أولاً دال على حذف التقطع ثانياً ، والمكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانياً دليل على حذف ضده أولاً" (١) . فالمحذوف من الطرف الأول (يصل إلى الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يتقطع) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فتخطفه الطير وهو نازل في الهواء قبل أن يصل إلى الأرض ، أو تهوي به الريح في مكان سحيق ، فيتقطع حال وصوله إلى الأرض . وسره أنه ذكر أنكأ ما يكون للمشرك من هول السقوط وبشاعة التقطع .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في إبراز صورة المشرك في شركه ترهيباً من الوقوع في الشرك ؛ لما عليه من الضلال والسقوط ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات تبرز القول بالحذف ؛ لما تحقق في العام من الحث على ملازمة التقوى المنجية من هول القيامة (٢) ، والخاص لما تحقق فيه إبراز "عظمة التوحيد وعلوه ، وفضاعة الشرك وسفوله" (٣) ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة الحث على اجتناب عبادة الأوثان ، والاستقامة على إخلاص التوحيد لله بإفراد الطاعة له ، فإنه من يُشرك بالله كمن خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق (٤) . فأنتج الحذف جملة من لطائف المعاني أسهمت بأثر فاعل في إبراز حال المشرك بدافع إعلام البشر-خصوصاً الخارجين عن الشرع- بحقيقة الشرك وحال الواقع فيه ؛ ترهيباً من قوة السقوط ، وشدة الضغطة لبعث السقوط ، فتحقق هلاكه لا محالة ، إمّا في السماء بخطف الطير له ، وإمّا في الأرض حال وصوله (٥) . فاستشعار صورة المشرك حافز يولد في النفوس عظم الجرم وبشاعة وبشاعة العذاب وشده الخوف من الله ؛ مما يدفع إلى اتقاء ذلك بالرجوع إلى الإيمان . وفي

(١) نظم الدرر ٤٤/١٣ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١/١٣ .

(٣) المرجع السابق ٤٣/١٣ .

(٤) ينظر : جامع البيان ١٥٥/١٧ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٤٤/١٣ .

الحذف تذكير لعامة الخلق بأن المشرك في القيامة لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فهو في أدنى درجات الضعف .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَكَذَّبُوا فَمِثْلَهُمْ سَاءَ أَتْمِئَةً ﴾ (الشعراء: ٦٠، ك) ، شبه احتباك "ذكر التكذيب أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والاستهزاء ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً" (٢) ، فالمحذوف من الطرف الأول (استهزؤوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (التكذيب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَذَّبُوا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فقد كذبوا واستهزؤوا بآيتنا ، فسيأتيهم أبناء ما كانوا به يستهزئون ، وقد ضموا إليه التكذيب . وسره أنه ذكر أشبع ما يكون منهم تجاه الحق ترهيباً من الوقوع في التكذيب والاستهزاء ؛ لشدة خطرهما الموجب شدة العذاب .

فالمقصد من حمل النظم على الحذف إبراز مطلق التكذيب والاستهزاء الذي يصدر من أولئك الكافرين المكذبين المستهزئين بالدعوة المحمدية (٣) ، وإظهار جرم المشركين في حرصهم على ملازمة التكذيب والاستهزاء ؛ لتماديهم في كفرهم ، وتمردهم على ربه ، وهذا دليل ضعفهم ، وعجزهم ، وذلمهم (٤) ، فمن خلال أوجه التماثل تحقق مزيد تأكيد ما عليه الكافرين من إنكار الحق تكديفاً ، ومن الكفر بالرسول محمد ﷺ استهزاءً ؛ ففي هذا ترهيب شديد من عاقبة الاستهزاء والتكذيب ، إما بعذاب الدنيا ، أو بعذاب الآخرة المنتظر (٥) . فالغاية القصوى إيضاح أسباب الوقوع في الكفر من خلال تأكيد قبح بشاعتها وشدة عذابها ؛ حثاً على التحلي عنها ، وحرصاً على الإيمان بالتوجيه والإرشاد إليه (٦) .

*

(١) يمكن أن يقال مثل هذا التقدير في قول الحق عز وجل : ﴿ فَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠، ك) .

(٢) نظم الدرر ١٠/١٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٣/١٤ ، وإرشاد العقل السليم ٢٣٤/٤ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٦٢/١٩ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ٢٥٨٥/١٩ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٧٩/٤ .

وفي قول الحق **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾** (القصص: ٤، ك) ، شبه احتباك " ذكر العلو أولاً دليلاً على السفول ثانياً ، والافتراق ثانياً دليلاً على الاجتماع أولاً " (١) . فالمحذوف من الطرف الأول (جمعنا عليه الجنود) ؛ لدلالة ذكر **﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾** في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (سفل أمرهم) ؛ لدلالة ذكر **﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾** في الطرف الأول . وتقديره : إن فرعون علا في الأرض ؛ لأننا جمعنا عليه الجنود ، فكانوا معه إلباً واحداً ، فأنفذنا بذلك كلمته ، فكفر تلك النعمة ، وجعل أهلها شيعاً ، فافتقرت كلمتهم ، فتخاذلوا فسفل أمرهم . وسره أنه ذكر أبشع ما كان منه تقييحاً لبشاعة جرمه وعظم فعله .

فالعلائق الرابطة بين المعاني أسهمت في إبراز صورة فرعون وعظمتته في الدنيا ؛ لما عليه من الظلم الشنيع بادعائه الألوهية ، وتجبره على عباد الله ترهيباً ؛ لإبطال ما كان يصبو إليه من الشر والفساد ، في سياق الأمر بملازمة التواضع لله المستلزم للتوحيد به (٢) ، وهذا هو المقصد الأعظم من السورة ، فتحقق الترغيب في العمل بموجب الشرع في الحرص على التخلق بالتواضع وحب العدل ، فإن في الخروج عنهما خروج عن اتباع الشرع الذي يوجب الهلاك . فبالمعاني الجوهرية تحقق أصل المراد المتمثل في الترهيب من الخوض في الشرك ، وملازمة الفساد ، فـ"فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر ، وعلا على أهلها وقهرهم ، حتى أقرّوا له بالعبودية" (٣) ، ثم جعل أهلها فرقاً متفرّقين (٤) ، أما المعاني الإحسانية فدعت في المقام الأول إلى تهذيب النفوس بغرس قيم قيم الدين السمح فيها ، من خلال تعليمهم حب التواضع وملازمته في كل الأمور ، ومع كافة البشر خصوصاً من كانوا ضعفاء تحت ملكه (٥) ، "فللطغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم فينسون إرادة الله وتقديره ، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما

(١) نظم الدرر ٢٣٩/١٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٣٢/١٤ .

(٣) جامع البيان ٢٧/٢٠ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٣/٤٨ بتصرف .

يجبون ، ويختارون لأعدائهم ما يشاءون ، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون " (١) ، فإن في إبراز حال فرعون وعظمته في الدنيا إرشاداً جليلاً يدفع إلى حسن الاعتاظ ؛ لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو أكبر العبر ، وفي إعلامهم بأن إفساده في الأرض سبب طغيانه وبغيه نعمة عليّة ترشدهم إلى التخلص من البغي والفساد وملازمة التواضع ولين الجانب .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا هُدًى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٠، ك) ، شبه احتباك ، حيثُ «أثبت أولاً اتباع الهوى دليلاً على حذفه ثانياً ، وثانياً الظلم دليلاً على حذفه أولاً» (٢) . فالمحذوف من الطرف الأول (فهم ظالمون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا تبايعهم أهواءهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فاعلم أنما يتبعون أهواءهم فهم ظالمون غير معتدين ، بل هم أضل الناس ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ؛ لاتباعهم أهواءهم . وسرّه أنه ذكر قبح حالهم ؛ لترديهم في درك الكفر ترهيباً .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم بأثر فاعل في إيضاح حال الكافرين ؛ تحذيراً من اتباع الهوى ، والظلم ؛ إذ هما موجبا للإشراك بالله سبحانه ، فتقرر في النفوس عظم الترهيب من اتباع الأهواء المضلة عن الحق ، والخوض في الظلم ؛ ليحفظ المرء نفسه من الوقوع فيها .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَى تَظَاهِرُونَ مِنهِنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

(١) في ظلال القرآن ٢٠/٢٦٧٩ .

(٢) نظم الدرر ١٤/٣١٢ .

يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿الأحزاب: ٤٤م﴾ ، شبه احتباك "ذكر الفم أولاً دليلاً على نفيه ثانياً ، والحق ثانياً دليلاً على ضده الباطل أولاً" (١) . وعلى هذا فالخذف من الطرف الأول (الباطل) ؛ لدلالة ذكر ﴿الْحَقُّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فم) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ذلكم قولكم بأفواهكم ؛ لأن من كان له فم كان محتاجاً ، ومن كان محتاجاً كان معرضاً للنقائص والأوهام ، ومن غلبت عليه الأوهام كان في كلامه الباطل ، والله يقول الحق ؛ لأنه متره عن النقائص ، فلا جارحة ثم ليكون بينهما وبين معد القول مخالفة من فم أو غيره وعمما يقتضي حاجة . وسرّ ذلك "أنه ذكر ما يدلُّ على النقص في حقنا وعلى الكمال في حقه ، ودل التزيه بالإشارة ليبين فهم الفقهاء ، وعلم العلماء" (٢) وفيه نظر ؛ لتكلف فهم المراد ، فلا حاجة إلى حمل النظم على الحذف -والله أعلم- ؛ وذلك لكون الوجه المشار إليه لم يبرز عند جمهرة المفسرين ؛ لذا أبانوا المقصود من ﴿ذَلِكَمُ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ بجعل (ذلكم قولكم) جملة مستأنفة تؤكد بطلان العادات ، وهذا من قبيل التأكيد المعنوي ، والمهم أن القول الكائن بالفم ، والذي لا يتجاوز به إلى القلب واليقين ، تأكيد لكون الصورة المتقدمة صورة باطلة ؛ وأنها لا أساس لها من الفطرة الصادقة والشرع الحكيم "فذكر أفواههم تنبيهاً على أن ذلك كذبٌ مقولٌ لا عن صحة اعتقادٍ" (٣) ، وفي اسم الإشارة ﴿ذَلِكَمُ﴾ تمييز للمشار إليه عن كل صواب ، وتبرئة من هذا القول ، أي : هو قولكم لا قولنا ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ اتصال بالجملة السابقة ؛ لأن قول الحق يقابل قول الباطل الذي لا يكون إلا بالفم ، ومن هنا كانت المناسبة واضحة في هذه المقابلة بين أكثر من نقيضين في الوجود (الحق ، والباطل) ، وفيه إشارة إلى أن الحق أغلب ؛ لأنه تُسْتَمَدُّ قوته من قوة الله ﷻ ، والباطل يستمد بقاءه من بقاء الإنسان (٤) . فالمقام ليس للمقارنة ؛ إذ لا وجه لها أصلاً ، وإنما مقام بيان عدم صحة ما يقوله القائلون من أن يكون لرجل قلبين في جوف ، وأحكام تتعلق بالمظاهرة والتبني ، فليس

(١) المرجع السابق ٢٨٧/١٥ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، مادة : «ق،و،ل» ، ص ٤١٦ .

(٤) ينظر : من أسرار التعبير القرآني ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، ص ٦٤ وما بعدها .

لأحد قلبان ، وليست الأزواج أمهات ، ولا الأديعاء أبناء ؛ لاشتراكهما في كونها مقولة لا حقيقة لها^(١) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الأحزاب: ١٢م) ، شبه احتباك " ذكر النفاق أولاً دال عليه ثانياً ، وذكر المرض ثانياً دليل عليه أولاً"^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول «قلوبهم مريضة» ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف «النفاق» ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْمُنَافِقُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذ يقول المنافقون ؛ لأن قلوبهم مريضة ، والذين في قلوبهم مرض فهم لم يصلوا إلى الجزم بالنفاق ، ولا الإخلاص في الإيمان ، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً . وسره أن ذلك أدل على كفرهم وتمكن النفاق في قلوبهم ؛ لضعف اعتقادهم ، وشدة تزلزلهم .

فالقول بالحذف يشكل أثر قوياً لإبعاد البشر عن النفاق والتكذيب حتى لا يتعرضوا لشدة العذاب ، فهو ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام ؛ لما تحقق فيه من الحث على لزوم الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الله^(٣) ، فثبت عِظَمَ ما يحيط بقلوب أهل النفاق من غشاوة الضلال ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات تُعلي من شأن الحذف منها : إبراز كثرة حدوث النفاق منهم واستمرارهم فيه لدوام حالهم عليه ؛ لذا أوتر التعبير بـ ﴿ يَقُولُ ﴾ ؛ ليكشف عن تكرار ذلك منهم مرة بعد أخرى^(٤) ، ومن أبرز جواهر المعاني الإحسانية أن الحذف أسهم في إعلام البشر أن "القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهو ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، وقلب مربوط على غلاف ، فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والصديد ، فأَيّ المدتين غلبت عليه

(١) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ١٥٩/٧ .

(٢) نظم الدرر ٣٠٤/١٥ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٧٣/١٥ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٣٠٤/١٥ .

حكم له بها" (١) ، وهذا دافع إلى الترقى في مراتب الإيمان بغية امتثال التوحيد .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ (سبأ: ٨٠ك) ، شبه احتباك "ذكر الافتراء أولاً يدل على ضده ثانياً ، وذكر الجنون ثانياً يدل على ذكر ضده أولاً" (٢) . فالمحذوف من الطرف الأول (عاقِل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حِنَّةٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (من أهل القصد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفْتَرَى ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفتري على الله كذباً ، وهو عاقل يصح منه القصد ، أم به حِنَّةٌ ؛ لأنه ليس من أهل القصد .

وفيه نظر ، لكون المقدر من كلا الطرفين تفسيراً ناتجاً عن فهم المعنى ، حين جعلوا الرسول ﷺ دائراً بين الكذب والجنون ، بناء على أنه إن كان ما قاله من البعث قاله عن عمد وسلامة عقل ، فهو في زعمهم مفتر ؛ لأنهم يزعمون أن ذلك لا يطابق الواقع ؛ لأنه محال في نظرهم القاصر ، وإن كان قاله بلسانه لإملاء عقل مختل فهو مجنون ، وكلام المجنون لا يوصف بالافتراء . وإنما ردّدوا حاله بين الأمرين بناء على أنه أخبر عن تلقي وحي من الله ، فلم يبق محتملاً لقسم ثالث ، وهو أن يكون متوهماً أو غالطاً (٣) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ حَقًّا إِذَا حَأَسْنَا قَالَ إِنَّهُ لَنَبِيِّ رَبِّنَا بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرْيَةَ . وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٨-٣٩ك) ، شبه احتباك "به زال عنها ما كان من إعراب المعربين (٤) لها موجباً للارتباك (فيا ليت) إلى آخره دال على تقدير ضده ثانياً (ولن ينفعكم) إلى آخره دال على تقدير مثله أولاً" (٥) ، فالمحذوف من الطرف الأول (لن ينفعكم ذلك اليوم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ ﴾ في الطرف

(١) الموضوع السابق.

(٢) المرجع السابق ٤٥٢/١٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١٥١/٢٢ .

(٤) ينظر : الدر المصون ٥٩٠/٩ وما بعدها .

(٥) نظم الدرر ٤٣٢/١٧ .

الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يا ليت أنا لا نفرق ...) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرَيْنِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، فلن ينفعم ذلك اليوم يوم جئتمونا ؛ إذ تمنيتم هذا التمني حين عانيتم تلك الأهوال اشتراككم اليوم ، ولن ينفعمكم اليوم إذ ظلمتم ، يا ليت أنا لا نفرق أبداً ، فنعم القرين أنت . وفيه نظر ؛ لعدم اتضاح علة القول بالحذف .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ كَمَا عَلَّمَهُمْ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (محمد: ٢٤م) ، شبه احتباك "ذكر التدبر أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والأقفال ثانياً دليلاً على ضدها أولاً" (١) . وعلى هذا المحذوف من الطرف الأول (منفتحة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَقْفَالِهَا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يتدبرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أفلا يتدبرون القرآن بقلوب منفتحة ، أم على قلوب أقفالها ؛ لأنها لا تقدر على التدبر .

وسرّه أنه "ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة أولاً ، وسبب الشر الجامع للشقاوة ثانياً" (٢) . إن الغرض الأسمى من حمل النظم على الحذف تمثل في الحث ترغيباً وترهيباً على التدبر في قراءة القرآن بقلوب واعية ، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً أبصرت عيناه اللتان في قلبه ، وإذا أراد به غير ذلك طمسَ عليهما (٣) . فتحققت أهمية العمل على تدبر آيات الله للوصول إلى باهر الدلائل الموصلة إليه ، وفي حمل النظم على الحذف معانٍ ثرية توجه البشر إلى الارتقاء في مدارج الطاعات ، ولا يخفى على ذي بصيرة أثر نعمتي التدبر والتأمل في فتح آفاق الخير ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى لزوم حفظ الدين بإدامة الجهاد للكفار (٤) . أمّا الخاص ففيه دعوة إلى تدبر القرآن بقلوب واعية تعيه حق وعيه من خلال الإخبار عن حال

(١) المرجع السابق ٢٤٥/١٨ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٥٧/٢٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٩٤/١٨ .

الكافرين بإقفال قلوبهم^(١) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية ، الأول :
"أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه
ﷺ ، ويتفكرون في حُججه التي بيّنها لهم في تنزيله فيعلموا بما خطأ ما هم عليه
مقيمون"^(٢) ، والثاني : في " أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من
المواعظ والعبر "^(٣) . فالقول بالحذف أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لما حققته المعاني الإحسانية
من إعلام البشر بحقيقة التدبر والتأمل في جعل القلوب منشحة مهتدية ، فهما -التأمل
والتدبر- سبب في إنارة البصائر وفتح القلوب ، فتحقق في العقل أن مفاتيح القلوب الإدامة
على التأمل والتدبر في حقائق القرآن والعمل بها^(٤) ، أمّا القلوب الغافلة لفرط جهالتها
وإعراضها عن التأمل والتدبر فلا يدخلها الإيمان ولا يخرج منها الكفر ، لأنّ الله طبع
عليها^(٥) وفي هذا نعمة عليّة تعلم البشر عامة مفاتيح القلب الحقيقية الموصلة إلى النعيم ،
وترغب في ملازمة التأمل والتفكير في دلائل القرآن وحقائقه ، وترهب في البعد والإعراض ؛
لذا جاء تنكيرها بـ ﴿ قُلُوبٍ ﴾ ؛ لزيادة تهويل حالها وتفطيع شأنها و شدتها في القساوة
والجهالة^(٦) ، فقلوب الكافرين "أقفلَ الحقُّ عليها فلا يُدَاخِلُهَا زاجرُ التنبيه ، ولا ينبسط
عليها شعاعُ العلم ، فلا يحصل لهم فهمُ الخطاب ؛ فالبابُ إذا كان مُقْفَلًا لا يدخل فيه شيءٌ
ولا يخرج منه شيءٌ ؛ كذلك قلوبُ الكفار مقفلةٌ ، فلا الكفرُ الذي فيها يَخْرُجُ ، ولا الإيمانُ
الذي هم يُدْعَوْنَ إليه يدخل في قلوبهم . وأهلُ الشُّركِ والكفرِ قد سُدَّتْ بصائرهم وغطيتْ
أسرارهم ، ولُبَسَ عليهم وجهُ التحقيق"^(٧) .

*

كما أبرز الحذف أهمية التخلق بمكارم الأخلاق المتمثلة في رزانة العقل وقوة الصبر ترهيباً من

(١) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢٤٤ وما بعدها بتصرف .

(٢) جامع البيان ٥٧/٢٦ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٨/٢٤٣ وما بعدها .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي ٥/١٩٤ وما بعدها .

(٦) ينظر : البحر المحیط ٨٢/٨ بتصرف .

(٧) لطائف الإشارات ٥/٤١٣ .

الإحلال بهما ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ . وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٤-٥م) ، ففي الآية شبه احتباك ، "حذف التعليل بعدم الصبر أولاً لما دل عليه ثانياً ، والعقل ثانياً لما دل عليه من ذكره أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لم يصبروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ صَبَرُوا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يعقلون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ؛ لأنهم لم يصبروا -والعقل يمنع مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة ، فكيف إذا كانت رئاسة النبوة والرسالة عن الملك الجبار- ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ، فكانوا يعقلون . وسره أن ذلك أدل على سوء عملهم ترهيباً من إساءة التأدب مع الرسول ﷺ ، وفي التقدير تأديباً وتدريباً على الصصح عن الجاهل ، وعذره ، وتعليمه (٢) .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في ترسيخ مبدأ جليل يؤكد عظم النهي عن الإحلال بالأدب مع الرسول ﷺ ، ويأمر بالمحافظة على تعظيمه ؛ لما له من عظيم المكانة ، وعلو القدر (٣) . ففي تبصر دلالة السياق العام والخاص ما يُعضد من شأن الحذف ؛ لكون المقصد الأعظم من السورة قائماً في "الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ بالأدب معه في نفسه ، وفي أمته" (٤) ، فتحققت أهمية التوجيه والإرشاد إلى الإقبال على ما يوجب للجميع حسن المآب ، وجميل الثواب (٥) . وبالوقوف عند براعة النداء في مفتتح السورة دلالة جليلة تكشف عما يحيط بالمنادي والراضي من الغفلة ، وفي تدبر دلالة الحذف أثر فاعل في توجيه البشر إلى امتثال الأدب أولاً ، فـ"الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير في الأولى والعقبى" (٦) ، ففي هذا دفع لهم إلى المعالي ، وإرشاد إلى ما يتفخرون به من عليّ المحاسن . وتعلم الصبر ثانياً ؛ لما فيه من "حبس النفس عن أن تنازع

(١) نظم الدرر ٣٦٢/١٨ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٣٦١/١٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٣٥٩/١٨ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ١٤٩/١٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٥٠/١٨ .

(٦) المرجع السابق ٣٦٢/١٨ .

إلى هواها ، وهو حبس فيه شدة وصر^(١) .

*

وفي قول الحق ﷻ: ﴿وَأَن يَرَوْا آيَةَ يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ^٢ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ (القمر: ٢-٣، ك) ، شبه احتباك^(٢) ، المحذوف من الطرف الأول (رأوا الآيات وأعرضوا وقالوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَرَوْا آيَةَ يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (سيكذبون ويتبعون أهواءهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر ، وقد رأوا الآيات وأعرضوا وقالوا : سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواهم وسيكذبون ويتبعون أهواءهم"^(٣) . وسرّه أنه ذكر حقيقة حالهم في ملازمة التكذيب والإعراض واتباع الأهواء ترهيباً من قبح الإعراض عن تأمل دلائل الآيات .

فالحذف كشف بدقة عن حال المشركين في إنكار دلائل نبوة محمد ﷺ ؛ لأنه لما أراهم

أعرضوا وكذبوا ، وقالوا : هذا سحر ، فقال فيهم : ﴿وَأَن يَرَوْا آيَةَ يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(٤) ، فمن خلال أوجه التماثل بين المعاني تحققت شدة تمكن الإعراض والتكذيب فيهم ، فأصبحت -أي : الإعراض والتكذيب- دأبهم المستمر ، فهم لا ينفقون للحق مطلقاً ، ثم إن في اتباعهم أهواءهم دليل تمكن الجهل والغفلة فيهم ، فدل الحذف دلالة قاطعة على أن حالهم في ملازمة الإعراض والتكذيب في الماضي وفي الاستقبال واحد^(٥) ، وفي هذا مزيد تأكيد يقوي في النفوس المؤمنة حب الإيمان والعمل به ، وفي الغافلة التوجيه والإرشاد فلو نظروا لحصل لهم العلم واجباً^(٦) .

وفي قول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ

(١) المرجع السابق ٣٦١/١٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٧٢/٢٧ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : جامع البيان ٨٤/٢٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٨٧/٢٧ بتصرف .

(٦) ينظر : لطائف الإشارات ٦٢/٦ .

الْكِتَابِ لِيَنْ أُخْرِجْتُمْ لِنَخْرُجَكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَطُوعُ فِكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لِنَنْصُرْكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿الحشر: ١١﴾ ، شبه احتباك "ذكر الإخراج أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والقتال ثانياً
دليلاً على حذف ضده أولاً" (١) ، المحذوف من الطرف الأول (من غير قتال) ؛ لدلالة ذكر
﴿قُوتِلْتُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم تخرجوا) ؛ لدلالة ذكر
﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لئن أخرجتم من غير أن تقاتلوا لنخرجن معكم ،
وإن قوتلتم فقاتلتم ولم تخرجوا لنصرنكم . وسرّه أنه أظهر شدة نفاقهم الموجب ملازمة
التكذيب ؛ لانتفاء تحقق الإيمان فيهم ترهيباً من المكر (٢) .

فالغرض الأسمى من القول بالحذف تأكيد خبث المنافقين في إظهار غير ما أضمرنا ،
فقد أظهروا الخير ، وبالغوا في إخفاء عقائدهم (٣) ، في سياق تحقق القدرة على الحشر ؛
ليثبت الإيمان بالبعث ؛ لأنه محط الحكمة ، وموضع إظهار النعمة والرحمة (٤) ، وهذا هو
المقصد الأعظم الذي حققه السياق العام للسورة ، أمّا الخاص فتحقق فيه الإخبار بأن رسوخ
الإيمان دافع إلى إقامة السنة بالهجرة والإيثار ، وعدم رسوخه دافع إلى الخوض في
التكذيب (٥) . فالعلائق الرابطة بين المعاني أسهمت بأثر فاعل في إبراز قبح صورة المنافقين في
موالاة إخوانهم بالضلالة ، تنفيراً منهم ، وإعلاماً بأن من صادقهم تحتم هلاكه (٦) ، ففي
الحذف مزيد تأكيد لكذبهم ، وهذا من أعظم دلائل النبوة ؛ لأنه إخبار بمغيب بعيد عن
العادة بشهادة ما ظننتم أن يخرجوا فحققه الله عن قريب (٧) .

*

كما أسهم الحذف في إظهار شدة عجز أهل الكفر عن نفع أنفسهم في القيامة ترهيباً ،
وذلك في قول الحق وَعَلَيْكَ : ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . خَشِيعَةً أَنْصُرُهُمْ

(١) نظم الدرر ٤٤٧/١٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٤٤٥/١٩ بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٤٤٦/١٩ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٤٢/١٩ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٤٤٦/١٩ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

(٧) ينظر : المرجع السابق ٤٤٨/١٩ .

رَهْمُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٢﴾ (القلم: ٤٢-٤٣، ك) ، ففيه شبه احتباك ، "ذكر عدم

الاستطاعة أولاً دال على حذف الاستطاعة ثانياً^(١) ، وذكر السلامة ثانياً دال على حذف عدم السلامة أولاً"^(٢) . وعليه فالحذوف من الطرف الأول (غير سالمين) ؛ لدلالة ذكر

﴿سَالِمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (مستطيعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ؛ لأنهم

غير سالمين - لا أعضاء لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لأنفسهم - ، خاشعة أبصارهم ترهقهم

ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون مستطيعون - ليس في أعضائهم ما يمنع من

ذلك ؛ وإنما يمنعهم منه الشماخة والكبر - . وسرّه أنه ذكر قبح حالهم في القيامة ترهيباً من

الإعراض ، وحسن حالهم في الدنيا ترغيباً في الإقبال .

فتحقق بالحذف إبراز حال الكافرين في الدنيا ؛ إذ كانوا يدعون فيها إلى السجود - له

﴿سَالِمُونَ﴾ وهم سالمون مستطيعون ، فتمنعهم عنه الشماخة والكبر ، وفي الآخرة يدعون وهم

غير سالمين ولا يستطيعون^(٣) ؛ ترهيباً من المكوث في الكفر الذي يوقعهم في شدة العقاب

والعذاب . فالسياق العام أتى لأجل إظهار ما استتر، وبيان ما أجهم^(٤) . والخاص حقق

خاصية التهديد الشديد بما ثبت لله من تمام القدرة ؛ ففي إباء السجود في الدنيا دليل الجهل

بالدين ، وفي عدم الاستطاعة في الآخرة دليل تحقق شدة العذاب الذي يجعل ظهر الكافر

شديد القسوة فيكون لذلك عظماً واحداً^(٥) وهذا يُعَلِّي من شأن القول بالحذف ؛ لأنه سعى

سعى لإبراز حالهم في الدنيا والآخرة . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في المعاني

الجوهرية ، الأول : ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ، والثاني : ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ

(١) «قال الجبائي : لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دل ذلك على أنهم في الدنيا كانوا يستطيعون ، فبطل بهذا

قول من قال : الكافر لا قدرة له على الإيمان ، وإن القدرة على الإيمان لا تحصل إلا حال وجود الإيمان ،

والجواب عنه : أن علم الله بأنه لا يؤمن مناف لوجود الإيمان ، والجمع بين المتنافيين محال ، فالاستطاعة في الدنيا

أيضاً غير حاصلة على قول الجبائي » . التفسير الكبير ٨٥/٣ ، فتحقق أن نفي الاستطاعة للسجود في الآخرة

لا يدل على أن لهم استطاعة في الدنيا . ينظر : البحر المحیط ٣١٠/٨ .

(٢) نظم الدرر ٣٢٥/٢٠ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٤٢/٢٩ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٧٢/٢٠ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٣٨/٢٩ .

وَمُسْلِمُونَ ﴿﴾ ، فاتضحت بهذين الركنين حالة الكافر في الدنيا والآخرة ، وبالركنين المحذوفين ثبت أن عقابهم في الآخرة نقيض ما كانوا عليه في الدنيا ؛ إذ كانوا فيها سالمين مستطيعين ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة^(١) ، فالدنيا دار ينفع فيها القيام بالتكليف ؛ لأن أهلها قادرون عليه وعملهم نافع لهم^(٢) . وللحذف أثر كبير في إحداث علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني عظيمة أبرزت قبح حال الكافرين في الدنيا والآخرة ؛ لإقناع أهل الشرك بالعدول عن الكفر وتوجيههم نحو الإيمان من خلال استشعار الحسرة ، والندامة ؛ فالله يجعل سجود المؤمنين عليهم توبيخاً وذللاً ، وصغاراً ، وندامةً ، وحسرةً^(٣) . فالمؤمنون يرفعون رؤوسهم ووجوههم أضواءً من الشمس ، ووجوه الكافرين والمنافقين سود مظلمة^(٤) .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إبراز حال الكافرين وما يعتر بهم من شدة الغفلة ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ، ففيه شبه احتباك ، فـ"ذكر الإلهاء أولاً وحذف سببه وهو الجهل لدلالة الثاني عليه ، وذكر ثانياً العلم الذي هو الثمرة ، وحذف ما يتسبب عنه من عدم اللهو الذي هو ضد الأول " ^(٥) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الجهل) ؛ لدلالة ذكر ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يلهكم التكاثر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أهاكم التكاثر بما غلب عليكم من الجهل فلو تعلمون علم اليقين لما شغلكم التكاثر . وسرُّه أنه ذكر سوء إعراضهم عما أمامهم من الآخرة ؛ لينفي عنهم خاصية العلم تهديداً وتقريعاً .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف يكشف بدقة عن حال الكافرين المشغولين بحب الدنيا ؛ ترهيباً من شدة عذاب الآخرة ، فالقول به في هذا الموضع عليّ ؛ لما تحقق في السياق العام

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٣٢٤/٢٠ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : جامع البيان ٤٣/٢٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣٢٥/٢٠ .

(٥) المرجع السابق ٢٣٠/٢٢ .

من شدة التحذير من الانشغال بالمال والإخلاد إلى دار الزوال^(١) ، فتحققت خاصية الترهيب الشديد من الركون إلى الدنيا ، أمّا الخاص فتحقق فيه إبراز علة الشقاوة يوم القيامة للكافرين^(٢) . فأصل المراد قائم في المعاني الجوهرية ، الأول : في إيضاح غفلتهم في الدنيا وانشغالهم بالمال والجاه والبنين^(٣) ، والثاني : في محاولة ردع من أعرض عما يعنيه وأقبل على ما لا يعنيه^(٤) . فأسهم الحذف في إيضاح أسباب الهلاك أمام عقول الكافرين ، وإعلامهم أن في اتباعها هلاكاً يُوجب شدة العذاب^(٥) ، وفي تجنبها طاعة لله تُوجب الحث على " المنافسة المنافسة في الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات " ^(٦) ، وللحذف أثر فاعل يرشد إلى أنه ليس في الإسلام تكاثر بالسادة والنسب ، والجاه والمال ^(٧) ، فليس له من المال إلا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فاقتنى وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس^(٨) . كما أن في تأمل حال الغافلين في الدنيا واستشعار قبح مآلهم في الآخرة نعمة عليّة عليّة تهذب النفوس وتوجهها إلى الاعتاض والاعتبار بحال من كانوا في الغفلة ماكثين وأصبحوا في القبور جاثمين^(٩) .

*

كما أسهم الحذف في إبراز قبح حال أهل الكفر ترهيباً من سوء أفعالهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحْضُ عَلٰى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (الماعون: ٢-٣، ك) ، ففيه شبه احتباك " الدع"^(١٠) في الأول يدل على المقت^(١١) في الثاني ، والحض في الثاني يدل على

(١) ينظر : المرجع السابق ٢٢/٢٥٠ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٣٠/٢٨٣ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٢/٢٢٨ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٣٠/٢٨٤ بتصرف .

(٦) نظم الدرر ٢٢/٢٢٦ .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٠/١٦٨ .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الزهد والرفائق ٤/٢٢٧٣ ، رقم : (٢٩٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٠/١٦٩ وما بعدها .

(١٠) الدّع : الدفّع الشديّد . ينظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة : «د،ع» ، ص ١٧٦ .

(١١) المَقْتُ : أشدُّ الإِبْغاضِ . ينظر : المرجع السابق ، مادة : «م،ق،ت» ، ص ٤٧٣ .

مثله في الأول" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا يحض) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَا ﴾
﴿ وَلَا يَحْضُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بمقت) ؛ لدلالة ذكر
﴿ يَدْعُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحث على إكرامه ؛ -
لأن الله نزع الرحمة من قلبه- ، ولا يحض على طعام المسكين ، بل يمقته ولا يكرمه .
وسرّه أنه ذكر أسوأ الصفات الحاملة على الشر تنفيراً وتحذيراً من الخلود في الكفر ؛ لكون
إيذاء الضعيف والتهاون بالمعروف من أعظم علامات التكذيب بالبعث (٢) .

إن العلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت بقدر كبير في إيضاح حال المشركين وشدة
غلظتهم في معاملة الخلائق ؛ ترهيباً من خفاء المعاملة ، وفي تبصر دلالة السياق من حيث
تحقق التنبيه على عظم التكذيب بالبعث لأجل الجزاء (٣) ، والخاص من حيث الإخبار بحال
المكذبين انكشف أن القول بالحذف أسهم في إبراز معانٍ حسانٍ أوجبت التخلق بأكمل
الصفات ، ففي الدفع عنف شديد ، يولد البغض والكراهية ، ويحمل على العذاب ؛ لأن في
دفع اليتيم عن حقه ظلماً له (٤) ، فتحقق تذكير أهل الكفر بعظم الجزاء الذي ينالونه على
سييء الأعمال والأفعال . فأصل المراد متحقق في المعاني الجوهرية ، الأول : في الإخبار بأن
حاله مع اليتيم في معاملة القهر والظلم والدفع العنيف ، والثاني : في أنه لا يحث غيره على
إطعام المحتاج من الطعام (٥) ، فالقول بالحذف أجود عطاءً في فهم المراد ؛ لأنه يغرس في
النفوس الخوف من الله ، وهذا دافع إلى التطلع إلى الإحسان الذي أساسه حب الخير ،
وأعظم ثماره الرحمة (٦) . وللحذف أثر بارز في تثقيف النفوس وتعليمها مبدأ لزوم الحرص
على أفعال الخير أسوة بالرسول ﷺ خاصة في حبه للمساكين ، فمن "ضم يتيماً من أبوين
مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة" (٧) ، وتجنب أفعال الشر التي

(١) نظم الدرر ٢٢/٢٨٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٢/٢٧٩ بتصرف يسير .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٢/٢٧٥ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣٠/٣١٠ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٠/٣١١ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٢٢/٢٧٩ بتصرف .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٣٤٤ ، رقم : (١٩٠٤٧) من حديث مالك بن الحرث ؓ . قال الألباني : (صحيح

لغيره) . صحيح الترغيب والترهيب ، تأليف : محمد ناصر الدين اللباني ، بإشراف : محمد زهير الشاويش ،

تخبط به إلى أسفل دركات النار^(١)؛ وفي هذا توجيه إلهي جليل يهذب النفوس ، ويعلمها حب الإنفاق إن استطاعت ، والحث إن عسر عليها ، فوجب الحرص الشديد على إطعام اليتامى والمساكين^(٢) ، فإن في ﴿أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥، ك) .

*

المطلب الثالث : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان حال أهل الطاعة والمعصية معاً .

– القول بالاحتباك :

يقول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦م) ، ففي قول الحق ﷻ :

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ احتباك : ذكر العلم أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، والاعتراض ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً^(٣) . وعلى هذا فالخذف من الطرف الأول (فيقولون آمنا به كل من عند ربنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (جهلوا عنه) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، فيقولون إذعانا وتسليماً : آمنا به كل من عند ربنا . وأما الذين كفروا وجهلوا عنه ، فيقولون اعتراضاً واستهزاءً : ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟^(٤) .

وسرّه : أنه ذكر ما يُشرفُ أهل الإيمان للإيمان بالله في العلم الخالص ؛ ترغيباً في الاتباع ،

(المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ ، ١٨٧/٢م) ١٩٧٩م ، باب الترغيب في الاكتساب بالبيع

وغيره ، رقم : (١٨٩٥) .

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٧٩/٢٢ بتصرف .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٠/٢١١ بتصرف ، والبحر المحيط ٨/٥١٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢٠٦/١ ، هامش رقم : (٨) .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١/٢٠٥ ، هامش رقم : (٤) ، (٥) ، ورقم : (٣-٣) ١/٢٠٦ .

وحقارة أهل الكفر ؛ لكفرهم بالله في الاعتراض - مع حقيقة العلم بأنهم خلاف الصواب ، وهذا أنكأ وأبشع ما يكون منهم- ترهيبًا .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إظهار حقيقة استكبار الكافرين عن قبول الحق والاعتراف به ؛ حيث زعموا أن الله أجل وأعظم من أن يضرب المثل بما هو حقير ، تشكيكًا في صدق نبوة محمد ﷺ ، وهذا كامن في تساؤلهم الناتج عما طوي من جهلهم ونقصهم في معرفة الدين الحق ، في مقابل إظهار حقيقة العلم المقتضي العبودية الخالصة لله ؛ لكونها الأساس الصحيح لكل متبع يدرك طريق الحق ، فإذا تحقق العلم الخالص بأنه حق حصل الإيمان بصدق النبوة المحمدية . فالناتج من وراء القول بالاحتباك : المقابلة بين المؤمنين ، والكافرين ؛ لكون الناس أمام هذا المثل نوعين : مؤمنين بكل ما أنزل الله ، لهذا لم يعترضوا ، وكافرين موقفهم الطعن في سلامة هذه الأمثال والسخرية منها ، اعترضوا قائلين : ماذا أراد الله بهذا مثلًا^(١) . ثم إن في الحذف أسرارًا ، منها : أن في المبادرة إلى قبول دعوة الحق وعدم الإعراض تأكيدًا لرسوخ الإيمان في القلب ، "لما كان الذين آمنوا ممن بادر فأجاب ، وكان ضرب المثل تأكيد دعوة وموعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا استبصارًا بنور الإيمان في ضرب المثل ، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه ، وكما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا وجهلوه ، فاستفهموا عنه استفهام إنكار لموقعه"^(٢) ، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط بين المعاني ترشد العقول إلى إدامة النظر وإمعان الفكر في التدبر والتأمل في حقيقة ضرب المثل ، ففيه اختبار من الله لهم ؛ ليميز به أهل الإيمان والتصديق من أهل الضلال والكفر^(٣) ، ثم إن في ذلك دلالة على إحاطة علم الله وكمالها في كل شيء ، فإنه بقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للمؤمن الإيمان ، وللعالم العلم ، وللفاهم الفهم ، وبضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف^(٤) . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات تعلي من شأن الاحتباك ، منها : التعبير بصيغة المضارع ﴿فَيَقُولُونَ﴾ ؛ للدلالة على أن هذا القول دأبهم وعادتهم ، ولو قيل : (فقالوا) لاحتمل

(١) ينظر : جامع البيان ١/١٨٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ١٧٨ ، ونظم الدرر ١/٢٠٥ وما بعدها .

(٣) ينظر : جامع البيان ١/١٨١ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١/٢٠٥ وما بعدها .

اللفظ أنهم قالوا هذا القول مرة واحدة ، وهذا لا يطابق الواقع من عنادهم الذي يواجهون به الحق مرات ومرات^(١) . ثم الاستفهام في : ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ " للتنبية بادعاء أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بأن يتعلق به أمرٌ من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى ، على استحالة أن يكون ضربُ المثل به من عنده سبحانه" ^(٢) .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الإيمان في حصول الإقبال على الإيمان ترغيبًا ، وحال أهل الكفر في حصول الإعراض عن الإيمان ترهيبًا ؛ وذلك في قوله : ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَا تِئِنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩ ، م) ، ففيه موضعان للاحتباك ، الموضع الأول سيعرض في بابه^(٣) . والثاني في قول الحق ﷻ : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ " إثبات الهدى في الأول دال على انتفائه في الثاني ، وإثبات الكفر في الثاني دال على حذف الإيمان في الأول" ^(٤) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (الذين آمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فمن لم يتبع الهدى) ، لدلالة ذكر ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن تبع هداي فأولئك الذين آمنوا ، ومن لم يتبع الهدى فأولئك الذين كفروا .

وسرّه : أن حذف (الذين آمنوا) تشریفٌ لهم بجميل الصنيع ، وجزيل الثواب ، والمقام مقام تهويل بشنيع الصنيع ، وتخصيص بأنكأ العذاب ، لذا ذكر (الذين كفروا) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في اتباع الهدى الذي عليه أهل الإيمان ، والترهيب من الإعراض الذي عليه أهل الكفر ، فاتضح بالحذف حقيقة التقابل بين الفريقين : (المؤمن ، والكافر) من حيث تضاد الصفات في التبشير بالجنة وما يترتب على الخلود فيها ، والإنذار من النار وما يترتب على الدخول فيها ، والسياق أتى

(١) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ١/٤٢ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١/٧٤ .

(٣) ينظر : (٤٦٩) من البحث .

(٤) نظم الدرر ١/٣٠٢ ، هامش رقم : (٣) .

ليان ذلك ، فالعام أوضح جملة الأصول العقديّة حثّاً على اتباعها ؛ لأهميتها في بناء الإيمان الصحيح ، والخاص حمل طابع التبشير للذين اتبعوا الهدى ، والإنذار من الكفر ، " ولما بَشَّرَ المؤمنين الذين اتبعوا الهدى أتبعه إنذار الكافرين الذين نابذوه بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هذا من أسوأ الكفر ؛ لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله علماً ا على غيب عهده " (١) ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ؛ الأول : في إيضاح سبب إيمان المؤمنين ، وهو اتباعهم الهدى الذي جاء به الرسل (عليهم السلام) عن ربهم ؛ إذ عملوا بطاعته في الدنيا وفق أوامره ونواهيه ، وحُذِفَ مقابله (للكافرين) ، وهو إعراضهم عن الإيمان بما جاء به الرسل ؛ إذ جحدوا دلائل وحدانية الله وربوبيته ، والثاني : في ذكر (الذين كفروا) ، وحُذِفَ مقابله (الذين آمنوا) (٢) ، فتحقق بهذين الركنين المقصد الأعظم في الحث على الإنابة والتوبة ، فإن تابوا وأنابوا واتبعوا ما جاءهم من البيان ، ففي الآخرة لا خوف عليهم ولا يلحقهم الحزن ، وإن هلكوا على كفرهم وضلالتهم قبل الإنابة والتوبة ، كانوا من أهل النار المخلدين فيها (٣) ، فحمل النظم على الاحتباك يولد جملة من المعاني الإحسانية ، التي من أبرزها: إرشاد بني البشر عامة إلى حسن استخدام العقل في تدبر دلائل الحق ؛ لأن الله أظهر في الكون دلائل خلقه وقدرته ، وجعل في العقل نوراً نقوّاً به دلائله ، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار ، فهو إما تابع هدى بنور العقل ، وإما صاحب نار (٤) ، وفي تنبيه العباد بهذا نعم عليّة تُوجب السعي ؛ لأجل التعرف على دلائل العظمة الموجبة الإيمان . وللاحتباك أثر بارز في زيادة الترغيب والترهيب المقتضيين تحقق الإيمان بالله وعدم الكفر ؛ للحرص على مبدأ تثبيت قواعد العقيدة الإسلامية ، وهو المقصود الأعظم الذي دعت إليه السورة بكليتها ، وذلك بأن يقدر المرء نفسه مع الخاسرين أهل النار ، لعله يلحق بالفائزين أهل الجنة ، فثبت أن في اتباع الهدى نجاة ، وفي الإعراض عنه هلاكاً (٥) .

*

(١) تراث أبي الحسن الحرالي ، ص ٢٠١ وما بعدها ، ونظم الدرر ١/٣٠١ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١/٢٤٨ بتصرف .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١/٣٠١ .

(٥) ينظر : جامع البيان ١/٢٤٧ بتصرف .

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ

يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٠٨، م) ، احتباك^(١) .

وفيه نظر ؛ لغموض التقدير وخفاء أركانه .

*

ويقول تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمٌّ

فَهُمْ لَا يَتَعَلَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧١، م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾

احتباك ، " حذف من الأول الداعي ؛ لدلالة الناعق عليه ، ومن الثاني المنعوق به ؛ لدلالة

المدعوين عليه " ^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الأنبياء) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الَّذِي

يَنْعِقُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذي ينعق به) ؛ لدلالة ذكر

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : " ومثل الأنبياء والكفار كمثل

الذي ينعق والذي ينعق به " ^(٣) .

ويذكر ابن أبي الإصبع أسراراً للحذف الواقع في الطرفين قائلاً : " وفي التصريح بتشبيه

الرسول ﷺ بالراعي الذي ينعق بالضأن غض من جلالته ، ومخالفة للأدب في مخاطبته . وقد

علمت مكانته عند ربه وتلطفه في مخاطبته ، وما جاء بمثل ذلك في الكتاب العزيز ليؤدبنا

به ، ويعرفنا حقه ، ويعلمنا كيف نخاطبه ، فمن أجل ذلك قلب الكلام عن وجهه... وليأتي

الكلام غير منفر ، جارياً على سنن الأدب مع الرسول ﷺ ، ولو جاء الكلام على وجهه لم

يُفِد ذلك ^(٤) . " فإذا كان الأمر كذلك فإن البيان المعجز لا يصرح بداعي الكفار ؛ لفتاً إلى

هذا السر البلاغي الفائق ، واتساقاً مع شأنه سبحانه في مخاطبة نبيه في الكتاب الكريم ، وأما

مع الكفار فإنه سبحانه لم يشأ أن ينفرهم عن نبيه بالتصريح بالضأن ، وكأنه سبحانه يفتح

(١) لأن مقتضى الظاهر أن يقال : « كما سألوا موسى ؛ لأن المشبه هو المصدر من المبني للفاعل ، أعني سؤالية

المخاطبين ، لا من المبني للمفعول أعني مسؤولية الرسول ، حتى يُشَبَّه بمسؤولية موسى عليه السلام ، فلعله أريد

التشبيهُ فيهما معاً ، ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية ، وفي جانب المشبه به المسؤولية . »

إرشاد العقل السليم ١/١٤٥ .

(٢) نظم الدرر ٢/٣٣٤ .

(٣) الإتقان ٢/١٧٠ .

(٤) بديع القرآن المجيد ، ص ١٣٦ .

أمام رسوله باب الأمل في أن تستمع هذه الآذان الصم لتعي حقيقة الدعوة ، وأن تتكلم الأفواه البكم بكلمة التوحيد ، وأن تفتح الأعين العمي على دلالات الوجود...^(١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إيضاح صورة التشبيه في الهيئة المركبة ، حيث شبه حالهم بحال الغنم مع الراعي يدعوها فتقبل ، ويزجرها فتزجر ، وهي لا تعقل مما يقول شيئاً ، ولا تفهم له معنى ، وإنما تسمع أصواتاً تقبل لبعضها وتدبر للآخر بالتعويد ، ولا تعقل شيئاً للإقبال ولا الإدبار...^(٢) . فصورة التماثل المنعقدة بين طرفي التشبيه - في كل طرف - حققت المقصود من حمل المعنى على الحذف ، وهو إظهار الصورة المنفرة من خلال تصوير هؤلاء الكافرين بالغنم ؛ ذمًا وتقبيحًا لجهلهم بحقيقة الإيمان . وهذا يؤكد مبدأ الحرص على إثبات الألوهية لله إفراداً . كما يكشف الحذف عن حالة المقلدين من اتباع ما وجدوا عليه آباءهم من غير نظر ولا استدلال ، فضرب لهم مثلاً زيادة في تقبيح شأنهم ، فوصفهم في تقليدهم لآبائهم بالراعي للبهائم ينعق ويصيح بها في سوقها إلى المرعى ، فلا تفقه شيئاً^(٣) ، وهذا يدعو إلى تثقيف النفوس لتعلم آداب الدعوة كما أوضحها الله ﷻ ، وهو الاستمرار في الدعوة بالرفق واللين ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، فعسى أن تثمر خيراً في الرجوع إلى الحق^(٤) .

*

كما يكشف الاحتباك في موضع آخر عن حال أهل الإيمان ، وأهم يقتلون دائماً لإعلاء كلمة الحق ورفعته ترغيباً ، وحال أهل الكفر ، وأهم يقتلون في سبيل الشيطان ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ الْتَقَاتِ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (آل عمران: ١٣٠) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ احتباك^(٥) فالمحذوف من الطرف الأول (أولى مؤمنة) ؛

(١) مقال من صور الحذف البليغ الاحتباك ، الإصدار الثالث/١٢٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير المنار ٢/٩٤ ، بتصرف يسير جداً .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢/٩٣ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : مقال من صور الحذف البليغ الاحتباك ، الإصدار الثالث/١٢٧٩ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٤/٢٦٣ .

لدلالة ذكر ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (تقاتل في سبيل الشيطان) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : " فئة أولى مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان " (١) . وسره : أنه ذكر أعلى درجات الإيمان المتمثل في القتال في سبيله رمزاً إلى الاعتداد بقتالهم ترغيباً . وأدنى درجات الكفر إسقاطاً لقتالهم عن درجة الاعتبار : ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، فهي في أعلى درجات الإيمان ، ولم يقل : مؤمنة ؛ مدحاً لهم بما يليق بالمقام ، ورمزاً إلى الاعتداد بقتالهم . ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ ، هي أبعد من أن تقاتل في سبيله ، وإنما لم توصف بما يقابل صفة الأولى ؛ إسقاطاً لهم ولقتالهم عن درجة الاعتبار ، وإيداناً بأنه لم يتصدوا له ؛ لما عراهم من الهيبة والوجل (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في الكشف عن حال المؤمنين والكافرين توجيهاً للاعتبار بما كان من شأن فريقَي المؤمنين والكافرين في غزوة بدر ، وهذه علامة دالة على صدق نبوة محمد ﷺ ، فقد التقت الفئتان ؛ المؤمنة تقاتل في سبيل الله وتطلب رضاه ، والكافرة تقاتل في سبيل الطاغوت (٣) ، فحسن المراد يتحقق بعد النظر في السياق العام بما فيه من إثبات أصول العقيدة الدالة على كمال التوحيد، والخاص بما تحقق فيه من إبراز حال الفئة المقاتلة في سبيل الله ، والأخرى الكافرة . فالقيمة الحقيقية لأصل المعنى تحققت في الركنين المذكورين ؛ الأول : أنها فئة تقاتل في سبيل الله ؛ لذا ثبت أنها مؤمنة لما هي عليه من الإيمان ، والثاني : في الإعلام بأنها كافرة فوجب كونها مقاتلة في سبيل الشيطان ؛ لما هي عليه من الكفر . فحصل بالحذف إعلام البشر من المؤمنين خاصية أن النصر متحقق لهم بشرط إخلاصهم في أمورهم العقديّة التي توجب لهم التوحيد، "فالمؤمنون لا يهزمون أبداً إلا بذنوبهم وتقصيرهم عن بلوغ مرتبة الإيمان الصادق ، لا بكثرة عدد أعدائهم وعتادهم ، وأن النصر حليفهم ما داموا مخلّصين لعقيدتهم ، عاملين من أجلها ، مهما كان عددهم وعتادهم..." (٤) .

(١) تفسير ابن عرفة ، لوجه : (٢٢٧) مخطوط ، ومحاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٢٠هـ ، لمحات في إعجاز سورة آل عمران ، ص ٤٤ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢/٩٥ ، وروح المعاني ١/٩٥ .

(٣) ينظر : البحر المحيظ ٢/٤١١ .

(٤) مقال من صور الحذف البليغ الاحتباك ، الإصدار الثالث ١٢٨١ .

كما أسهم الحذف في تحقق وجه حسن من وجوه الإيجاز المكثف الدقيق ، وهذا يلحظ بعقد نوع من المقارنة بين أصل النظم قبل التقدير وبعده ، وتلمس الفرق بينهما في الذهن يكشف عن خاصية عمق المعنى المراد ، "... وبتحول إلى البلاغة بالحذف في الجزئية الكريمة : ﴿فَعْتَةٌ تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ ، ونبادر إلى القول : إن روعة الحذف تتجلى في دلالة المحذوف على المذكور ، والمذكور على المحذوف ، بحيث إنا نتبين أن الجزئية الكريمة عبرت عن المعنى المقصود أحسن تعبير وأكمله ، مستعملة نصف الألفاظ فقط ، أو مكتفية بنسبة خمسين في المائة من الألفاظ المطلوبة لأداء المعنى أساساً . لننظر إلى الجزئية الكريمة ، ولنضع ما يخص كلًا من الفئتين من ألفاظ في سطر خاص به ؛ كي تسهل المقارنة بين النصيين ؛ وكي تتبين الألفاظ المحذوفة ؛ وكي تتأكد دلالة الألفاظ المذكورة بشأن إحدى الفئتين على المحذوفة في حق الفئة الأخرى : ﴿فَعْتَةٌ... تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... وَأُخْرَى كَافِرَةٌ...﴾ . وهذا هو أصل الكلام بشأن المؤمنين : فئة أولى مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وهذا هو أصل الكلام بشأن الكافرين : فئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ، أو في سبيل الشيطان . ومن البين أن واو العطف خارجة عن الفئتين في القول : ﴿وَأُخْرَى﴾ ، أو أن الواو شَرِكَةٌ بينهما . ومن البين كذلك أن كل لفظة محذوفة دلت عليها لفظة مذكورة تقابلها . ومن البين كذلك أن ثمة لفظين محذوفين في حق الفئة الأولى المؤمنة ، وقد دلت عليهما اللفظتان المذكورتان المقابلتان لهما في حق الفئة الكافرة : ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ ، وهاتان اللفظتان المحذوفتان هما : أولى مؤمنة . وقد دلّ على هذه الفئة الأولى المؤمنة كذلك القول : ﴿تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . ومن البين كذلك أن ثمة خمسة ألفاظٍ محذوفةٍ في حق الفئة الأخرى الكافرة . إن لفظة : (فئة) المذكورة في حق المؤمنين دلت على لفظة : (فئة) المحذوفة في حق الكافرين . وإن القول المذكور في حق الفئة المؤمنة : ﴿تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دلّ على القول المحذوف في حق الفئة الكافرة (تقاتل في سبيل الطاغوت أو الشيطان) . ومن البين كذلك أن الحذف أبلغ من الذكر ؛ لأنّ كامل المعنى الذي يتطلب أربعة عشر لفظاً يُتوصَّلُ إليه بسبعة ألفاظٍ فقط ، أي : بنصف الألفاظ" (١) .

(١) محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٢٠هـ ، ص ٤٤ وما بعدها .

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ احتباك "حذف أولاً البغض وما يثمره ؛ لدلالة الحب عليه ، وحذف ثانياً الثبات ؛ لدلالة الردة عليه" (١) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (يغضهم الله ويغضونه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (يثبتون على دينهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه يغضهم الله ويغضون ، فسوف يأتي الله بقوم يثبتون على دينهم يحبهم ويحبونه . وسرّه : أنه ذكر أصل كل شقاء : (الردة) ؛ لكونها قاعدة لانطلاق كل شر يقدر في صحة العقيدة ثم زوالها ترهيباً ، ثم ذكر أصل كل سعادة : (محبة الله) ؛ لكونها قاعدة كل خير يدعو إلى التمسك بزمام الإسلام ترغيباً .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز صحة العقيدة وثباتها ، وذلك بموالات أولياء الله ، ومعاداة أعدائه ، وفي فسادها وتلاشيها ؛ وذلك بموالات أعداء الله ، ومعاداة أوليائه ، فبالنظر في السياق العام يتضح حسن الاحتباك ؛ لما تقرر فيه من إثبات أصول العقيدة لأجل الدعوة إلى كمال التوحيد ، والخاص لما تحقق فيه من لزوم العمل على موالات أهل الإيمان ، ومعاداة أهل الكفر (٢) . فعمل الاحتباك على غرس الإيمان في القلوب والثبات عليه ؛ لأن به يكسب المرء الحصول على نيل محبة الله ، وهذا من أسمى علامات الرضا والقبول ، وثمرتها الترقى في سلم العبادة ، وفي إعلام البشر حقيقة حب الله لهم بعد محبتهم له ، وإخلاصهم التوحيد نعمة عليّة تعمق في الأفتدة حب الازدياد من الأعمال الصالحة ، فجاء الخطاب بـ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إشارة إلى أنهم مازالوا في أول درجات الإيمان ، وغير عاجزين عن تحقيق موالات أولياء الله ومعاداة أعدائه ، فلما كانوا في مقام يغشاهم فيه نوع من الغفلة ، نبهوا لذلك فانتبهوا . وهذا عون للبشر يرشدهم إلى العمل من

(١) نظم الدرر ١٩١/٦ وما بعدها .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

أجل أن يتخلصوا من شوائب الشرك ، ويخلصوا الإيمان لله وحده . وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف تبرز صورة حب الله لأولياته فترغبهم في الإيمان ، وبغضه لأعدائه فتنفرهم من الكفر ، «وفي ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين ؛ لأنه يجب أن يُعْلَمَ أن من كان غير مرتد فإنَّ الله يحبه . وفيه إشارة دقيقة ، فإن من كان مؤمناً يجب أن يكون لله محباً ، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه»^(١) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٦، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ احتباك "حذف من الأول الحياة ؛ لدلالة ﴿ وَالْمَوْتَى ﴾ عليها ، ومن الثاني السماع ؛ لدلالة ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ عليه"^(٢) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (الحياة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَالْمَوْتَى ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (يسمعون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنما يستجيب الذين يسمعون الأحياء ، والموتى يبعثهم الله فيسمعون . وسرّه : أنه ذكر السماع لكونه أدلّ على الاستجابة ؛ حتّى على الإيمان وترغيباً فيه ، ثم ذكر الموتى لكونه أدلّ على عدمها ؛ تحذيراً من الإعراض وترهيباً منه .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إتمام جانبي الترغيب في الاستجابة لسماع الدعوة ، والترهيب من الإعراض عنها ، وتظهر دقة المراد بعد النظر في السياق العام بما تقرر فيه من إثبات التوحيد لله بما له من عظيم القدرة على الإيجاد والإعدام والبعث^(٣) ، والخاص بما تحقق فيه من إعلام البشر حقيقة أن من لا يؤمن كالميت حتّى على الإيمان^(٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تحقق بالمعاني الجوهرية الدالة على إيضاح حال أهل الإيمان في استجابتهم للهدى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ ، وحال أهل الكفر في إعراضهم عن الهدى

(١) لطائف الإشارات ١٢٦/٢ .

(٢) نظم الدرر ١٠٢/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١/٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٠٢/٧ .

﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ . فالحذف أسهم في إبراز دقة الإيجاز الذي تمثل في المقابلة بين حالتين : حالة الاستجابة لمن لديهم قابلية السمع ؛ لأنهم أحياء يتدبرون ما يُلقى إليهم فينتفعون به ؛ فأهم ما يُميز المستجيبين للدعوة المحمدية أنهم يحيون حياة خاصة هي حياة الإيمان ، ويسمعون بسمع خاص هو سماع الاعتاظ والاعتبار ، وحالة المعرضين الذين صاروا أمواتاً في عدم قابليتهم للسمع ، فحتم على مشاعرهم حساً ومعنى^(١) . فهذا يرسخ مبدأ الإقبال على التدبر والتأمل ؛ لأن فيه حياة للقلب تُوجب الإيمان الذي يرشد لسماع الحق أفضل سماع^(٢) . ففي الاستجابة لدعوة الحق حياة للفطرة ، وشفاء للقلب ، بهما يزداد العلم ، وفي عدم الاستجابة موت للغرائز ، وكدر للقلب ، بهما يزداد الجهل ؛ لذا ثبت الإرشاد إلى الإنقاذ والتخليص من عمى الجهل وموت الضمير .

*

وفي قول الحق **﴿وَعَلَّمَكَ﴾** : **﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** (الأعام: ١٠٥، ك) احتباك " إثبات ادعاء المدارس أولاً يدل على نفيها ثانياً ، وإثبات العلم ثانياً يدل على عدمه أولاً " ^(٣) ، فالحذف من الطرف الأول (بغير علم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يقولون درست) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وليقولوا درست بغير علم ، فلا يقولون درست ، بل يقولون إنه من عند الله ولنبينه لقوم يعلمون .
وسرّه أنه ذكر أنكأ ما يُلازم الكافرين من الاعتداء على الحق ؛ لإظهار تمكن عجزهم عن الإتيان بما يدانيه ، ثم ذكر أحسن ما لأهل الإيمان من العلم الدافع بهم إلى وجه الصواب ترهيباً وترغيباً في الإقبال على القرآن والعمل به^(٤) .

فالقول بالاحتباك شكل أثراً فاعلاً لإبعاد الكفار عن ملازمة الخوض في الكفر ؛ لشدة سيطرة الجهل عليهم ؛ حتى يُثبت لهم بالدليل القاطع حقيقة عجزهم عن الإتيان بمثل

(١) ينظر : المرجع السابق ١٠١/٧ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٨٦/٧ .

(٣) نظم الدرر ٢٢٤/٧ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق.

القرآن^(١) ، فالعلائق الرابطة بين أوجه التقابل أسهمت في إيضاح فرط جهلهم ، ف«كأنهم قالوا : إنك أتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيئاً منه ، فيعلم كل موفق أنهم ما رضوه لأنفسهم مع ادعاء الصدق والمنافسة في البعد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الحيرة وتناهي الدهشة»^(٢) . فتحقق لهم ملازمة الجهل ؛ لذا قالوا : درست بغير علم ، ولغيرهم حصل الهدى الذي أنار عقولهم بالعلم ، فلا يقولون درست .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٨، ١ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ احتباك " ذكر إيمانها أولاً دليل على حذف (كسبها) من الجملة الثانية ، وذكر جملي (آمنت ، وكسبت) ثانياً دال على حذف (كافرة ، ومؤمنة) أولاً"^(٣) . وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (كافرة ولا مؤمنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كسبها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ إِيْمَانُهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا ينفَعُ نَفْسًا كَافِرَةً وَلَا مُؤْمِنَةً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبْتَ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا وَكَسَبَهَا . وسرّه : أنه ذكر أصل التوحيد رمزاً لسلامة أهله ، وإعلاماً بعظيم ثمرته وقت الحصاد ؛ للإقبال على الحق ، وتوجيه المعرضين عنه إليه ترغيباً وترهيباً .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من مجيء يوم القيامة وتحقق ما فيه من قبول الأعمال ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨، ك) ، وكذلك الترغيب في الإقبال على التوبة ؛ أملاً في الرجوع إلى الصواب ، فهي أوسع طريق لنيل

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق ٣٣٣/٧ .

شرف رحمة الله ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ (الشورى : ٢٥م) . فالسياق أتى لإبراز دلائل القدرة لله ؛ ليتحقق للبشر الإعلام بحصول القيامة لأجل الحساب ، أما الخاص فأثبت تحقق الحساب في القيامة ، للكافر العذاب ، وللمؤمن الثواب ، فتحقق إعلام البشر عامة بالوقت الذي لا تنفع الطاعة بعده وإن اقترنت بالتوبة ، وهذا يغرس في النفوس استشعار عظم الذنب ، ثم المسارعة في لزوم الأعمال الصالحة ^(١) . وفي تأمل موضع الحذف دافع قوي يعمق في القلب حب الله والأنس بطاعته ، فالخوف من الله وشدة الأهوال يملأن القلب فرعاً ورعباً يدفعه إلى لزوم العمل بهما .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال : ٦٥م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ احتباك أثبت في الأول وصف الصبر دليلاً على حذفه ثانياً ، وفي الثاني الكفر دليلاً على حذفه أولاً ^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الذين كفروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صابرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ صَابِرُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين من الذين كفروا ، وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا .

ثم في قوله ﷻ : ﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ يَا ذَنْبَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٦٦م) ، احتباك ^(٣) " ذكر

(١) ينظر : جامع البيان ٩٩/٨ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ٣٢٢/٨ .

(٣) أشكل على بعض أهل العلم تحديد موضع القول بالاحتباك ، حيث قال الدكتور عبد الحميد العيسوي : « وفي

الآيتين الكريمتين : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ

مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ يَا ذَنْبَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ تبدو صنعة الاحتباك في النظم الكريم ؛ فإنه قد أثبت في

في الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيًا ، وذكر الإذن ثانيًا دليلًا على حذفه أولًا " (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بإذن الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صابرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿صَابِرَةٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا مائتين من غيركم بإذن الله ، وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين بإذن الله .

وفي بيان بلاغة الاحتباك يقول أبو حيان : " ... ولما كان الصبر شديد المطلوبة أثبت في جملي التخفيف وحذف من الثانية ؛ لدلالة السابقة عليه ، ثم ختمت بقوله : (إن الله مع الصابرين) مبالغة في شدة المطلوبة ، ولم يأت في جملي التخفيف بقيد الكفر ؛ اكتفاء بما قبله " (٢) . وقد ترك ذكر : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تعويلاً على ذكره وهنا ، كما ترك قيد الصبر وهنا مع كونه معتبراً حتماً ثقة بذكره هناك (٣) .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إبراز الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون في القتال ؛ ترغيباً في التحلي بالصبر ونيل رضوان الله . وفي تبصر دلالة السياق العام والخاص ما يُعضد القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في العام من الأمر باتباع الداعي بغاية الإذعان والتسليم والرضا (٤) ، والخاص لما فيه من الندب إلى القتال وإعلام البشر أنهم منصورون فيه بشرط أن يلزموا آلة النصر (٥) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية الدالة على أن " فضل المؤمنين على الكافرين في القتال مقيد بأن يكون المؤمنون صابرين دون الكافرين ، أو فوق صبرهم ، ويكون الكافرون من الذين لا يفقهون في المقاصد الدينية والاجتماعية ما يفقهه المؤمنون ، فكان من إيجاز القرآن - في الآية الأولى - أن قيد العشرين

الجملة الأولى (صابرون) وحذف نظيره من الثانية ، وأثبت في الثانية (الذين كفروا) وحذفه من الأولى « . مع بلاغة القرآن - تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان - ، لعبد الحميد العيسوي ، (مكان النشر بدون ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ص ١٥١ وما بعدها . فتحديده لموضع الاحتباك - من أن في الآيتين احتباكاً - فيه نظر ؛ وذلك لأنه أجمل ذكر الآيتين لوجه الاحتباك الذي سبق .

(١) نظم الدرر ٣٢٦/٨ .

(٢) البحر المحيط ٥١٢/٤ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢٩٠/٤ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٤/٤ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢١٤/٨ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٢١/٨ .

بوصف صابرين ، ولم يقيد بذلك في المائة ، وقيد الغلب في قتال المائة للألف بأن يكون للذين كفروا الذين وصفهم بأنهم قوم لا يفقهون ، ولم يذكر هذا القيد في غلب العشرين للمائة منهم ، وكل من القيد مراد ... ثم وصف المائة في التخفيف بالصابرة ؛ لأن الصبر شرط لا بد منه في كل حال وكل عدد ، مع عدم وصف المائة به في الأولى ؛ لئلا يتوهم أنه شرط في العدد القليل - كالعشرين - دون الكثير - كالمائة والألف - ، ولم يذكره في الألف استغناء بما قبله وبما بعده من قوله : ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ، وهو مع قوله : ﴿يَا ذُنَّ اللَّهُ﴾ يدل على أن سنة الله تعالى في الغلب أن يكون للصابرين على غير الصابرين ، وكذا على من هم أقل منهم صبراً ، وفي هذا تحذير للمؤمنين من الغرور بدينهم ؛ لئلا يظنوا أن الإيمان وحده يقتضي النصر والغلب ، وإن لم يقترن بصفاته اللازمة لكماله ، ومن أعظمها : الصبر والعلم بحقائق الأمور وسنن الله تعالى في الخلق " (١) . فإن من أبرز محاسن القول بالحذف : الدعوة إلى إعلام المؤمنين طرق النصر والغلبة على الكافرين ؛ مما يدفع إلى العمل بها ؛ لكونها أعظم مفاتيح تحقق النصر ، ففيها طاعة لامثال أمر الله ومحافظة على منهج الحق المستقيم (٢) . كما أن في الحذف تثقيفاً للنفوس يُعلِّمها حب الصبر وملازمته في كافة الأمور على السواء .

*

ويعود النظم القرآني إلى مراعاة التقابل بين الأساليب ؛ لبيان بشاعة حال المنافقين وما هم عليه من الترصّد للمؤمنين ؛ حيث قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة : ٥٢) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ احتباك «حذف أولاً الإصابة ؛ للدلالة عليها بما أثبت ثانياً ، وثانياً إحدى السوءتين ؛ للدلالة عليها بإثبات إحدى الحسنين أولاً» (٣) ،

(١) تفسير المنار ١٠/٨٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٨/٣٢٢ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ٨/٤٩٨ .

وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (تصيينا) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُصِيبِكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (إحدى السوءتين) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسين أن تصيينا ، ونحن نتربص بكم إحدى السوءتين أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا .

وسرّه أنه ذكر أحسن ما يكون للمؤمنين من الخير ترغيباً في الجهاد ؛ لكونهما -النصر ، والشهادة- من أحسن عواقب الدنيا . وأقبح ما يكون للكافرين من الإصابة بالعذاب ، وهذا أبلغ في الترهيب ؛ لجواز أن يتوبوا عن نفاقهم ، ويصح إيمانهم ، وقد تاب بعضهم ، واعترفوا بما كانوا عليه بعد ظهور أمرهم^(١) . وفيه مزية أخرى هي : الإعلام بأن ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة أنفع مما يعدونه منفعة من النصر ، والغنيمة^(٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الجمع بين حالين : حال المؤمنين ، وحال المنافقين ، من خلال التقابل الذي عمق المقصود من المعنى^(٣) ؛ حيث إنهم لا ينتظرون من حالنا إلا حسنة عاجلة ، أو حسنة آجلة ، وهي : أن نصيب أعداءنا فنظفر ، ونغنم ، ونؤجر ، أو يصيبونا بقتلٍ أو غيره فنؤجر ، وكلا الأمرين حسن ، أمّا السراء فأمرها واضح ، وأمّا الضراء فموجبة لرضا الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ، ورضانا بما إجلالاً له وتسليماً لأمره ، فهي حسنى - كما نعلم- ، لا سوءى - كما يتوهمون- . فأمّا نحن فننتظر من حالكم إحدى السوءتين ، وهي : أن يعذبكم الله في الآخرة بعذاب النار ، أو في الدنيا بعذاب لا تسبب لنا فيه - كما أهلك القرون الأولى بصائر للناس- ، أو بعذاب بأيدينا ، من قتلٍ ، أو نهبٍ ، وأسرٍ ، وضربٍ ؛ لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، وكل ذلك مكروه عندكم^(٤) . فحمل الآية على القول بالاحتباك أبلغ ؛ لكونه أظهر ما لكل من حيث إن

(١) ينظر : تفسير المنار ١٠/٤٨٠ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٤/٧٣ ، بتصرف يسير جداً .

(٣) إن التقابل في الآية على نسج الاحتباك قائم بعد مراعاة التقدير ؛ لأن النص أشار إلى ذكر حالتين : الأولى :

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ ، وبالنظر فيها والمقارنة بما بعدها اتضح أنها بحاجة إلى

تقدير محذوف ؛ لذا قدير لها ، والثانية : ﴿نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ﴾ لا بد لها من محذوف على وفق ما ذكر في الجملة الأولى .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٨/٤٩٧ ، والتحرير والتنوير ٩/٢٢٤ .

السراء والضراء خيرٌ للمؤمنين ، " فالرضا بمر القضاء موجب لإقبال القاضي على المقضي عليه بالرأفة والرحمة" ^(١) ، والسوء خاص بحزب الشيطان ، ومن هنا برزت أهم خاصية من خصائص من أخلص التفرد والتوحيد ، فتحقق الهدف القرآني في النظم في سياق " بيان حال أناس من أولئك المنافقين بأقوال قالوها فيما بينهم جهراً ، وأمور أكنوها في أنفسهم سرّاً ، وأقوال سيقولونها ، وأحكام سيقسمونها ، وأعدار سيقدمونها ، وشؤون عامة فيهم - أكثرها من أبناء الغيب - مع ما يتعلق بذلك ويناسبه من الحكم ، والأحكام ، والعقائد ،

والآداب" ^(٢) . وفي تدبر دلالة الخطاب إشارات عظمي تُعلي من شأن القول بالاحتباك ، من أبرزها : الاستفهام ، " والاستفهام مستعمل في النفي بقريظة الاستثناء . ومعنى الكلام توبيخ لهم ، وتخطئة لتربصهم ؛ لأنهم يتربصون بالمسلمين أن يقتلوا ، ويغفلون عن احتمال أن ينصروا ، فكان المعنى : لا تتربصون بنا إلا أن نقتل أو نغلب ، وذلك إحدى الحسنين" ^(٣) . ثم أوتر التعبير عن التمكث أو التمهل بلفظ التربص ؛ إشعاراً ببراعة القرآن في اختيار الألفاظ ذات الدلالات الموحية بالمقصود ، " والتربص : انتظار حصول شيء مرغوب حصوله ، وأكثر استعماله أن يكون انتظار حصول شيء لغير المنتظر ، ولذلك كثرت تعدية فعل التربص بالباء ؛ لأن المتربص ينتظر شيئاً مصاحباً لآخر هو الذي لأجله الانتظار " ^(٤) . ثم التعطف " فانظر كيف أتى التعطف في هذه الآية الكريمة من صدرها في قوله :

﴿ تَرَبَّصُوا بِنَا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ ، وتجنيس الازدواج في قوله من عجزها ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ ، إلى ما فيها من الإشارة في قوله : ﴿ إِحْدَى

الْحُسَيْنَيْنِ ﴾... وقد وقع في التعطف منها مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف ، فإن مقتضى البلاغة أن يكون ترتيب النظم : قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسينين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا . فحذف لتوحي الإيجاز تفسير الحسينين من الجملة الأولى : أثبت في الجملة الثانية فراراً من تكرار اللفظ وتكثيره ، كما حذف الحسينين من الجملة

(١) نظم الدرر ٨ / ٤٩٧ .

(٢) تفسير المنار ١٠ / ٤٨٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٢٤ .

(٤) الموضوع السابق .

الثانية ، استغناء بذكرها أولاً طلباً للاختصار ، فحصل في الآية التعطف ، والمقابلة ، والإيجاز ، والتفسير ، وتجنيس الازدواج مقترن ، والتمكين مرشح لتجنيس الازدواج ، فتكملت فيها ثمانية أضرب من البديع " (١) ، ثم ناسب القول بالاحتباك إثارة التعبير بالجملة الاسمية : ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُّ ﴾ ، فلم يقل : (ونتربص بكم) -مثلاً- ؛ لإفادة تقوية التربص ، وكناية عن تقوية حصول المتربص ؛ لأن تقوية التربص تفيد قوة الرجاء في حصول المتربص ، فتفيد قوة حصوله (٢) .

*

ويلحظ التقابل بين الألفاظ والمعاني في النظم المعجز على حد فريد للكشف عن حال أناس من أهل المدينة منافقين مردوا على النفاق أقروا بذنوبهم فقال الله فيهم : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ١٠٢ ، م) ، ففي قول الحق عَنكَ : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا ﴾ احتباك (٣) ، فالحذوف من الطرف الأول (سيئاً) دلالة ذكر ﴿ سَيِّئًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صالحاً) ؛ دلالة ذكر ﴿ صَالِحًا ﴾ في الطرف الأول. وتقديره : "خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئاً ، وآخر سيئاً بصالحاً" . وسره : الإشارة إلى تساوي العملين ، وأنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلاً (٤) ؛ لكونهم أتوا أولاً بالعمل الصالح ، ثم استتبعوه سيئاً . وأتوا بالسيئ ، ثم أردفوه بالصالح ، فأحدهما لا يستلزم الآخر . والذي يؤخذ من ذلك أن في تعبير القرآن الكريم بالخلط دون الاختلاط مزية معنوية ، يؤديها الاحتباك بحذف السيئ من الأول ؛ للدلالة على أنهم قصدوا الصالح أولاً ، ثم عرضت لهم بعض المعاصي بعده دون قصد أولي ، وإنما لخور في الطبيعة وضعف في المقاومة ، وفي مرة ثانية قصدوا إلى المعصية قصدًا أولياً ، ثم عرضت لهم بعض الأعمال الصالحة فأتوها ، ومع ذلك يثابون عليها ، مع بيان أنه ليس هناك استلزام بين عمل الطاعة وعمل المعصية في عمل المحترزين ، وإنما هو من شأن ضعاف الهمم بحسب

(١) بديع القرآن المجيد ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٠/٢٢٥ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٩/١٠ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

الواقع ، ثم إن في الآية على هذا التقدير فتحاً لباب الرجاء في التجاوز عن المعاصي الطارئة على الأعمال الصالحة ، وفتحاً لقبول الأعمال الصالحة ، وإن لم يكن مقصوداً إليها ، ولا غرابة في ذلك ، فقد يثاب المؤمن رغم أنفه ، وهذا هو ما يشعر به قوله : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ، ومع ذلك فإنه يجب على المكلف أن يكون على الطمع والإشفاق ، فلا يتواكل^(١) . فالدقة والإيجاز يلحظان بالمقارنة بين أصل النظم قبل التقدير ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ وبعده : (خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئاً ، وآخر سيئاً بصلاح) .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الطاعة ترغيباً في لزوم تدبر الآيات ، وحال أهل المعصية ترهيباً من الركون إلى الغفلة عنها ، وذلك في : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤-١٢٥م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ احتباك "إثبات الإيمان أولاً دليل على حذف ضده ثانياً ، وإثبات المرض ثانياً دليل على حذف الصحة أولاً" (٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الصحة) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَرَضٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الكفر) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِيمَانًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فأما الذين آمنوا لصحة قلوبهم فزادتهم إيماناً ، وأما الذين كفروا في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً . وسرّه : أنه ذكر الإيمان ؛ لكونه أصل كل سعادة ، وأساس كل صحة ، خصوصاً صحة القلوب ؛ ترغيباً في الإقبال على تدبر الآيات ، ثم ذكر المرض وحدده في القلب ؛ لكونه أعزل ، وعلاجه أعسر وأشكل ، ودواؤه أعز ، وأطباؤه أقل ؛ ترهيباً من الإعراض عن الدين ، وسُمي الشك في الدين مرضاً ؛ لأنه فساد في الروح يحتاج إلى علاج ، كفساد البدن في الاحتياج ... ولما زاد الكفار بالسورة رجساً من أجل كفرهم بها ، كانت كأنها هي التي زادتهم (٣) .

(١) ينظر : مقال من صور الحذف البليغ ، الاحتباك ٤/١٣٨٢ .

(٢) نظم الدرر ٥٢/٩ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر من خلال ذكر حال المؤمنين عند نزول آيات الله ، وكيفية وقعها في نفوسهم ، وحال المنافقين عند نزولها ، وكيفية وقعها في نفوسهم ، ففي تبصر دلالة السياق العام إشارات عظمى تعضد من شأن الاحتباك ؛ لما احتواه من تحقق الدعوة إلى معاداة أهل الشرك ؛ لأجل كفرهم بالله ، وموالاته أهل التوحيد ؛ لأجل إيمانهم وحسن إقبالهم على تدبر الآيات^(١) ، وهذا يُعنى عناية بالغة بالتصعيد الإيماني من خلال ملازمة طول التأمل ، وإمعان النظر إلى فقه آيات الله . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد في أنهم انقسموا قسمين : مؤمنين ، ومنافقين . فالذين أوقعوا الإيمان حقيقة لصحة أمزجة قلوبهم زادتهم تلك السورة إيماناً بإيمانهم بما إلى ما كان لهم من الإيمان ، فحصلت لهم البشرية بما زادتهم من الخير الباقي الذي لا يعدله شيء ، والذين لم يؤمنوا لخبث عقيدتهم ، وفساد عقولهم ، زادتهم اضطراباً موجباً للشك ؛ لتمكنه عندهم ، إلى أن ماتوا وهم كافرون^(٢) . ومن أبرز جواهر المعاني أن الاحتباك يأخذ بالبشرية إلى مدارج النور ؛ ليدفعهم إلى الاجتهاد في تدبر آيات الله وتأملها ، فهما -التدبر والتأمل- حصن للمرء يقيه من الوقوع في الشرك ، " فالْمُؤْمِنُونَ يَخْبِرُونَ عَنْ زِيَادَةِ إِيمَانِهِمْ ، وَالْمُعْرِضُونَ يَخْبِرُونَ عَنْ عَدَمِهِ فِي وَجْدَانِهِمْ " ^(٣) . فبالعقل يُعرف طريق الإيمان فَيَتَّبِعُ ، وطريق الكفر فَيُجْتَنِبُ .

*

ويقول تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلُّبًا لَّنْ إِنَّا أَفْتَرَيْنَاهُ فَفَعَلْنَا إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴾^(٤) ، فيه احتباك "نسبة قوله : ﴿ فَعَلْنَا إِجْرَامِي ﴾ إلى قوله : (وعليكم إجرامكم) كنسبة قوله : (وأنتم براء منه) إلى قوله : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴾"^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وأنتم براء منه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وعليكم إجرامكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَعَلْنَا إِجْرَامِي ﴾ في

(١) ينظر : المرجع السابق ٥٠/٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٥١/٩ وما بعدها بتصرف .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) المترع البديع ، ص ١٩٦ .

الطرف الأول . وتقديره : "إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براءٌ منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون" (١) .

وسرّه : "ذكر الإجمام المترتب على الافتراء على سبيل الفرض والتقدير والتخيل ؛ تنزلاً معهم وملاينة ، كما يوحي به النظم في بنائه ، بينما لم يذكر براءتهم إشارة إلى أنها لن تقع ؛ لأنهم أجمروا فعلاً بإسنادهم الافتراء إليه ، وهذا في الجانب الأول من الآية ، وأما في الجانب الثاني فقد ذكر براءته ؛ لأنها حقيقة واقعة ، وهي الأهم في السياق ، وقد اكتفى بدلالة الإنكار الذي صدرت به الآية عن ذكر عقوبة جرمهم ؛ ولأن في إدماج تسجيل الإجمام عليهم إشارة إلى الجزاء المترتب عليه ، كما أن تنزله معهم إلى الفرض والتقدير وملاينته لهم رجاء أن يثوبوا إلى عقولهم ورشدهم لا يلائمه مصارحتهم بتسجيل جرمهم قصداً" (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تقرير مبدأ العدل الإلهي من خلال إبراز موقف المشركين - في معارضة الدعوة - مع رسلهم ، ليتحقق الإيمان ترغيباً وترهيباً ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قائمة في الركنين المذكورين ، الأول : "فعلي إثمي في افترائي ما افتريت" (٣) ، والثاني : "وأنا بريء مما تذبنون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه" (٤) . وفي حمل النظم على الاحتباك معانٍ حسان ، من أجلها : تعليم البشر مبدأ الحرص على تحكيم العقل في قبول الحق ، لا اتباع الأهواء الضالة ، فإن ثمره عملهم في الدنيا واقعة بهم لا محالة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتكونت أهم مبادئ العقيدة الإلهية المتمثلة في : ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَلَا زِرَّةٌ وَلَا نُزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥ ك) ، فتحمل المسؤولية وعاقبة الأعمال تقع على المرء نفسه ، وفي إعلام البشر بهذا حافز قوي يُرشد إلى التمسك بفعل الخيرات وترك المنكرات .

*

كما أسهم الاحتباك في إبراز حال أهل الطاعة في الآخرة ، وحال أهل المعصية ترغيباً وترهيباً : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا

(١) الموضوع السابق .

(٢) من صور الحذف البليغ الاحتباك ١٣٨٣/٤ .

(٣) جامع البيان ٣٢/١٢ .

(٤) الموضوع السابق .

يُظَلَمُونَ فِتْيَلًا . وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿الإسراء: ٧١-٧٢، ك﴾ ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأَوْلَتْكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فِتْيَلًا . وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ احتباك «أثبت الإتيان باليمين والقراءة أولاً دليلاً على حذف ضدهما ثانياً ، وأثبت العمى ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً «^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فهو في الآخرة أبصر) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن أوتي كتابه بشماله) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن أوتي كتابه بيمينه فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلاً ، فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلًا . ومن أوتي كتابه بشماله فهو لا يقرأ كتابه ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً . وسره أنه ذكر ما يكون لأهل الإيمان تشریفاً وتبشيراً " إبانةً لخطر الكتاب المؤتى ، وتشریفاً لصاحبه وتبشيراً له من أول الأمر بما في مطاويه " ^(٢) ، ثم عاد فذكر ما يكون لأهل الكفر والضلال تحقيراً ، "فهو لا يهتدي إلى ما ينبجى ولا يظفر بما يجديه ... وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ، ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر ؛ تعويلاً على شهادة العقل" ^(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب الشديد من هول القيامة ، والترغيب في اقتناء الفضائل اقتداءً بأهل الإيمان في إيمانهم ، فالقول به في هذا الموضوع ذو اعتلاق بالغ بدلالة السياقين العام والخاص ؛ لما تحقق في العام من تقرير حقيقة التوحيد الداعي إلى امتثال الإيمان لأجل الجزاء على الأعمال ^(٤) ، والخاص لما تحقق فيه من إثبات حقيقة الآخرة وما فيه من الجزاء . فأصل المراد - القائم في ذكر حال البشر يوم القيامة ترغيباً وترهيباً - متحقق في الركنين الجوهرين ؛ الأول : في إبراز حال أهل السعادة في الآخرة يؤتون كتبهم بأيمنهم ، وحذف مقابله ، وهو حال أهل الشقاوة يؤتون كتبهم بشمائلهم ، والثاني : في الإخبار بأن من كان في الدنيا معرضاً عن دلائل خلق الله ، كافرًا

(١) نظم الدرر ٤٧٩/١١ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٨٧/٥ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٨٦/١١ .

بها جاحد وحدانيته ، هو في الآخرة أعمى عن طريق الخير و أشد ضلالاً^(١) ، وحذف مقابله ، وهو حال من أقبل على آيات الله ، فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلاً ، وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إرشاد العباد استعداداً ليوم الحساب ، فالأتقياء فيه يعطون كتبهم بأيامهم ، والأشقياء بشمالهم ؛ مما يدفع القلوب الغافلة إلى امتثال طريق الحق . وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف ، وهي إعلام البشر بأن الذين حصل لهم عمى القلب في الدنيا إنما حصل لهم ؛ لشدة حرصهم على تحصيلها وابتهاجهم بلذاتها وشهواتها^(٢) ، وفي الإعلام بهذا نعم جليلة تدفع إلى ترك الدنيا والعمل لها ، ويغرس في النفوس حب الآخرة والإقبال عليها ، كما أن في استشعار الأهوال والموقف المهيل المفزع إيقاظاً لجانب الخوف من الله ، وهذا من أسنى مبادئ رسوخ العقيدة في القلب ؛ لأن الخوف من الله ينتج الإيمان الصادق الصحيح من خلال تأمل دلائل خلقه ومظاهر عظمته ، فتزداد الرغبة في العمل لأجل الآخرة . كما أسهم الحذف بأثر بارز يبعث في النفس حب العدل وتجنب الظلم ، فمن العدل أن يلقي المرء ثمرة غرسه حين حصادها ، فيحصل سعادته ورضاه ، أو شقاوته وسخطه .

*

وفي موضع آخر أسهم الاحتباك في الحث على التصديق وتجنب التكذيب بالآيات الشاهدة على كمال التوحيد ترغيباً وترهيباً ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (الحج: ٥٦-٥٧م) ، ففيه احتباك "والأصل" فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين"^(٣) ، فالمحذوف من الطرف الأول (صدقوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَكَذَّبُوا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وعملوا السيئات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ في الطرف الأول . وسرّه أنه ذكر أحسن ما عليه أهل الإيمان من فعل الصالحات ترغيباً فيها ، وذكر أقبح ما عليه أهل الكفر من الإعراض عن تأمل دلائل الآيات والتكذيب بها ؛ ترهيباً من شناعة صنيعهم وضعف عقولهم .

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٥/١٧٠ ، وفي ظلال القرآن ١٥/٢٢٤١ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ٢١/١٦ .

(٣) روح المعاني ١٧/١٨٧ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أبرزت معنىً جليلاً تضمن الكشف عن خاصية الترغيب والترهيب من خلال أوجه التقابل الذي أحدث في النظم انسجاماً ظهر جلياً في طرفي المقابلة ، فالذين عملوا الصالحات مقابلها محذوف ، هم الذين عملوا السيئات ، والذين كذبوا مقابلها محذوف ، هم الذين صدّقوا . ويظهر حسن المراد ودقته بعد النظر في السياق العام بما تقرر فيه من الحث على التقوى المنجية من هول يوم القيامة ^(١) ، فتحقق حسن الإعلام بحقيقة القيامة ترهيباً يعظم في النفوس المحافظة على الصالح من الأعمال والأفعال ، وتجنب السيئ منها ، أما السياق الخاص فهو أشد بيانياً لما تحتويه صورة الاحتباك من إبراز حال أهل الطاعة في عملهم الصالحات ، وحال أهل المعصية في تكذيبهم الآيات . ولهذا فإن القول بالاحتباك ذو أثر عليّ في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله بعمل الصالحات ليؤكد أن في الرجوع إلى الإيمان سعادة المؤمن ، وبدونه هلاك الكافر ^(٢) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك "خلاف الظاهر" ^(٣) . والظاهر أن الحذف على طريق الاحتباك يُعدّ وجهاً من وجوه فهم المعنى أبرز حسن المراد ، وأسهم في الرقي الإيماني .

*

وفي قول تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (الروم: ٤٤، ك) ، احتباكان . الموضع الأول في قول الحق ﷻ : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ فـ "حذف أولاً عدوانهم على أنفسهم لما دلّ عليه من المهد ، وثانياً كون العمل خاصاً بهم لما دل عليه من كون الكفر على صاحبه خاصة ، وأحسن من هذا أن يقال : ذكر الكفر الذي هو السبب دليلاً على الإيمان ثانياً ، والعمل الصالح الذي هو الثمرة ثانياً دليلاً على العمل السيئ أولاً" ^(٤) . فالحذوف من الطرف الأول (وعلى أنفسهم يعتدون ولها يمهدون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف

(١) ينظر : نظم الدرر ١/١٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٧/١٩٤ بتصرف .

(٣) روح المعاني ١٧/١٨٧ .

(٤) نظم الدرر ١٥/١١٠ وما بعدها .

(فلهم خاصة عملهم الصالح) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من كفر فعليه كفره وعلى أنفسهم يعتدون ولها يمهدون ، ومن عمل صالحاً فلهم خاصة عملهم الصالح ولأنفسهم يمهدون .

أما الموضع الثاني ففي قول الحق ﷻ : ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (فعمل سيئاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الإيمان) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَفَرَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من كفر فعلم سيئاً فعليه كفره ، ومن آمن وعمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون . وسرّه أنه ذكر أفضل ما لأهل الإيمان ترغيباً ، وأسوأ ما لأهل الكفر ترهيباً .

فصورة الاحتباك - في الموضعين - أسهمت في إبراز حال المؤمنين ترغيباً في حصول العمل الصالح وتحقيق الإيمان ؛ لكونهما الطريق الموصل إلى الجنة ، وحال الكافرين ترهيباً من العمل السيئ والكفر ؛ لكونهما الطريق الموصل إلى النار . فالأنفع للسياق والأجدر لما يقتضيه المقام القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في السياق العام من الحرص على إثبات دلائل وحدانية الله من حيث تحقق نصر الأولياء ؛ لحسن إيمانهم ، وخذلان الأعداء ؛ لقبح كفرانهم^(١) ، أمّا الخاص فتحقق فيه إثبات الركن الأعظم الأدل على تمكن التوحيد ، وهو الدعوة إلى الإيمان بالغيب ؛ لإثبات حقيقته في نفوس البشر عامة ، فالمراد أنهم - يوم القيامة - فريقان فريق في الجنة يتنعمون ، وفريق في السعير يحترقون ، فحصل من خلال الاحتباك إعلام البشر أن العمل الصالح يزكي النفوس ويطهرها من رذائل الأخلاق ، والعاملون به لهم خاصة أعمالهم ولهم عملهم الصالح^(٢) ، وفي هذا نعمة عظيمة ترغب في النفوس حب الصالحات والسعي لها ، فبها يوطن المرء لنفسه في الآخرة فراشاً ومسكناً وقراراً^(٣) به تكون راحته^(٤) ، ففي العمل الصالح عز ورفعة لبني الإنسان ؛ لأن الله يعزهم بعز طاعته^(٥) . وللاحتباك أثر بارز في إحداث علاقات ربط جديدة أضافت للنظم معاني من أجلها ترسيخ أصل من أصول

(١) ينظر : المرجع السابق ١/١٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٠٩/١٥ وما بعدها .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٤٢/١٤ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ١٦٦/٢١ وما بعدها .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٠٩/١٥ وما بعدها .

العقيدة متمثل في أن ضرر الكفر والعمل السيئ يعود على الكافر لا يتعداه ، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه^(١) .

*

ويبرز التقابل خاصة الترغيب في الشكر والترهيب من الكفر ، وذلك في قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

(لقمان:١٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

حَمِيدٌ﴾ احتباك " تخصيص الشكر بالنفس أولاً يدل على حذف مثله من الكفر ثانياً ،

وإثبات الصفتين ثانياً يدل على حذف مثلهما أولاً^(٢) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف

الأول (فإن الله غني حميد) ؛ لدلالة ذكر ﴿فإن الله غني حميد﴾ في الطرف الثاني ، ومن

الطرف الثاني حذف (ومن كفر فإنما يكفر على نفسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، فإن الله غني

حميد ، ومن كفر فإنما يكفر على نفسه ، فإن الله غني حميد .

وسره : أنه ذكر الشكر ؛ لكونه أدل على كمال الحكمة وتمام القدرة : " فإن شكر الله من

الحكمة ؛ إذ الحكمة تدعو إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه ؛ لقصد العمل بمقتضى

العلم ، فالحكيم يث في الناس تلك الحقائق على حسب قابلياتهم بطريقة التشريع تارة ،

والموعظة أخرى ، والتعليم لقابليه مع حملهم على العمل بما علموه من ذلك ، وذلك العمل

من الشكر ؛ إذ الشكر قد عُرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من مواهب ونعم

فيما خلق لأجله ؛ فكان شكر الله هو الأهم في الأعمال المستقيمة ، فلذلك كان رأس

الحكمة ؛ لأن من الحكمة تقديم العلم بالأنفع على العلم بما هو دونه ؛ فالشكر هو مبدأ

الكمالات علماً ، وغايتها عملاً^(٣) ، ثم ذكر صفتي الغني الحميد ؛ لإثبات غنى الله عن شكر

وحمدي بني البشر عامة ؛ لأنه غني حميد بذاته وصفاته .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ العقيدة ،

(١) ينظر : الكشاف ٢٢٥/٣ .

(٢) نظم الدرر ١٦٠/١٥ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥٢/٢١ .

وهو : الحرص على لزوم الشكر على النعم ، فمن بادر وشكر ما نفع إلا نفسه ، ولو كفر ما ضرر إلا نفسه ، وأنه ﷺ غني عن شكر الشاكرين^(١) ، فالأنفع للسياق والأجدى لما عليه المقام القول بالاحتباك ؛ لما تقرر في السياق العام من إثبات الحكمة للكتاب المبين اللازم منها حكمة الله ﷺ في أقواله وأفعاله^(٢) . والخاص لما تحقق فيه من إبراز أعظم دلائل التوحيد المتمثلة في إثبات تلك الحكمة ، وهي الإقبال على الله بدوام الشكر على النعم^(٣) . فثبت بالمعاني الجوهرية أن من يشكر الله على نعمته فإنما يشكر لنفسه ، فلهذا يجزل له على شكره الثواب^(٤) ، ومن كفر نعمة الله عليه أساء ، فلهذا معاقبه على كفرانه ، والله غني عن شكره ؛ لأن شكره لا يزيد في سلطانه ، ولا ينقص كفرانه من ملكه ، فهو محمود على كل حال^(٥) . أمّا القول بالاحتباك فحقق جملة عليّة من المعاني الإحسانية الساعية بالبشر إلى الترقى في مدارج الشكر ، ليعلم أن في تجدد الشكر وتعاهده منافع كثيرة ، وفي كفران النعم مفسد يضر المرء بها نفسه^(٦) ، كما أن فيه تنبيهاً جليلاً يرشد إلى المبادرة بالشكر عند حصول النعم^(٧) . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط بين المعاني أسهمت في الحث على ملازمة الشكر ، فهو طاعة لله فيما أمر به ، ونفعه وأجره عائد لنفس الشاكر لا للمشكور^(٨) ، وفي إعلام البشر أن الله حقيق بالحمد وإن لم يحمد ، ومحمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته إبراز لعظمة الله وسلطانه ، الدافعة إلى تعلم مبدأ الحكمة الأصيل ، والعلم الحقيقي ، فإن "من لم يشكر النعمة فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيدها بعقلها"^(٩) . فتحقق إبراز حسن عاقبة الشكر ، وسوء عاقبة الجحود ونكران النعم ؛ ترغيباً وترهيباً .

(١) ينظر : نظم الدرر ١٥٩/١٥٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٤٠/١٥٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٥٩/١٥٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٦٨/٢١ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٥٩/١٥٩ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير ١٥٣/٢١ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦٢/١٤ ، والتحرير والتنوير ١٥٢/٢١ .

(٩) التحرير والتنوير ١٥٢/٢١ .

*

ويبرز الاحتباك حسن التمسك بالدين ، وقبح الاعتماد على الملل الأخرى ترغيباً وترهيباً ،
وذلك في : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ
عَنْقَبَةُ الْأُمُورِ . وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِلَّا نَا مَرَجِعُهُمْ فَفَنِيْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴾ (نفسان: ٢٢-٢٣، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنْقَبَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ﴾ ﴿ احتباك " ذكر
الجزن ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً ، وذكر الاستمسك أولاً دليلاً على حذف ضده
ثانياً" (١) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (فليسرك شكره) ؛ لدلالة ذكر ﴿فلا
يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يستمسك بشيء) ؛ لدلالة
ذكر ﴿اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يسلم وجهه لله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى فليسرك شكره ، ومن كفر ولم يستمسك بشيء فلا
يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ . وسره : أنه ذكر حالة المسلم ترغيباً في الإسلام لكل من كان خارجاً عنه ،
وذكر حالة الكافر ترهيباً من الكفر لكل من كان داخلًا فيه (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب في الإيمان من
خلال العمل بشكر النعم ، والترهيب من الكفر من خلال كفران النعم ، فالأنفع للسياق
والأولى لما عليه المقام القول بالحذف ؛ لما تقرر في السياق العام من وصف الكتاب بالحكمة
اللازمة منه حكمة الله ﷻ في أقواله وأفعاله ، المستلزم صرف العبادة له بجميع مظاهرها (٣)
فحصل إرشاد البشر إلى مراعاة العمل بموجب الحكمة ، وهي الإقبال على الله والتجرد
الكامل من جميع مظاهر الشرك . فأصل المراد متمثل في المعاني الجوهرية المقررة حقيقة أن
من يعبد الله مقررًا له بالإلوهية هو المطيع لأمره ونهيه ، المستمسك بالطرف الأوثق الذي لا
يخاف انقطاعه من تمسك به ، ومن كفر بالله فلا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ وإصراره عليه (٤) . وفي تبصر

(١) نظم الدرر ١٥/١٩٠ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٥/١٤٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢١/٧٩ .

تبصر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إبراز حالة المسلم المستمسك بأوثق العرا التي هي أوثق ما يتمسك به ، فلا سقوط له أصلاً ، فإن ربه يعليه إلى كل مراد ما دام متمسكاً بها ، وحالة الكافر الذي لا يستمسك بشيء إلا وهن وضعف فسقط ، فإن ربه قادر على عذابه (١) ، وبهذا يدرك المرء عظمة التوحيد فيسرع في امتثاله ، وأهمية الشكر فيلازمه في جميع أحواله ، ففي إعلامه أن العبادة من غير إحسان لا تنفع ، والقلوب من غير معرفة لا تبصر (٢) ، وأوثق العرا جانب الله ؛ لأنها الصلة الوثيقة الثابتة المطمئنة بين قلب المؤمن المستسلم وربه (٣) ، نعم عليّة تسعى إلى إنماء الإخلاص في النفوس ؛ ليمكن فيها أفضل تمكن ، فيكون المرء مخلصاً بباطنه كما أخلص بظاهره ، فيرتقي بنفسه من حضيضها إلى أعلى درجات الرقي بالروح .

*

ويبرز الاحتباك خاصية الترغيب في الإيمان لما يُوجهه من الهدى ، والترهيب من الكفر لما يوجهه من الضلال ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ آضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٥٢، ك) ، ففيه احتباك "ذكر الكفر أولاً دليلاً على الإيمان ثانياً ، والضلال ثانياً دليلاً على الهدى أولاً" (٤) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (آمن به) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (ومن أهدى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَنْ آضَلُّ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وآمن به غيركم ، ومن أضل ممن هو في شقاق بعيد ، ومن أهدى ممن هو في إسلام قريب . وسره "أن ذكر المضار أصدع للقلب ، فهو أنفع في الوعظ" (٥) ، أو أنه ذكر أنكأ ما يكون منهم ترهيباً لأهل الكفر من التكذيب بالحق، وحذف أفضل ما يكون من أهل الإيمان ترغيباً في الإقبال عليه .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر والضلال ، والترغيب في ملازمة الإيمان والهدى ، فالقول به جاء في سياق الحث على لزوم العلم النافع الحامل على

(١) ينظر : نظم الدرر ١٥/١٤٠ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٤/٧٤ بتصرف يسير .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن ٢٥/٢٧٩٣ .

(٤) نظم الدرر ١٧/٢٢٤ .

(٥) الموضوع السابق .

الطاعة ، وهذا ما أبرزه السياق العام ؛ لكون المقصد الأعظم من السورة متمثلاً في إعلام البشر عامة أن العلم ما اختاره الله وجاء به الرسول ، وهو العلم الحامل على الإيمان والاستقامة^(١) ، فاتضح بالحذف أن أهل الكفر خلاف الصواب في اختيار الكفر والضلال ، فلا أحد أضل منهم ؛ لفرط شقاهم وعداؤهم^(٢) ، فتحقق شدة التنفير من الكفر ، ومشاققة الحق ، والبعد عن الهدى الذي هو طريق الوصول إلى الصواب من خلال تكريه الله للمضلين ، فهم أشد الخلق عقوبة ؛ لكون الضلال سبباً للخسران^(٣) ، ففي الحذف دعوة إلى الإيمان تُظهر زينته في النفوس ، وتعمق أثره في القلوب ، فتقبله العقول ؛ لكونه سبب الفلاح والنجاة .

*

وفي موضع آخر أبرز الاحتباك الترغيب في الإسلام ، والترهيب من ضده ، وذلك في : ﴿إِذْ

جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿الفتح ٢٦م﴾ ،

ففيه احتباك " ذكر حمية الجاهلية أو الدليل على ضدها ثانياً ، وكلمة التقوى ثانياً دليل على ضدها أولاً^(٤) . وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (تكبروا عن كلمة التقوى) ؛ لدلالة ذكر

﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حميتهم - أي حمية

أهل الإسلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فأنجحت لهم هذه الحمية أن تكبروا عن كلمة التقوى ، فأنزل الله بسبب حميتهم سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى .

وسرّه : "أنه ذكر مجمع الشر أولاً ترهيباً منه ، ومجمع الخير ثانياً ترغيباً فيه"^(٥) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهب الشديد من الكفر

(١) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٣٤ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٣٧٤ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥/١٧ .

(٤) نظم الدرر ١٨/٣٣٢ .

(٥) الموضوع السابق .

وملازمة الجهل ، والترغيب في الإيمان والحث على التقوى ، في سياق الإعلام بتحقيق صدق الوعد بسائر الفتوحات التي يجمعها إظهار الدين ؛ بشارة للمجاهدين بالفوز والنصر والظفر على كل من كفر ، وهذا ما حققه السياق العام للسورة^(١) ، أمّا الخاص فتحقق فيه إبراز ما عليه الكافرون من الأنفة والإباء والتكبر عن الحق ، والخوض في الشرك الذي هو أبطل الباطل^(٢) . فحصل التذكير بحسن صنيع الرسول ﷺ والمؤمنين في تمسكهم بالعقيدة والمنهج القويم ، وكلمة التوحيد التي تخلق في النفوس حب الصبر والخضوع والانقياد^(٣) ، وسوء صنيع المشركين في الخروج عن أمر الشرع حمية ، لا لعقيدة ولا منهج ، إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر^(٤) ، فالقول بالحذف فيه تثقيف للنفوس يرشدها إلى عدم التخلق بأخلاق أهل الكفر ؛ لأن الذي يفعلونه لم يكن مما أذن الله به ، ولا أمر به أحدًا من رسله^(٥) . ففيه تبصر دلالة الخطاب إبراز لحسن الاحتباك لما تحقق في الآية من بدائع النظم "وهو أنه تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن . فبين الفاعلين ؛ إذ فاعل (جعل) هو الكفار ، وفاعل (أنزل) هو الله تعالى ؛ وبين المفعولين ؛ إذ تلك حمية ، وهذه سكينه ؛ وبين الإضافتين ؛ أضاف الحمية إلى الجاهلية ، وأضاف السكينه إلى الله تعالى ، وبين الفعل جعل وأنزل ؛ فالحمية مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى ، والسكينه كالمحفوظة في خزانة الرحمة فأنزلها . والحمية قبيحة مذمومة في نفسها ، وازدادت قبحًا بالإضافة إلى الجاهلية ، والسكينه حسنة في نفسها وازدادت حسنًا بإضافتها إلى الله تعالى"^(٦) .

*

وفي موضع آخر أسهم الاحتباك في إبراز حسن الأعمال الصالحة ترغيبًا ، وقبح السيئة ترهيبًا ، وذلك في : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢، م) . ففيه موضعان للحذف ،

(١) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢٧٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٠٤/٢٦ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : روح المعاني ١١٦/٢٦ ، وفي ظلال القرآن ٢٦/٣٣٢٩ .

(٥) ينظر : جامع البيان ١٠٤/٢٦ وما بعدها بتصرف .

(٦) البحر المحيط ٩٩/٨ .

الأول في قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ، ف"ذكر الأعمال الصالحة أولاً دليلاً على حذف الفاسدة ثانياً ، والتمتع ثانياً دليلاً على حذف التعلل أولاً"^(١) . فالحذف من الطرف الأول (تقوياً) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الأعمال الفاسدة) ، لدلالة ذكر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات - فتمتعوا بما رزقهم الله تقوياً - جنات تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا فعملوا لأجل كفرهم الأعمال الفاسدة يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام . وسرُّه أنه ذكر أفضل ما يميز أهل الإيمان ترغيباً في ملازمة فعل الصالحات ، وأقبح ما يميز أهل الكفر في تجردهم من التفكير والنظر ترهيباً من دوام الغفلة والبعد عن مراتب الإيمان .

والموضح: أن الاختصار على الموضع الثاني أولى ؛ لكونه أكثر دقة في العبارة ، ويذهب أهل العلم من المفسرين إلى أن قوله : ﴿يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ﴾ في مقابلة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ؛ لما فيه من الإيماء إلى أنهم عرفوا أن نعيم الدنيا خيال باطل وظل زائل ، فتركوا الشهوات وتفرغوا للصالحات ، فكانت عاقبتهم النعيم المقيم في مقام كريم ، وهؤلاء غفلوا عن ذلك فرتعوا في دمنهم كالبهائم ، حتى ساقهم الخذلان إلى مقرهم من درك النيران^(٢) . أمّا الموضع الثاني فيدرس في بابه^(٣) .

*

وفي قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(المتحة:٦٠٦م) ، : احتباك "ذكر الرجاء أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والتولي ثانياً دليلاً على ضده أولاً"^(٤) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (أقبل) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَتَوَلَّ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يكن راجياً) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا﴾

(١) نظم الدرر ٢١٥/١٨ وما بعدها .

(٢) ينظر : روح المعاني ٤٦/٢٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤٣/٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : صفحة (٤٩١) من البحث .

(٤) نظم الدرر ٥٠٥/١٩ .

الله ﷻ في الطرف الأول . وتقديره : فمن أقبل على هذا التأسّي لكونه يرجو الله واليوم الآخر فلم يخلد إلى الدنيا يتوله الله ، فإن الله رحيم ودود ، ومن يتولّى ولم يتأسّ بهم لم يكن راجياً .

وسرّه : "أنه ذكر سبب السعادة ترغيباً ، وسبب الشقاوة ترهيباً " (١) . فصورة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في الرجاء ، والترهيب من التولي ، وتوضح حقيقة المراد بعد مراعاة السياق العام بما فيه من براءة من أقر بالإيمان ممن اتسم بالعدوان دلالة على وجوب البراءة من أعدائه (٢) ، والخاص بما فيه من الوعظ بما هو أنفع وأقرب إلى صلاحهم وهو التأسّي بمن هم قدوة ؛ لأن فيه صحة العقيدة ، والنهي عن التولي والإعراض عن التأسّي بهم ؛ لأن به فساد العقيدة (٣) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في الركنين المذكورين ، الأول : أن في اتباع إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه ممن يرجون لقاء الله وثوابه والنجاة في اليوم الآخر قدوة حسنة (٤) ، والثاني : ومن يتولّى عما أمره الله به فأعرض عنه وأدبر مستكبراً ، ووالى أعداء الله ، وألقى إليهم بالموذّة ، فإن الله هو الغني عن إيمانه وطاعته ، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه ، وآلائه عندهم (٥) . فبالحذف تحققت الدعوة إلى التبرؤ من الشرك وأهله ، وقطع أواصر المودة بينهم ؛ عداوة للكافرين ؛ حتى يرجعوا إلى امتثال الإسلام ، ودليل جليّ يكشف عن عظم الحث على التأسّي الحسن الذي أبرز شدة وجد المسلمين لحب الإسلام والعمل بمقتضاه (٦) ، كما أن العمل به يعمق في القلوب أن البغض لمن خالف أمر الله ، والحب لمن اتبع أمر الله (٧) ، ف"لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسّي بهم ، وإن تركه مؤذن بسوء العقيدة" (٨) .

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٤٨٣/١٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٥٠٣/١٩ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان ٦٤/٢٨ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٥٨/١٨ .

(٧) ينظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٦٢ .

(٨) تفسير البيضاوي ٣٢٧/٥ .

ويقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ يُعِينِنَاهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحریم: ۱۰۰-۱۰۱ م) ففي قول الحق ﷻ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ... وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ﴿ احتباك "حذف أولاً (فلم تسألا الجنة) ؛ لدلالة (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) ثانياً عليه ، وحذف ثانياً (كانت تحت كافر) ؛ لدلالة الأول عليه "(۱) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فلم تسألا الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كانت تحت كافر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ... كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين ، فلم تقل واحدة منهما : رب اجعلني مع نبيك في الجنة ، وضرب الله مثلاً امرأة فرعون إذ قالت لأجل إيمانها - وإن كانت تحت كافر - رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة .

وسرّه أنه ذكر العبودية والصلاح لكونهما أفخم ، وأشد تأثيراً للموعوظ وأعظم ، وحذفهما ثانياً دليلاً على تحقيره له ، وعدم رحمته به ؛ ترهيباً من الكفر ؛ لأنه أعدى أعدائه (۲) ، أو أنه أنه ذكر ما يشرف أهل الإيمان للإيمان بالله ترغيباً في العبادة والصلاح وثمرتها الجنة ، وحذف أنكأ ما لأهل الكفر من الكفر بالله تحقيراً لهم وترهيباً منه .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في التمسك بالطاعة والثبات على الحق ، والترهيب من الكفر والمكوث فيه (۳) ، فالقول به جاء في سياق سياق يدعو إلى الارتقاء في مدارج الطاعة ؛ إذ حقق السياق العام الحث على التحلق بالأدب الشرعي وحسن المعاشرة لاسيما للنساء ؛ اقتداء بالنبي ﷺ (۴) ، وفي هذا الحث رقي يبعث في

(۱) نظم الدرر ۲۰/۲۱۲ .

(۲) ينظر : المرجع السابق ۲۰/۲۰۹ وما بعدها .

(۳) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ۱۸/۲۰۲ .

(۴) ينظر : نظم الدرر ۲۰/۱۷۹ .

في النفوس الإيمان ويجنبها الكفر ، أمّا دلالة السياق الخاص فهي أشدّ اعتلاقاً لبيان صورة الحذف ؛ لما تحقق فيه من إثبات حقيقة أنه لا ينفع النفس إلا إيمانهم ، "فللكفار قرابات بالمسلمين كانوا يتوهمون أنّها ربما تنفعهم ، وللمسلمين قرابات بالكفار كانوا ربما توهموا أنّها تضرهم" (١) ، فحصل بالاحتباك إعلام البشر أن الكفر قاطع للعلائق بين الكافر والمسلم ، وأن كفر العاصي لا يضر المطيع ، وإن كان أقرب الناس ، وأن طاعة المطيع لا تنفع العاصي ، وإن كان أقرب الناس (٢) ، وفي هذا نعمة عليّة ترشد العقول وتوجه القلوب لحب الإيمان والدعوة إليه ، كما أن في الحذف حثّاً جليلاً يعمق معنى الصبر في الشدائد ؛ لترتقي النفوس في عبادة الله ، "فلا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون" (٣) . وثمة لطيفة أخرى أسهم الحذف في إبرازها ، وهي إعلام البشر عدل حكم الله ، فلا يؤاخذ العبد إلا بذنبه ، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى (٤) ، وبهذا يتضح للمرء أن العذاب يدفع بالطاعة ، لا بوسائل القربى (٥) ، وهذا يرسخ مبدأً جليلاً من مبادئ العقيدة الحقّة ، وهو قوة الإيمان الدالة على التصديق بحقيقة البعث (٦) .

*

وفي موضع آخر يكشف الاحتباك عن حال الجن ترغيباً في التمسك بالإيمان وترهيباً من تركه ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (الجن: ١٤، ك) ، ففيه احتباك "ذكر (المسلمون) يدل على الكافرين ، و (القاسطون) يدل على المقسطين" (٧) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الكافرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْمُسْلِمُونَ ﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (المقسطون) ؛ لدلالة ذكر

(١) المرجع السابق ٢٠/٢٠٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٢٠٨ وما بعدها .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٨/٢٠٣ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٨/١٧١ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٨/٢٠٢ بتصرف .

(٦) ينظر : البحر المحیط ٨/٢٨٩ .

(٧) نظم الدرر ٢٠/٤٨٤ .

﴿الْقَسِطُونَ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : وأنا منا المسلمون ومنا الكافرون ومنا القاسطون ومنا المقسطون . وسره : أنه ذكر شرف إسلامهم لإخلاصهم ، وقبح جور بعضهم لكفرانهم .

فصورة الاحتباك أسهمت في إبراز حال الجن في أن منهم من هو في الإيمان متمكن ، ومنهم من هو في الكفر-أيضاً- متمكن ، وتتضح حقيقة المراد ، بعد النظر في السياق العام، بما فيه من إيضاح شرف النبي ﷺ ؛ حيث لين له قلوب الإنس والجن ، وبيان سيرة الجن في تلقيهم القرآن الكريم^(١) ، والخاص بما فيه من الإخبار بحال نفر من الجن خضع بعضهم لله بالطاعة ، وآخر جار عن الإسلام^(٢) . ففي الحذف نعم عليّة تمثلت في إعلام البشر بحقيقة حال نفر من الجن في تلقي القرآن ، فإن في العلم نوراً للبصائر ، به يدركون أعظم الأمور ، وفي الجهل طمساً للأفهام ، به يعيشون في غياهب الظلام ، وكذا الإعلام بأن محمداً ﷺ أرسل للإنس والجن عامة ، فتحققت أهم خاصية من خصائص الرسالة ، وهي شمولها وعمومها للثقلين : "بعثت إلى الأحمر والأسود"^(٣) -أي : الإنس والجن- .

*

ويذكر القرآن حال الناس يوم القيامة ؛ ترغيباً في الثواب الجزيل لمن أقبل على الآخرة ، وعمل لها ، وترهيباً لمن أدبر عنها ، ولم يعمل بها^(٤) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ۖ وَوُجُوهُهُم بِمِيزَانٍ ۚ سِيرَةٌ ۖ تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَٰ بِهَا فَا قِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٣-٢٥، ك) ، ففيه احتباك "ذكر النظر في الأولى دليل على ضده في الثانية ، وذكر الفارقة في الثانية دليل على ضدها في الأولى " ^(٥) ، وعلى هذا

(١) ينظر : المرجع السابق ٤٦٠/٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان ١١٣/٢٩ .

(٣) أخرجه الدرامي في سننه ، كتاب السير ، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا ٢/٢٩٥ ، رقم : (٢٤٦٧) من حديث أبي ذر ﷺ ، وأحمد في مسنده ، رقم : (١٤٣٠٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ : ٣/٣٠٤ ، ورقم : (١٩٧٥٠) من حديث أبي موسى الأشعري ٤/٤١٦ ، ورقم : (٢١٣٥٢) من حديث أبي ذر ﷺ ٥/١٤٧ . قال الألباني : «إسناده صحيح» . إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف : محمد زهير الشاويش ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م) ١/٣١٦ ، رقم : (٥) .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٠٥/٢١ وما بعدها بتصرف .

(٥) المرجع السابق ١٠٧/٢١ .

فالمحذوف من الطرف الأول (هي آمنة من أن يفعل بها فاقرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُظَنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عن ربها محجوبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ووجوه يومئذ إلى ربها ناظرة وهي آمنة من أن يفعل بها فاقرة ، ووجوه يومئذ باسرة عن ربها محجوبة تظن أن يفعل بها فاقرة . وسرّه : أنه ذكر أسرّ ما للمسلم ترغيباً ، وأنكأ ما للكافر ترهيباً ، فعلم أن أصل أسباب السعادة : الإيمان بالله وحده وتصديق رسوله ، وأصل أسباب الشقاء : الإشراف بالله وتكذيب الرسول^(١) .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في إبراز حال الناس يوم القيامة ؛ ترغيباً في الإقبال على أهل الإيمان ؛ لما هم فيه من النعيم المقيم ، وترهيباً من أهل الكفر والعصيان لما هم عليه من شدة العذاب الأليم ، ويزداد المراد دقة بعد النظر في السياق العام لما تقرر فيه من الدلالة على عظمة الرسول ﷺ ؛ لعظمة مرسله ﷺ^(٢) ، فحصل لمن اتبع شرف الكرامة ، ولمن أعرض شدة المهانة ، أما السياق الخاص فهو أشد إيضاحاً لما يتطلبه الاحتباك ؛ لما احتواه من بيان حال المؤمن في الآخرة وماله من السرور والنعيم ، وحال الكافر وماله من الحزن والجحيم ، فإن السرور الحقيقي لأهل النعمة ، والحزن الحقيقي لأهل النعمة^(٣) ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في أن الخلائق يوم القيامة قسمان : قسم وجوههم ناضرة بجهة مشرقة ، ظاهر عليها أثر النعمة ، بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها إلى ربها المحسن لها ناظرة دائماً ، وقسم وجوههم شديدة العبوس ، إلى أنواع العذاب ناظرة ، تتوقع بما ترى من الأهوال أن يفعل بها فاقرة^(٤) . فالنتائج من وراء حمل النظم على الاحتباك إبراز حالة النعيم المقيم والسرور الأبدي - لأهل الإيمان - حافزاً يبعث في النفس المسارعة لفعل الصالحات والازدياد من الإيمان ، وفي هذا تثقيف للنفوس يرشدها إلى المداومة على فعل الطاعة ، ويعلمها أن كل جزء يفوت من الوقت خالياً من الطاعة يفوته من السرور والسعادة بقدره ، ومن عرف الدنيا اجتهد في العبادة ، وأقام نفسه على أدائها^(٥) . فالحذف

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/٣٥٢ بتصرف يسير .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢١/٨٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢١/١٠٥ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢١/١٠٤ وما بعدها .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ٢٩/٣٧٧١ بتصرف .

فالحذف أسهم بأثر بارزٍ في إيضاح أفضلية المؤمنين وما لهم من السعادة والرفعة في النظر إلى ذات الله الذي هو أصل الكمال والجمال^(١) ، وهذا يزيد في النفوس حب الإيمان والتطلع إلى أعلى مراتب الإحسان ؛ لأنَّ جزاء من أخلص التوحيد النظر إلى ذات الحق : "إنكم سترون ربكم عياناً"^(٢) . وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف في النظم ، وهي الإشادة بمشهد المؤمنين وما لهم من الأمن والنعيم ترغيباً ، ومشهد الكافرين المقطوعين الصلة بالله وما ينالهم من الخوف ترهيباً .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى﴾ . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى﴾ (عبس: ٥-٩، ك) ، احتباك "ذكر الغنى أولاً يدل على الفقر ثانياً ، وذكر المجيء والخشية ثانياً يدل على ضدهما أولاً ، وسرّه : التحذير مما يدعو إليه الطبع البشري من الميل إلى الأغنياء ، ومن الاستهانة بحق الآتي إعظماً لمطلق إتيانه " ^(٣) ، وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (إن لم يخش ، ولم يجئ إليك) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهو فقير) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أمّا من استغنى وإن لم يخش ولم يجئ إليك ، وأمّا من جاءك يسعى وهو فقير وهو يخشى .

وفيه بعد ؛ لعدم حاجة النظم إليه ؛ لكون ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ أي : يسرع طالباً للخير ، فيه إيماء إلى أن ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى﴾ بمعنى استغنى بكفره عن طلب ما يهديه ^(٤) ؛ لذا فالأولى تركه .

*

(١) ينظر : المرجع السابق ٣٧٧٠/٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري بنصه ، كتاب : التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٢٧٠٣/٦ ، وقم: (٦٩٩٨) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(٣) نظم الدرر ٢٥٦/٢١ .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٠٨/٩ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٣٢١/٨ ، روح المعاني ٥١/٣٠ ، والتحرير والتنوير ١٠٧/٣٠ .

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ ... كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الطففين: ٧-٢١، ك) ، احتباك "ذكر سِجِّينَ أولاً دال على الاتساع ثانياً ، وذكر عليين والمقربين ثانياً دال على أسفل سافلين والمبعدين أولاً" (١) . وتقديره : وما أدراك ما سجين ، وهو مع ذلك في أسفل سافلين ، يشهده المبعدون ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم ، يشهده المقربون . وفيه نظر ؛ لأن قوله : ذكر سجين أولاً دال على الاتساع ثانياً ، غير دقيق ؛ لكون الطرفين مذكورين معاً ، وهما : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ و ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ فليس ثمة محذوف يقدر . فالقول فيهما واحد (٢) من حيث المعنى المراد ، فسجين فيها دلالة على شدة الضيق ، وعليون فيها دلالة على شدة الاتساع .

*

- القول بشبه الاحتباك :

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٤، ك) ، شبه احتباك «أثبت المفعول الثاني دليلاً على حذف مثله ثانياً ، وحذفه ثانياً دليلاً على إثبات مثله أولاً» (٣) . فالمحذوف من الطرف الأول (وجدنا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَجَدْنَا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وجدتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَجَدْتُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، ووجدنا جميع ما وعدنا ربنا لنا ولغيرنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ لكونكم وجدتم ما تواعدكم به ربكم حقاً ، قالوا : نعم . ولم يبرز هذا التأويل عند جمهرة المفسرين ؛ فلا ضرورة تدعو إليه ؛ إذ الكلام منتظم في معناه وفق ما أولوا من أنه "حُذِفَ المفعولُ من الفعل الثاني إسقاطاً لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد ، وقيل : لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً بهم وعداً كالبعث والحساب ونعيم الجنة ، فإنهم قد وجدوا جميع ذلك حقاً ، وإن لم يكن وعده

(١) نظم الدرر ٣٢٧/٢١ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠٤/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٤٠٥/٧ .

مخصوصاً بهم" (١) . لذا فالأولى تركه .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ . خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣-٤٤، ك) ، شبه احتباك (٢) ، تقديره : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعلمها إلا العالمون ، ومن لم يعلمها ليسوا بعالمين ، خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ، وقد اهتدى واتبع المؤمنون ، ولم يهتد وينتفع المشركون .
وفيه نظر ؛ لأن المذكور ركن واحد ، والمحذوف ثلاثة أركان لا يدل المذكور عليهما دلالة بينة ، فالتقدير المشار إليه ناتج من فهم المعنى ليس بالضرورة أن يصار إليه لانتظام المعنى بدونه .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ (فصلت: ٣٨، ك) ، شبه احتباك "ذكر الاستكبار أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، والتسبيح ثانياً دليلاً على حذفه أولاً" (٣) . فالمحذوف من الطرف الأول (لم يتزهوه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يستكبرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ اسْتَكْبَرُوا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فإن استكبروا ولم يتزهوه عن الشريك ، فالذين عند ربك يسبحون له وهم لا يستكبرون .
وسر ذلك : أنه "ذكر أقبح ما لأعدائه ، وأحسن ما لأوليائه" (٤) . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أعداء الله في استكبارهم عن التسبيح والتثنية ترهيباً ، وحال أوليائه في ملازمة التسبيح والتثنية ترغيباً ، ويظهر حسن المراد بعد النظر في السياق العام بما تحقق فيه من

(١) إرشاد العقل السليم ٢٢٩/٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥٧/٢٠ .

(٣) نظم الدرر ١٩٦/١٧ .

(٤) الموضوع السابق .

الإعلام بأن العلم هو ما اختاره الله ، وهو الحامل على الإيمان المطلق والاستقامة التامة ^(١) .
والخاص بما فيه من بيان طاعة الأولياء ، ومعصية الأعداء ^(٢) ، فثبت بالدليل القاطع أهمية
التسبيح والتزيه والتقديس لله وحده ، وانتفى اتخاذ شريك له في ذلك . وفي القول بالحذف
لطائف تدعو في المقام الأول إلى ترسيخ أهمية التسبيح لله ﷻ في نفوس البشر عامة ،
خصوصاً بعد تأمل دلائل كمال عظمته ، ففي ترك التسبيح جهل بدلائل العظمة
والسلطان ، وفي ملازمته علم بها . ثم إن في إعلام البشر بما هو غيب عنهم ، وهو حال
الملائكة في تسبيحهم وتعظيمهم لله ، وعدم استكبارهم ، نعمة عليّة تغرس في النفوس
ملازمة الاستغفار والتسبيح ، وترشدهم أن العبادة لا تصلح لغير الله ^(٣) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ سَتَعَجِلْ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (الشورى: ١٨، ك) ، شبه احتباك
"ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، والإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده
أولاً" ^(٤) ، فالمحذوف من الطرف الأول (غير مشفقين منها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾
في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يستعجلون بها) ؛ لدلالة ذكر
﴿ يَسْتَعَجِلْ بِهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
وهم غير مشفقين منها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ،
وهم لا يستعجلون بها ^(٥) .

وسرّه : أنه ذكر أقبح ما يكون من الكافرين ، وأحسن ما يكون من المؤمنين تجاه الساعة ؛
ترهيباً وترغيباً . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أهل الكفر وأهل الإيمان في
الإيمان بالساعة وتحقق وقوعها . ويبرز حسن المراد بعد النظر في السياق العام لما تحقق

(١) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٣٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٧/١٩٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٤/١٢١ .

(٤) نظم الدرر ١٧/٣٨٣ .

(٥) ينظر : روح المعاني ٢٥/٢٦ .

فيه من الدعوة إلى الاجتماع على الدين الحق الذي أساسه الإيمان الخالص ^(١) ،
والخاص لما فيه من بيان حال الناس في أمر الساعة ^(٢) ، فتضمن الحذف دعوة جليلة
ترشد إلى حسن الاستعداد ليوم القيامة والإخلاص في فعل الأعمال الصالحات ؛ لأنه
لا بد من كونها في الدنيا ؛ لأنها دار تكليف ^(٣) ، كما أن في استعجال الكافرين بها ،
وعدم الخوف منها دليل جهلهم الذي أوقعهم في الترددي في دركات الكفر والضلال ،
وفي عدم استعجال المؤمنين بها وخوفهم منها دليل علمهم الذي رفعهم للترقي في
درجات الإيمان والهدى ^(٤) ، ثم إن في إبراز حال الناس في أمرها دليلًا يقرر أن الكفر
يطبع على القلوب ويتزع منها بذور الخشية والخوف ، والإيمان يزرع في القلوب
الخوف والخشية ، "والذين لا يؤمنون بها لا تحس قلوبهم هولها ، ولا تقدر ما ينتظرهم
فيها ؛ فلا عجب يستعجلون بها مستهترين ؛ لأنهم محجوبون لا يدركون ، وأما الذين
آمنوا فهم مستيقنون منها ، ومن ثم هم يشفقون ويخافون ، وينتظرونها بوجل
وخشية" ^(٥) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى
مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٠٠م) ، شبه احتباك «ذكر الإيمان
أولًا دليلًا على ضده ثانيًا ، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانيًا دليلًا على أضدادهما
أولًا» ^(٦) . فالخدوف من الطرف الأول (اهتدى ولم يستكبر ولم يظلم) ؛ لدلالة
ذكر ﴿ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف
(كفرتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَأَمَنْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فأمن فاهتدى ولم يستكبر
ولم يظلم ، واستكبرتم فضلتم فكفرتم ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٣٠/١٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٨٢/١٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٨٢/١٧ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٨٣/١٧ بتصرف .

(٥) في ظلال القرآن ٣٥١٥١/٢٠ .

(٦) نظم الدرر ١٣٩/١٨ .

وسره : "أنه ذكر سبي السعادة ترغيباً وترهيباً"^(١) . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال إيمان الشاهد من بني إسرائيل ، واستكبار الكافرين عن الإيمان ترغيباً وترهيباً^(٢) ، في سياق تحقق إنذار الكافرين للدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة اللازم منه العزة والحكمة ، وهذا دليل الوجدانية^(٣) ، وهذا ما مثله السياق العام من السورة ، أمّا الخاص فتضمن تقييح الكافرين لإصرارهم على التكذيب^(٤) . ففي الحذف جملة من المعاني تدعو في المقام الأول إلى إعلام البشر بأن من وحّد الله فقد آمن ، ومن أشرك فقد كفر ؛ وهذا يدفع إلى المبادرة للحفاظ على الإيمان لدى المؤمن ، والمسارة إلى امتثاله لدى الكافر ، ثم النهي عن وضع الكفر موضع الإيمان ؛ لأن فيه تعمد الخوض في الكفر ، والاستكبار والظلم^(٥) .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ وَجْهٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . وَوَجْهٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ . تَرَهَّقُهَا قَنْزَةٌ ﴾^(٦) ، شبه احتباك "ذكر الإسفار والبشر أولاً" يدل على الخوف والذعر ثانياً ، وذكر الغبرة ثانياً يدل على البياض والنور أولاً^(٦) . وعلى هذا فالخذف من الطرف الأول (بيضاء نيرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ غَبْرَةٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عابسة منذرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مُسْفِرَةٌ ... مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وهي بيضاء نيرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ، وهي عابسة حذرة وجلة منذرة .

وسره : "أنه ذكر دليل الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيباً وترهيباً"^(٧) .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك ركز على إبراز خاصيتي الترغيب الجميل لأهل الإيمان من خلال الكشف عن حسن حالهم ، والترهيب الشديد لأهل الكفر من خلال إبراز قبح

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : جامع البيان ١١/٢٦ ، والبحر المحيط ٥٨/٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١١٨/١٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٨/١٣٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٨/١٣٩ .

(٦) المرجع السابق ٢١/٢٧٣ .

(٧) الموضوع السابق .

حالمهم في الآخرة ، فالسياقان العام والخاص يعضدان القول بالحذف ؛ لما تحقق في العام من التخويف من أهوال القيامة ، وإعلام البشر بأن النفس تسمو فيها بشرف أعمالها في الدنيا^(١) ، والخاص لما فيه من إثبات انقسام الناس في القيامة قسمين : أهل سعادة ينعمون ، وأهل شقاوة يعذبون^(٢) ، فتحقق الترغيب في العمل لأجل الآخرة ، والترهيب منه لأجل الدنيا ، وفي هذا إعلامٌ للبشر بأعظم دوافع الإيمان الحقيقي ، وهي الخشية والخوف من الله ، فالذين بكى أعينهم في الدنيا وعبست وجوههم فشجبت ، استبشرت في الآخرة بشرف العمل واستنارت ؛ لما لقيت من السعادة ، والتي ضحكت في الدنيا فرحاً وطرباً ، بكى وعبست في الآخرة ؛ لما لقيت من شدة العذاب ، فغشاها وقهرها وغلب عليها الرعب ، فهزّ فؤادها^(٣) ، نعمة عليّة تغرس في النفوس مبدأ الإقبال على الطاعات ؛ انقياداً وتسليماً لأمر الله ونهيه ، خصوصاً الأعمال التي تزيد الوجه حسناً ونضارة ، وفي هذا ترغيب يدفع إلى مراعاة حسن القيام بصلاة الليل ، والخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان^(٤) .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إظهار حال أهل الإيمان والكفر في الآخرة ترغيباً وتزهيباً في : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (انشقاقاً - ١، ك) ، ففيها شبه احتباك "ذكر اليمين أوليدل على الشمال ثانيه، وذكر الورا ثانيًا يدل على الأمام أول" ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول من أمامه؛ لدلالة ذكر ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (شماله)؛ لدلالة ذكر ﴿بِئَمِينِهِ﴾ في الطرف الأول. وتقديره: فأما من أُوتِيَ كتابه بيمينه من أمامه وأما من أُوتِيَ كتابه وراء ظهره في شماله وسره : "أنه ذكر دليل المودة والرفق بالمصافحة ونحوها في السعيد"^(٦) .

(١) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٤٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٧١ وما بعدها .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ٣١/٥٩ .

(٥) نظم الدرر ٢١/٣٤٣ .

(٦) الموضوع السابق .

فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم بشكل بارز في تحقق خاصيتي الترغيب والترهيب من خلال الكشف عن حال البشر عامة في إتيان صحائف أعمالهم ، فالقول به ذو اعتلاق بالسياق العام للسورة ؛ إذ إنها في الأصل ترشد إلى إعلام البشر بأن أولياء الله ينعمون ، وأعداءه يعذبون ، فانقسموا أهل ثواب وأهل عقاب^(١) ، أمّا السياق الخاص فحمل الإعلام بأن العباد إذا عُرِضُوا على ربهم كان منهم المقبول ومنهم المردود بحسب أعمالهم في الدنيا^(٢) . فثبت بالحذف إعلام البشر بأن من كان مقبولاً منهم أُعطي كتاب حسنة يمينه ؛ لأنه كان في الدنيا من أهل اليمين ، ومن كان مردوداً أُعطي كتابه بشماله ؛ لأنه كان في الدنيا مع أهل الباطل^(٣) ، وفي الإعلام بهذا نعمة جليلة تعمق في النفوس المبادرة إلى العمل في الدنيا لأجل الآخرة ، وفي إبراز حال الكافر في الآخرة : " يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه فيأخذ به ملك فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره " ^(٤) ، دعوة ترشد إلى ترك المعاصي الموجبة للكفر ، والرجوع إلى التوبة .

*

وفي موضع آخر أسهم الحذف في إبراز حال أهل الكفر في الدنيا ترهيباً ، وحال أهل الإيمان ترغيباً ، وذلك في : ﴿ سَيَذَكَّرُ مِنْ يَخْشَى . وَيُنَجِّئُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي بَصَلَ النَّارَ الْكُفْرَى ﴾ (الأعلى: ١٠٠-١٠٢، ك) ، ففيه شبه احتباك ، " ذكر الثمرة في الأول وهي الخشية دليلاً على حذف ضدها من الثاني ، وهي القسوة الناشئة على الحكم بالشقاوة ، وذكر الأصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلاً على حذف ضده في الأول وهو السعادة ، فالإسعاد سبب والخشية ثمرة ، والإشقاء سبب والقساوة ثمرة ومسبب " ^(٥) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (وهو السعيد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْأَشْقَى ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يخشى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَخْشَى ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : سيدكر من يخشى وهو السعيد ، ويتجنبها الأشقى فهو لا يخشى .

(١) ينظر : المرجع السابق ٢١/٣٣٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢١/٣٣٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢١/٣٣٩ وما بعدها .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٩/٢٧٢ .

(٥) نظم الدرر ٢١/٣٩٩ .

"وسر ذلك أنه ذكر مبدأ السعادة أولاً حثاً عليه ، ومآل الشقاوة ثانياً تحذيراً منه" (١) .

وفي موضع قريب من هذا يقول تعالى : ﴿ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى . وَسِجِّتَهَا الْأَتَقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ (الليل: ١٦-١٨، ك) ، ففيه شبه احتباك "ذكر التكذيب أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، وإيتاء المال ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً" (٢) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (لم يؤت ماله) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لم يكذب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَذَبَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الذي كذب وتولى فلم يؤت ماله لزكاة نفسه ، وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ما كذب وما تولى .
وسرّه أنه ذكر أقبح ما يصدر من أهل الكفر ترهيباً ، وأحسن ما يكون من أهل الإيمان ترغيباً . ففي تدبر دلالة الحذف - في الموضعين - إشارات تُعلي من شأن الحذف ؛ لما فيه من توجيه البشر إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان ثم الترقى فيها ، ففيه إيماء إلى شدة التمسك والحرص على الطاعة ؛ لأجل المحافظة على البقاء في الإيمان .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَالْهَمَّهَا فَجُورُهَا وَتَقْوَنَهَا ﴾ (الشمس: ٨، ك) ، شبه احتباك "ذكر الفجور أولاً دالاً على السكون الذي هو ضده ثانياً ، وذكر التقوى ثانياً دالاً على ضده ، -وهو عدم الخوف- أولاً" (٣) . وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (عدم الخوف) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَتَقْوَنَهَا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (سكونها) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَجُورُهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فالهمها فجورها عدم الخوف ، وتقواها أوجب سكونها (٤) .
يذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بهذا التقدير لا وجه له ؛ "لأن الفجور ليس ضد السكون كما ذكر ، وإنما الفجور معناه الانبعاث غير المكثرت في المعاصي ، أو الفجور : شق ستر الديانة ، فلا يستقيم ما ذكره البقاعي إلا على تأويل بعيد" (٥) .

(١) الموضع السابق .

(٢) المرجع السابق ٩٥/٢٢ .

(٣) المرجع السابق ٧٧/٢٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٧٧/٢٢ ، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-وأسراره ، ص ٥٣ .

(٥) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه-وأسراره ، ص ٥٣ .

والظاهر أن القول بالحذف في هذا الموضوع قائم على شدة التركيز في فهم المفردة القرآنية ، فقد أوضح -البقاعي- اصطلاحه لجعل : (الفجور) دالاً على السكون ، و(التقوى) دالاً على عدم الخوف ؛ فمراده الساعي لإثبات أن الفجور أقبح القبيح ، والتقوى أحسن الحسن - ؛ لما أقام عليها من ملك العقل الملكي وغريزة العلم النوراني - ، فحصل أن تذوق الفجور أشهى شهى ، وأن التقوى أمرٌ شيء ، وأصعبه ، وأثقله ، وأتعبه ؛ وذلك ليثبت ما للآدمي من الإقدام على ما يضره وهو يعلم ضرره . فتحقق بهذا أن معنى فجورها : انبعاثها في الميل مع دواعي الشهوات ، وعدم الخوف ناتج من التجرؤ على خرق سياج الشريعة بسبب قبح الطباع ، والسكون ناتج من التحرز والاتقاء بوقايات الشريعة^(١) ، و"يقال : فجورها : حركتها في طلب الرزق ، وتقواها : سكونها"^(٢) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(النبي: ٤-٦، ك) ، شبه احتباك "حذف أولاً بما أفهمته الآية عمل السيئات ، وثانياً الإبقاء على أصل الخلق في أحسن تقويم على الفطرة الأولى ؛ ليكون نظمها في الأصل : ثم رددناه أسفل سافلين بعمل السيئات ، فله على ذلك عذاب مهين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا أبقيناهم على الفطرة الأولى في أحسن تقويم"^(٣) .
وفيه نظر من حيث كون التقدير المشار إليه متضمناً ثلاثة أركان ؛ هي : (عمل السيئات) -محذوف- مقابل -المذكور- (عمل الصالحات) ، و(في أحسن تقويم) -محذوف- ليس له مقابل .

ولو قيل : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين بعمل السيئات ، فله على ذلك عذاب مهين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا أبقيناهم على الفطرة الأولى في أحسن تقويم ؛ لصحَّ وجهه ، وأصبح المحذوف من الطرف الأول (عمل السيئات) ؛ للدلالة ذكر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف

(١) ينظر : نظم الدرر ٧٧/٢٢ .

(٢) لطائف الإشارات ٣٠١/٦ .

(٣) نظم الدرر ١٤٦/٢٢ .

(أحسن تقويم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في الطرف الأول .
وسرّه أنه ذكر أشرف فعل الله في خلقهم في أحسن صورة ، ثم ذكر أشرف ما يكون من
أهل الإيمان ترغيباً في ملازمة فعل الصالحات ، فالحذف أسهم في رسم صورة الإنسان في
جعله مفطوراً على فطرة الدين القيم ، ثم منحه العقل السليم الذي يهديه إلى العروج عن
درك النيران إلى درج الجنان بالإيمان والأعمال الصالحة البالغة نهاية الإحسان ؛ ترغيباً بملازمة
الأعمال الصالحة والحث عليها^(١) . ويتضح المراد بعد النظر في السياق العام بما فيه من إثبات
القدرة الكاملة في خلق الله للأشياء ، خصوصاً الإنسان^(٢) ، والخاص بما فيه من الإخبار عن
خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال^(٣) . وفي تدبر دلالة الحذف إشارات عظمي أسهمت
في الإعلام بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ثم ركب ، فإن قدّم عقله على هواه صعد
إلى أعلى عليين ، وكان من المقربين المقدمين ، وإن قدّم هواه هبط إلى الجحيم ، وكان من
المبعدين المؤخرين^(٤) ، وفي هذا نعمة عليّة ترشد إلى العلم بالمقصد الحقيقي من خلق
الإنسان ، وهو العقل ، فيعمل من أجل السعي في مرضاة الله بالعزم الصادق على فعل
أعمال البر ، فكلما زاده الله سنّاً زادت أنوار عقله ، ونقصت شهوته^(٥) ، كما أن في
الحذف دعوة نبيلة تعلم البشر أن لهم أجرهم الذي عملوا به قبل أن تذهب عقولهم^(٦) ،
فـ"إذا بلغ من الكبر ما يعجز عن العمل ، كُتِبَ لـه ما كان يعمل"^(٧) ،
يعمل^(٧) ، فلا يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقل من كان عالمً عاملاً به^(٨) .

*

(١) ينظر : المرجع السابق ١٣٩/٢٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٣٠/٢٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٤٣/٣٠ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٤٤/٢٢ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٣٩/٢٢ .

(٦) ينظر : جامع البيان ٢٤٦/٣٠ .

(٧) المرجع السابق ٢٤٧/٣٠ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١١٦/٢٠ .

المبحث الثاني : أحوال أهل الإيمان و الكفر و بيان جزائهم ترغيباً و ترهيباً .

-القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن حال أهل الإيمان يوم القيامة ، وما يكون لهم من النعيم المقيم ، وحال أهل الكفر ، وما يكون لهم من العذاب الأليم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٦-١٠٧م) . ففيه احتباك ، إثبات الكفر أولاً دليل على إرادة الإيمان ثانيًا ، والرحمة ثانيًا دليل على حذف اللعنة أولاً ^(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (اللعنة) ؛ لدلالة ذكر (الرحمة) في الطرف الثاني ﴿ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، كما حُذِفَ من الطرف الثاني (الإيمان) ؛ لدلالة ذكر (الكفر) في الطرف الأول ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ، وتقديره : فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب إنكم في لعنة الله ما كثون ، وأما الذين ابيضت وجوههم لأنهم آمنوا فأمّنوا من العذاب ، ففي رحمة الله هم فيها خالدون . وسرّه أنّه ذكر الأنكأ المشين الملمزم للتوبيخ ؛ لأن النفوس لحوض أسبابه أسرع ، في مقابل ذكر الثمرة الباقية عالية القدر تشريفًا لأهل الإيمان .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب والترهيب من خلال الكشف عن هول القيامة ، وما يحصل فيها من صور النعيم المقيم ، والعذاب الأليم ، وما يحصل -أيضًا- من بياض وجوه وسواد وجوه تمهيدًا لمن اسودت وجوههم ، وتشريفًا لمن ابيضت وجوههم ^(٢) ، فتحقق بالاحتباك ترسيخ ركن عليّ من أعظم أركان الدين يدعو إلى كمال التوحيد ، وهو : الإيمان بالغيب المقصد الذي دعت إليه السورة بكليتها ؛ ليدفع النفوس إلى استشعار عظم يوم القيامة ، وهذا حافز للزوم الإقبال على الطاعات ، وترك العصيان ، فالسياق العام والخاص يُعمقان القول بالاحتباك ؛ إذ العام يسعى لإثبات الوحدانية لله وإبطال إلهية غيره ^(٣) ، والخاص تضمن الترهب الشديد بزيادة النكاية لأهل

(١) ينظر : نظم الدرر/٥/٢٢ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير/٤/٤٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر/٤/١٩٥ .

الكفر ، والترغيب الجميل لحسن حال أهل النعيم ^(١) . فأصل المراد -وهو : تحقق العقاب والثواب- متمثل في الركنين المذكورين ، الأول : في إظهار قبح حال الكافرين الذين قالوا كلمة الإيمان بألستهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم ^(٢) ، والثاني : في إظهار المآثر الحسنة لأهل طاعة الله والوفاء بعهده ^(٣) ، فثبت إعلام البشر أنه لم يكن في القيامة إلا هذان الفريقان ^(٤) ، وفي هذا نعمة ترشد إلى أن الإيمان الحق هو ما تقرر في القلب قولاً وعملاً واعتقاداً ، فجميع الكفار داخلون في فريق من سؤدت وجوههم ، وجميع المؤمنين داخلون في فريق من بيضت وجوههم ^(٥) ، فرجحان الحسنات على السيئات كان سبباً في بياض الوجه ، كما كانت غلبة السيئات على الحسنات سبباً في سواده ^(٦) . وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط أضافت إلى النظم معاني ذات أثر جليل من أجلها جمال الإيجاز ودقة المعنى في ذكر أوجه التقابل ؛ إذ إن بياض الوجوه لما حصل من التوفيق ؛ لشرف الأعمال في الدنيا ، وشرف النعيم في الآخرة ، لذا عبر بـ ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ؛ إشعاراً بأن المؤمن ، وإن استغرق عمره في طاعة الله ، لا ينال ما ينال إلا برحمته تعالى ، فلن يدخل أحد من البشر الجنة بعمله حتى يتعمده الله بوسع رحمته ^(٧) ، وسوادها لما حصل من الخوض في المعاصي في الدنيا ، ولما غشاها من العذاب الأليم ^(٨) ، فلهـ بياض والسواد بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر في الآخرة ^(٩) .

*

وفي قول تعالى : ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

(١) ينظر : المرجع السابق ٢١/٥ وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : جامع البيان ٤١/٤ .

(٣) ينظر : الموضوع السابق .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٦٦/٤ .

(٧) ينظر : روح المعاني ٢٥/٤ وما بعدها .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٦٦/٤ .

(٩) ينظر : التحرير والتنوير ٤٤/٤ .

(الشورى: ٢٢، ك) . ففي قول الحق **وَعَلَىٰ** : ﴿ **تَرَىٰ الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ** ﴾ احتباك ؛ فقد "أثبت فيه الإشفاق أولاً دليلاً على حذف الأمن ثانياً ، والجنات ثانياً دليلاً على حذف النيران أولاً" (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (في غمرات النيران) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ** ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (غير خائفين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **مُشْفِقِينَ** ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم في غمرات النيران ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات غير خائفين في روضات الجنات . وسرّه أنه ذكر أحسن ما للمؤمنين ، وأقبح ما للظالمين . فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حال أهل الكفر في الآخرة ترهيباً مما يدعو إلى النار ، وثواب أهل الإيمان ترغيباً مما يوجب الجنة ، فالقول بالاحتباك جاء في سياق يدعو إلى الارتقاء في مدارج الطاعات ؛ إذ تحقق في العام الدعوة إلى الاجتماع على الإسلام (٢) ، وفي الخاص إثبات الفصل يوم القيامة بين أهل الجنة و النار (٣) . فالقيمة الحقيقية الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية التي ظهرت في إبراز شدة خوف أهل النار مما اعتقدوا نفعه في الدنيا ، فهم "مشفقون من عقاب أعمالهم حال نزول العقاب بهم" (٤) ، بهم" (٤) ، وفي ذكر ثواب أهل الجنة في الآخرة : ﴿ **فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ** ﴾ ، فتحقق بهذين الركنين أصل المراد على أتم وجه ، فحمل النظم على المحذف يحقق معاني عظيمة من أجلها : إعلام البشر عامة -مؤمن وكافر- أن حال إشفاق المؤمنين في الدنيا اطمئنان في الآخرة ، وحال اطمئنان الكافرين في الدنيا إشفاق في الآخرة ، نعمة ترشد إلى الإقبال على الصالحات واجتناب السيئات (٥) .

*

(١) نظم الدرر ٢٩٤/١٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢٩٤/١٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٩٢/١٧ .

(٤) التحرير والتنوير ٧٨/٢٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٧٨/٢٥ وما بعدها .

ويبرز التقابل خاصة الترهيب من نقض العهد ، والترغيب في الوفاء به في قوله تعالى : ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠، م٤١) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ احتباك "ذكر أولاً أن النكث عليه
دليلاً على أن الوفاء له ثانيًا ، وإيتاء الأجر ثانيًا دليلاً على إحلال العقاب أولاً " (١) ، وعلى
هذا فالمحذوف من الطرف الأول (عذاباً أليماً) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الطرف
الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فإنما وفاؤه لنفسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ويستحل به على
نكثه عذاباً أليماً ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فإنما وفاؤه لنفسه فسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .
وسرّه : "أنه بين أن ما يريده الناكث من الأذى لغيره إنما هو واقع به ؛ لأن ذلك أعظم في
الترهيب عن النكث ؛ لما جبل الإنسان عليه من النفرة عن ضر نفسه وبعده عنه ، وذكر
الأجر للموفي ؛ لأنه أعظم في الترغيب" (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية "الترهيب الشديد من نقض
العهد ؛ للحث على الوفاء به ؛ لأنه سبب قيام الدين ، والترغيب في المحافظة على الوفاء به
إتماماً للحث عليه" (٣) ، وتبرز دقة المراد بعد النظر في السياق العام الدال على تحقق صدق
وعد الله بسائر الفتوحات للمؤمنين تبشيراً للمجاهدين في نصرة دينه بالفوز والظفر على
الخارجين عن الدين (٤) ، والخاص بما فيه من الترغيب في اتباع الرسول والدخول في
الإسلام ، والترهيب من التواني عن ذلك (٥) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني
الجوهرية ، الأول : في الإخبار بأن حال من ﴿نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ، والثاني : في
إبراز ثواب من اتبع الرسول ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، فهما كفيلا بإيضاح أهمية التمسك

(١) نظم الدرر ٢٩٨/١٨ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢٩٧/١٨ وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٧٣/١٨ وما بعدها .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٢٩٤/١٨ وما بعدها .

بالوفاء بالعهد ، والصبر عند لقاء العدو ، ونصرة النبي محمد ﷺ على أعدائه^(١) ، فتحقق حسن ثواب العامل بذلك ، أما الناكث فيحرم نفسه الثواب ويلزمها العقاب^(٢) .

وفي القول بالاحتباك معانٍ ترشد في المقام الأول إلى إثبات مبدأ تأصيل الأخلاق الساعية إلى الارتقاء في مقام القرب من الله ، فالتمسك بالعهد والوفاء به من أخلاق المؤمنين الأخيار ، والناكث من أخلاق الكفار ، فليس من أخلاق المؤمن المكر والخديعة والخيانة^(٣) ، وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بالأخلاق الذميمة التي توجب النار والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة التي توجب الجنة^(٤) ، كما تحقق بالحذف إعلام البشر أن المرء لا يضر بعمله السيئ إلا نفسه ، ولا ينفع بعمله الصالح إلا نفسه^(٥) ، في هذا تثقيف للنفوس يدفعها إلى الإخلاص في طاعة الرسول ﷺ وامتنال أمره ، فإن أساس الإخلاص ملازمة الصبر والثبات عليه^(٦) ، وإن عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقده مع الله ﷻ من غير تفاوت بينهما^(٧) ، ﴿مَنْ مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) .

*

يبرز التقابل الترغيب في الجنة والترهيب من النار ، من خلال إيضاح حال جماعة من الجن وبيان جزائهم ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: ١٤-١٥) . ففيه احتباك ؛ حيث "ذكر التحري أولاً دليلاً على تركه ثانيًا ، وذكر جهنم ثانيًا دليلاً على حذف الجنة أولاً"^(٨) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فكان لهم إلى الجنة سببًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ في الطرف الثاني ، وحذف من الطرف الثاني (فلم يتحروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا﴾ في الطرف الأول .

(١) ينظر : جامع البيان ٧٦/٢٦ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٦٨/١٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٣٦٠/١٤ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : جامع البيان ٧٦/٢٦ ، ونظم الدرر ٢٩٧/١٨ بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٢٩٥/١٨ بتصرف .

(٧) ينظر : البحر المحیط ٩٢/٨ .

(٨) نظم الدرر ٤٨٦/٢٠ .

وتقديره : فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، فكان لهم ذلك إلى الجنة سبياً ، وأما القاسطون فلم يتحروا ، فكانوا لجهنم حطباً .

وسره "أنهم في مقام الترهيب ، فذكروا ما يجذر ، وطووا ما يجب العلم به ؛ لأن الله تعالى لا يضع لأحد أجراً ، بل لا يقتصر على ما يقابل الحسنة في العرف ، بل لا بد أن يزيد عليها تسعة أضعافها وعنده المزيد" (١) .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في بيان حال الجن بأن منهم المسلمين المخلصين في صفة الإسلام ، والكافريين الجائرين عن المنهج الأقوم (٢) ، ويتضح حسن المعنى بعد مراعاة النظر في السياق العام بما يُقرره من إثبات شرف النبي محمد ﷺ بإرساله إلى الإنس والجن عامة (٣) ، والخاص بما فيه من الإخبار بحقيقة وقوع البعث للجزاء على الأعمال (٤) . فالقيمة فالقيمة الحقيقية لأصل المراد -إثبات تحقق البعث- متحققة في الركنين المذكورين ، الأول : بيان حال الفريق المخلص في العمل لأجل الفوز بالإسلام ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ، والثاني : بيان جزاء القاسطين منهم ﴿فَكَانُوا لِيَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ، فهذان الركنان أسهما في ترسيخ مبدأ تحقق الثواب والعقاب لمن آمن بمحمد ﷺ من الجن والأنس (٥) ، فالقول بالاحتباك حقق جملة جملة من لطائف المعاني تدعو في المقام الأول إلى معالجة النفوس بالترغيب والترهيب ؛ ليزدادوا من اليقين والهداية فيدل ظاهر إسلامهم على باطنه دلالة بينة (٦) ، فإن من أسلم وخضع لله بالطاعة هم من تعمدوا وترجوا رشداً في دينهم ، ومن كفر وخلد في جهنم هم من قعدوا عن طلب النجاة لأنفسهم (٧) ، ما أن في إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٤٨٤/٢٠ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٤٦٠/٢٠ بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٨٤/٢٠ بتصرف .

(٥) ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ

مُنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقِ

مُسْتَقِيمٍ يَقَوْمَنَا اجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٢٩-٣٢، ك).

(٦) ينظر : نظم الدرر ٤٥٤/٢٠ وما بعدها بتصرف .

(٧) ينظر : جامع البيان ١١٣/٢٩ .

حليلة يدفع إلى الترقى في نور العلم ، وتمنع من المكوث في الظلام ، فبالعلم يدرك المرء دلائل الحق فيسعى في دخول الإسلام ^(١) "فإن الاهتداء إلى الإسلام معناه الدقة في طلب الرشد وتحري الصواب واختياره عن معرفة وقصد بعد تبين ووضوح"^(٢) .

*

- القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ^(٣) وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﷻ ^(المحج:١٨، ١٩) . شبه احتباك ، ففي "إثبات السجود في

الأول دليل على انتفائه في الثاني ، وذكر العذاب في الثاني دليل على حذف الثواب في الأول"^(٤) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (حق له الثواب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ حَقَّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ في الطرف الثاني ، وحذف من الطرف الثاني (لم يسجد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَسْجُدُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس فحق له الثواب ، وكثير منهم حق عليه العذاب لكونه لم يسجد .

وسرّه أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام قدرته ونفاذ أمره وهو تحقق السجود له بما يعم العاقل وغيره ؛ لانتفاء جواز اتخاذهم آلهة تعبد، فعلم "أن الكل مع الإرادة منقادون أتم الانقياد تحت طوع المشيئة ، وأنه جعل الأمر والنهي للمكلفين سبباً لإسعاد السعيد ، وإشقاء الشقي"^(٥) .

فصورة الحذف أسهمت في إيضاح حال الخلق في الانقياد لأمر الله ترغيباً للمكلفين في السجود الذي هو أتم دلائل التوحيد ، وترهيباً من العذاب لمن أبي ، فالقيمة الحقيقية لأصل

(١) ينظر : البحر المحيط ٨/٣٤٤ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ٦/٣٧٣٣ .

(٣) ينظر: الدر المصون ٨/٢٤٥ وما بعدها .

(٤) نظم الدرر ١٣/٢٧ .

(٥) المرجع السابق ١٣/٢٧ .

المراد - وهو : الانقياد التام لله ﷻ بالسجود ترغيباً وترهيباً - متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة إيمان من اتبع أمر الله في الخضوع والتسليم ، وكفر من جحد أمره في الإباء والخروج عن الدين . فتحقق بالحذف أن السجود والانقياد طاعة لله بما يتحقق حسن الثواب ، والإباء معصية بما يتحقق قبح العقاب^(١) . فمن خلال تبصر دلالة السياق العام من حيث تحقق لزوم الحث على التقوى الموجبة ثواب الله^(٢) ، والخاص من حيث تحقق دلائل العظمة والسلطان^(٣) انكشف أن القول بالحذف حقق للنظم جملة من المعاني الساعية إلى إعلام البشر عامة - خصوصاً أهل الكفر - بسجود الأجرام العلوية والذوات السفلية التي عبدوها من دون الله لله سجود انقياد لأمره ؛ نعمة عظيمة بما يدركون عظمة الله الموجبة توحيده فيسارعون في السجود لله تسليمًا له^(٤) .

*

وفي موضع آخر يقول الحق ﷻ : ﴿ وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (النورى: ٢٦، ك) ، ففيه شبه احتباك "ذكر الاستجابة أولاً دليلاً على ضدها ثانياً ، والعذاب ثانياً دليلاً على ضده أولاً"^(٥) . فالحذوف من الطرف الأول (النعيم المقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يجيب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيثيبهم النعيم المقيم ويزيدهم من فضله ، والكافرون لهم عذاب شديد ولا يجيب دعاءهم . وسره : "أنه ذكر الحامل على الطاعة والصادق عن المعصية"^(٦) . فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في إبراز حال المؤمنين في استجابتهم للحق ترغيباً ،

(١) ينظر : جامع البيان ١٧/١٣٠ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١/١٣ .

(٣) «ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظللتهما عن اليمين والشمال » .

جامع البيان ١٧/١٣٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٦/١٣ بتصرف .

(٥) المرجع السابق ١٧/٣٠٧ .

(٦) الموضوع السابق .

وجزاء الكافرين في إعداد العذاب لهم ترهيباً . فالقول بالحدف يتحقق إذا حُمِلَ المعنى على أن المراد : يستجيبون بالطاعة ، أي : يستجيبون لله فيطيعونه^(١) . ويتضح حسن المراد بعد النظر في السياق العام الدال على الحث على الاجتماع على دين الحق^(٢) ، والخاص بما فيه من الإخبار عن كرم الله للمؤمنين في زيادة الإيمان وحسن الاستجابة ترغيباً ، والترهيب من الاستمرار على الكفر^(٣) . فأصل المراد متحقق بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر استجابة المؤمنين لربهم في أمره ونهيهِ ﴿وَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، والثاني : في ذكر جزاء الكافرين على كفرهم بالله^(٤) ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ، فهما ركنان كفيلاان بإيضاح المراد على أكمل وجه ؛ لذا تحقق بهما عظم الطاعة المتمثلة في حسن الاستجابة ، وشدة العذاب الناتج عن الإعراض والخوض في الكفر^(٥) . فالقول بالحدف أظهر المقابل لما هو مذكور في أصل النظم ؛ لتتحقق به جملة من المعاني الإحسانية الساعية في المقام الأول إلى ترسيخ معنى التوبة الجليل ؛ لتقبلَ النفوس عليها إقبال منعقد على العزم على عدم العود^(٦) فيخلص بقلبه ويطيع ببدنه^(٧) ، ففي الإقبال زيادة تشريف وكرامة لأهل الإيمان ، وفي الإعراض زيادة تهديد ونكاية لأهل الكفر «تحذيراً من الدوام على الكفر بعد فتح باب التوبة لهم»^(٨) ، وللحدف أثر فاعل في إبراز وجه المقابلة بين النعيم والعذاب تحفيزاً تحفيزاً في الرجوع إلى الإيمان فـ "العاصي يكون أبداً منكسراً القلب ، فإذا عَلِمَ أن الله يَقْبَلُ الطاعة من المطيعين يتمنى أن ليت له طاعةً مُيسَّرةً ليقبلها ، فيقول الحقُّ : عبدي ، إن لم تكن لك طاعةٌ تصلح للقبول فلك توبةٌ إن أتيتَ بها تصلح لقبولها"^(٩) .

*

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٩١/٢٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٣٠/١٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٣٠٦/١٧ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٩/٢٥ .

(٥) ينظر : تفسير الكبير ١٤٥/٢٧ بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٣٠٧/١٧ بتصرف .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٦/١٦ .

(٨) التحرير والتنوير ٩١/٢٥ .

(٩) لطائف الإشارات ٣٥٣/٥ .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحديد: ١٩م) ، شبه احتباك "ذكر الصديقية وما معها أولاً دليلاً على أصدادها ثانيًا ، والجحيم ثانيًا دليلاً على النعيم أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أصحاب النعيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل شهادتهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ، وأولئك أصحاب النعيم المقيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ، وأولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل شهادتهم عند ربهم ، لهم عقابهم وعليهم ضلالهم .
وسرُّه : "أن الأول أعظم في الكرامة ، والثاني أعظم في الإهانة" (٢) . فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أهل الإيمان ترغيباً في الحرص على التوحيد ، وإيضاح عذاب أهل الكفر ترهيباً من الخوض في الشرك ، ويظهر حسن المعنى بعد النظر في السياق العام بما فيه من إثبات الرسالة لتحقق البعث (٣) ، والخاص بما فيه من "ذكر حال الفريقين الأشقياء والسعداء" (٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة بيان أن الذين أقرّوا بوحدانية الله ، فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءهم به أولئك هم الصديقون والشهداء ، والذين كفروا بالله وكذبوا بأدلتهم ، أولئك أصحاب الجحيم (٥) ، وفي القول بالحذف أسرار من أجلها : الدعوة إلى تصديق الأنبياء في جميع ما أخبروا به (٦) ، وغرس قيم قيم الصدق في النفوس البشرية لتخلد إلى الإخلاص في العبادة والترقي إلى أعلى منازل

(١) نظم الدرر ٢٨٦/١٩ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٥٠/١٩ .

(٤) المرجع السابق ٢٨٦/١٩ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٣٠/٢٧ وما بعدها .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٥٣/١٧ بتصرف ، وتفسير البيضاوي ٣٠١/٥ .

الفضل "فالمؤمنون بمتزلة الصديقين والشهداء لهم أجرهم في الجنة ونورهم في القيامة " (١) .
كما تحقق للمؤمنين شرف النعيم ؛ لما هم عليه من الإيمان ، وشرف الكرامة فـ ﴿هُمُ
الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ ، وللكافرين شدة الجحيم ؛ لما هم عليه من
التكذيب ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا أجر لهم ولا نور (٢) ، وبهذا يرتقي
المرء في فعل الطاعات التي تقربه من ربه ؛ ليأنس بحلاوة النعيم .

*

(١) لطائف الإشارات ٦/١٠٨ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٧/٢٥٤ .

المبحث الثالث : التحذير من اتباع الشيطان ترهيباً من خطر الاتباع.

– القول بالاحتباك:

من أبرز الآيات القرآنية التي تضمنت شدة التحذير من اتباع الشيطان قول تعالى : ﴿يَبْنِيْءَادَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَبَرُّهُمَا إِنَّهُ يُرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿الأعراف: ٢٧، ك﴾ ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ احتباك ، فـ "ذكر الفتنة أولاً دليلاً على حذفها ثانياً ، والإخراج ثانياً دليلاً على حذف ضده أو نظيره^(١) أولاً"^(٢) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الدخول في النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الفتنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يَفْنِيَنَّكُمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا يفتننكم الشيطان فيدخلكم النار كما فتن وأخرج أبويكم من الجنة . وقيل تقديره : "لا تتبعوه فيفتنكم كما فتن أبويكم فاتبعاه"^(٣) . وفيه نظر ؛ لأن الطرف الأول محذوف (لا تتبعوا) ومقابله في الطرف الثاني محذوف أيضاً- (فاتبعاه) ، والتقدير الأول أولى لطبيعة الاحتباك . وسرّه : أنه ذكر أبشع وأعظم ما يكون من الشيطان تحذيراً من خطر الاتباع له .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز دلالة النهي في خطاب الشرع بغية تأكيد النهي عن اتباع الشيطان وخطر الافتتان به^(٤) ؛ لتؤكد في النفوس عظم ضلالته ، وهذا المعنى يزداد دقة بعد مراعاة النظر في السياق العام المتضمن تحقق الدعوة إلى إنذار المعرضين عن الدين ، فالقول بالحذف شكّل أثراً قوياً ؛ لإبعاد الإنسان نفسه من خطر الشيطان ؛ حتى لا يتعرض للوقوع في الفتن المضلة الموجبة شدة العذاب ، فإن في اتباع

(١) الأنسب القول بحذف نظيره ، لأن في القول بحذف ضده تكراراً للمعنى لا فائدة منه ، فإن معنى قوله تعالى :

﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ ، أي : تسبب في دخولهم النار ومنعهم من دخول الجنة . ينظر : نظم

الدرر ٣٨١/٧ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) تفسير ابن عرفة ، لوحه (٤٧١) مخطوط .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي ١٥/٣ .

الشیطان معصية لله توجب الإشرک^(١) ، ولعل من أبرز لطائف القول به : إعلام البشر شدة كيد الشیطان ؛ ليرفعوا عن الإصغاء إليه والطواعية لأمره ؛ لما له من المكايد الخفية والأسباب الدقيقة^(٢) ، فأعلامهم ذلك توجيه كريم ، به يعلم الناجي إنما نجا بمحض التوفيق ومجرد اللطف ، فليقبل على الله بالشكر ، متبرئاً من الحول والقوة^(٣) ، فنتج من خلال صورة الحذف إبراز الجوانب السلبية المترتبة على اتباع الشیطان ؛ لفرط عداوته لبني الإنسان ، فالعلاقات الرابطة بين المعاني تكشف عن ذلك ؛ لكونها أبرزت في السياق شدة التحذير من الركون إليه : ﴿لَا يَفْنَىٰ نَفْسًا مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ ، والتذكير بأعظم أسباب العذاب المترتبة على الخروج من الجنة والدخول في النار ، فبالحذف تحقق للنظم مزيد من الدقة والإيجاز ؛ لما حوى عليه من تلاحم المعاني في دلالاتها .

*

وفي موضع آخر أبرز الاحتباك حسن اتباع دعوى الرسل ترغيباً ، وقبح الإعراض وإتباع هوى الشیطان ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ احتباك "ذكر (وعد الحق) أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، و(أخلفتكم) ثانياً دليلاً على حذف (صدقكم) أولاً"^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (صدقكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وعد الباطل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَعَدَ الْحَقِّ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وقال الشیطان لما قُضِيَ الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، فصدقكم فيه ووُفي لكم ، ووعدتكم وعد الباطل ، فأخلفتكم .

(١) ينظر : جامع البيان ٨/٥٢ وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : البحر المحیط ٤/٢٨٤ بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٧/٣٨٠ .

(٤) المرجع السابق ١٠/٤٠٧ وما بعدها .

وسرّه أنّه ذكر وعد الحقّ أولاً ثمّ أضمر ضده ؛ لكونه متحقق الوقوع لا محالة ، وفي هذا ما يدعو إلى الترغيب في الرجوع إلى الحقّ ، حيثُ ثبت بالبرهان والدليل القاطع القدرة الإلهية على الإعادة بعد الموت ، ثمّ ذكّر الإخلاف ثانياً وأضمر ضده ؛ تصويراً لبشاعة الجرم الذي اقترفوه ، وهو اتباع طريق الضلال ؛ إعلاماً بأن ضلالهم عائد عليهم .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في ترسيخ مبدأ جليل تضمن إبراز الدعوة إلى اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ؛ لصحة دعواهم ، وصدق ما وعدوا به عن ربهم ، والتحذير من دعوى الباطل واتباع الشيطان ؛ لبطان ما يدعو إليه وكذب ما وعد به؛ تسجيلاً على أهل الضلالة ، وقمعاً لسقوطهم في مراتع الكفر^(١) ، فتحقق بالاحتباك التبشير لمن أجاب دعوى الحقّ في الوفاء بصدق ما وعدوا به ، والتحذير لمن أبى واتباع الباطل ، فما منى به الشيطان إلا زيغ .

فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام القول بالحذف على نسق الاحتباك ؛ لما فيه من تحقق الدعوة إلى امتثال دعوى الرسل بالاتباع لهم ، واجتناب دعوى الباطل بالمخالفة والإعراض عنهم ، وهذا ما يعضده السياق العام للسورة ؛ إذ إن مقصدها الأعظم "التوحيد ، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله"^(٢) ، فلا مخرج من الظلمات والضلالات إلا بحسن الاتباع وتمام الانقياد . أمّا السياق الخاص فتحقق فيه إخبار المضلين بكيد الشيطان ومكره ، ولما كان الشيطان أعظم المستكبرين ، وأول المتبوعين في الضلال ، ورأس المضلين المستكبرين ؛ حذّر منه ؛ لأنه يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم الفائزون في الدنيا والآخرة^(٣) ، فيوقعهم في الضلال من أجل الإقبال والاستمرار على طاعته في الدنيا ، فيتحقق لهم العذاب من الله ؛ لتلبسهم بالضلال والإضلال^(٤) ، فأصل النظم يكشف عن عظم الرب في تحقق وعده يوم القيامة ؛ لإثبات أنه وعد صادق لا نقص فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ فوفى لكم بوعده^(٥) ، وخبث الشيطان في سوق الإنسان إلى ما يهلكه ويخزيه يوم

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢١٩/١٣ .

(٢) نظم الدرر ٣٦٩/١٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٤٠٦/١٠ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٤٠٨/٥ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٠٠/١٣ ، والتحرير والتنوير ٢١٩/١٣ .

القيامة ، إذ لا نفع لإيمان فات زمن الإقبال عليه ، ففي تبصر دلالة الحذف تشويق للنفوس المؤمنة العاملة بحسن الاتباع والانقياد يريح فيها حب لزوم العمل بما تقتضيه الدعوة السماوية ، وإرعاب يزلزل النفوس الطاغية بغية إرشادها إلى طريق الرشد والصواب ؛ كي لا تتعرض لشدة عذاب اتباع الشيطان . فمن أبرز المعاني التي يحققها الحذف الإرشاد إلى التحصن المنيع من الوقوع في مكر الشيطان ؛ لشدة عداوته لبني الإنسان : ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء: ٢٠م) ، فمحاولة نزع الإنسان نفسه من دوام الغفلة هو الأهم في بعث اليقظة الإيمانية الموصلة إلى الصعود في سلم الإيمان ؛ ليعلم المرء أن تحقق صدق الوعد من الله ﷻ وعد حق وخبر صدق لا ريب فيه ، وبطلان صحة ما يدعو إليه الشيطان بما يؤكده حقيقة كذبه وعجزه عن حفظ نفسه ^(١) ، نعمة عليّة توجب العلم بصدق الله في تحقق وعده بالبعث ، والجنة ، والنار ، وثواب المطيع ، وعقاب العاصي ، فترغب في الإيمان به ، وكذب الشيطان في وعده أن لا بعث ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فتحذر منه ^(٢) ، ف"المقصود من وصف هذا الموقف : إثارة بغض الشيطان في نفوس أهل الكفر ؛ ليأخذوا حذرهم بدفاع وسواسه ؛ لأن هذا الخطاب الذي يخاطبهم به الشيطان مليء بإضماره الشر لهم فيما وعدهم في الدنيا مما شأنه أن يستفز غضبهم من كيدهم وسخريته بهم ، فيورثهم ذلك كراهية له " ^(٣) ، فالعلم يجلب الخشية التي هي من أهم مبادئ رسوخ الإيمان ، ويبعد الغفلة عن الإيمان بتحقيق الموت والدار الآخرة . وللاحتباك أثر عليّ في استنباط معانٍ ذات دلالات حمّة ، من أجلها : إعلام المرء أنه لا ينفعه الاعتراف بالحق في دركات النار يوم القيامة ؛ لأنه ليس بنافع ، وفي إعلامه ذلك نعمة جليلة يحسن العمل بها ؛ لينجو من عذاب يوم القيامة ^(٤) ، فتحقق أن التصديق بوعد الله في الدنيا نافع في الآخرة لمن عمل به ، وصدق الكفار به في القيامة غير نافع لهم ^(٥) ، وثمة لطيفة أخرى تدل على «أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة

(١) ينظر : جامع البيان ٢٠٢/١٣ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٥٦/٩ بتصرف .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٥٦/٩ .

(٣) التحرير والتنوير ٢١٨/١٣ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٥٨/٩ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٥٦/٩ .

ويحصلهما لنفسه ، وليس من الله إلا التمكين ، ولا من الشيطان إلا التزيين «^(١) ؛ لذا جاء النظم على نحو : ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَتُؤْمَرُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ .

*

وفي موضع آخر يبرز الاحتباك قبح تمكن الكفر والاستكبار ؛ ترهيباً من الوقوع في زمرة أتباع الشيطان ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ (ص: ٧٤، ك) ، ففيه احتباك "ذكر فعل الاستكبار أولاً دليلاً على فعل الكفر ثانياً ، ووصف الكفر ثانياً دليلاً على وصف الاستكبار أولاً " ^(٢) . وعليه فالحذوف من الطرف الأول (وكان من المستكبرين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كفر) ؛ لدلالة ذكر ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إلا إبليس استكبر وكان من المستكبرين ، وكفر وكان من الكافرين .

وسرّه : "أن ما ذكره أقعد في التحذير بأن من وقع منه كبر جرّه إلى الكفر " ^(٣) . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صورة أخرى من صور الحذف ^(٤) . فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة تمكن الكفر والضلال في نفوس المتعالين عن الاستجابة لأمر الانقياد بالسجود ؛ إذ أظهر الحذف في المقام الأول ما عليه إبليس من شدة تعاليه واستكباره على الحق ؛ لامتناعه عن الطاعة لأمر الله امتناع طعن في حكمة الله وعلمه ^(٥) ، ففي تبصر دلالة الاحتباك في السياق القرآني إشارات عليّة تُوجب

(١) الكشاف ٣/٣٧٤ .

(٢) نظم الدرر ١٦/٤٢١ .

(٣) الموضع السابق .

(٤) ومثله في قول الحق ﷻ : ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مََعَكَ أَنْ سَجَدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدَيَّ ۗ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِينَ﴾

(ص: ٧٥، ك) ، شبه احتباك «دلّ فعل الاستكبار أولاً على فعل العلو ثانياً ، ووصف العلو ثانياً على وصف الاستكبار أولاً» . وتقديره : استكبرت فكنت من المستكبرين ، أم كنت من العالين ، فلذلك علوت بنفسك ولم تسجد . وسرّه «أن إنكار الفعل المطلق مستلزم لإنكار المقيد؛ لأنه المطلق بزيادة ، وإنكار الوصف مستلزم لإنكار الفعل ؛ لأنه جزؤه ، مع أن إنكار الفعل من هذا مستلزم لإنكار الفعل من ذلك ، فيكون كل من الفعلين مدلولاً على إنكاره مرتين : تارة بإنكار فعل عديله ، وأخرى بإنكار وصفه نفسه ، والوصفان كذلك ، وفعل الكبر أجدر بالإنكار من فعل العلو» . الموضع السابق .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٣/١٨٥ ، والتحرير والتنوير ٢٣/٣٠٢ .

في النفوس الضالة حسن الرجوع إلى التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً ، فالذي يهدي إليه السياق العام يُعضد القول بالاحتباك ؛ إذ تحقق فيه الإشارة إلى نصر جند الله ؛ لأنهم هم الغالبون وإن تأخر نصرهم^(١) ، ففي هذا إعلام لأهل الكفر بالقدرة الإلهية العظمى المتمثلة في نصر أهل الدين ، فكما رفع الله آدم عليه السلام على من استكبر عن السجود له ، وجعله خليفة في الوجود سينصر محمداً صلى الله عليه وسلم على من استكبر من الكفرة عن الاستجابة لأمر التوحيد ؛ لذا فالقول بالاحتباك أشد اعتلاقاً بما يحتويه السياق العام . أمّا الخاص فتحقق فيه تأكيد استكبار إبليس وتكبره على الانقياد لحكم الله^(٢) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد ترشد الخلائق إلى ما عليه إبليس من الكفر والعصيان ؛ تحذيراً لهم وتنفيراً منه ؛ لأن في شناعة صنيعه جحداً لربوبية الله ، فكان من الكافرين في علم الله السابق^(٣) ، وهذا ما كشفته المعاني الجوهرية المتمثلة في تأكيد فعل الاستكبار وإثبات وصفه بالكفر ، فالركن الأول :

﴿أَسْتَكْبِرُ﴾ ، والثاني : ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ ، فأنفَ إبليس من السجود لآدم جهلاً بأن السجود له طاعة لله ، والأنفة من طاعة الله استكباراً كُفراً لا محالة ، ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن أمر الله . فتحقق تمكن الكفر والاستكبار في أهل الضلال ؛ لشدة خروجهم عن امتثال أوامر الله وتمكنهم في الكفر^(٤) ، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط بين المعاني ترشد البشر وتعلمهم أن الاستكبار والعصيان والأنفة من اتباع أوامر الشرع يُعدّ إنكاراً لله وكفراً به^(٥) ، وبهذا يترع المرء نفسه من الكبر والتمرد على أوامر الشرع ، فيعمل بها خضوعاً وتعظيماً ، كما أن في إعلامهم بعداوة إبليس لهم ولأبيهم آدم عليه السلام كي يجذروا كيده بعدم الاستجابة والاتباع له ؛ نعمة عليّة تقوي في القلب حقارته ، وتنفر منه .

*

في قول الحق صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ (القصص: ٦٣، ك) ، شبه احتباك "حذف أولاً (فغوا) ؛ لدلالة

(١) ينظر : نظم الدرر ١٦/٣٢١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٦/٤٢٠ وما بعدها بتصرف يسير .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٣/١٨٥ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٢٢٧ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

﴿غَوَيْنَا﴾ عليه ، وثانيًا (لما أغوانا من قبلنا) ؛ لدلالة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾^(١) . وعلى هذا
فالتقدير : ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم فغوا كما غوينا لما أغوانا .
وفي هذا تكلف ؛ لأن المعنى ليس بحاجة لمثل هذا التقدير^(٢) .

*

(١) نظم الدرر ١٤/٣٣٤ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٧/١٢٨ ، والدر المصون ٨/٦٨٨ وما بعدها .

المبحث الرابع: الترغيب في الحياة الآخرة والترهيب من الحياة الدنيا .

-القول بالاحتباك:

أسهم حذف التقابل في إبراز علو الآخرة مقابل دنو الدنيا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦، م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ احتباك "ذكر الدنيا أولاً دالاً على حذف العليا ثانياً ، وذكر الآخرة ثانياً دالاً على حذف العاجلة أولاً" (١) . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (العاجلة) ؛ لدلالة ذكر ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (العليا) ؛ لدلالة ذكر ﴿الدُّنْيَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا العاجلة بالعليا الآخرة .

وسرّه أنه ذكر المحبوب عندهم (الدنيا) لعظمتها في أنفسهم تحذيراً من الانغماس في شهواتها ، وذكر (الآخرة) لأنها الثمرة الباقية عالية القدر ؛ ترغيباً لأهل الإيمان في العمل بها ، في مقابل طي (العاجلة) ؛ لسرعة زوالها ، فإن "الدنيا فعلى من الدنو ، وهو الإنزال رتبة ، في مقابلة عليا ؛ ولأنه لزمتهما العاجلة صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو ، ففي الدنيا نزول قدر وتعجل ، وفي الأخرى علو قدر وتأخر" (٢) . ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صور أخرى (٣) أسهمت في إبراز علو الحياة الآخرة ودناءة الحياة الدنيا .

(١) نظم الدرر ١٤/٢ .

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ، ص ٢٣٧ ، ونظم الدرر ١٤/٢ .

(٣) وفي مواضع أخرى ظهرت صورة التقابل لإبراز جانب الترغيب ، حيث قال تعالى في سياق الحث على القتال :

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤، م) ، أي : باعوا حياتهم وبدلوها في إعلاء كلمة الحق

جهاداً في سبيله ، وثمنها الجنة ، وهذا معنى ذو شجون تضمن الإشارة إلى شرف الحياة الآخرة ورفعتهما عند

من أحسن العمل لها . ينظر : لسان العرب ، مادة : «ش،ر،ي» ٤٢٧/١٤ بتصرف يسير .

ويقول محذراً من الركون إلى الحياة الدنيا وترك الجهاد في سبيله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمُ إِذَا قِيلَ

لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؕ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الركون إلى الحياة الدنيا في سياق التحذير من سوء أعمال اليهود الذين رضوا برياضة الحياة الدنيا وخستها بالإيمان الذي يكون لهم به في الآخرة الخلود في النعيم ^(١) . فأصل المعنى تحقق في المعاني الجوهرية : ﴿أَشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ؛ لإثبات جرمهم الذي أخرجهم من الإيمان ، وهو : وصف الله لهم بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ؛ فلا حظ لهم من خصائص الآخرة ؛ لأنهم باعوها وأخذوا بالدنيا ^(٢) . وهذا متحقق في أصل النظم ، ولكن في الحذف أسراراً ، منها : التحذير من العمل لأجل الحياة الدنيا وترك الآخرة ، فمن أقدم على فعل ذلك فهو فاسد العقل ، وفي إعلام البشر أن الدنيا ما دنا من شهوات القلب ، والآخرة ما اتصلت برضا الرب ، نعمة عليّة ترشد البشر إلى التمسك والعمل من أجل إثارة الآجل الباقي على العاجل الفاني .

*

ويأتي التقابل في قوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأعام:٣٢،ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ احتباك "ذكر حال الدنيا وحذف نتيجتها لأهلها لدلالة ثمة الآخرة عليها ، وحذف ذكر حال الآخرة ؛ لدلالة ذكر حال الدنيا عليه " ^(٣) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (شر للذين يلعبون) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وما الحياة الآخرة إلا جد وحضور) ؛ لدلالة

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿ (التوبة:٣٨،م) ، أفادت مطلق الرضاء ، فالباء في (بالحياة) للإصاق ، وتفيد تعليق الرضاء وإصاقه بالحياة الدنيا ، و(من) في : (من الآخرة) للبدلية ، وتفيد سوء اختيارهم ، حيث اختاروا الدنيا بخستها بدلاً من الآخرة برفعها . وتركيب الفعل مع (الباء) أفاد تخصيص الرضاء وتعليقه -أو إصاقه- بالحياة الدنيا ، وتركيبه مع (من) أفاد البدلية ، أي : بدلاً من الآخرة . ينظر : القرآن الكريم وتفاعل المعاني -دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم- ، محمد محمد داود ، (القاهرة ، دار غريب ، الطبعة : بدون ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ٦١/٢ .

(١) ينظر : جامع البيان ٣١٧/٢ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) نظم الدرر ٩٣/٧ .

ذكر ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو ، وللحياة الدنيا شر للذين يلعبون ، وما الدار الآخرة إلا جدّ وحضور ، وللدار الآخرة خير للذين يتقون^(١) .

وسرّه أنه ذكر حال الدنيا وطوى نتيحتها لأهلها ؛ تنبيهاً إلى خستها ؛ لشدة رغبتهم في إثارة لذاتها ، وحذف حال الآخرة وذكر نتيحتها ؛ تنبيهاً إلى أن من شأن العقلاء الإقبال على الخير^(٢) .

فالصورة التركيبية للاحتباك -متفقة مع سابقتها في الناتج الدلالي من الحذف^(٣)- أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الدنيا والحط من شأنها ، وحصر متاعها في اللهو واللعب ؛ تنفيراً من الركون إليها ، والترغيب في الآخرة ؛ تعظيماً لشأنها ، ورفعاً لمقامها ، فتحقق من خلال أوجه التقابل جملة من لطائف المعاني ، من أبرزها : إعلام البشر بحقيقة الحياة الدنيا بما يدفعهم إلى التنفير منها ؛ ليرسخ في الأذهان حقاقتها ، وحقيقة الحياة الآخرة ؛ ليقوى الإيمان بها والعمل من أجلها ، فإن العلم حياة للقلوب ، والجهل موت للضمير .

*

ساق القرآن الكريم شواهد عدة أبرز التقابل فيها خاصية الترغيب في لزوم العمل لأجل الآخرة ، والترهيب من العمل لأجل الدنيا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٦م) ، ففي قول الحق وَعَجَلِكُمْ : ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ احتباك "ذكر الحياة الدنيا واللهو واللعب أولاً دال على ذكر الآخرة والجد ثانياً"^(٤) ، وذكر الإيمان والتقوى ثانياً دالاً

(١) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه أسراره ، ص١٠٤ بتصرف .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٩٣/٧ بتصرف .

(٣) وجه الاحتباك في هذا الموضع متفق فيه مع : ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (محمد:٣٦م) ، فتحقق أن الآخرة

جدّ وحضور . ينظر : (٦٠٠) من البحث . ومن جانب آخر مع : ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ

وَأَبْقَى﴾ (الأعلى:١٧-١٨ك) ، فتحقق كون الدنيا شراً للذين يعملون بها . ينظر : (٦٠٣) من البحث .

(٤) فيه نظر : والصواب : دال على حذف الآخرة والجد ثانياً .

على حذف ضدهما -الكفران والجرأة- أولاً " (١) .

لو قيل : احتباك في احتباك لكان أكثر دقة وأتم بيانا ؛ لتحقق وجهين من وجوه الاحتباك في النظم . فالوجه الأول : (ذكر الحياة الدنيا دال على حذف الحياة الآخرة ، وذكر الإيمان دال على حذف الكفر) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (تكفروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُؤْمِنُوا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الآخرة) ؛ لدلالة ذكر ﴿الدُّنْيَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنما الحياة الدنيا لعب وهو ، فإن تكفروا وتجتربوا يبطل أجوركم ، والآخرة جد وعمل وحضور ، وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم . والوجه الثاني : (ذكر اللعب واللهو أولاً دليلاً على حذف الجد والحضور ثانياً ، وذكر التقوى ثانياً دليلاً على الجرأة أولاً) فالحذوف من الطرف الأول (تجتربوا عليه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَتَتَّقُوا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (جد وحضور) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَعِبٌ وَلَهُوٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : كما سبق في الوجه الأول .

وسرّه "أن تصوير الشيء بحال الصبي والسفيه أشد في الزجر عنه عند ذوي الهمم العالية ، وذكر الأجر المرتب على الخوف الذي هو فعل الحزمة أعون على تركه" (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتين ؛ الأول : الترهيب من الانشغال بالدنيا وترك العمل في سبيل الآخرة ، والثانية : الترغيب في لزوم العمل لأجل الآخرة بالمحافظة على أداء الفرائض واجتناب النواهي (٣) ، فتحقق بالحذف جانب علي تمثّل في إرشاد أهل الإيمان إلى ما يحفظ دينهم ويوصلهم إلى رضا ربهم ، فالأمر بحفظ الدين هو المقصد الأعظم من السورة بكليتها (٤) ؛ لذا فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بسياق السورة ؛ لأن حفظ الدين يتمثل في جوانب عدة من أبرزها : العمل والمحافظة عليه ، وهذا الجانب اتضح في السياق الخاص ؛ إذ رغب في الطاعات الموجبة الفوز الدائم ، ورهب من الطاعات القائدة إلى الركون في المعاصي (٥) ، فحصل بالحذف أن ما كان من الحياة الدنيا

(١) نظم الدرر ١٨/٢٦٦ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٦/٦٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٨/١٩٤ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢٦٣ وما بعدها .

خالصاً لله هو جد وحضور ، وما عدا ذلك لعب وهو يضمحلّ فيذهب فيزول ^(١) ، ففي العمل بالأولى اجتناء فوائد عظيمة ، من أجلها - ما أرشد إليه السياق من - جهاد الأعداء ، والنفقة في سبيل الله ، وبذل المهج في قتال أهل الكفر ^(٢) ، وفي الثانية دون اجتناء فائدة ؛ لأن لذة العيش حملتهم على الزهادة في مقابلة العدو ، فإن ذلك يغري بهم العدو ، فلا يتمكنون من حفظ الدين ^(٣) . وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط أضافت إلى النظم معاني عظاماً ؛ منها : الحث على تعلم مبدأ الجدة والثبات الموصولين إلى الإيمان ، وترك اللعب واللهو الموصولين إلى الكفر ، فجعل الدنيا لعباً ولهوياً دليل سرعة زوالها وانقضائها ، وجعل الآخرة جداً وحضوراً دليل شرفها وعلو شأنها ، وفي إعلام البشر هذا نعمة عليّة ^(٤) ترشد النفوس إلى البعد عن محل الزوال واللهو ؛ لسرعة زواله واضمحلاله ، والإقبال على محل الثبات والجد ؛ لما فيه من سرور العلو بالإسلام ، فإنه باق على الدوام ^(٥) ، ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عظيمة تشير إلى حقارة الدنيا ودناءتها عند أصحاب المهمم العالية ، والعقول الواعية ؛ ليتقرر في النفوس العاقلة الحذر والتنفير منها ؛ لذا أوتر حصرها في اللعب واللهو ، فـ "شُبّهت أحوال الحياة الدنيا باللعب واللهو في عدم ترتب الفائدة عليها ؛ لأنها فانية منقضية ، والآخرة هي دار القرار" ^(٦) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّكَ هَؤُلَاءِ مُجُوعٌ مُّعَاجِلَةٌ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان : ٢٧ ، م) احتباك "ذكر الحب والعاجلة أولاً دلالة على ضدّها ثانياً ، والترك والثقل ثانياً دلالة على ضدّها أولاً" ^(٧) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يأخذون منها ويستخفون لما خفت به من الشهوات) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن

(١) ينظر : جامع البيان ٢٦/٦٤ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٦/١٣٣ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٨/٢٦٣ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢٦٤ وما بعدها .

(٦) التحرير والتنوير ٢٦/١٣٣ .

(٧) نظم الدرر ٢١/١٥٨ .

الطرف الثاني حذف (يكرهون الآجلة) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ في الطرف الأول .
وتقديره : إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويأخذون منها ، ويستخفون لما حفت به من
الشهوات ، ويكرهون الآخرة الآجلة ، ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً^(١) .
وسرّه : "أن ما ذكره أدل على سخافة العقل بعدم التأمل للعواقب " ^(٢) . ويدخل ضمن هذا
النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي من الحذف صورة أخرى^(٣) أسهمت في إبراز حقارة
حقارة أهل الكفر في شدة حبههم للعاجلة وبغضهم للآخرة .
فالقول بالاحتباك أسهم في إبراز حالة الغافلين - عن ذكر الله من الكفرة وغيرهم - في
شدة تمسكهم بالحياة الدنيا ؛ ترهيباً اقتضاه السياق ودعا إليه المقام ، ففي السياق العام تقرر
إبراز الترهيب بتعذيب العاصي ، والترغيب بتنعيم المطيع يوم القيامة^(٤) ، والخاص تحقق فيه
إعلام الرسول ﷺ بحقيقة جهل الكفرة الذين أقبلوا على الدنيا وتركوا الآخرة . فأصل المراد
- القائم في الترهيب من الركون إلى الدنيا والانشغال بها - متحقق بالمعاني الجوهرية ،
الأول : حب الكافرين للبقاء في الدنيا وإعجابهم بزينتها ، والثاني : ترك العمل للآخرة وما
لهم من النجاة فيها^(٥) ، وفي حمل النظم على الحذف مزيد إيضاح لحال الكافرين في قصر
نظرهم وجمود عقولهم ؛ لحرصهم على الدنيا ، فإن شدة غفلتهم وتعلقهم بحب زينة الدنيا
أبعدتهم عن تذكر الآخرة والعمل لها ، فأصبحت همهم في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في
تحصيل ثواب الآخرة الباقي^(٦) ، فتحقق أن غلبة محبة الشهوات على القلوب تنسيها النظر
في أمر الآخرة والعمل لها ، وفي هذا تثقيف نبيل ، به يدرك المرء زوال الدنيا وفناءها ،

(١) ينظر: الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه - أسرار: ٢٤٨. بتصرف.

(٢) نظم الدرر ١٥٨/٢١ .

(٣) في -موضع قريب من هذا- يقول الحق ﷻ : ﴿كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة: ٢٠-٢١، ك) ، ففيه شبه
احتباك «ذكر الحب أولاً دليلاً على البغض ثانياً ، والترك ثانياً دليلاً على الإقبال والأخذ أولاً» . وتقديره : كلا
بل تحبون العاجلة بدليل أنكم تقبلون غاية الإقبال عليها فتأخذونها ، وتذرون الآخرة لأنكم تبغضونها . ينظر:
المرجع السابق ١٠٤/٢١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٢٠/٢١ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٩/٢٢٥ .

(٦) ينظر : البحر المحیط ٨/٣٨٠ .

ويرشد إلى ترك طلب الدنيا وأهلها للآخرة^(١) . ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز قبح انشغال أهل الكفر بالدنيا ، ففي إيثار : ﴿يُحِبُّونَ﴾ دلالة على تكرار ذلك منهم ، فهذا دأبهم وديدهم ، لا يشاركون مع حب العاجلة حب الآخرة ، وكذا : ﴿وَيَذُرُونَ﴾ فهو يقتضي أنهم مستمرّون على ذلك ، وأنه متجدد فيهم ومتكرر ، لا يتخلفون عن ذلك الترك ؛ لأنهم لا يؤمنون بحلول يوم القيامة^(٢) . ثم إيثار الدنيا بوصف العاجلة في ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ "توطئة للمقصود من الذم ؛ لأن وصف العاجلة يؤذن بأنهم آثروها ؛ لأنها عاجلة . وفي ذلك تعريض بهم ؛ إذ رضوا بالدون ؛ لأنه عاجل ، وليس ذلك من شيم أهل التبصر"^(٣) .

*

ويبرز الاحتباك خاصية الترهيب الشديد من الركون إلى الحياة الدنيا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٧-١٨ ك) . ففيه احتباك ، "ذكر الإيثار والدنو أولاً يدل على الترك والعلو ثانياً ، وذكر الخير والبقاء ثانياً يدل على ضدهما أولاً"^(٤) ، أولاً"^(٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (شر وفناء) ؛ لدلالة ذكر ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (تتركون العليا) ؛ لدلالة ذكر ﴿تُؤْثِرُونَ... الدُّنْيَا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : بل تؤثرون الحياة الدنيا مع أنها شر وفناء ، وتتركون الآخرة العليا ؛ لأنها خير وبقاء .
وسرّه : "أنه لا يؤثر الدنيء إلا دنيء ، فذكره أولاً ؛ لأنه أشد في التنفير ، وذكر الخير والبقاء ثانياً ؛ لأنه أشد في الترغيب"^(٥) .
فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب الشديد والترغيب الجميل بما يدفع السعداء إلى العمل من أجل الآخرة ، ويحذر الأشقياء من الانشغال بالدنيا .

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٧٦/٩ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٤٠٧/٢٩ .

(٣) المرجع السابق ٤٠٨/٢٩ .

(٤) نظم الدرر ٤٠٦/٢١ .

(٥) الموضوع السابق .

ففي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في توجيه البشر إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان والترقي فيها ، عن طريق تحقق إثبات الآخرة على زينة الدنيا وزخرفها ، فالذي يهدي إليه السياق الخاص يعمق القول بالاحتباك ؛ إذ تحقق فيه الحث على ترك الدنيا والعمل للآخرة ، فـ"لو كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآخرة من خزف يبقى ، لكان الواجب أن يؤثر خزفاً يبقى ، على ذهب يفنى ، فكيف والآخرة من ذهب يبقى ، والدنيا من خزف يفنى" (١)؟ . فتحقق بالاحتباك إبراز جملة من لطائف المعاني الساعية لإثبات حقيقة أن الدنيا دينية فانية ، والآخرة شريفة عالية باقية ، فالتمتع بزينة الدنيا ، ونسائها ، وطعامها ، وشراؤها يبعد المرء عن التفكير في جليل الأمور ، ويكسل عن طلب أشرف الأعمال ، وهو ما كان للآخرة (٢) ، فثبت امتهان العمل للدنيا ؛ لأنها شر وفناء ، وتعظيم العمل لأجل الآخرة ؛ لأنها خير وأبقى ، وهذا متحقق في الصحف الأولى (٣) ، وبه تحصل الكرامة والارتقاء إلى علو سلم الطاعات تقرباً إلى الله ، «فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ، ويهتم بما يزول ، ويترك الاهتمام بما لا يزول أبداً؟! ، فـ"من أحب دنياه أضرب آخرفته ، ومن أحب آخرفته أضرب بدنيه ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى" (٤) ، فثبت أن كمال العمل ما يوصل إلى الخير والفلاح ، وإيثار الدنيا معصية لله وإعراض عن العقيدة يدفع إلى الكفر ، فـ"ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع" (٥) .

*

– القول بشبه الاحتباك:

في قول ﷺ: ﴿يَقَوْمٌ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾

- (١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٠/٢٤ .
- (٢) ينظر : جامع البيان ٣٠/١٥٨ .
- (٣) ينظر : الموضوع السابق .
- (٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، كتاب : حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ٤/٤١٢ ، رقم : (١٩٧١٢) ، (١٩٧١٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ . قال الألباني : «صحيح لغيره» صحيح الترغيب والترهيب ٣/١٤٤ ، كتاب : الترغيب في التوبة والمبادرة بها ، رقم : (٣٢٤٧) .
- (٥) أخرجه مسلم بنحوه في صحيحه ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٤/٢١٩٣ ، رقم : (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد ﷺ .

(عافر: ٣٩، ك) ، شبه احتباك "ذكر المتاع أولاً دليلاً على حذف التوسع ثانياً ، والقرار ثانياً دليلاً على حذف الارتحال أولاً" (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الارتحال) ؛ لدلالة ذكر ﴿الْقَرَارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (اتساع) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَتَّعُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنما الحياة الدنيا متاع ؛ لأنها دار الزوال والارتحال ، وإن الآخرة هي دار القرار ، فهي للتلذذ ، والانتفاع ، والاتساع (٢) .
وسرّه أنه ذكر أقبح ما للحياة الدنيا في كونها متاعاً ؛ لتحقيق زوالها لا محالة ، وأفضل ما للحياة الآخرة في كونها محل القرار .

فالأية تشير إلى إثبات حقارة الدنيا ونزاهة الآخرة للترغيب في نعيم الجنان ، والترهيب من عذاب النيران (٣) ، فأصل المراد -القائم في بيان حقيقة كل من الدنيا والآخرة ترغيباً وترهيباً- يتضح بعد مراعاة السياق العام الدال على إثبات صفتي العزة الكاملة ، والعلم الشامل لله ﷻ بتصنيف الناس يوم القيامة صنفين يُوفِّي كل ما يستحق (٤) ، والخاص بما تحقق فيه من ذم الدنيا ومدح الآخرة (٥) ، فالقيمة الحقيقية تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : تضمن الإشارة إلى زوال الدنيا ، لذا أوتر التعبير عنها بـ : ﴿مَتَّعُ﴾ ، والثاني : تضمن الإشارة إلى بقاء الآخرة واستمرارها ؛ لذا قال مؤكداً لبقائها : ﴿هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ ، وفي تبصر دلالة الحذف أثر فاعل -في تأكيد حقيقة سرعة انقضاء الدنيا وزوالها ، وبقاء الآخرة وخلودها- يرشد البشر إلى أنهم في الحياة الدنيا يتمتعون قليلاً ، ثم تنقطع و تزول بموتهم لا محالة ، أمّا الآخرة فهي دار القرار ، لا يموتون فيها ، وهي عنهم لا تزول ، وبهذا يعلم المرء حقارة الدنيا ويجذرها ، ونزاهة الآخرة فيطلبها (٦) ، فإن الخلود إلى الدنيا وتجاهل الآخرة أساس تمكن الشر في القلب ، ومنبع انتشار الفتن التي تذهب الإيمان من النفس وتُخَلد فيها

(١) نظم الدرر ٧٣/١٧ .

(٢) ينظر: الاحتباك في الذكر الحكيم مواقع أسرار: ١٦٥. بتصرف.

(٣) ينظر : نظم الدرر ٧٣/١٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١/١٧ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٤٤٦/٧ ، ونظم الدرر ٧٢/١٧ .

(٦) ينظر : جامع البيان ٦٧/٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣١٧/١٥ .

الكفر والعصيان^(١) ، فترسخ في العقل حقيقة أن الجنة والنار لا تفنيان أبداً^(٢) ، مما يدعو إلى المسارعة في الإقبال على الطاعة والارتقاء فيها طلباً لثمرتها .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النازعات: ٣٧-٤٠، ك) ، شبه احتباك "أتى بطغى دليلاً على ضده ثانياً ، وبالنهي عن الهوى ثانياً دلالة على إثثار الدنيا أولاً " ^(٣) ، وتقديره : فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه فلم يطغ ، ونهى النفس عن الهوى .

وفيه نظر ؛ حيث إنه جعل (إثثار الحياة الدنيا) محذوفاً من الطرف الأول ، وهو مذكور فيه ﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ، ومقابل لمذكور ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ . فليس ثمة حذف على طريقة شبه الاحتباك ؛ لأن ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ، فقله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ ضد قوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ ، و ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ ضد : ﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾^(٤) ، وقيل : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ مقابل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ ؛ لأن الخوف ضد الطغيان^(٥) ، وقوله : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ مقابل ﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ، ونهي الخائف نفسه مستعار للانفكاك عن تناول ما تحبه النفس من المعاصي والهوى ، فجعلت نفس الإنسان بمرتلة شخص آخر يدعو إلى السيئات وهو ينهيه عن هذه الدعوة^(٦) ، وهذا يشبه

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٧٧/٧ بتصرف .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣١٧/١٥ .

(٣) نظم الدرر ٢٤٤/٢١ .

(٤) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٢١٨/١٦ .

(٥) الظاهر خلاف ذلك ، قال الراغب : و يضاد الخوف الأمن ، وقيل : جعل الخوف ضد الطغيان مع أن مقابله الانقياد والطاعة بناء على أن الخوف أول أسباب الإطاعة ، ثم الرجاء ، ثم المحبة ، فالأول للعوام ، والثاني للخواص ، والثالث لأخص الخواص . ينظر : تفسير روح البيان ٤٨٢/١٦ . ولو قيل : ولازم الخوف ضد الطغيان ، لكان أقرب .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٩٢/٣٠ .

ما يسمى بالتجريد^(١) .

ويذهب بعض أهل العلم إلى بيان وجه آخر صح القول فيه بالحذف على تقدير : "فأما من طغى واتبع الهوى وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأمّا من عدل وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وآثر الآخرة فإن الجنة هي المأوى"^(٢) . وهذا احتباك ظاهر .

*

(١) هو : أن ينتزع من متّصف بصفة أخرى مثله فيها مبالغة في كمالها فيه . ينظر : التبيان في البيان ، ص ٢٣٥ .

(٢) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقفه أسراره ، ص ٣٠٩ وما بعدها .

المبحث الخامس : جزاء المحسنين وعقاب المسيئين — رغيباً في الثواب ، وترهيباً من العذاب .

المطلب الأول : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان جزاء أهل الطاعة .
- القول بالاحتباك :

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦، ك) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ احتباك ؛ لكون المحذوف من الطرف الأول (من المحسنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (قريبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ قَرِيبٌ ﴾ من الطرف الأول . وتقديره : إن الله قريب من المحسنين ، ورحمته قريبة من المحسنين .
وسره : أنه ذكر الأخص ؛ لكونه أدل على الأعم ؛ لأنَّ "قربه تعالى أخص من قرب رحمته ، والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه ، فإنه لما كان أخص استلزم الأعم ، وهو قرب رحمته" (١) .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في تأكيد قرب الله ورحمته من المحسنين ؛ ترغيباً في الصعود إلى مرتبة الإحسان في العبادة ؛ وذلك بلزوم الجمع بين الخوف والرجاء ، "فمن جمع بين الخوف والرجاء كان في مقام الإحسان ، وكأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه داعي الجمال إلى بساط رأفته" (٢) . ومن خلال تبصر دلالة السياق العام من حيث تحقق الدعوة إلى الاجتماع على الخير ؛ لإقامة التوحيد (٣) ، انكشف أن القول بالاحتباك في هذا الموضع عليّ يولد جملة من المعاني أعلاها : إعلام البشر أنه من حاز مقام الإحسان في عبادته كان أهلاً لنيل القرب من ربه المستلزم فيض رحمانيته (٤) ، فلا يتحقق بلوغ درجة الإحسان إلا بمراعاة ما يتطلبه السياق الخاص من الأمر المقتضي لزوم الصلاح والتقوى ، والنهي المقتضي التخلي التام عن أنواع الفساد ، فالهـى عام يتضمن

(١) نظم الدرر ٣٤١/٧ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٤٢٠/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٣٤٧/٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٤٢٠/٧ .

الابتعاد عن جميع مظاهره ، كإفساد النفوس ، والأموال ، والأنساب ، والعقول ، والأديان^(١) ؛ ليتحقق في النفوس حسن الترقى بالعبادة ، والترفع عن أدنى مظاهر الشرك ؛ خوفاً من عقابه ، وطمعاً في ثوابه^(٢) .

*

تحدث القرآن الحكيم في مواطن عدة عن حسن ثواب أهل الطاعة ؛ ترغيباً في بلوغ أقصى درجات الكمال في الإيمان ، ومن أبرز الشواهد التي أسهم الاحتباك في إنمائها قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (ص: ٤٦-٤٧، ك) ، ففيه احتباك "ذكر (أخلصناهم) أولاً دليلاً على (اصطفيناهم) ثانياً ، و(المصطفين) ثانياً دليلاً على (المخلصين) أولاً"^(٣) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (المخلصين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الْمُصْطَفَيْنَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (اصطفيناهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَخْلَصْنَاهُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار ، وإهم عندنا لمن المخلصين ، وإنا اصطفيناهم وإهم عندنا لمن المصطفين الأخيار .

وسره : «أن الإخلاص يلزم منه الاصطفاء»^(٤) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز عظيم الفضل ، وسعة الرحمة ، ووافر الإحسان الممزوج بالحب والكرامة لأهل الطاعة قادة التوحيد ، وحملة الرسالة ؛ لشدة تمسكهم بزمam الإسلام ، وعلقهم برهم في صرف الهمم في طاعته ، وذكر الآخرة إخلاصاً له ﷺ ؛ إذ "نزع من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها"^(٥) ، فالذي يهدي إليه السياق العام من الإعلام بنصر جند الله ؛ لأنهم هم الغالبون وإن تأخر نصرهم ، وتحقق صدق الوعد فيما وعدوا به عن رهم^(٦) ، إشارات عظيمة تُعَلِّي من شأن

(١) ينظر : روح المعاني ١٤٠/٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٠٧/٨ .

(٣) نظم الدرر ٣٩٨/١٦ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢١٨/١٥ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٣٩٨/١٦ .

الاحتباك ، وتعمق في القلوب دلالاته ؛ لما فيه من لطائف المعاني المثيرة لعزائم أهل الإيمان ، والآخذة بأيدي البشرية إلى مدارج الطاعات ؛ لتدفعهم إلى الوصول إلى درجات الإحسان ؛ فهو لهذا ذو أثر فاعل في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله ؛ ليؤكد أن الله يحب المحسنين في طاعته ، المؤمنين بتوحيده ، الموقنين بحقيقة الدار الآخرة ، فإن في تبصر الخطاب عنها بـ : ﴿ ذَكَرَى الدَّارَ ﴾ فائدة جليلة تُعظم في النفوس حسن الإقبال على مراعاة العمل لأجلها ، فتحقق حسن تذكركم تلك الخالصة تذكيراً عظيماً لا يغيب عنهم^(١) ، كما تحقق -أيضاً- إعلام البشر بحال أهل الطاعة في الإقدام على الآخرة ، وترك الدنيا ، فهم لا ينظرون إليها ؛ بغضاً فيها ، والمعنى : أنهم لا يعملون شيئاً إلا وهو مقرب إلى الآخرة^(٢) ، فوجب التأسى بأنبياء الله في قوة صبرهم على الدين والمجاهدة في امتهاله^(٣) ، فهم يذكرون الآخرة ويرغبون فيها ، ويزهدون في الدنيا^(٤) ؛ لذا خلص لهم التذكير بها ، ودعا الناس إليها إليها وحضهم عليها^(٥) . وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط جوهرية أسهمت في ترسيخ حقيقة هامة تمثلت في الإعلام بأن ما يعترى أهل الطاعات في الدنيا من مصائب دليل الخيرية فيهم ، فكل واحد منهم بخير بليغ في الخير ، وإصابتنا إياهم بالمصائب دليل ذلك لا دليل عكسه كما يظنه أهل الكفر والفساد والعناد^(٦) ، كما أسهم الحذف في إبراز جلائل جلائل الأعمال وفضائلها من الإخلاص في العبادة ، وحسن المجاهدة ، ودوام ذكر الآخرة بغية الالتزام بها والعمل عليها .

*

وفي موضع آخر يبرز حذف التقابل نعيم أهل الجنة ترغيباً ، وذلك في : ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٣، م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا

(١) ينظر : المرجع السابق ١٦/٣٩٧ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٣/١٧١ بتصرف .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٢١٨ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٧/٣٨٦ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٦/٣٩٨ .

زَمَهْرِيرًا^(١) احتباك ، دل بنفي الشمس أولاً على نفي القمر ثانياً ، ودل بنفي الزمهيرير ثانياً على نفي الحر أولاً^(٢) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (قمرًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿شَمْسًا﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (حرًا) ؛ لدلالة ذكر ﴿زَمَهْرِيرًا﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : "لا يرون فيها شمسًا ولا قمرًا ولا حرًا ولا زمهيريرًا"^(٣) .
وسره : أنه "دل بنفي الشمس أولاً على نفي القمر ؛ لأن ظهوره بها ؛ لأن نوره اكتسابٌ من نور الشمس ، ودل بنفي الزمهيرير الذي هو سبب البرد ثانياً على نفي الحر الذي سببه الشمس ، فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين ؛ لأنها نيرة بذاتها ، وأهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان ؛ لأنه لا تكليف فيها بوجه ، وأنها ظليلة ومعتدلة دائماً ؛ لأن سبب الحر - الآن - قرب الشمس من مساومته الرؤوس ، وسبب البرد بعدها عن ذلك"^(٤) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز صورة النعيم المقيم ؛ ترغيباً في نيل الجنة ، وحثاً على فعل الطاعات ، فتحقق بالاحتباك إعلام البشر بحقيقة نعيم المطيع في الآخرة ، وهذا مرتكز في السياق العام ؛ لكون المقصد الأعظم من السورة بكليتها يدعو إلى إقامة الترغيب والترهيب من خلال إبراز صورة القيامة وما فيها من تعذيب العاصي في النيران ، وتنعيم المطيع في الجنات^(٥) ، أمّا الخاص فتضمن إبراز صورة النعيم ؛ ترغيباً في إيقاظ القلوب ، وهذا يعنى عناية فائقة بالحث على لزوم الطاعة واجتناب المعصية ، ومنع الأنفس من شهواتها ؛ لترقى إلى المقام الأسنى من الطاعة والنعيم ، ففي تبصر دلالة الخطاب في : ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا...﴾ إشارات عليّة تبرز حالهم في الجنة وما يحتويهم من تمكن الراحة ،

(١) الجدير ذكره : أن للزمهيرير عند المفسرين معنيين ، الأول : قيل : هو القمر ، وحمل المعنى على ذلك بنفي وجه الاحتباك ؛ لانتفاء شرط ذكر أحد الطرفين وحذف مقابله ، فتحقق في النظم ذكر الشمس والقمر معاً .
والثاني : قيل : هو البرد ، وحمل المعنى عليه يؤيد القول بالاحتباك ؛ لتحقق شرط التقابل بين المعاني المذكورة والمحذوفة ، فالشمس مقابلها القمر ، والبرد مقابلها الحر . ينظر : جامع البيان ٢٩/٢١٣ ، وتفسير البيضاوي ٥/٤٢٨ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢١/١٤٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٣٩٠ .

(٤) نظم الدرر ٢١/١٤٣ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٢١/١٢٠ .

ودوام النعيم ، فإنهم لا يرون فيها شمساً فيؤذيهم حرّها ، ولا زمهريراً فيؤذيهم بردها^(١) ، فحصل لهم مطلق الوقاية من الأذى ، وهذا لون لطيف من ألوان النعيم ، ففيها من لذيد العيش ، وحسن المقام ما يُعظم في الأفتدة حب التمسك بها . ومن جليل المعاني التي يحققها الاحتباك إعلام البشر بما هو غيب عنهم ، باعتدال نعيم الجنة وصفائه ، فهوؤها معتدل ، لا شدة حر شمس يحمي ، ولا شدة برد يؤذي^(٢) ، وفي هذا نعمة جلييلة ترغب في النفوس العمل من أجل الفوز بالجنة والخلود فيها ، فتحقق أن ساكنيها لا يرون فيها بأبصارهم ولا بصائرهم شمساً ولا قمراً ولا يحسون فيها برداً شديداً مزعجاً ولا حرّاً^(٣) ، ثم إن في إعلام البشر بما هو غيب ، لطيفة أخرى تدفع إلى نماء العقول بزيادة العلم وتجنب الجهل ، وللاحتباك أثر بارز في إحداث علاقات ربط أسهمت في ترسيخ أثر جليل يعمق في القلوب معاني الأنس والاطمئنان ، والدفء بتأمل نعيم الجنة ، "فهم في جلسة مريحة مطمئنة ، والجو حولهم دافئ في غير حر ، ندي في غير برد ، لا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهريراً!"^(٤) .

*

- القول بشبه الاحتباك :

في قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (الحج: ٢٣، م) ، شبه احتباك^(٥) المحذوف من الطرف الأول (حليتهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلِبَاسُهُمْ ﴾ في الطرف الثاني ومن الطرف الثاني حذف (يلبسون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "يلحون فيها ، وحليتهم من أساور من ذهب ، ولباسهم فيها حرير يلبسونه"^(٦) .

(١) ينظر : جامع البيان ٢٩/٢١٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٩/٢١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/١٣٨ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢١/١٤٣ .

(٤) في طلال القرآن ٦/٣٧٨٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١٧/٢٣٣ ، ومثله قول الحق : ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ

ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (فاطر: ٣٣، ك) .

(٦)الموضع السابق .

"ولما كانت التحلية غير اللباس ، جيء باسم اللباس بعد : (يحلون) بصيغة الاسم دون (يلبسون) ؛ لتحصل الدلالة على الثبات والاستمرار ، كما دلّت صيغة : (يحلون) على أن التحلية متجددة بأصناف وألوان مختلفة" (١) .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف يسعى لإبراز النعيم الحسن لأهل الجنة في الجنة ترغيباً في اعتناق فضائل الأعمال ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى إيماء الإيمان في النفوس من خلال دوام الحث على لزوم التحلي بالتقوى المنجية من هول العذاب (٢) ، وهذا يُعضد من شأن القول بشبه الاحتباك ؛ لما فيه من مزيد تأكيد الثواب والعطاء الناتج من حسن التخلق بالتقوى المتمثلة في علو دلالة الأمر في مفتتح السورة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ﴾ (الحج: ١٠١) ، فالعمل بموجب الأمر يُعظم في النفوس شدة تجنب المعاصي والوقاية منها بفعل الطاعات ، وهذا يُحقق حسن الأجر ترغيباً . وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إبراز مطلق الفضل ومنتهى الإنعام ، فهم متصفون بصفات بهيجة حسنة نضرة موجبة للسرور ، يحلون في الجنة وحليتهم من أساور من ذهب ، ويلبسون ولباسهم الحرير (٣) ، ففي الإعلام بجزيل الثواب بعد شدة العذاب نعمة عظيمة توجب في النفوس مخافة الله وتلزمها التقوى (٤) ، فما أعده الله لهم من نعيم الفضل وحسن الثواب أعلى مما في الدنيا بكثير (٥) . كما أن في الحذف دعوة جليلة تدفع النفوس القابلة للإيمان إلى الارتقاء في سلمه ؛ لذا أوتر التعبير بـ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ فعبّر بالمضي ترغيباً في المبادرة ، ثم قال (عملوا) إشارة إلى أن من عمل انكشف له ما كان محجوباً عنه من حسنه ونيعمه فأحبه ولم ينفك عنه (٦) .

*

وفي قول الحق عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١/١٣ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٧٣/٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣١/١٣ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٣٦/١٧ بتصرف .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٣١/١٣ .

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ (الزمر: ٧١، ك) ، شبه احتباك "ذكر (الرب) أولاً" دلالة على حذف (الجبروت) ثانياً ، و (الإنذار) ثانياً دليلاً على (البشارة) أولاً" (١) . وعليه فالحذوف من الطرف الأول (بالبشارة إن تابعتم) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الجبار) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَبِّكُمْ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم بالبشارة إن تابعتم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا من الملك الجبار إن نازعتم . فالآية تشير إلى ذكر حال الأشقياء في شدة سوقهم إلى النار (٢) ؛ لإعراضهم في الدنيا وعدم إيمانهم بحقيقة القيامة ترهيباً من الخوض في الكفر (٣) ، ففي الإخبار عنهم مزيد توبيخ وتنكيل لكل من جحد وحدانية الله وكفر بالرسول (عليهم الصلاة والسلام) (٤) ، وفي هذا إبراز للمقصد الأعظم من السورة المتمثل في الدلالة على تحقق صدق وعد الله (٥) . أمّا فائدة القول بالقول بالحذف فتمثلت في ذكر الرب ؛ لكونه أدل على مطلق الرحمة ترغيباً في قبول دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، ثم ذكر الإنذار لكونه أدل على قوة الزجر والمبالغة فيه .

*

وفي قول الحق عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (الغاشية: ٧، ك) ، شبه احتباك ، فقد "نفى السمن أولاً ليدل على إثبات الهزال ثانياً ، ونفى الإغناء من الجوع ثانياً ليدل على نفي الشبع أولاً ، ومن جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى ؛ لأنه يؤول إلى : ليس لهم طعام منفي عنه الإسمان والإغناء ، بل لهم طعام لا ينفى عنه ذلك" (٦) . فالحذوف من الطرف الأول (لا يشبع) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (لا يمنع من الهزال) ؛

(١) المرجع السابق ٥٦٦/١٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٥٦٥/١٦ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : البحر المحیط ٤٢٤/٧ بتصرف .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٥/٨ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٤٩/٩ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٤٣٦/١٦ .

(٦) المرجع السابق ٨/٢٢ .

لدلالة ذكر ﴿لَا يُسْمِنُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لا يسمن فلا يشبع ، ولا يغني من جوع ، ولا يمنع الهزال .

وسرُّه أنه ذكر الأظهر الأدل على المراد ؛ لشدة ضرره وخلو نفعه ، وهو نفي نفع فائدة الطعام في القيامة مطلقاً . فصورة الحذف أسهمت في إبراز وصف طعام أهل النار في النار ؛ ترهيباً من الكفر وحثاً على الإيمان بالبعث ، فالمقصد الأعظم يسعى إلى "إثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها ، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى" (١) ، فالغاية من القول بالحذف هي : نفي فائدة طعام أهل النار مطلقاً ، ففيه مزيد تأكيد لتحقيق نفي الفائدة مطلقاً فمفنعنا الغذاء منتفيتان عنه وهما : إمطة الجوع وإفادة القوة (٢) .

*

المطلب الثالث : وقوع الاحتباك وشبهه في سياق بيان جزاء أهل الطاعة والمعصية معاً .

—القول بالاحتباك:

يكشف الاحتباك عن جزاء أهل الإيمان الذين اتبعوا الهدى الذي آتاه الله رسله فهم آمنون من عقابه بما أطاعوه في الدنيا ، ولا هم يجزون ، وعن جزاء أهل الكفر الذين جحدوا الآيات وكذبوا الرسل فهم المخلدون في النار (٣) ، وذلك في قول تعالى : ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩م) . ففيه موضعان للحذف .

الموضع الأول : في قول الحق ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، انتفاء الخوف والحزن من الأول دلالة على وجودهما في الثاني ، ووجود النار في الثاني دلالة على انتفائها ووجود الجنة في الأول (٤) . وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (أولئك أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر

(١) المرجع السابق ١/٢٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني ١٤٦/٣٠ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٤٧/١ وما بعدها .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٣٠٢/١ .

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ في الطرف الثاني ، وحُذِفَ من الطرف الثاني (عليهم خوف وهم يجزنون) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يجزنون ، وهم أصحاب الجنة . ومن كذب فعليهما خوف وحزن ، وأولئك أصحاب النار . "لهذا اقتضى التقسيم أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صاحب النار" (١) .

وسرّه أن نفي الخوف والحزن عن من اتبع الهدى يؤسس عليه فيض عظيم من النعم مفتاحها الجنة ، وإثبات الخوف والحزن لمن لم يتبع الهدى يؤسس عليه اغتيال الحياة الحقة ، ثم الخلود في النار . فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في الكشف عن حسن جزاء المحسنين ترغيباً في حسن الثواب ، وقبح جزاء المسيئين ترهيباً من شدة العذاب (٢) . أمّا الموضع الثاني فقد درس في بابه .

*

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤م) (٣) احتباك " ... والمراد : بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل التعبير فيه بـ(لها ولكم) ، ولك أن تجعل الكلام من نوع الاحتباك والتق دير (٤) : لها ما كسبت وعليكم ما كسبتم ، أي : إثمه " (٥) فالمحذوف من الطرف الأول (عليكم ما كسبتم) ؛ لذكر ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عليها ما

(١) البحر المحيط ١/٣٢٤ .

(٢) ينظر : ص () من البحث .

(٣) ومثله في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وِزْرًا أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٤ك) ، قيل : احتباك ؛ إذ المحذوف من

الطرف الأول (لها) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيْهَا﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (تكتسب) ؛ لدلالة

ذكر ﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾ في الطرف الأول . تقديره : ولا تكتسب كل نفس إلا لها ولا تكتسب إلا عليها .

ينظر : التحرير والتنوير ٨/٢٠٧ .

(٤) يقول ابن عاشور : «والتقرير» ، والأنسب لسياق الكلام : والتقدير .

(٥) التحرير والتنوير ١/٧٣٥ .

كسبت) ؛ لذكر ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ في الطرف الأول .
وفي ذلك نظر ؛ إذ المعنى : لها ما كسبت من دين الإسلام خاص بها لا شركة لكم فيه ،
ولكم ما كسبتم مما أنتم عليه من الهوى خاص بكم ، لا يُسألون هم عن أعمالكم ، ولا
تُسألون أنتم عما كانوا يعملون^(١) ، فالمعنى تام في سياقه لا يحتمل الحذف -والله أعلم- .

*

وقيل في قول الحق ﷻ : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧م) ، احتباك " والتقدير : الله ولي الذين آمنوا وهم أصحاب الجنة ،
والذين كفروا ليس الله لهم بمولى وأولئك أصحاب النار " ^(٢) . فالحذوف من الطرف الأول
(أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني
حذف (الذين كفروا ليس الله لهم بمولى) ؛ لدلالة ذكر ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الطرف
الأول .

وفيه نظر ، وذلك لأن الركن الثالث الذي قدره بقوله (والذين كفروا ليس الله بمولى لهم)
معناه كامن في رحم معنى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ أي : أن الله ليس بمولى
لهم . لهذا انتفى القول بالاحتباك -والله أعلم- .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠م) احتباك كان ،
الموضع الأول في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ
تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ذكر حضور الخير دلالة على حضور السوء ، وود بعد
السوء دلالة على ود لزوم الخير ^(٣) ، فالحذوف من الطرف الأول (تود لزوم الخير) ؛ لدلالة

(١) ينظر : نظم الدرر ٢/١٨٢ وما بعدها .

(٢) التحرير في علوم التفسير ، ص ٢٨٢ ، هامش رقم : (١) .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤/٣٣٠ .

ذكر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (من) سوء حاضراً) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَنْ خَيْرٌ مِّمَّنْ حَضَرَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً تود لزومه ، وما عملت من سوء حاضراً تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .
وسره أنه ذكر الأحب إلى الأنفس ترغيباً فيه ، ثم ذكر المبغض إليها تحذيراً منه (لأنه بالضد تتميز الأشياء) .

فمن خلال المعاني المتقابلة ظهرت حالة النعيم المقيم والعذاب الشديد ترغيباً وترهيباً ؛ إذ برز في جانب أهل الإيمان ذكر إحضار الخير المطلق ، وفي جانب أهل الكفر ود بعد سوء ومفارقتة ؛ ليتحقق إعلام البشر بأن الكفار أصحاب عذاب ، والمؤمنين أصحاب ثواب بغية الإيمان بالغيب ، وهذا هو المقصد الأعظم الذي دعت إليه السورة ، ففي تبصر دلالة السياق إعلام بأهمية التمسك بأصول الشريعة لدلالاتها على كمال التوحيد ، أما السياق الخاص فأبرز العناية بذكر القيامة وما فيها من هول المصير تحذيراً^(١) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية المتضمنة شدة التحذير من ذلك اليوم المحصى فيه كل كبير وصغير ، أما حمل النظم على الاحتباك فحقيق جملة من لطائف المعاني أسهمت في جعل كل من الخير للمؤمنين حاضراً والسوء للكافرين حاضراً ، ففي حضوره للمؤمنين شرف نبيل وفضل عظيم به تحصل الكرامة والرضا ؛ لذا تود لزومه ، وفي حضوره للكافرين توبيخ به يحصل الامتهان والسخط فتود مفارقتة^(٢) . وفي تدبر دلالة الخطاب ﴿أَمَدًا

بَعِيدًا﴾ إشارات تبرز شدة رغبة النفوس الكافرة يوم القيامة في مفارقة سوء الحاصل من شدة كفرها في الدنيا . أما الموضع الثاني ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فـ"التحذير أولاً دال على الوعد بالخير ثانياً ، والرأفة ثانياً دالة على الانتقام أولاً"^(٣) ، فالحذوف من الطرف الأول (الانتقام) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَءُوفٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الوعد بالخير) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَحْذَرُكُمْ﴾ في الطرف

(١) ينظر : المرجع السابق/٤/٣٢٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق/٤/٣٢٩ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق/٤/٣٣٢ .

الأول . وتقديره : ويحذركم الله نفسه وانتقامه ، ويعدكم فضله ورأفته بكم .
وسره أنه ذكر أقوى وألطف ما يكون منه سبحانه ترهيباً وترغيباً . فالصورة التركيبية لطبيعة
الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية ؛ ليعلم المرء
أنه عبد لله "والذي ينبغي أن يرى العبد من نفسه تبرئته من أن يكون له إرادة ، وأن يلاحظ
علم الله وقدرته في كلية ظاهره وباطنه وظاهر الكون وباطنه" (١) .

فالحذف أسهم في ترسيخ الدعوة إلى التوحيد بإخلاص الطاعة لله والتخلص من
الشرك ، وقد كثر الحذف في الآية ؛ لما اقتضاه المقام ، مقام التهويل بيوم المعاد ، فلقد
أكسب الحذف النظم مزايا عظيمة منها : الاهتمام بهذا اليوم من أجل تقديم الظرف على
عامله لقضاء حق الإيجاز بنسج بديع (٢) . ثم ذكر محضراً مع الخير ﴿مَنْ خَيْرٌ مِّمَّنْ خَضِرًا﴾
"للإشعار بكون الخير مراداً بالذات ، وكون إحضار الشر من مقتضيات الحكمة
التشريعية" (٣) . ثم التعريف في ﴿بِالْعِبَادِ﴾ للاستغراق ؛ لأن رافة الله شاملة لكل الناس
مسلمهم وكافرهم (٤) . ثم التكرار في ذكر الجلالة ﴿وَاللَّهُ﴾ ؛ لتربية المهابة وإذهاب الغفلة
بتوجيه الذهن إلى هذا الحكم أتم توجيهه (٥) . وللاحتباك أثر فاعل يأخذ بأيدي البشرية إلى
زام الطاعة القائدة إلى نيل رضوان الله ، فهو لهذا ذو أثر علي في العناية بتوجيه البشر إلى
مراعاة حق الله ، وهو التوحيد .

*

ويقول تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران : ٥٧م) ، ففي قول الحق ﴿وَعَلَى﴾ : ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾
احتباك ، ففي ذكر توفية الأجر أولاً نفيها ثانياً ، وفي إثبات الكراهة ثانياً إثبات ضدها
أولاً (٦) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (المحبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ في

(١) المرجع السابق ٣٣٠/٤ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢/٢٢٣ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٢/٢٤ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : روح المعاني ٣/١٢٩ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٤/٤٢٣ .

الطرف الثاني، وحُذِفَ من الطرف الثاني (نحبط أعمالهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره على هذا : "فنوفيهم لأننا نحبههم ، والله يحب المؤمنين ، والذين ظلموا نحبط أعمالهم لأننا لا نحبههم ، والله لا يحب الظالمين" (١) .

وسرُّه أنه "أثبت للمؤمنين لازم المحبة المراد منها في حق الله ﷻ ؛ لأنه أسرّ ، ولازم المراد من عدمها في الظالمين ؛ لأنه أنكأ" (٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إعلاء فضل أهل الإيمان ترغيباً فيه ، وإسقاط شأن أهل الكفر ترهيباً منه . ففي الاحتباك دلالة على تحقق خاصية الإيمان بأصول الشريعة ، وهذا مرتكز في السياق العام ؛ لما فيه من إثبات الأصول التشريعية الواجب اتباعها ؛ لأجل تحقق الإيمان بالبعث ، أمّا الخاص فحمل الاعتناء بالأولياء الذين اتبعوا عيسى ﷺ حق الاتباع ، وقهر الأعداء (٣) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية الدالة على الإخبار بأن الذين آمنوا بعيسى ﷺ وصدقوا نبوته وما جاء به من الحق يعطيهم الله جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً لا ينخسون منه شيئاً ، والله لا يحبُّ الظالمين (٤) . ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها الاحتباك : إعلام البشر أن الله متعال عن الظلم لا يجزي المسيء ممن كفر جزاء المحسن ممن آمن ، أو يجازي المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه ، جزاء المسيء ممن كفر به وكذب رسله وخالف أمره ونهيه (٥) ، وفي هذا نعمة عليّة بها يترفع المرء عن الظلم وأهله تحقيراً وكرهاً لهما ، " فالله ﷻ لا يفعل مع الظالمين فعل المحب فهو يحبط أعمالهم لبنائها على غير أساس الإيمان " (٦) . كما أسهم الحذف في إبراز أوجه التقابل بين المعاني ؛ لبيان عظم الجزاء في إنعام الله بتوفية الأجر لمن أقروا بالنبوة وعملوا بما فيها ، وعقابه بإحباط أعمال المتجاوزين عن إتباع النبوة ، وفي ذكر توفية الأجور ومضاعفتها حافز نبيل يوجه المرء إلى المسارعة للارتقاء في سلم

(١) الموضوع السابق .

(٢) المرجع السابق ٤/٢٢ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٤/٢٢ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣/٢٩٤ .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) نظم الدرر ٤/٤٢٣ .

الطاعات تنبيهاً على فضل الوصول إلى درجة الكمال في الإيمان^(١) ، فهو لهذا ذو أثر بالغ في العناية بالترقي في الإيمان ليؤكد أن الله يحب أهل الإيمان بمختلف درجاته ، ويغض أهل الكفر بمختلف دركاته .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران ١٤٠) ، فصورة الاحتباك ظاهرة في قول الحق ﷻ : ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ؛ "إذ إن في إثبات الاتخاذ أولاً دلالة على نفيه ثانياً ، وفي إثبات الكراهة ثانياً دلالة على المحبة أولاً"^(٢) . وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (الله يحب المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يحق أهل الجحد) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ويتخذ منكم شهداء ، والله يحب المؤمنين . ويحق أهل الجحد ، والله لا يحب الظالمين . وسره أنه ذكر أفضل ما للمؤمن حثاً على الإيمان ، وأقبح ما للكافر ترهيباً من الكفر ، بشارة في الترغيب بأنه لا يفعل مع الكفرة فعل المحبة " وفي ذلك بشارة للمتقين ، وإنذار للمقصرين ، فالناس قبل الابتلاء بالحن والفتن يكونون سواء ، فإذا ابتلوا تبين المخلص والصادق ، والظالم والمنافق"^(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إيضاح حسن جزاء المؤمنين وقبح جزاء الكافرين ترغيباً وترهيباً ، ويبرز حسن المعنى بعد النظر في السياق العام لما فيه من بيان الأصول العقدية الواجب مراعاتها والتي من أبرزها وأكملها الإيمان بالغيب ، والخاص بما فيه من الحديث عن الجهاد . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في الركنين المذكورين ، الأول : في إبراز فضل الله وكرمه لأهل الطاعة المجاهدين في سبيله ، والثاني : في إذلال أهل المعصية المتخاذلين عن نصره الدين . فالاحتباك الأثر الفاعل في توجيه العقول إلى الأخذ

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٤٥/٢ بتصرف .

(٢) نظم الدرر ٧٩/٥ وما بعدها .

(٣) تفسير المنار ١٥١/٤ .

بالإيمان وترك الكفر ، وهذا من جملة المعاني الإحسانية التي يحققها الحذف للنظم ، كما أسهم في إعلام البشر بما هو غيب لله ؛ لإلزامهم طاعته وأمره ، "وإن أنال الكفار من المؤمنين فهو لا يجبهم ، وإن أحل أماً بالمؤمنين فإنه يحبهم" (١) ، فلهذا لا يجب من لا يكون ثابتاً على الإيمان صابراً على الجهاد (٢) ، فبالجهاد يصعدون إلى أعلى مراتب الإيمان فينالون أعلى الدرجات وأسمى المنازل ، درجات ومنازل أهل الإحسان (٣) ، ففي الحذف توجيه كريم للنفوس المؤمنة المجاهدة يعلمها أن الحرب تكون مرة للمؤمنين لينصر الله دينه ، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون لبيبتليهم ويمحص ذنوبهم ، فإذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون (٤) ، كما أسهم في إعلامهم أنه ﷺ لا ينصر الكافر على الحقيقة وإنما يغلب بأحياناً استدراجاً له ، ولو كانت النصره دائماً للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليمن والفأل ، والمراد الأعظم التخلص من شوائب الشرك والإخلاص في التوحيد (٥) .

وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف تثير في النفوس بغض الظلم والظالمين ؛ لذا أوتر التعبير ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فنفي المحبة كناية عن البغض ، وفي إيقاعه على الظالمين تعريضاً بمحبته لمقابلتهم (٦) . فالنفس المؤمنة "هي التي تصبر على الضراء ، ولا تستخفها السراء ، وتتجه إلى الله في الحالين" (٧) .

*

ويقول تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ ورسوله يُدْخِلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا خَلَائِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيبٌ﴾ (النساء: ١٣-١٤م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ ورسوله يُدْخِلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلَائِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢١٩/٤ .

(٢) ينظر : تفسير الكبير ١٦/٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٠٦/٤ وما بعدها .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/٤ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي ٩٦/٢ وما بعدها .

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم ٩٠/٢ .

(٧) في ظلال القرآن ٤٨١/٤ .

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ .^(١) ، إذ المحذوف من الطرف الأول (نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في الطرف الثاني ، وحذف من الطرف الثاني (الخسران المبين) ؛ لدلالة ذكر ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ونعيم مقيم ، وذلك هو الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ، وذلك هو الخسران المبين^(٢) .
وسرّه أنه ذكر الغاية العظمى الكامنة في الفوز العظيم ؛ ترغيباً لأهل الطاعة في الانقياد للعمل على تلك الحدود ؛ تنبيهاً لعظمتها ، وتأكيذاً لأهمية الحرص عليها . ثم ذكر المآل المخزي والنهائية المؤلمة ترهيباً من التعدي على هيبة التكليف الشرعية بمخالفة أوامر الله ورسوله .

فالاحتباك أسهم في إظهار صورة النعيم المقيم المتمثل في الفوز العظيم ، والخسران المبين المتمثل في العذاب المهين ترغيباً وترهيباً ، في سياق تقرير الأصول التشريعية الدالة على كمال التوحيد وحكمة الخالق ، وهذا هو المقصد الأساسي الذي قامت عليه السورة وتمثل في سياقها العام ، أمّا الخاص فهو أشدّ اعتلاقاً لبيان الاحتباك ؛ لما تضمنه من الحرص الشديد بعناية تقسيم الميراث على الوارثين بالعدل ، فظهرت أهمية المحافظة على تلك الحقوق بإعطاء كل ذي حق حقه ، والويل الشديد لمن خالف ذلك ، بأسلوب لطيفٍ دقيقٍ فيه ترغيبٌ وترهيبٌ^(٣) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر نعيم من أخلص الطاعة لله ورسوله وعمل بموجب أمرهما ونهيهما ، فإنه له جزاء ذلك ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، والثاني : في ذكر عذاب من عصى الله ورسوله وخالف أمرهما ونهيهما ، فإن له جزاء ذلك ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ . وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في توجيه البشر إلى السعي لإدراك مراتب الإيمان ، ولزوم حدود الله جليلة النفع عظيمة الجدوى^(٤) ، وفي الإعلام بما نعم عليّة تُرشد إلى عظم تلك الفرائض والأحكام

(١) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوحة (٣١٧) مخطوط .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢١٥/٥ وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضع السابق .

وتذكر بها^(١) ؛ ليخلص البشر عامة في العمل بها من باب الإخلاص في العبادة ، أو الترفع عن دناءة الإخلاد إلى الفاني وسفول المهمة ، فإنه يوشك أن يجره ذلك إلى أن يكون ممن يطيع الله ؛ فتوجههم وترشدتهم إلى الفوز العظيم الذي به ينعمون في الجنة ، وتبعدهم عن العذاب المهين الذي به يعذبون في النار^(٢) .

*

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾^(المائدة: ٩-١٠م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ احتباك ؛ حيث "ذكر في قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم ، ولم يذكر ما به يقع الثواب ، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب ، ولم يذكر الحكم بتعذيبهم"^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (هم أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ في الطرف الثاني . ومن الطرف الثاني حذف (لهم عذاب أليم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ، وهم أصحاب الجنة ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا لهم عذاب أليم ، وأولئك أصحاب الجحيم^(٤) .

والسر في هذا أنه ذكر أحسن ما يكون للمؤمنين ترغيباً في الامتثال لأمره ، وأقبح ما يكون فيه الكافرون ؛ لشموله على أنكأ أنواع العذاب تحذيراً ، وترهيباً لمن خالف أمره .

فمن خلال أوجه التقابل برز حسن الثواب لأهل الإيمان ، وسوء المآل لأهل الكفر ترغيباً في الإقبال على الطاعات ، وترهيباً من الإقدام على المعاصي ، فتحقق بالاحتباك ترسيخ مبدأ الجزاء على الأعمال لأجل الإيمان وترك الكفر ، وفي حمل النظم عليه معانٍ عظام توجه العقول إلى الارتقاء بفضائل الأعمال في مدارج الإيمان بغية الظفر بحسن

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٨١/٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٥/٢١٥ وما بعدها .

(٣) تفسير ابن عرفة ، لوجه (٣٨١) مخطوط .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

الثواب ، والبعد عن الترددي في دركات الكفر ، فالسياق العام يقرر إثبات جملة من الأصول التشريعية الدالة على كمال أمر التوحيد للعمل بها ، والخاص تضمن التذكير بالوعد الحسن الجميل لمن امتثل جملة الأوامر ، والوعيد المؤلم الشديد لمن حاز عنها ^(١) ، وكلاهما يرشدان إلى إنماء الجانب الإيماني من خلال الحث على لزوم التقوى . فأصل المراد متمثل في المعاني الجوهرية المتضمنة الجمع بين الترغيب والترهيب ^(٢) ، فحصل بالاحتباك جملة عليّة من لطائف المعاني تدعو في المقام الأول إلى إعلام البشر بحسن جزاء المؤمنين وقبح مآل الكافرين ، فإن في تعليق قلوبهم وأنظارهم بعظم الجزاء وقبح المآل نعمة عليّة بها يخلصون التعامل مع الله ﷻ في حفظ أوامره والعمل بها ، ومعرفة نواهيه والعمل على اجتنابها ^(٣) ، وبهذا يتجردون من كل النوازع ، ويعلمون أن المنهج الرباني يأخذ الطبيعة البشرية بما يعلمه الله من أمرها ؛ ويهتف لها بما تفتتح له مشاعرها ، وتستجيب له كينونتها ^(٤) . ثم إن في إعلام البشر بحسن النعيم وسوء العذاب لطيفة أخرى ترشد إلى معرفة المصير "والله يعلم حاجتها إلى هذا الوعد بالمغفرة والأجر العظيم ، وحاجتها إلى معرفة جزاء الكافرين المكذبين ، كما إن في هذا وذاك ما يرضيها ويطمئننها على مصيرها وجزائها" ^(٥) .

وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط جديدة تبرز معاني عظاماً تهتف بالنفوس إلى الارتقاء في مقامات القرب من الله والبعد عن دركات النار ، فالمغفرة إسقاط للسيئات ، والأجر العظيم إيصال للثواب ^(٦) ؛ فتتحقق أن المغفرة والأجر العظيم دليل رضا الله عن عباده ، وحصل للمؤمنين بما شرف الرضا وشرف النعيم وفيه تطيب لقلوبهم ^(٧) "وبعض القلوب يكفيها أن تشعر برضا الله وتتذوق حلاوة هذا الرضا كما تتذوق حلاوة الوفاء بالميثاق" ^(٨) .

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٢/٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٤٢/٦ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن ٦/٨٥٤ بتصرف .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) ينظر : التفسير الكبير ١١/١٤٣ .

(٧) ينظر : تفسير البضاوي ٢/٣٠٣ .

(٨) في ظلال القرآن ٦/٨٥٤ بتصرف .

*

كما قيل في قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٨، م) ، احتباك^(١) ، تقديره : "اعلموا أن الله شديد عقابه وغضبه ، أنه غفور رحيم جزيل ثوابه"^(٢) .

وفي ذلك نظر ؛ لأنه جُعِلَ المحذوف من الطرف الأول مقابلاً للمحذوف من الطرف الثاني . كما أن المذكور في الطرف الأول شيء واحد وهو ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ، والمذكور في الطرف الثاني شيئان الغفران والرحمة في ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فشدة العذاب تقابلها الرحمة ، ولا تقابلها المغفرة ؛ لأن الرحمة هي حسن المثوبة لمن عصى فغفر له ، ولمن لم يعص . أمّا المغفرة فلا تكون إلا مع ذنب . فالأولى لما عليه النظم أن يكون التقدير على نحو : اعلموا أن الله سريع الحساب شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم ؛ لأنه لما كان العقاب لازماً للحساب اكتفى باللازم عن الملزوم ، أمّا المغفرة فلا يلزمها الرحمة ، فقد يغفر فلا يُثيب . ولعل الأنسب للنظم ترك القول بالاحتباك ؛ لتحقيق الغاية من دون تأويل ، وهذا ما أجمع عليه جمهرة المفسرين .

*

وكذلك في قول الحق ﷻ : ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأعام: ١٣٥، ك) ، احتباك ، ففي ذكر العاقبة أولاً دليل على حذفها ثانياً ، وفي ذكر الظلم ثانياً دليل على حذف العدل أولاً^(٣) ، فالمحذوف من الطرف الأول (العدل) ؛ لدلالة ذكر ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (عاقبة) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَاقِبَةُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فسوف تعلمون -فكأنه قيل :- أي علم؟ من تكون له عاقبة الدار؟ للعامل العدل ، إنه لا يفلح الظالمون فلا تكون لهم عاقبة الدار .

وقيل : فسوف تعلمون من أهل العدل الذين تكون لهم عاقبة الدار ، إنه لا يفلح

(١) ينظر : تفسير ابن عرفة ، لوجه (٣٩٩) مخطوط .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢/٢٧٨ .

الظالمون فلا تكون لهم عاقبة الدار^(١) ، وهو أدق في نمط تركيب العبارة .
وسره أن في ذكر العاقبة أولاً ترغيباً لأهل الإيمان في شدة التمسك بالطاعات ، والحفاظة على
اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، وفي ذكر الظلم ثانياً تحذيراً بالغاً يكشف عن عظم
العذاب وهول المصير الذي ينال أهل الظلم .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز شدة التحذير ترهيباً لمن تسول لهم
أنفسهم الخروج عن اتباع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، ففي تبصر دلالة الخطاب
إشارات تُعلي من شأن القول بالاحتباك منها : تحقق الإرشاد الناصح المتمثل في دلالة الأمر
في ﴿ قُلْ يَقَوْمِ ﴾ ، وبالوقوف عند براعة النداء بـ (الياء) دلالة تكشف عما يحيط المنادي
من الغفلة فهم بحاجة إلى ذلك لأجل التنبيه ، فثبت أن " أدل شيء على النصيحة مبادرة
الناصح إلى مباشرة ما نصح به ودعا إليه " ^(٢) .

*

وفي موضع آخر يبرز التقابل حسن الجزاء لأهل الإيمان وقبحه لأهل الكفر ترغيباً وترهيباً ،
وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧، ك) ، ففي قوله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ ﴾ احتباك^(٣) فقد ذكر الزيادة أولاً دليلاً على حذف ضدها ثانياً ، وذكر (إن عذابي
لشديد) ثانياً على حذف مقابله أولاً ، فالحذوف من الطرف الأول (إن عطائي لعتيد^(٤)) ؛
لدلالة ذكر ﴿ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لأنقصنكم) ؛
لدلالة ذكر ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لئن شكرتم لأزيدنكم ، إن عطائي
لعتيد فارجوه ، ولئن كفرتم لأنقصنكم ، إن عذابي لشديد فخافوه .
وسره أنه ذكر المحبوب للأنفس أولاً ، ففيه ترغيب على الإقبال وحث على الاتباع ، ثم ذكر
المبغض المشين ثانياً تنفيراً من الخوض في مراتع الضلال ، وهذا أوقع في النفوس كي ترجع .

(١) ينظر : الاحتباك في القرآن الكريم مواقع أسراره ، ص ٢٥٨ .

(٢) نظم الدرر ٢٧٧/٧ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٣٨٥/١٠ .

(٤) أي : حاضر مُهَيَّأ . ينظر : لسان العرب ، مادة : «ع،ت،د» ٢٧٩/٣ .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصيتي الترغيب والترهيب إبرازاً لأهمية تحقق التوحيد في النفوس ، وهذا مرتكز في السياق العام ؛ إذ المقصد الأعظم من السورة بكليتها متحقق في ذكر التوحيد ، وبيان أن القرآن غاية البلاغ إلى الله ^(١) ، لهذا فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بسياق السورة العام ، أمّا الخاص فهو أشدّ بياناً لما يحتويه من الترغيب فيما يزيد نعمة الأمن والترهيب مما يزيلها ^(٢) . وفي القول بالحذف لطائف عظام تدعو في المقام الأول إلى الدعوة إلى الترغيب في الشكر ؛ إذ إنه مفتاح دوام النعم فلئن شكرتم لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، يقابلها دعوة إلى الترهب من الكفر ولئن كفرتم نعم الله فجحدتموها بترك الشكر عليها إن العذاب لكم شديد ^(٣) . فالدعوة الأولى رابحة لمن اتقى أنعم الله باستمرار الشكر عليها ، والثانية خاسرة لمن جحد أنعم الله وكفر بها . فتحقق أن الشكر قيد الموجود ، وصيد المفقود ^(٤) . والنتائج من وراء الحذف أسهم في نشوء علاقات تثقف النفوس وتدفعها إلى الحفاظ على نعمة الأمن ؛ إذ هو مطلب الحياة الكريمة وأساسها ، وترهب من زوالها - نعمة الأمن - الذي هو بمثابة زوال الحياة فـ " الكفر في ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ مراد به كفر النعمة ، وهو مقابلة المنعم بالعصيان ، وأعظم الكفر جحد الخالق ، أو عبادة غيره معه ، وهو الإشراف ، كما أن الشكر مقابلة النعمة بإظهار العبودية والطاعة" ^(٥) .

*

وفي موضع آخر يبرز الاحتباك عظيم الثواب والعذاب ترغيباً وترهيباً ، وذلك في ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٨٩-٩٠، ك) ، ففي قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ احتباك " ذكر الخيرية

(١) ينظر : نظم الدرر ١٠/ ٣٦٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٠/ ٣٨٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٣/ ١٨٦ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٠/ ٣٨٥ .

(٥) التحرير والتنوير ١٣/ ١٩٤ .

والأمن أولاً دليلاً على حذف المثل والخوف ثانياً ، وفي الكب في النار ثانياً دليلاً على الإكرام منه أولاً " (١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أكرمت وجوههم عن النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهم من فزع يومئذ خائفون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من جاء بالحسنة فله خير منها ، وأكرمت وجوههم عن النار ، وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار، وهم من فزع يومئذ خائفون . وسرّه أنه ذكر أفضل ما للمحسنين ترغيباً في الثواب ، وأقبح ما للمسيئين ترهيباً من العذاب "وبين أهل هاتين الحالتين أصناف كثيرة في درجات الثواب ودركات العقاب . وجماع أمرها أن الحسنة لها أثرها يومئذ عاجلاً أو بالآخرة ، وأن السيئة لها أثرها السيئ بمقدارها ومقدار ما معها من أمثالها وما يكافئها من الحسنات أضدادها" (٢) .

فصورة الاحتباك أسهمت في ذكر جزاء المحسنين ، وعقاب المسيئين ترغيباً في الأمن إذ إنه ثمرة الإيمان ، وترهيباً من النار إذ إنها نتيجة الكفر ، ويظهر حسن المراد بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة الدال على تحقق بشارة المؤمنين ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين ، وهذا من أتم دلائل العلم والحكمة (٣) ، والسياق القريب بما فيه من الترغيب الجميل لأهل الإيمان لحسن الجزاء ، والترهيب العظيم لأهل الكفر لقبح الجزاء (٤) . فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول في إبراز حسن الجزاء " فمن جاء بالحسنة الناتجة عن ثمرة الإيمان بالله والعمل بمقتضاها فله خير منها ، وإذا وقعت الأهوال العظيمة يوم الحشر هم آمنون " (٥) ، والثاني في إبراز سوء حال الكافرين الذين جاءوا بالسيئة الناتجة عن الإشراف بالله فكبت وجوههم في النار (٦) ، فهما كفيلاً بإيضاح حالهم ومآلهم يوم الحشر ، الحشر ، ومن أبرز جواهر المعاني أن الاحتباك يدعو إلى التبصر في حال أهل الإيمان في إكرام

(١) نظم الدرر ٢٢٦/١٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٥٢/٢٠ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٢٢/١٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٢٤/١٤ وما بعدها بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٢٢٥/١٤ وما بعدها .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

وجوههم عن النار نظير إخلاصهم الإيمان ، وحال أهل الكفر في عبوسهم وترددهم وتجهم وجوههم لشدة خوفهم نظير حوضهم في الكفر واستهانتهم بأمر الإيمان ^(١) . ثم إن في الحذف إعلماً للبشر بأن من خاف الله في الدنيا أمن الخوف والفرع في الآخرة ، وفي هذا نعمة عظيمة تمذب النفوس وتعلمها أعظم مبادئ التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله ^(٢) . كما أسهم الحذف بأثر جليل يرشد إلى المبادرة في فعل الحسنات لكونها مفتاح الأمان والاطمئنان .

*

كما أسهم حذف التقابل في إبراز ثواب المحسنين وعقاب المسيئين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (الروم: ٤٥، ك) ، ففيه إشارة إلى الاحتباك ^(٣) ، فلحذف من الطرف الأول (إنه يحب المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (ليجزى الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله) ؛ لدلالة ذكر ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ، إنه يحب المؤمنين ، ويجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله ؛ لأنه لا يحب الكافرين" ^(٤) . وسره " ... أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات ، وهو بعينه إرغام الكافرين ، وعبر في شق المؤمنين بالمنتهى الذي هو المراد من محبة الله ؛ لأنه أسرّ ، وفي جانب الكافرين بالمبدأ الذي هو مجاز ؛ لأنه أنكأ وأضر" ^(٥) .

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في ترسيخ مبدأ لزوم العمل الصالح ترغيباً في فضل الله وإحسانه ، وترك السيئ ترهيباً من شدة عذابه وخذلانه ^(٦) ، ففي تبصر دلالة السياق توجيه علي يبرز مظاهر القدرة ودلائل التوحيد ، وهذا يُعلي من شأن الاحتباك ، لما

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٠/٢٦٦٩ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٥/١١١ وما بعدها .

(٤) الموضع السابق .

(٥) الموضع السابق .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٥/١١١ .

تأكد في السياق العام من تحقق إثبات دلائل القدرة على البعث^(١) ، والخاص لما تحقق فيه من نصر أوليائه وخذلان أعدائه^(٢) ؛ لذا فالقول به عليّ يحقق جملة من المعاني من أبرزها : إظهار أوجه التقابل بين الفريقين جزاء الله للمؤمنين والكافرين ، فالذين آمنوا يجزيهم من فضله ويحبهم لإيمانهم ، والذين كفروا يجزيهم بعدله ويكرههم لكفرانهم ، فتحقق إعلام البشر بما هو غيب عنهم ، وهو تحقق حقيقة البعث لأجل الإيمان به ، فالله ينصر أوليائه لإحسانهم ؛ لأنه مع الحسنين ، وهذا فعل الحب ؛ لشرف صنيعهم ؛ لذا أوتر التعبير بـ ﴿ءَامِنُوا﴾ ولو على أدنى الوجوه ، أمّا الكافرون فلا يفعل معهم فعل الحب ، فلا يسويهم بالمؤمنين^(٣) .

*

ويقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧،ك) ، ففي قول الحق ﴿وَجَاءَكَ﴾ : ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ احتباك "حذف أولًا الإهلاك الذي هو أثر الخذلان ؛ لدلالة النصر عليه ، وثانيًا الإنعام ؛ لدلالة الانتقام عليه " ^(٤) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وكان حقًا علينا قهر المجرمين) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وأنعمنا على الذين آمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فانتقم من الذين أجمعوا وكان حقًا علينا قهر المجرمين ، وأنعمنا على الذين آمنوا وكان حقًا علينا نصر المؤمنين . وسرّه أنه ذكر أحسن ما للمؤمنين ترغيبًا في الإيمان ، وأسوأ ما للكافرين ترهيبًا من الكفر والعصيان . فحركة الحذف أسهمت في إبراز الجزاء الذي أُعد للمحسنين من أهل الإيمان ، والعقاب الذي أُعد للمسيئين من أهل الكفر والنفاق ترغيبًا وترهيبًا ، فالذي يهدي إليه السياق البعيد والقريب يعضد من شأن الاحتباك ؛ لما تحقق في البعيد من إثبات جميع مظاهر

(١) ينظر : المرجع السابق ١/١٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١١١/١٥ .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) المرجع السابق ١١٨/١٥ .

القدرة والعظمة المستلزمة التوحيد ، ومن أبرزها القدرة على البعث ^(١) ، وفي القريب من الإشارة إلى تحقق صدق الوعد بنصر الأولياء ، وخذلان الأعداء ^(٢) ، فثبت أن من آمن أذاقه الله من رحمته ، ومن كفر أنزل عليه نعمته ، ففي الأول دلالة على نجاة أهل الإيمان ، وفي الثاني قهر لأهل النفاق ^(٣) . وفي حمل النظم على الاحتباك مزايا عظام منها : الإعلام بأن بأس الله إذا جاء لا ينفع فيه قريب ولا بعيد ، وفي هذا نعمة عظيمة تنمي في القلوب الإيمان وحب الشكر ؛ إذ إنه دوام الإنعام وتمام الإفضال ، وتترع منها الكفر بالنعم ؛ إذ إنه أساس الانتقام ومحط القهر والخذلان ، فما أفاض ﷺ من نعمة ودفع من نقمة إلا بالشكر ^(٤) . ففي الحذف تبشير جليل للرسول ﷺ وأمتة بالنصر والظفر ، وهذا مزيد شرف و تكريم لهم ، إذ أوجب على نفسه نصرهم وجعله حقاً فضلاً وكرماً ^(٥) . فأسهم الحذف في إبراز أوجه التقابل بين المسلمين والمجرمين من حيث الإيمان بالرسول ؛ "فَمَنْ قَابَلَهُمْ بِالتَّصَدِيقِ وَصَلَ إِلَى خِلاصَةِ التَّحْقِيقِ ، وَمَنْ عَارَضَهُمْ بِالْجُحُودِ أَذَقْنَاهُمْ عَذَابَ الْخُلُودِ" ^(٦) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٨٠م) ، احتباك ^(٧) ، ذكر سؤال الصادقين أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والعذاب الأليم ثانياً دليلاً على الثواب العظيم أولاً ، فالمحذوف من الطرف الأول (ثواباً عظيماً) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يسأل الكاذبين عن كذبهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : "يسأل الصادقين عن صدقهم وأعد لهم ثواباً عظيماً ، ويسأل الكاذبين عن كذبهم وأعد لهم عذاباً أليماً" ^(٨) .

(١) ينظر : المرجع السابق ١/١٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٥/١٥ وما بعدها بتصرف .

(٣) ينظر : جامع البيان ٥٣/٢١ . ينظر : نظم الدرر ١١٥/١٥ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١١٧/١٥ وما بعدها .

(٥) ينظر : البحر المحيط ١٧٣/٧ بتصرف ، في ظلال القرآن ٢١/٢٧٧٤ .

(٦) لطائف الإشارات ١٢٣/٥ .

(٧) ينظر : نظم الدرر ١٥/٢٩٥ .

(٨) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٦١/٧ ، وروح المعاني ٢١/١٥٥ .

وسرّه أن في سؤال أهل الصدق تبشيراً وتشريفاً لهم ، وفي طي سؤال الكافرين تبكيتاً وامتھاناً لهم ، كما أن في ذكر عذابهم دلالةً على تحقيقه ، حتى لا يظنوا أنهم يسألون سؤال من يسمع جوابهم أو معذرتهم ، وإفادة أن إعداد عذابهم أمر مضي وتقرر في علم الله^(١) .

فصورة الاحتباك أسهمت في إيضاح ثواب الصادقين وعذاب الكافرين ترغيباً في الصدق ، وترهيباً من الكذب ، فالقول بالاحتباك ذو اعتلاق بالغ بالسياق العام للسورة ؛ لما تحقق فيه من أمر الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق ؛ لما له من صفات الجلال والكمال^(٢) ، أمّا السياق الخاص فتضمن الإخبار بأن الكفر معذب به صاحبه بلا شرط ، والطاعة مثاب عليها صاحبها بشرط الإخلاص ، فأرشد السياق إلى مراعاة الصدق في الأقوال والأفعال^(٣) . فحصل أن الاحتباك في هذا الموضع علي لما يحققه من معانٍ جليلة تدعو في المقام الأول إلى إعلاء شأن الإخلاص في العبادة حثاً على الوفاء بالعهد في صدقهم^(٤) ، فأسهم في نشؤ علائق ربط بين المعاني تمثلت في تقابل الركنين المذكورين مع الركنين المحذوفين من أجل إعلام البشر بحسن ثواب المؤمنين الصادقين وسوء عقاب الكافرين المكذبين ؛ حتى يشهد الجميع أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأبانوا الحق الذي أرسلوا به . فتحقق سؤال الصادقين مع أن العلم بحقيقة صدقهم تشريف لهم ، وإهانة وتبكيت للكاذبين ، ويسأل الكافرين عن كفرهم ، ما الذي حملهم عليه ، والحال أنه أعد للصادقين ثواباً عظيماً ، وأعد للكافرين الساترين لإشراق أنوار الميثاق عذاباً أليماً^(٥) .

*

وقيل في قول الحق **﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾** (الأحزاب ١٧م) ، احتباك ؛ حيثُ "ذكر السوء أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، وذكر الرحمة ثانياً دليلاً على ضدها أولاً"^(٦) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٩٥/١٥ ، والتحرير والتنوير ٢١/٢٧٦ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٥/٢٧٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٥/٢٩٥ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : الموضوع السابق .

(٦) المرجع السابق ١٥/٣١٢ .

(فأناخ بكم نقمة)؛ لدلالة ذكر ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (قبح)؛ لدلالة ذكر ﴿سَوْءًا﴾ في الطرف الأول. وتقديره: قل من الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً فأناخ بكم نقمة أو يهينكم ويقبح جانبكم إن أراد بكم رحمة فأفادكم نقمة وفيه نظر؛ لانتهاء وجه التقابل بين المعاني، فلم يتحقق بالتقدير وجه الاحتباك المشار إليه؛ لأن الرحمة ضدها العذاب، والسوء ضده الحسن.

وقيل تقدير المعنى: "قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء وعذاباً أو يصيبكم بسوء أن أراد بكم رحمة وحسناً" (١).

وفيه نظر -أيضاً-؛ لأن السوء عام يدخل فيه أنواع العذاب، والرحمة عامة تشمل على جميع أوجه الحسن والكمال.

فالأولى ما عليه جمهرة المفسرين من تقدير مضاف، والأصل: "قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة" (٢)، وقيل: "كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة، ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت -أي: الزمخشري-: معناه: «أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، فاختصر الكلام» (٣).

*

ويبرز التقابل الترغيب في العمل الصالح، والترهيب من السيئ، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَءُ﴾ (فاطر: ١٠، ١١)، ففي قول الحق ﴿عَلَيْكُمْ﴾: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ احتباك، "حيث حذف ما لصاحب العمل الصالح، ودل عليه بذكر ما لصاحب العمل السيئ، وحذف وضعه المكر السيئ، ودل عليه برفعه للعمل الصالح" (٤)، فالخذف من الطرف الأول (ولصاحبه نعيم مقيم)؛ لدلالة ذكر ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الطرف الثاني، ومن

(١) الاحتباك في الذكر الحكيم موافقه وأسراره، ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي ١٦٤/٧، وروح المعاني ١٦٣/٢١.

(٣) الكشف ٢٥٥/٣.

(٤) نظم الدرر ٢٠/١٦.

الطرف الثاني حذف (ولا يرفعه) ؛ لدلالة ذكر ﴿يَرْفَعُهُ﴾ في الطرف الأول . وتقديره :
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ولصاحبه نعيم مقيم ، والذين يمكرون
السيئات لا يصعد مكرهم إليه بنفسه ، ولا يرفعه هو ، ولهم عذاب شديد .
وسرّه أنه ذكر أحسن ما يكون لصاحب العمل الصالح من العزة ، والرفعة ، والعلو ترغيباً ،
وأقبح ما لصاحب العمل السيئ من شدة العذاب ترهيباً . وهذا ما أظهرته حركة الاحتباك
من النص القرآني في سياقه العام الدال على إثبات دلائل القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها
تمام القدرة على البعث ؛ ليتحقق الفصل فيه بين فريقى السعادة والشقاوة ^(١) ، والخاص بما
فيه من إثبات القدرة على النشور ، "فدل على شمول علمه للخير والشر من القول والفعل
الخفي والجلي ، وتمام قدرته، وذلك معنى العزة"^(٢) ، فتحقق إعلام البشر بالفصل بين فريقى
السعادة والشقاوة في الآخرة ؛ لهذا فالقول بالاحتباك يعنى عناية فائقة بالحث على لزوم
الطاعات والمحافظة على الإيمان ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في الركنين المذكورين ،
الأول في : ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فهو - سبحانه - يتولى رفعه وعمله يفوز ^(٣) ، والثاني
في : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما عملوا من عبادة الأوثان ، ومن أبرز دقائق المعاني التي يحققها
الاحتباك إعلام البشر بمكمن العزة الحقيقية الدالة على الخير الموصلة إلى العز المنيع والنعيم
المقيم الموجبة رفع العمل والفوز به ؛ وهي الاعتزاز بالله وحده ، فله العزة جميعاً دون كل
ما دونه من آلهة وأوثان ^(٤) ، " فإنه من اعتر بالعبد أذله الله ، ومن اعتر بالله أعزه الله " ^(٥) ،
وفي ذلك نعمة عظيمة توجب التخلص من علائق الشرك ودوافع الشر ^(٦) ، ففي الحذف
دعوة إلى الإخلاص في الأعمال فـ "لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ، من قال وأحسن العمل قبل
الله منه"^(٧) ، فتحقق بطلان أعمال الكافرين ، لعدم إخلاصها ؛ لذا لم تنفعهم ، وأكسبتهم

(١) ينظر : المرجع السابق ١/١٦ .

(٢) المرجع السابق ٢٠/١٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٩/١٦ وما بعدها .

(٤) ينظر : جامع البيان ١١٩/٢٢ ، ونظم الدرر ٢٠/١٦ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٢٩/١٤ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٢٠/١٦ بتصرف .

(٧) جامع البيان ١٢١/٢٢ .

الذلة والمهانة ، وأوجبت لهم النعمة والعذاب الشديد^(١) .

*

وكذلك قيل في قول الحق ﷻ : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ

جَاءَهُهُ^٢ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ^٣ أُولَئِكَ هُمُ**

الْمُتَّقُونَ ﴿ (الزمر: ٢٢-٢٣، ك) ، احتباك ، ففي " ذكر التكذيب أولاً دليل على الصدق والتصديق

ثانياً ، وفي الالتقاء وجزائه وما يتبعه ثانياً دليل على ضده أولاً ، وسره أنه ذكر في شق
المسيء أنكأ ما يكون من الكذب والتكذيب في أقبح مواضعه ، ولا سيما عند العرب ، وأسر
ما يكون في شق المحسن من استقامة الطبع وحسن الجزاء " ^(٢) .

وفيه نظر ؛ لعدم دقته ، إذ جعل المحذوف من الطرف الثاني (وصدق بالصدق) هو عين

المذكور ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ^٤** ﴾ . ثم إن قوله : (الالتقاء وما يتبعه دليل على

ضده أولاً) متضمن لثلاثة أشياء لا بد أن تكون مذكورة في النظم ؛ ليستقيم القول

بالاحتباك ، والمتضح أن المذكور ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ هو المقصود (بالالتقاء) ، وما

يتبعه - جزاؤه - وهو محذوف تقديره : ... فليس لجهنم عليهم سبيل ، ولا لهم فيها منزل

ولا مقيل ؛ بل الجنة مترلهم ؛ لذا انتفى القول بالاحتباك .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ**

الْفَوْزُ الْمُبِينُ . **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَأَيْنِي تَتَلَّ عَلَيَّكُمْ** **فَأَسْتَكْبِرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ** ﴾ (الجمانية: ٣٠-

٣١، ك) ، احتباك " ذكر الإدخال في الرحمة أولاً دليلاً على الإدخال في اللعنة ثانياً ،

وذكر التبيك ثانياً دليلاً على التشويق أولاً " ^(٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف

الأول (سلام عليكم أيها المؤمنون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ **أَفَلَمْ تَكُنْ ءَأَيْنِي تَتَلَّ عَلَيَّكُمْ** ﴾ في

الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فيدخلهم الملك في لعنته) ؛ لدلالة ذكر

(١) ينظر : جامع البيان ١٢١/٢٢ ، ونظم الدرر ١٦/٩ وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ١٦/٥٠٦ .

(٣) المرجع السابق ١٨/١٠٩ .

﴿فِيَدْخُلُهُمُ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ، وتقول الملائكة تشریفاً لهم : سلام عليكم أيها المؤمنون ، ذلك هو الفوز المبين ، وأما الذين كفروا فيدخلهم الملك في لعنته ، فيقال لهم : أفلم تكن آياتي تتلى عليكم وذلك هو الخسران المبين . "وسرّه أن ما ذكره أدل على شرف الولي وحقارة العدو" (١) .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إيضاح جليل الثواب وحسن المآب المعد لأهل الطاعات تشریفاً وترغيباً في الجنة ، وشدة العقاب المعد لأهل المعاصي تبيكناً وترهيباً من النار (٢) ، فمن خلال تبصر دلالة السياق العام من حيث اشتماله على إثبات صفتي العزة والحكمة لله ، علم أنه وحده ﷻ المختص بالكبرياء ، وله وحده الكمال (٣) ، والخاص من حيث تحقق ذكر جزاء الخلق يوم القيامة إشارة عظيمة إلى صدق تحقق وقوعه ، انكشف أن القول بالاحتباك في هذا المقام عليّ يولد جملة ثرية من المعاني الإحسانية ، والتي من أبرزها : إعلام البشر أن الإخلاق إلى أدنى درجات الطاعة قد يوقع في شباك الكفر والعصيان فيخلد صاحبه في دركات النار ؛ لذا أسهم الحذف في إبراز أوجه التقابل بين المعاني بغية الحث على المبادرة بالطاعات والحذر من المعاصي أولاً ، والدعوة إلى دوام النظر والتفكير في الدلائل الدالة على وحدانية الله والاعتبار بها ثانياً ، وإعلام البشر بما يكون لهم من حسن المصير وسوءه ثالثاً ، فإن في إعلامهم ذلك نعمة عليّة ثمرتها السعي إلى معرفة أعظم مبادئ العقيدة وهو تحقق معنى الوحدانية الجليل . وبالوقوف عند براعة النظم دلالات عظيمة تكشف أسباب الفوز بالجنة ، وقد تمثلت في حسن الاتباع ، وعمل الصالحات ، فمن ارتقى بنفسه من الكفر إلى درجات الإيمان فإن له كرم الإحسان والتشريف ، وهذا دليل عظيم رحمة الله ، أما أسباب المكوث في النار ، فقد تمثلت في الإعراض عن دعوى الحق والبعد عن التفكير في الآيات القرآنية ، فمن أعرض خسر كرم الله وجناته (٤) .

*

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٠٧/١٨ بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٥٨/١٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان ١٥٧/٢ ، وتفسير البيضاوي ١٧٤/١ بتصرف ، ونظم الدرر ١٠٧/١٨ وما بعدها .

وفي موضع آخر يبرز الاحتباك خاصة الترغيب في الجنات والترهيب من النيران ، وذلك

في : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (محمد: ١٢م) ، قيل إن فيه موضعين للاحتباك ، الأول

درس في بابه (١) . والثاني : في قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ ،

فـ"ذكر دخول الجنات أولاً دليلاً على دخول النار ثانياً ، والمثوى ثانياً دليلاً على المأوى أولاً" (٢) . فالحذوف من الطرف الأول (هي مأواهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ في الطرف

الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يدخلهم النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا

الصلوات جنات تجري من تحتها الأنهار مأوى لهم ، والذين كفروا يدخلهم النار هي مثنوى

لهم . وسره : أنه ذكر أفضل ما يؤول إليه المؤمنون ترغيباً في الإيمان ؛ لكونه أسر ، وأنكأ ما

يؤول إليه الكافرون ترهيباً من الكفر ؛ لكونه أضر .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حسن جزاء أهل الإيمان ، وقبح

مآل أهل الكفر ترغيباً وترهيباً ؛ لذا فالاحتباك يسعى في المقام الأول إلى تحقق الدلالة على

وجوب العمل والحرص على الطاعة ، فجاء في سياق يدعو إلى إلزام أهل الإيمان حفظ

دينهم بجهاد أهل الكفر والتخلي عن جميع مظاهر الكفر ، التي من أولها عبادة غير الله (٣) ،

وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه إثبات صدق الوعد ، فإنه ﷻ ينصر من

ينصره ويدخله دار نعمته ، ويخذل من يعانده ويدخله دار شقوته (٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل

المراد متمثلة في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين ، الأول في الإشادة بذكر نعيم أهل

الإيمان ﴿ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ ، والثاني في ذكر عذاب أهل الكفر

﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ فهما كفيلاً بإبراز ما لأهل الجنة من النعيم ، وما لأهل النار من

(١) ينظر : ص(٤١٤) من البحث .

(٢) نظم الدرر ٢١٥/١٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٨/١٩٤ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢١٦ .

الجحيم . أمّا القول بالاحتباك فحقوق للنظم جملة ثرية من لطائف المعاني من أبرزها : أن في إعلام البشر بحقيقة إيمان المؤمن المخلص في إيمانه بالتزود من الأعمال الصالحة ؛ نعمة عليّة تحيل النفوس على مراعاة التزود بالصالحات والعمل من أجل الآخرة ، فإن " المؤمن في الدنيا يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع " (١) ، ففي التزود بالطاعات أعمال للفكر والنظر ، فهم ليسوا غافلين عن آخرتهم (٢) ، فتحقق أن الدنيا للمؤمن سجن ، والكافر ليس له إلا الدنيا ينتفع بمتاعها غافلاً عن عاقبته (٣) ، وللاحتباك أثر في إحداث علاقات ربط جديدة بين المعاني أبرزت سعة الكرم الإلهي لأهل الإيمان على إيمانهم بالله وبرسوله (٤) ، فهو كرم علوي رفيع ينالونه جزاءً على الإيمان والصلاح (٥) .

*

وفي قول الحق ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٤، ٥) احتباكاً ، الأول درس في بابه (٦) ، والثاني : في قول الحق ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ﴾ " ذكر عدم الإيمان أولاً دليلاً على إثباته ثانياً ، وذكر توفير الأعمال ثانياً دليلاً على نجسها أو إحباطها أولاً " (٧) ، وعلى هذا فالخذف من الطرف الأول الأول (أحبطتم أعمالكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فإن تؤمنوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وأحبطتم أعمالكم ، فإن تؤمنوا وتطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً . وسره : "أنه نفى أساس الخير أولاً ، ورغب في الطاعة

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٣٥/١٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٤٦/٢٦ ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٤٣/٨ ، ٤٥ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ٤٥/٢٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٤٧/٢٦ بتصرف .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ٣٢٩٠/٢٦ .

(٦) ينظر : ص (٣١٤) من البحث .

(٧) نظم الدرر ٣٨٨/١٨ .

بحفظ ما تعبوا عليه من الأعمال ثانياً" (١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر الذي يتبعه بحسب الأجر وإحباط العمل ، والترغيب في الإيمان الذي ثمرته زيادة الأجر وعلو القدر (٢) ، ويظهر حسن المعنى بعد مراعاة النظر فيما يحتويه السياق العام من تحقق الإرشاد إلى مكارم الأخلاق ، وذلك بحسن التأدب مع الرسول ﷺ ؛ لكونه دليل حسن الإيمان (٣) ، أمّا الخاص فهو أشدّ اعتلاقاً ؛ لما تحقق فيه من ترسيخ مبدأ علي من مبادئ لزوم الإيمان وهو الإخبار بأن الإيمان ما تمكن في القلب ، ولا يكون إلا بطاعة الرسول ﷺ (٤) . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في الركنين المذكورين ، الأول : في الإخبار بأن الإقرار باللسان لا يعد إيماناً ، لذا فلم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، والثاني : في إبراز ثمرة طاعة الرسول ﷺ ﴿لَا يَلْتَكُمُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ . فمن خلال التقابل يبرز عدد من دقائق المعاني المتمثلة في جملة المعاني الإحسانية ، والتي من أجلها : ترسيخ مبدأ الإيمان الحقيقي ؛ ليعلم البشر شرائع الإيمان وحقائق معانيه ؛ فإن أصله القلب والجوارح "فلا يُعد إقرار اللسان إيماناً إلا بمواطأة القلب" (٥) .

*

كما قيل في قول الحق ﷻ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عملُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ (النجم: ٣٠ك) ، احتباك على تقدير "خلق الله العالم وجعل التكلف ؛ ليجزي المسيئين بأعمالهم السيئة ويجزي المحسنين بأعمالهم الحسنة أي : بالحسنى ، فـ(الباء) الأولى سببية ذكر بعدها سبب الجزاء وحذف نوعه والثانية للمعاوضة ذكر بعدها نوع الجزاء وحذف سببه والسوءى هي: أسوأ العقوبات، وهي : النار، والحسنى أحسن الثوبات وهي الجنة (٦) .

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٨/٣٨٦ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٨/٣٤٩ بتصرف .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٨/٣٨٧ .

(٥) جامع البيان ٢٦/١٤٣ ، ونظم الدرر ١٨/٣٨٧ .

(٦) روائع الإعجاز في القصص القرآني - دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز ، تأليف : محمود السيد

حسن ، (الإسكندرية ، المكتب الجامعي ، الطبعة : بدون ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، ص ٣١٥ .

وفيه نظر ؛ لعدم تعادل المذكور والمحذوف من كل طرف ؛ حيث احتوى النص القرآني على مذكور هو ﴿ بِالْحُسْنَى ﴾ مقابل المحذوف المقدر هو : (السوءى) -أي : بأعمالهم السيئة- . أما قوله : "ليجزى المسيئين... ويجزي المحسنين « فمتحقق معناه في ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا... وَبِجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ ؛ لذا انتفى القول بالحذف على طريقة الاحتباك .

*

وفي قول الحق ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنَا اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٨، ك) ، قيل إن فيه احتباكاً "ذكر الإهلاك أولاً دليلاً على النجاة ثانياً ، والرحمة ثانياً دليلاً على الغضب أولاً " (١) ، فالمحذوف من الطرف الأول (غضبه) ؛ لدلالة ذكر ﴿ رَحِمْنَا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أنجانا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَهْلَكِنَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : إن أهلكني الله ومن معي بغضبه علينا ، أو رحمنا كما نرجو فأنجانا .

وفي هذا نظر ؛ لكون المعنى المراد " إن أهلكني الله كما تريدون ، أو رحمنا بالنصر عليكم ، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم؟ ولما قال : أو رحمنا ، قال : هو الرحمن ، ثم ذكر ما به النجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى ... ولما ذكر العذاب ، وهو مطلق ، ذكر فقد ما به حياة النفوس وهو الماء ، وهو عذاب مخصوص " (٢) ؛ لذا فالمقصود من القول بالحذف متحقق من غير حاجة إليه .

وفي موضع آخر أسهم الاحتباك في إبراز شدة عذاب أهل النار وحسن نعيم أهل الجنة ترغيباً وترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ . إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴾ (المدثر: ٣٨-٤٠، ك) ، ففيه احتباك "أثبت أولاً الارتقان دليلاً على حذف ضده ثانياً ، وأثبت ثانياً الجنة دليلاً على حذف ضدها أولاً" (٣) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (في النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يرتنون) ؛ لدلالة

(١) نظم الدرر ٢٠/٢٦٨ .

(٢) البحر المحيط ٨/٢٩٨ .

(٣) نظم الدرر ٢١/٧٢ .

ذكر ﴿رَهِينَةٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : كل نفس بما كسبت رهينة فهي في النار ، إلا أصحاب اليمين فإنهم لم يرتكبوا بأعمالهم في الجنات .

وسرّه أنه ذكر المؤلم الشديد أولاً ؛ لأنه أشد ضيقاً ؛ لبيان عِظَمِ بشاعته ، ثم ذكر الراحة العظمى ثانياً ؛ لأنها أعظم اتساعاً ؛ حثاً وأملاً للفوز بها .

فصورة الاحتباك في هذه الآية أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في الثواب والترهيب من العذاب في سياق إثبات البعث وتقريره في نفوس المكذبين ؛ لما فيه من النذارة لأصحاب الخسارة ، وهذا هو المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة ^(١) ، والخاص بما فيه من تحقق الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل المعصية . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد قائمة في المعاني الجوهرية الساعية إلى تقرير حقيقة أن "كل نفس ذكر أو أنثى بما كسبت خاصة ، لا بما كسب غيرها مرتحنة" ^(٢) ، وهذا متحقق في الركنين المذكورين ، الأول في ذكر حال

الكافرين ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ، والثاني في ذكر جزاء أصحاب اليمين ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَّاءُونَ﴾ ، فبهما تحقق أصل المراد وهو هلاك الكافرين ، ونجاة المؤمنين ، فالمؤمنون تحيزوا إلى الله فائتمروا بأوامره وانتهوا بنواهيهم ؛ لذا لم يرتكبوا بأعمالهم ، بل رحمهم ربهم فتقبل حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم . والكافرون في النار محبوسون فيها نتيجة كفرهم ^(٣) ، وفي إعلام البشر بأن كل نفس مرتحنة بكسبها ، مأخوذة بعملها تذكير نبيل ينفع المؤمنين ويوجههم إلى المسارعة في فعل الخيرات . وفي تبصر دلالة الاستثناء بـ ﴿إِلَّا﴾ في ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ دلالة جلييلة تكشف عن عظيم الفضل ومنتهى الإحسان لأهل الإيمان ، كما أن إيثار (الهاء) في ﴿رَهِينَةٌ﴾ إشارة إلى ما ينال أهل الكفر من شدة العذاب ، فهي موثقة إيثاقاً بليغاً ، محبوسة حبساً عظيماً في النار ^(٤) .

*

ويقول تعالى : ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإنسان: ٣١م) ، ففي قول

(١) ينظر : المرجع السابق ٣٩/٢١ .

(٢) المرجع السابق ٧٠/٢١ وما بعدها .

(٣) ينظر : الموضع السابق .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٧١/٢١ .

الحق عَلَيْكَ : ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ احتباك "ذكر الإدخال والرحمة أولاً دلالة على الضد ثانياً ، والعذاب ثانياً دلالة على الثواب أولاً " (١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (يعد له ثواباً جسيماً) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (يدخلهم في نعمته) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يدخل من يشاء في رحمته ، ويعد له ثواباً جسيماً ، والظالمين يدخلهم في نعمته وأعد لهم عذاباً أليماً .
وسرّ "ذلك أن ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه ، وإن ساءت حالهم في الدنيا ، وبترهيب أهل الظلم منه ، وإن حسنت حالهم في الدنيا ، فقد رجع هذا الآخر المفصل إلى السعادة والشقاوة على أولها ، المؤذن بأن الإنسان معتنى به غاية الاعتناء ، وأنه ما خلق إلا للابتلاء ، فهو إما كافر مغضوب عليه ، وإما شاكر منظور بعين الرضا إليه" (٢) .
فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في ذكر ثواب أهل الإيمان نتيجة صلاح أعمالهم ، والترهيب في ذكر عذاب أهل الكفر نتيجة سوء أعمالهم ، فيتحقق جمال المراد بعد النظر في السياق العام الساعي لإبراز خاصيتي الترغيب بتنعيم المطيع في الجنات ، والترهيب من تعذيب العاصي في النيران (٣) ، وهذا متحقق في السياق الخاص المتضمن إثبات نعيم أهل السعادة وعذاب أهل الشقاء (٤) . فأصل المراد متمثل في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر حسن ثواب أهل الإيمان ولطف الله بهم ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ والثاني : في ذكر قبح عذاب أهل الكفر وعدل الله فيهم ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ . فتحقق ما لأهل الهدى والطاعة من النعيم ، وما لأهل الكفر والمعصية من العذاب (٥) ؛ لهذا فالقول بالاحتباك له أثر في إتمام الإيمان ، وإبطال الكفر ، فهو يدعو إلى امتثال الطاعة والإيمان ، فالله يدخل من يشاء في رحمته بحكمته ، فييسر له اتخاذ

(١) نظم الدرر ١٦٣/٢١ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٢٠/٢١ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ١٦٢/٢١ بتصرف .

(٥) ينظر : روح المعاني ٢١٣/٢٨ بتصرف .

السبيل الموصل إليه بأن يوفقه للعدل ، ويعد له ثواباً جسيماً ، ويدخل الظالمين في نعمته ، وقد أعد لهم إعداداً ، أمضاه بعظمته لا يزداد فيه ولا ينقص أبداً ، عذاباً أليماً^(١) ، فثبت أن نيل الرحمة وحسن الثواب عماده التوبة من الضلال حتى الممات ، وإحلال العذاب المؤلم الموجع سببه المكوث في الكفر والموت عليه^(٢) . فإعلام البشر بهذا نعمة عظيمة يدركون بها أن فعل الله في خلقه - من إحاطة الثواب والعذاب بهم - جارٍ بحسب مقتضيات الحكمة الإلهية الشريفة^(٣) . فأسهم الاحتباك من خلال الكشف عن أوجه التقابل بين ذكر النعيم والعذاب في جعل النعيم محل ترغيب للعقول الواعية التي تدرك عظيم فضله ومنتهى كرمه فتلجأ إلى العبادة ، والعذاب محل ترهيب للعقول الغافلة به يخلص وجعه إلى قلوبهم فيتنبهوا لشدة مآلهم فيرجعوا إلى طلب الهداية^(٤) .

*

-القول بشبه الاحتباك:

يقول تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٤-١٠٥م) ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ... وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ شبه احتباك "إثبات (المفلحون) أولاً يدل على (الخاسرون) ثانياً ، و(العذاب العظيم) ، ثانياً يدل على (النعيم المقيم) ، أولاً" (٥) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لهم نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وهم الخاسرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ... يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ولهم نعيم مقيم وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات فأولئك هم الخاسرون ولهم عذاب

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٩/٢٢٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/٤١٦ .

(٤) ينظر : لطائف الإشارات ٦/٢٣٧ بتصرف .

(٥) نظم الدرر ٥/٢١ .

عظيم .

وسرّه أنّه ذكر أعلى أحوال الكمال تنبيهاً لشرفهم ، وترغيباً في جميل صنيعهم ، وأنكأ ما يؤل إليه الخاسرون ترهيباً لشناعة فعلهم .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب والترهيب حتاً للنفوس على مراعاة العمل بأمر الله ونهيه ، والذي يهدي إليه السياق يعضد من شأن الحذف ؛ لما تحقق في العام من إثبات أصول العقيدة الواجبة مراعاتها ؛ لدلالته على كمال التوحيد ، أمّا الخاص فتحققت فيه الدعوة إلى هداية الغير بالاجتماع على الخير والسعي إليه بالوعظ والتذكير ، والنهي عن التفرق والاختلاف وارتكاب المعاصي ^(١) . فثبت بالحذف إعلام البشر عامة أن امتثال الأوامر والنواهي يقتضي الارتقاء بالنفوس في تعلم وتعليم مبادئ الإسلام ، والعمل بها سمة أهل الإسلام والإيمان والإحسان ، وهذا من أبرز محاسن الحذف ؛ لأنه يُعظم في النفوس حب امتثال الأوامر والنواهي ، فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في الركنين الجوهرين ، الأول : في الترغيب في الفوز بالفلاح في ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ؛ لما هم عليه من العمل بموجب الأمر الجليل الساعي لجعل القلوب كالجسد الواحد في الاجتماع على فعل الخيرات ^(٢) ، والثاني : في الترهيب من شدة العذاب في ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ؛ لما هم عليه من مخالفة الأمر الإلهي والعمل بضده فأصبحوا متفرقين مختلفين . وفي القول بالحذف لطائف عظام تدعو في المقام الأول إلى إعلاء شأن العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرصاً على قيام الدين أولاً ، ثم العمل بموجب الأمر الإلهي الكريم الساعي إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة ثانياً ، وهذا من أهم مبادئ الحفاظ على الدين "فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان ، فهذا شطر . أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية" ^(٣) . كما أن في الحذف تنبيهاً جليلاً يدعو إلى ملازمة ما فعله الرسول ﷺ ومن معه من أصحابه - عليهم الرضوان- من أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وفي إعلام البشر بملازمة ذلك

(١) ينظر : المرجع السابق ١٨/٥ وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٩/٥ .

(٣) في ظلال القرآن ٤٤٤/٤ .

ذكرى تنفع المؤمنين وتعلي شأنهم^(١) ففيه تبشير عظيم ، ووعد كريم لمن اتصف بصفاتهم وعمل بفعالهم^(٢) ، ووعد وتهديد لمن خرج عنهم^(٣) . وللحذف أثر جليل في تثقيف النفوس وتطهيرها من الأحقاد والأضغان والأنكاد التي هي مفاتيح الشر الداعية إلى الكفر والموجبة العذاب ، ويرشدها إلى الائتلاف والاجتماع اللذان هما مفتاح الخير ، وأساس التوحيد .

*

ويبرز التقابل حسن ثواب أهل الطاعة وقبح عذاب أهل المعصية ترغيباً وترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود:٤٨،ك) . ففيه موضعان للقول بالحذف ، الأول : في قول الحق ﷻ : ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ففي ذكر البركات والسلام أولاً دليل على نفيهما ثانياً ، والمتاع ثانياً دليل على حذفه أولاً^(٤) . وعلى هذا فالحذف من الطرف الأول (لا نمتعهم) ؛ لدلالة ذكر

﴿ سَنَمَتُّهُمْ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا بركات عليهم منا ولا سلام) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ، لا نمتعهم بالدنيا إلا قليلاً ، ولهم إذا رجعوا إلينا نعيم مقيم . وأمم ستمتعهم في الدنيا ولا بركات عليهم منا ولا سلام ، ثم يمسه منا عذاب أليم .

فلو قيل : لو ذكر البركات والسلام أولاً دليلاً على نفيهما ثانياً ، والعذاب الأليم ثانياً دليلاً على حذفه أولاً لكان أدق ؛ لانتظامه مع نسق تركيب النظم أولاً ، ولجمال صورة الاحتباك ثانياً ، ولاتفاق المقصود منه في القولين ثالثاً . وسرّه أنه ذكر أفضل ما يكون للمستجيبين لأمره ترغيباً في الإقبال على الحق ، وأنكأ ما للمعرضين ترهيباً من سوء الصنيع .

(١) ينظر : نظم الدرر ١٩/٥ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٢٤/٣ .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي ٧٦/٢ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٢٩٦/٩ وما بعدها .

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك - كما في التأويل الثاني - أسهم في إبراز خاصية الثواب المقيم الذي أعده الله لسيدنا نوح عليه السلام ولمن آمن معه - فحلّ لهم من الله الأمن والبركات ، وسبقت لهم منه السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم- ، وما أعده لأهل الشقاء من ذريته عليه السلام - فسيمتعهم الله في الحياة الدنيا إلى أن يبلغوا آجالهم ، ثم يذيقهم عذاباً مؤلماً موجعاً-^(١) . فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام حمل النظم على الحذف ؛ لما يحققه من معانٍ عظام تبرز المقصد الأعظم المتضمن ببيان "أحكام البشارة والندارة بالعاجل والآجل"^(٢) ، أمّا السياق الخاص فهو أشد بيانا للقول بالحذف ؛ لما تحقق فيه من ذكر فضل الله لأهل الطاعة الذين آمنوا بنوح عليه السلام ، وعذابه لأهل المعصية الذين كفروا بنوح عليه السلام ترغيباً وترهيباً . فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول : في إحلال السلام والبركات الموجبة النجاة من الهلاك ، والثاني في ذكر ما أعده لأهل المعصية من العذاب الأليم ؛ لجريهم على غير هدى ، ولجراتهم على مخالفة أمر الله^(٣) . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز عظيم القدرة الإلهية ؛ لذا بني الفعل **﴿قِيلَ﴾** للمفعول دلالة على العظمة والجلال التي تكون لأجله الأمور العظيمة بأدنى إشارة^(٤) ، ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها القول بالحذف الدعوة إلى المحافظة على الإيمان ؛ لينال بنو الإنسان شرف سعادته في الدارين ، وفي إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة عليّة ترشدهم إلى دلائل وحدانية الله ، وتعلمهم لزوم العلم ونبذ الجهل ، فإن في العلم نوراً للأبصار والبصائر ، وفي الجهل طمساً للعقول والأفهام . كما أسهم الحذف في إحداث علائق ربط جديدة بما تحقق أن في لزوم الإيمان والدعوة إليه آمناً وسلاماً واطمئناناً بما تحصل البشرى والنجاة لكل من آمن إلى يوم القيامة^(٥) ، وفي لزوم الكفر والدعوة إليه خوف ورعب بهما يحصل العذاب لكل من كفر إلى يوم القيامة^(٦) .

(١) ينظر : جامع البيان ٥٥/١٢ .

(٢) نظم الدرر ٢٢٤/٩ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٩٦/٩ وما بعدها .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٥٥/١٢ وما بعدها بتصرف ، ونظم الدرر ٢٩٦/٩ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

أما الموضوع الثاني ، ففي قول الحق ﷻ : ﴿أَهْبِطْ سَلَامًا وَمِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ ، والتقدير : "بسلام منا عليك ، وبركات منا عليك" ^(١) ، فالمحذوف من الطرف الأول (عليك) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيْكَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (منا) ؛ لدلالة ذكر ﴿مِنَّا﴾ في الطرف الأول .
فصورة الاحتباك السابقة أدق وأشمل من حيث إبانة الغرض المقصود ؛ لذا فالأنسب للنظم الاقتصار على الموضوع الأول.

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا . وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا﴾ (مرم: ٨٥-٨٦، ك) ، شبه احتباك . "ذكر الرحمن أولاً دليلاً على المنتقم ثانياً ، وجهنم ثانياً دليلاً على حذف الجنة أولاً" ^(٢) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿جَهَنَّمَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (المنتقم) ؛ لدلالة ذكر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن فيدخلهم الجنة وفدًا ، ونسوق المجرمين إلى جهنم بسطوة المنتقم وردًا .
وسرّه أنه ذكر أيسر ما للمتقين ترغيباً في نيل رحمته ، وأنكأ ما للمجرمين ترهيباً من النار .
فصورة الحذف أسهمت في إبراز شمول رحمة الله لأهل التقوى لحسن إيمانهم ، وشدة عذاب أهل الكفر لقبح كفرانهم ، في سياق ذكر شمول الرحمة المستلزم شمول القدرة الموجبة البعث والترثية عن الولد ^(٣) وهذا هو المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة ، أمّا الخاص فهو أشد اعتلاقاً لبيان وجه الحذف ؛ لما تحقق فيه من إكرام الأولياء وإهانة الأعداء ^(٤) .
فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين ، الأول في ذكر ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ ، والثاني في ذكر ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فتحقق إثبات ما لأهل الإيمان من الرحمة ، وما لأهل الكفر من النار ، فحمل النظم على الحذف أسهم في إبراز أوجه التقابل بين المعاني لإيضاح حالة النعيم المقيم المعد

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٠٤/٥ .

(٢) نظم الدرر ٢٤٧/١٢ وما بعدها .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٥٦/١٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٤٧/١٢ .

لأهل الإيمان ، فهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها ، رحالها الذهب وزمامها الزبرجد
يركبونها حتى يقرعوا باب الجنة^(١) ، وحالة العذاب الأليم المعد لأهل الكفر ، فهم يساقون
إلى النار بإهانة واستخفاف إلى جهنم عطاشاً^(٢) ، فمفاتيح كسب النعيم مخافة الله ﷻ
واتباع رسله (عليهم الصلاة والسلام) في أمرهم ونهيهم ، والإعراض والكفر والتكذيب من
أعظم أسباب الحشر إلى جهنم^(٣) . فشبه الاحتباك أسهم بأثر بارز في توجيه البشرية إلى ما
يوجب الأُنس والبِشْرَ حثاً على العمل بطاعة الرسل واتباعهم ، فإن في ذلك انشراحاً للنفس
ومسرة للقلب برؤية النعيم ثم الخلود فيه .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَآبٍ ﴾ إلى ﴿ هَذَا وَإِذَا لِلطَّاعِينَ لَشَرٌّ
مَّآبٍ ﴾ (ص: ٤٩-٥٥ك) شبه احتباك^(٤) ، فالحذوف من الطرف الأول (خير) ؛ لدلالة ذكر
﴿ لَشَرٌّ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني (قبح) ؛ لدلالة ذكر ﴿ لِحُسْنَ ﴾ في الطرف
الأول . وتقديره : "إن للمتقين لخير مآب وحسن مآب ، وإن للطاغين لقبح مآب وشرّ
مآب"^(٥) . وسرّه أنه ذكر أحسن ما يؤول إليه المتقون ، وأنكأ ما يؤل إليه الطاغون .
فالحذف أبرز ثواب المتقين وعقاب الطاغين ترغيباً وترهيباً ، ويظهر حسن المراد بعد مراعاة
المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة بكليتها ، وهو إعلام البشر أن جند الله هم الغالبون
وإن تأخر نصرهم^(٦) ، والخاص بما فيه من " ذكر النعيم لأهل الطاعة والعذاب لأهل
المعصية"^(٧) ، فتحقق بأصل النظم أن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه ،
واجتناب معاصيه ، لحسن مرجع يرجعون إليه في الآخرة ، وللطاغين الذين تمردوا على ربه

(١) ينظر : جامع البيان ١٢٦/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٢٧/١٦ ، الكشاف ٥٢٤/٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٢٦/١٦ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ٣١٦/٧ .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٣٢١/١٦ .

(٧) المرجع السابق ٤٠٣/١٦ .

فعضوا أمره مع إحسانه إليهم ، لشرّ مرجع يصيرون إليه في الآخرة^(١) .
ويذهب بعض أهل العلم إلى بُعد هذا الوجه ، " وظاهر المقابلة يقتضي أن يقال : لقبح
مآب هنا أو لخير مآب فيما مضى ، لكن مثله لا يلتفت إليه إذا تقابلت المعاني ؛ لأنه من
تكلف الصنعة البديعية ... واستحسنه الخفاجي وفيه نوع بُعد " ^(٢) . فالقول بالحذف وجه
من وجوه فهم المعنى لا يتعارض مع مقصد القرآن بل حقق للنظم معاني ، من أبرزها : إيثار
عزائم أهل الإيمان ؛ لإبعادهم عن الوقوع في المعاصي أولاً ، ولدفعهم إلى الارتقاء في الإيمان
بفعل الطاعات ثانياً ، كما حقق نوعاً لطيفاً من الإيجاز الدال على دقة القرآن في بيان معانيه
ثالثاً .

*

في قول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُهُ الْيَسْرُ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٣٢-٣٣، ك) ،
موضعان للحذف ، الموضع الأول . في قول الحق **عَلَيْكَ** : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ
عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُهُ الْيَسْرُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ففيه شبه احتباك " ذكر المثوى في جهنم دليلاً على حذف
ضده ثانياً ، والاتقاء ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً " ^(٣) ، وعلى هذا
فالحذوف من الطرف الأول (ليسوا بمتقين وهم الكافرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (أليس في الجنة منزل
للمتقين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ في الطرف الأول .
وتقديره : أليس في جهنم مثوى للكافرين ؛ لأنهم ليسوا بمتقين ، والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، أليس في الجنة منزل للمتقين .
وسرّه أنه ذكر "أنكأ ما للمجرم من الكفر وسوء الجزاء . وأسراً ما للمسلم من قصر التقوى
عليه" ^(٤) .

(١) ينظر : جامع البيان ١٧٣/٢٣ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٢١٤/٢٣ .

(٣) نظم الدرر ٥٠٥/١٦ وما بعدها .

(٤) الموضع السابق .

فصورة الحذف أبرزت خاصيتي الترهيب من قبح جزاء الكافرين ، والترغيب في حسن جزاء المتقين ، فالقول بالحذف جاء في سياق يدعو إلى إثبات صدق الدلائل الدالة على تحقق صدق الوعد بوقوع الجزاء لأهل النار عدلاً منه ﷺ وفضلاً على المتقين من عباده^(١) ، وهذا ما كشفه السياق العام ، فتحقق بالحذف أن في النار مسكناً لمن جحد التوحيد وكذب الرسول ﷺ ، وهم بذلك الصنيع كافرون ، وفي الجنة منزلاً لمن عمل بالتوحيد وصدق الرسول ﷺ ، وهم بذلك متقون^(٢) ، " وتقريره أن التوحيد والشرك ضدان ، وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل ، ولما كان التوحيد أشرف الأسماء كان الشرك أخس الأشياء ، والآتي بأحد الضدين يكون تاركاً للضد الثاني ، فالآتي بالتوحيد الذي هو أفضل الأشياء يكون تاركاً للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها " ^(٣) . كما تحقق بالحذف نوع لطيف من الدقة المتناهيّة في الإيجاز . أمّا الموضوع الثاني درس في بابه^(٤) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ بَنَّا وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ . وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (غافر: ٨٠-٩٠، ك) ، شبه احتباك ؛ حيثُ " ذكر إدخال الجنات أولاً دليلاً على حذف النجاة من النار ثانياً ، ووقاية السيئات ثانياً دليلاً على التوفيق للصالحات أولاً^(٥) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(الصالحات) ؛ لدلالة ذكر ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(نجيته من النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم، لأجل التوفيق للصالحات، وقهم السيئات، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ونجّيته من النار باجتناّب السيئات

(١) ينظر : المرجع السابق ٤٣٦/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٤/٢٤ وما بعدها بتصرف .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/٢٤٣ .

(٤) ينظر : ص(٤٦٦) من البحث.

(٥) نظم الدرر ١٧/١٦ وما بعدها .

"وسرُّ ذلك التشويق إلى المحبوب - وهو الجنات- وإلى عمل المحبوب - وهو الصالح- ، والتنفير من النيران باجتتاب الممقوت من الأعمال ، وهو السيئ ، فذكر المسبب أولاً ، وحذف السبب ؛ لأنه لا سبب في الحقيقة إلا الرحمة ، وذكر السبب ثانياً في إدخال النار وحذف المسبب" (١) . فالقول بالحذف يسعى في المقام الأول إلى إبراز خاصيتي الترغيب في العمل الصالح والترهيب من العمل السيئ ؛ لأجل الدخول في الجنة والنجاة من النار .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٤٠، ٤١) ، شبه احتباك "ذكر المساواة أولاً عدلاً يدل على المضاعفة ثانياً فضلاً ، وذكر إدخال الجنة ثانياً يدل على إدخال النار أولاً" (٢) ، فالمحذوف من الطرف الأول (يدخل النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (يضاعف لهم أعمالهم فضلاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَلَا يُحْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها عدلاً لا يُزاد عليها ، ويدخل النار ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنتى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ، بعد أن ضاعف لهم أعمالهم فضلاً . وسرّه أنه "ذكر فضله في كل من الشقين" (٣) ؛ ترغيباً في صالح الأعمال وترهيباً من سيئها ، فإن من لقي الله مؤمناً لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقي الله كافراً قد أشرك معه غيره دخل النار (٤) .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في إبراز عظيم الفضل وحلاوة النعيم لمن فاز بالأعمال الصالحة ، وحكمة العدل ومرارة العقاب لمن لها في الأعمال السيئة ؛ بغية تحريك الهمم إلى حسن الاتعاظ ، والإعراض عن دار الأنكاد والأمراض ، والإقبال على دار الجلال والجمال ، فتحقق بالحذف الإرشاد إلى التمسك بمحاسن الأعمال وترك السيئ من خلال (٥) ، لهذا فالقول بالحذف علي أسهم في إنماء الجانب الإيماني من خلال الدعوة إلى

(١) المرجع السابق ١٧/١٦ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ١٧/٧٥ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٤/٦٧ وما بعدها بتصريف .

(٥) ينظر : نظم الدرر ١٧/٧٣ .

الترقى فيه . فبالنظر فيما يحتويه السياق العام والخاص يبرز حسن الحذف ؛ لما تحقق في العام من تصنيف الناس في الآخرة صنفين ، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل ^(١) ، أمّا الخاص فتحقق فيه الحث على التقوى بفعل الطاعات والبعد عن المعاصي . فالقيمة الحقيقية لأصل المراد تمثلت في الركنين الجوهرين ، الأول : في الإعلام بأن من عمل بمعصية الله في الدنيا لا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها ، وهذا جزء من العقاب ^(٢) ؛ لأن في عمله السيئة معصية لله يُوجب العقاب ^(٣) ، والثاني : في أن الذين يعملون الصالحات من عباد الله يدخلون الجنة في الآخرة ، وهذا محل الثواب ^(٤) ؛ لأن في عملهم الحسنات طاعة لله بها يحصل النعيم ^(٥) ، فتحقق بالركنين المذكورين إبراز الجزء ترغيباً وترهيباً ، ومن أبرز محاسن الحذف الحذف إظهار عظم الفرق في الجزاء على الأعمال من خلال المقابلة بين حسن الثواب لأهل الإيمان نتيجة عملهم الصالحات -في الدنيا- ، وقبح الجزاء لأهل الكفر نتيجة عملهم السيئات -في الدنيا- ، ففي الأول جزاءً جزيلاً وثوابٌ كبيرٌ ، بدايته مضاعفة الأجر ونهايته الخلود في الجنة ، وفي الثانية جزاءً موافق للأعمال لا يعتريه النقص أبداً ، بدايته إحلال أعظم العقوبات ونهايته الخلود في النار ^(٦) . ففي إعلام البشر بهذا نعمه جليلة ترشد إلى فضل الرب الرب عليهم ؛ ليرتقوا في مقام القرب منه ، فإن جانب رحمته غالب على جانب العقاب ^(٧) . العقاب ^(٧) . " فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات ، رحمة من الله بعباده ، وتقديراً لضعفهم ، وللجواذب والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة ، فضاعف لهم الحسنات ، وجعلها كفارة للسيئات . فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب ، رزقهم الله فيها بغير حساب " ^(٨) .

*

(١) ينظر : المرجع السابق ١/١٧ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٦٧/٢٤ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣١٧/١٥ بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان ٦٧/٢٤ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣١٧/١٥ بتصرف .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

(٧) ينظر : التفسير الكبير ٦٠/٢٧ .

(٨) في ظلال القرآن ٣٠٨٣/٢٤ .

وفي قول الحق ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ بَدَخُلْ مِنْ شَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَليٍّ وَلَا نصيرٍ﴾ (الشورى: ٨، ك)، شبه احتباك "ذكر الرحمة أولاً دليلاً على اللعنة ثانياً ، والظلم وما معه ثانياً دليلاً على أزداده أولاً"^(١) ، فالحذوف من الطرف الأول (المقسطون) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لعنته) ؛ لدلالة ذكر ﴿رَحْمَتِهِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ، ولكن يدخل من يشاء في رحمته ، وهم المقسطون ، والظالمون فيدخلهم في لعنته . "وسرّه أنه ذكر السبب الحقيقي في أهل السعادة ليحملهم على مزيد الشكر ، والسبب الظاهري في أهل الشقاوة لينهاهم عن الكفر"^(٢) .

فالنمط التركيبي أسهم في إبراز فضل الله على المقسطين أهل الطاعة والتوحيد ، وأبان عن نعمته للظالمين أهل المعصية والكفر ترغيباً وترهيباً ، ففي تبصر دلالة السياق العام إشارة عظيمة ترشد إلى علو القول بالحذف ؛ لما تحقق فيه من الدعوة إلى الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان^(٣) ، أمّا الخاص فهو ذو أثر بالغ في بيان وجه الحذف ؛ لما احتواه من الإبانة عن جزاء أهل الطاعات لرفعة درجاتهم ، وأهل المعاصي لدنو دركاتهم^(٤) ، فهو لذلك كذلك علي يوجب الترقى في درجات الإيمان ، فتحقق بالمعاني الجوهرية ذكر فضله بالتوفيق والهداية لمن اتبع الرسل وعمل بالدين أن يدخله في رحمته^(٥) ، وهذا متمثل في الركن الأول ، الأول ، أمّا الثاني : فتضمن ذكر أن الظالمين ليس لهم ولي يتولاهم برحمته ، ولا نصير ينصرهم من العذاب^(٦) ، فثبت أن التوفيق لحسن الصنيع مستلزم حسن الثواب ، وسوءه مستلزم قبح العقاب ، ومن أبرز دقائق المعاني التي يحققها الحذف إبراز أوجه التقابل بين المعاني ليتحقق للنظم مزيد دقة وإيجاز في بيان المراد ، فالله يرسل برحمته إلى البشر -عامة- من ينذرهم شدة العذاب ، فيتأثر بعضهم بالإندار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوفقهم الله

(١) نظم الدرر ٢٥٣/١٧ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٣٠/١٧ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٥١/١٧ وما بعدها بتصرف .

(٥) ينظر : جامع البيان ١٠/٢٥ .

(٦) ينظر : الموضوع السابق .

للإيمان والطاعات ويدخلهم في رحمته ، ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ، ويصيرون في الآخرة إلى السعير من غير ولي يلي أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب^(١) .

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحِ أَلِيمٍ ﴾ (الحاتية: ١١، ك) ، شبه احتباك " ذكر الهدى أولاً دليلاً على الضلال ثانياً ، والكفر والعذاب ثانياً دليلاً على ضدهما أولاً"^(٢) ، فالخذوف من الطرف الأول (الذين اهتدوا وآمنوا لهم نعيم مقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحِ أَلِيمٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (ضلوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ هُدًى ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : هذا هدى ، فالذين اهتدوا بآيات ربهم فآمنوا لهم نعيم مقيم ، والذين كفروا بآيات ربهم فضلوا لهم عذاب من رجز أليم .

ولو قيل : الهدى دليل على الضلال ، والعذاب دليل على النعيم ؛ لكان أولى لتحقق شرطي التقابل والنسبة على التقدير السابق . وسرّه : "أنه ذكر السبب المسعد ترغيباً فيه ، والمشقي ترهيباً منه"^(٣) .

فصورة الحذف أسهمت في إبراز وجه التقابل بين (الهدى) وضده (الضلال) ، وبين (النعيم) وضده (العذاب) ؛ ترغيباً في قبول الحق المترتب عليه معرفة الضلال للبعد عنه ، وترهيباً من الإعراض عنه . ومن أبرز المعاني التي يحققها الحذف الدعوة إلى استخدام العقل في إمعان التأمل والتدبر في آيات الله ليصل المرء إلى الإيمان الحق الذي يوصله إلى تمام المعرفة بالخالق ، فتحقق أن القرآن الكريم هاد للناس ، فمن آمن به فقد اهتدى ، ومن كفر به فله العذاب ؛ لأنه حرّم نفسه من الهدى ، فكان في الضلال^(٤) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ (التكوير: ١٢-١٣، ك) ، شبه احتباك " ذكر

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٣/٨ .

(٢) نظم الدرر ٧٤/١٨ .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٣٩٠/٢٥ بتصرف .

التسعير أولاً دال على ضده في الجنة ثانياً ، وذكر التقريب ثانياً دال على مثله أولاً " (١) ، فالمحذوف من الطرف الأول (قربت) ؛ لدلالة ذكر ﴿أُزْلِفَتْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (نعمت) ؛ لدلالة ذكر ﴿سُعِرَتْ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وإذا الجحيم سعرت وقربت من الكافرين ، وإذا الجنة أزلقت ونعمت ببرد العيش للمؤمنين . وسرّه أنه ذكر أنكأ ما للكافرين من العذاب ، وأيسر ما للمؤمنين من الثواب .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في إبراز هول الجحيم ترهيباً من الخوض في الكفر والمكوث فيه، ولذة النعيم ترغيباً في الدخول في الإيمان والعمل، بغالأنفع للسياق القول بالحذف على نسق شبه الاحتباك؛ لما تحقق في السياق العام من إبراز التهديد الشديد بيوم الوعيد لكونه أعظم مقام لظهور الجلال لمن كذب بالقرآن^(٢) ، أمّا الخاص فتحقق فيه ذكر دار الأعداء البعداء الأشقياء ترهيباً، ودار الأولياء المقربين السعداء ترغيباً^(٣) . فتحقق أن فريقاً في السعير يعذبون وفريقاً في الجنة ينعمون ؛ كما تحقق إعلام البشر بحصول الجزاء لأجل إتمام الجانب الإيماني والترقي فيه بلزوم الطاعات والبعد عن المعاصي فالقول بالحذف أضاف إلى النظم علاقات ربط أسهمت في إعلام البشر بما في الآخرة من هول العذاب وشدته ويسر النعيم وحلاوته فالنار يسعها غضب الله وخطايا بني آدم، فيزداد توقدها ولهبها ووهجها وحرارتها للكافرين في الدنيا والجنة ينعمها رضا الله وطاعات بني آدم فيظهر لأهل الإيمان سهولة مدخلها ويسر ولوجها^(٤).

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حَسَابًا سَيِّئًا . وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كَيْفَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا . وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ (الانشقاق: ٨-١٣، ك) ، شبه احتباك "ذكر الحساب اليسير الذي هو الثمرة ، والمسبب أولاً يدل على حذف ضده ثانياً ، وذكر السرور في الأهل الذي هو السبب في الثاني يدل على حذف ضده ، وهو سبب السعادة ، وهو الغم ومحاسبة النفس في الأول " (٥) . فالمحذوف من الطرف الأول (مغموماً) ؛ لدلالة ذكر

(١) نظم الدرر ٢٨٣/٢١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٧٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢١/٢٨٢ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٠/٧٣ ، وفي ظلال القرآن ٣٠/٣٨٤١ .

(٥) نظم الدرر ٢١/٣٤٤ وما بعدها .

﴿مَسْرُورًا﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (حساباً عسيراً) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَسَابًا يَسِيرًا﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، إنه كان في أهله مشفقاً من العرض على الله مغموماً ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره... إنه كان في أهله مسروراً ، فهو يحاسب في الآخرة حساباً عسيراً .
وسرّه أنه ذكر أيسر ما لأهل الطاعة وأنكأ ما لأهل المعصية .

فالصورة التركيبية للحذف أسهمت في إبراز حالة النعيم لأصحاب اليمين ؛ لما هم عليه من الدين المرضي ترغيباً في امتثاله ، وحالة العذاب لأصحاب الشمال ؛ لما هم عليه من الدين الباطل ترهيباً من الوقوع فيه ^(١) ، ففي تبصر دلالة السياق إشارة عظمى تُعضد من شأن الحذف ؛ لما تقرر فيه من ذكر حقيقة أن الأولياء ينعمون والأعداء يعذبون ؛ لأنهم لا يقرون بالبعث والعرض على الله ^(٢) ، ففيه إرشاد علي يُوجب أهمية الإيمان بالغيب ، أمّا الخاص فتحقق فيه ذكر حال العبيد عند العرض على ربهم منهم المقبول ومنهم المردود ^(٣) ؛ ترغيباً في شدة التمسك بالطاعة والمحافظة على الإيمان ، فأصل المراد -وهو تحقق حسن ثواب المؤمن المطيع ، وقبح عقاب الكافر العاصي- متحقق في الركنين المذكورين ، الأول في ذكر ثواب المؤمن في الآخرة فإن حسابه يكون يسيراً "فلا يناقش فيه ؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة إلا ذهولاً ؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسننها ويعفو عن سيئها" ^(٤) ، والثاني في ذكر حال الكافر في الدنيا " ثابتاً له السرور وبطر المال والجاه فرحاً به مخلداً إليه " ^(٥) . فحصل أن القول بالحذف ذو أثر فاعل في العناية بالتصعيد الإيماني ؛ إذ أسهم في نشوء جملة من المعاني الإحسانية التي من أبرزها : الدعوة إلى محاسبة النفس بكرة وعشياً حساباً عسيراً يلزمها الخوف من الله في دار العمل ، ويبلغها حصول السرور في دار الجزاء ^(٦) ، فهذه سنة الصالحين المتقين ، والأقنداء بهم يُعد أنبل غذاء للروح ؛ لأن منها يتعلم

(١) ينظر : المرجع السابق ٣٣٩/٢١ وما بعدها بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٣٣٥/٢١ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٣٣٩/٢١ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ٣٤٠/٢١ .

(٥) المرجع السابق ٣٤٤/٢١ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٣٤١/٢١ وما بعدها بتصرف .

يتعلم المرء أساس الحياة الإيمانية ^(١) "فوصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة" ^(٢) . ففي الحذف تثقيف للنفوس يرشدها إلى ما يحقق لها حسن الثواب من المبادرة بالتوبة ، والتفكير في الآخرة ، والحذر من السرور في دار الحزن ^(٣) .

*

وفي موضع آخر يبرز الحذف خاصية التقابل بين المعاني ترغيباً في التوحيد وترهيباً من الكفر ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى . ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى: ١٢-١٥، ك) ففيه شبه احتباك "ذكر أولاً الصلي دليلاً على حذف ضده ثانياً ، وثانياً التزكية دليلاً على حذف ضدها أولاً" ^(٤) . فالمحذوف من الطرف الأول (لم يتزك) ؛ لدلالة ذكر ﴿ تَزَكَّى ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (لا يصلى النار الكبرى) ؛ لدلالة ذكر ﴿ يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : الذي يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى ؛ لأنه ما تزكى فلا صدق ولا صلّى ، قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلّى ، فلا يشقى ، ولا يصلى النار الكبرى . وسرّه أنه ذكر المؤمن المشين الأشد عذاباً والأعظم شقاً ترهيباً من المكوث في الكفر والموت عليه ، ثم ذكر التزكية ترغيباً في الرجوع إلى الحق والعمل به ؛ لذا جعلها في امثال التسييح، والصلاة ، والزكاة ؛ لكونها أعظم العبادات ، فالصلاة أعظم عبادات البدن ، والزكاة أعظم عبادات المال ^(٥) .

فالنمط التركيبي لصورة الحذف أسهم في ترسيخ مبدأ ثبوت الجزاء على الأعمال ترغيباً وترهيباً ؛ لأجل التحلي عن النقائص التي من أعظمها الشرك ، والتحلي بالكمالات التي من أجلها التوحيد . ففي تبصر دلالة السياقين العام والخاص إشارات عظيمة تعضد من شأن الحذف ، من أبرزها : أن مقصد السورة قائم على مراعاة حق الله على البشر وهو حسن

(١) ينظر : الموضع السابق .

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٧٣/١٩ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٣٤٤/٢١ .

(٤) المرجع السابق ٤٠٤/٢١ .

(٥) ينظر: المرجع السابق ٤٠٣/٢١ بتصرف .

عبادته ، وتقديسه - سبحانه - عن شوائب النقص^(١) ، وهذا ما أبرزته دلالة الأمر في مفتتح السورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١، ك) ؛ لتتحقق في النفوس البشرية عبادة الله كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه . ومن أبرز جواهر المعاني الإحسانية التي يحققها الحذف الإرشاد إلى امتثال الأمر واجتناب النهي بالمجاهدة في فعل المقربات التي توصل إليه ، والتي من أعظمها التسبيح والصلاة والزكاة ، فإن في العمل بها تطهيراً للنفوس من فاسد الاعتقادات ، والأخلاق ، والأقوال ، والأفعال ، والأموال^(٢) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٧-٩، ك) ، شبه احتباك "ذكر العيشة أولاً دليلاً على حذفها ثانياً ، وذكر الأم ثانياً دليلاً على حذفها أولاً"^(٣) ، فالحذف من الطرف الأول (أمه جنة عالية) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (عيشة ساخطة) ؛ لدلالة ذكر ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فهو في عيشة راضية ؛ لأن أمه جنة عالية ، وأمّا من خفت موازينه فأمه هاوية ، وهو في عيشة ساخطة . وسره أنه ذكر أفضل ما للمؤمنين من النعيم ترغيباً في الجنة ، وأسوأ ما للكافرين من الجحيم ترهيباً من النار .

فالعلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت في تقرير حسن المصير لأهل الإيمان ترغيباً ، وسوءه لأهل الكفر ترهيباً ؛ لأجل الإقبال على العمل بما يُرجح الموازين ويثقلها من الأعمال الصالحة ؛ لذا فالقول بالحذف عليّ يولد جملة من لطائف المعاني أسهمت في المقام الأول في ترسيخ مبدأ المحافظة على الأعمال باتباع الحق واجتناب الباطل .

*

(١) ينظر: المرجع السابق ٣٨٨/٢١ .

(٢) ينظر: المرجع السابق ٤٠٢/٢١ .

(٣) المرجع السابق ٢٢٣/٢٢ وما بعدها .

المبحث السادس : الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات ترغيباً ، والتنفير منه في وجوه المعاصي ترهيباً .
-القول بالاحتباك:

قيل في قول الحق ﷻ : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: ٢٧٦م) ، احتباك : " ولما جعل الحق بالربا وجعل الإرباء بالصدقات كانت المقابلة مؤذنة بحذف مقابلين آخرين ، والمعنى : يمحق الله الربا ويعاقب عليه ، ويربي الصدقات ويبارك لصاحبها على طريقة الاحتباك " (١) . قال احتباكاً ، والأصل فيه كما عُرِفَ حذف المقابل من كل طرف على أبسط تعريف ، وهو -هنا- جعل الطرف الأول (يمحق الله الربا) مذكوراً ، ومقابله (يربي الصدقات) مذكوراً أيضاً ، وفي الطرف الثاني (يعاقب عليها) محذوف ، ومقابله كذلك محذوف ، وهو : (يبارك لصاحبها) ، فالمذكوران في الطرف الأول يفهمان محذوفين مقدرين في الطرف الثاني ، وهذا ليس احتباكاً ، فالأولى حمل النظم على ظاهره دون تقدير .

*

ومن الآيات القرآنية التي أكدت حسن الإنفاق في وجوه الطاعات قوله تعالى : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢م) ، ففيه احتباك (٢) ، المحذوف من الطرف الأول (فإن أنفقتم منه علمه الله) ؛ لدلالة ذكر ﴿فإن الله به عليم﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (وإن تيممتم الخبيث الذي تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا) ؛ لدلالة ذكر ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، فإن أنفقتم منه علمه الله فأثابكم به البر ، وإن تيممتم الخبيث الذي تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا ، وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم .

(١) التحرير والتنوير ٩١/٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١/٥ وما بعدها .

وسرّه : أنه ذكر الأصل في الإنفاق - وهو مما تحبون - لعموم نفعه تأكيداً على أهمية تحقيقه ، وترغيباً في العمل به ، ثم ذكر سعة العلم الإلهي المطلق ؛ لإحاطته الكاملة ، فهو وحده الذي يعلمه من جميع وجوهه^(١) .

فالعلائق الرابطة بين المعاني في صورة الاحتباك أسهمت في تعريف البشر بحقيقة كمال البر المترسم في حسن الإنفاق ؛ ترغيباً في لزوم أسْمَى مراتبه ، وهو : أن الأحب منه أجدر بالقبول فلو فُقد هذا الشطر لبطلت الفائدة العظمى منه^(٢) . ففي تبصر دلالة الخطاب بـ :

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُتَفَقَّوْا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾

النفوس مبدأ لزوم الكمال في إنفاق الطيب الحميد ، فالتعريف في : ﴿الْبِرِّ﴾ للجنس ؛ لأنّ هذا الجنس مركّب من أفعال كثيرة ، منها الإنفاق المخصوص ، فبدونه لا تتحقّق هذه الحقيقة... وقد جعل الإنفاق من نفس المال المحبّ غاية لانتفاء نوال البرّ ، ومقتضى الغاية أنّ نوال البرّ لا يحصل بدونها ، وهو مشعر بأنّ قبل الإنفاق مسافات معنوية في الطريق الموصلة إلى البرّ ، وتلك هي خصال البرّ كلّها ، وأنّ البرّ لا يحصل إلاّ بنهايتها ، وهو الإنفاق من المحبوب ، فظهر لـ (حتى) موقع من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها ؛ لأنّه لو قيل : إلاّ أن تنفقوا ممّا تحبون ، لتوهم السامع أنّ الإنفاق من المحبّ وحده يوجب نوال البرّ ، وفاتت الدلالة على المسافات والدرجات التي أشعرت بها (حتى الغائية)^(٣) . ثمّ إيثار صيغة :

﴿نُتَفَقَّوْا﴾ ؛ للدلالة على التكرار والاستمرار في الإنفاق ؛ لأنّ الفعل يفيد التجدد والحدوث ، فتحقق بالاحتباك إرشاد العباد إلى أهم مبادئ قبول الإنفاق ؛ فالمبادرة به تتطلب أن يتصدق المرء مما يجب أن يكون له من نفائس الأموال وكرائمها ، فذلك ربح وافر ينال به شرف امتثال الدين والارتقاء في سلم التقوى^(٤) ؛ "لأنّ إخراجها على النفس أشق وأصعب من إخراج ما لا تتعلق به"^(٥) ، فكشف الاحتباك في طرفه الأول عن ركنين هامين ، يصور الأول : جانب الإنفاق الطيب القائم على المحبة في الإنفاق ، والثاني : جانب

(١) ينظر : الموضوع السابق .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) التحرير والتنوير ٦/٤ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣/٣٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم ٤/١٣٢ ، وإرشاد العقل السليم ١/٥٧ .

(٥) البحر المحيط ٢/٥٤٦ .

الإنفاق الخبيث القائم على الكراهية فيه ، وهذا دافع إلى نمو الحذف وبروزه في الطرف الثاني ، ولما كان كل من المحبة والكراهية أمرًا خفيًا قال مرغباً مرهباً : ﴿ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ، فتحقق بهذا إبراز سعة العلم الإلهي المطلق ترهيباً من إنفاق الخبيث ، وترغيباً في أنفاق الطيب^(١) ، ففي إيثار التعبير بـ ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فائدة عظيمة تبرز مطلق علم الله بكل شيء . فالقول بالاحتباك في هذا الموضع عليّ يولد جملة ثرية من المعاني الإحسانية التي من أبرزها : أن في إعلام البشر بما تقدم نعماً عليّة تجبل النفوس على حب الإنفاق والإخلاص فيه ، فالعلم بعظيم الأمور مجرد المرء من رداء الجهل ، ويغرس فيه إحساساً قوياً يدفعه إلى العمل والافتداء بعظماء الأمة ، فإنهم إذا أحبوا شيئاً جعلوه خالصاً لله تعالى^(٢) .

*

وفي موضع آخر يبرز التقابل قبح الإنفاق في وجوه المعاصي ترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٧م) ، ففي قول الحق ﴿ عَجَلِكُمْ ﴾ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ احتباك ، حيث "حذف أولاً مثل الإنفاق لدلالة الريح عليه ، وثانياً الحرت لدلالة ما ينفق عليه"^(٣) . وعليه فالحذف من الطرف الأول (مثل إنفاقهم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (زرع) ؛ لدلالة ذكر ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ومثل إنفاقهم له كمثال حرت أصيب بالريح كمثال ريح فيها صر .

وسرّه : أنه ذكر العقلي طريقاً لإدراك الحسي ، والحسي طريقاً لإدراك المعنوي ؛ لذا ذكر الأدل على القدرة والعظمة ، وهذا من دقيق حكمته وعظيم قدرته ، «فلما كانت الريح أمراً مشاهداً جلياً جعلت في إهلاكها مثلاً لضياح إنفاقهم الذي هو أمر معنوي خفي ، ولما كان الزرع المحترق أمراً محسوساً جعل فيما حصل له بعد التعب من العطب مثلاً لأمر

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٥٨/٢ .

(٢) ينظر : الموضع السابق .

(٣) نظم الدرر ٣٦/٥ .

معقول ، وهو أموالهم ، في كون إنفاقهم إياها لم يثمر لهم شيئاً غير الخسارة والتعب ، فالمثلان ضياع الزرع والإنفاق ، وضياع الزرع أظهر ، فهو مثل لضياع الإنفاق ؛ لأنه أخفى»^(١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من خلال تصوير نفقة الذين كفروا ؛ لإثبات حقيقة بطلانها في الدنيا والآخرة^(٢) ؛ وليتقرر في النفوس عظم الحاجة إلى حصول الفائدة وقت طلبها ، فلا فائدة ترجى في الآخرة إلا بحسن امتثال الإيمان في الدنيا ؛ لذا حقق الحذف بالدليل القطعي ما يلحق إنفاق الكافرين الجاحدين لوحداية الله والمكذبين بمحمد ﷺ في أن ذلك غير نافعهم مع كفرهم ، ومضمحلّ ذاهب عند حاجته م إليه^(٣) ، ففي تدبر دلالة الخطاب ما يعلي من شأن الاحتباك ؛ إذ أسهم النظم في إبراز حسنه ، وإعلاء دلالاته بالتشبيه القائم على دقة التصوير ، فهية إنفاقهم المعجب ظاهرها ، المخيب آخرها ، شبهه بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ، من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس^(٤) ، «فمثل ما ينفقون في كونه لم ينفعهم في الدنيا بإنتاج ما أرادوا في الدنيا ، ومثل إنفاقهم له في كونه ضرهم ولم ينفعهم مثل الريح في كونها ضرت الزرع ولم

تنفعه»^(٥) . ثم إثارة الأفراد في : ﴿ريح﴾ ؛ لكونها ريح عذاب^(٦) ، «فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة ، وحيث وقعت في سياق العذاب أتت مفردة ، وسرّ ذلك : أن رياح الرحمة مختلفة الصفات ، والمهاب ، والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أنشأ لها ما يقابلها مما يكسر سورتها ، ويصدم حدتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحياة والنبات ، فكل ريح منها في مقابلها ما يعدلها ويرد سورتها ، فكانت الرحمة رباحاً . وأما في العذاب فتأتي من وجه واحد لا يقوم لها شيء ، ولا يعارضها غيرها ، حتى تنتهي إلى حيث أمرت لا يرد

(١) الموضوع السابق .

(٢) «في الدنيا ضياعه في غير شيء ، وفي الآخرة بالمعاقبة عليه ؛ لتضييع أساسه ، وقصدهم الفاسد ؛ لذا ضرهم في الدنيا بضياعه ، وفي الآخرة بما قصدوا به من المقصود الفاسد» . الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٣٨/٧ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٦١/٤ .

(٥) نظم الدرر ٣٦/٥ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٧٣/٣ .

سورتها ، فتمثل ما أمرت به ، وتصيب ما أرسلت إليه ... «^(١) . ثم التقييد بالظرف : ﴿رِيحٍ فِيهَا﴾ ؛ «لإفادة شدة برد هذه الريح ، حتّى كأنّ جنس الصر مطروف فيها ، وهي تحملها إلى الحرث»^(٢) . فدقة اختيار لفظ : ﴿صِرٌّ﴾ ؛ للدلالة على المبالغة في تصوير التمثيل ، جعل لهذا اللفظ وقعاً خاصاً متناسباً في سياق الكلام . ثم إن القول بالاحتباك جاء في سياق يدعو إلى إقامة البراهين الدالة على كمال التوحيد وإثباته لله ، وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فأبرز عظمة الله في إبطال أعمال الكافرين من خلال ضرب المثل ، ليحقق في النفوس الضالة استبصار دلائل العظمة ، فإن في تأمل موضع الحذف وتدبره أثراً جليلاً يبعث في النفوس الخشية من الله ويرشد إلى وحدانيته ، وهذا من أسمى مراتب التصعيد الإيماني .

وللاحتباك أثر بارز في إحداث علائق ربط بين المعاني أسهمت في إعلام البشر أن صنيع الله بالنفقة كمثّل صنيع الريح شديدة البرد بالزرع ، ولم يفعل الله بالكفار من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطال أجورها ظلماً منه لهم ؛ بل هم كانوا يظلمون أنفسهم^(٣) ، ففي هذا تثقيف للنفوس يعلمها عظم الإنفاق ويُجنبها ضرره في الدارين ؛ كي تحذر سوء عاقبة أفعالها ، وهذا يُعظم في النفوس حب لزوم الإخلاص في الإنفاق .

*

- القول بشبه الاحتباك :

أبرز التقابل الحث على الإنفاق الحمود -ترغيباً- وذلك في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١م) ، ففي قول الحق ﴿وَعَلَى اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ ، شبه احتباك ، ف«ذكر المنفق أولاً دليل على حذف الزارع ثانياً ، وذكر الحبة ثانياً دليل على حذف النفقة أولاً»^(٤) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول

(١) بدائع الفوائد ١/١٨١ .

(٢) التحرير والتنوير ٤/٦١ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٧/٣٨ وما بعدها بتصرف .

(٤) نظم الدرر ٤/٧٥ .

(النفقة) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَبَّةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الزارع) ؛ لدلالة ذكر ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : «مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها»^(١) .

وفي موضع آخر قريب - من هذا -^(٢) ، يقول تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥ م) ، ففي قول الحق عَلَى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ

حَبَّةٍ ، شبه احتباك «ذكر المنفق أولاً دال على حذف صاحب الجنة ثانياً ، وذكر الجنة ثانياً دال على حذف النفقة أولاً»^(٣) ، وعليه فالحذف من الطرف الأول (النفقة) ؛ لدلالة ذكر ﴿حَبَّةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الزارع) ؛ لدلالة ذكر ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : مثل الذين ينفقون أموالهم وبنفسهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل حبة وصاحبها . ولعل السر من وراء حمل المعنى على الحذف : أنه ذكر ما فضله أعظم ونفعه أعم ، فـ«المقصود ذكر حاله وشأنه ، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها ، وذكر من شق الممثل به البذر ؛ إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة وترك ذكر الباذر ؛ لأن القرض لا يتعلق بذكره»^(٤) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في بيان حقيقة الإنفاق القائمة على التمثيل ؛ لزيادة الترغيب في الممثل به ؛ لكونه مما ترغب النفوس فيه ؛ لعظم ما يعود عليها من الخير . ففي تبصر دلالة الخطاب إيضاح لأصل حمل النظم على الاحتباك ؛ حيث تحقق فيه تأكيد حسن الإنفاق في وجوه الطاعات من خلال إبراز صورة التشبيه في : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ﴾ ، فثبت بالحذف

(١) الموضع السابق .

(٢) صورة الحذف في الآية الثانية تقترب كثيراً من الآية الأولى ، غير أن هناك فارقاً دقيقاً في اتساع مدلول المعنى ، كلٌّ في سياقه . ينظر: التفسير القيم ، ص ١٥٠ وما بعدها .

(٣) نظم الدرر ٤/ ٨٤ .

(٤) التفسير القيم ، ص ١٥٥ .

جليل معانٍ ترشد العباد إلى أهمية إنفاق المخلصين ، وتنبههم إلى لطف كرم الرب ؛ مما يدفعهم إلى التسابق والارتقاء في مقامات القرب من الله ؛ لذا جاء الخطاب ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ - في الموضوعين ، كما أن في الحذف إعلماً لهم بأن التمثيل جاء للتكثير لا للحصر ، وهذا دليل عظيم الفضل الإلهي واللفظ الجميل : ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ، «وفي هذا التمثيل تصوير للأضعاف ، كأنها ماثلة بين عيني الناظر»^(١) ، وفي هذا نعم عليّة تدفع إلى إيماء حب الإنفاق وتحرض على البذل ؛ «لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه سهل عليه إخراج ، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه ، ينمي له ويشمره حتى يصير أضعاف ما بذله ، كان بالقرض أسمح وأسمح ، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض ، فإن ذلك الأجر حظ عظيم ، وعطاء كريم ، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل والشح ، أو عدم الثقة بالضمان ، وذلك من ضعف إيمانه ، ولهذا كانت الصدقة برهاناً لصاحبها»^(٢) . فتحقق في النفس العلم بأهم دعائم الإنفاق - وهي أولاً : أن في الإنفاق ابتغاء رضوان الله وتعبداً له ، وثانياً : أن فيه تزكية النفوس وتطهيرها من الشوائب التي تعوقها عن الكمال^(٣) ، وتخلصها من آفات الإنفاق ، وهي أولاً : أن يكون إنفاقها لطلب محمداً أو ثناء ، وثانياً : ضعف النفس وتقاعسها وترددتها ، هل تفعل أم لا؟^(٤) . وبالوقوف عند ما يحمله النظم من لطائف المعاني فائدة عظيمة ، وأثر عليّ ، يوجبان في النفوس ملازمة الصبر واعتلاق الإيمان ؛ لأن في ذلك سعادة يأنس المرء بها في القرب من ربه .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد: ١٥-١٦، ك) ، شبه احتباك «ذكر القرب أولاً يدل على ضده ثانياً ، وذكر المتربة ثانياً يدل على ضدها أولاً»^(٥) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (غنياً) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَتْرَبَةٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف

(١) الكشف ١/٣٩٣ ، وإرشاد العقل السليم ١/٢٥٧ .

(٢) التفسير القيم ، ص ١٤٩ .

(٣) ينظر : تفسير المنار ٣/٦٧ .

(٤) ينظر : التفسير القيم ، ص ١٦٠ .

(٥) نظم الدرر ٢٢/٦٣ .

الثاني حذف (أجنبياً) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَقْرَبَةً﴾ في الطرف الأول . وتقديره : يتيمًا ذا مقربة وإن كان غنياً ، أو مسكينًا ذا متربة وإن كان أجنبياً . وسرُّ ذلك : «أنه ذكر في اليتيم القرب المعطف ، وفي المسكين الوصف المرقق الملطف ، فهو لا يقصد بإطعامه إلا سد فاقتة»^(١) .

فمن خلال المعاني المتقابلة في صورة الاحتباك تأكد مبدأ كريم من مبادئ حب الإنفاق والتصدق ترغيباً في لزوم عمل الخير ، فتحقق بالحذف دعوة نبيلة تثقف النفوس وتعلمها الارتقاء بالإيمان في باب التصدق والإنفاق ، فـ«الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي القربة اثنتان ، صدقة وصله»^(٢) ، فإطعام صغير لا أب له من القربة في يوم مجاعة من أعظم وجوه البر حسناً وأعلاها أجراً ؛ لجمعها بين الصدقة والصلة^(٣) ، وفي إعلام البشر «أن الصدقة على القربة أفضل منها على غير القربة ، وعلى اليتيم الذي لا كافل له أفضل منها على اليتيم الذي يجد من يكفله»^(٤) ، نعمة عليّة تعظم الإيمان في القلوب ، وتزيد الإخلاص في الأعمال ، وهذا مما يدفع إلى الترقى في الأعمال لبلوغ درجه الإحسان ، ففي تبصر دلالة الخطاب في إيثار : ﴿ذَا مَرَبَةٍ﴾ فائدة عظيمة ترقق في القلوب لزوم التصدق ؛ «فقد لصق بالتراب من فقره وضره ، فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه»^(٥) . فالقول بالحذف ذو اعتلاقٍ بالغ بالسياق الخاص ؛ لما تحقق فيه من ذكر أعمال البر الدالة على جودة الطبع ، وعلو الهمة ، وكرم العنصر^(٦) ؛ فالمسارعة في تلك الأعمال في الدنيا طريق إلى الترقى بالإيمان في حصول النفع في الدنيا والأجر في الآخرة^(٧) .

*

(١) الموضوع السابق .

(٢) أخرجه بنصه ابن ماجة في سننه ، كتاب : الزكاة ، باب : فضل الصدقة ٥٩١/١ ، رقم الحديث : (١٨٤٤) من

حديث سلمان بن عامر الضبي ، رضي الله عنه . قال الألباني : «صحيح لغيره» . صحيح سنن ابن

ماجة ٢٦٢/٣ ، ورقم : (٣١٣٠) .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٦٣/٢٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦٩/٢٠ .

(٥) التفسير الكبير ١٦٩/٣١ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٦٣/٢٢ .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦٩/٢٠ بتصرف .

المبحث السابع : نفي التسوية والخيرية بين الحق والباطل - في جميع ما يدلان عليهما - ترغيباً ، وترهيباً .

-القول بالاحتباك :

يكشف الاحتباك نفي التساوي بين من اتبع رضوان الله وعمل بطاعته ، متبعاً في عمله كل ما يرضي الله ، مجتنباً سخطه ، وبين من انصرف متحملاً سخط الله وغضبه فاستحق جهنم^(١) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران: ٦٢، ٦٣م) . ففي قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾^(٢) احتباك ، ذكر اتباع رضا الله أولاً دال على حذف ضده ثانياً ، وذكر الإباء بسخط الله ثانياً دال على حذف ضده أولاً ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فباء برضا الله) ؛ للدلالة ذكر ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كمن لم يتبع رضوان الله) ؛ للدلالة ذكر ﴿ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : «أفمن اتبع ما يؤول به إلى رضا الله عنه ، فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه»^(٣) .

وسره أنه ذكر أفضل ما يكون من أهل الطاعة والإيمان ترغيباً بالنتيجة السعيدة للفوز برضا الله . ثم أنكأ ما يؤول إليه أهل المعصية والكفر ؛ ترهيباً بالنهاية المشقية لأهلها بجامع عدم المساواة بينهما .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في نفي التساوي بين المقبلين على اتباع رضوان الله والمعرضين عنه ترغيباً وترهيباً ، في سياق ذكر جملة من أصول العقيدة الدالة على كمال التوحيد ؛ ليتحقق الإيمان بها ، ومن أعلاها : الدعوة إلى الإيمان بالغيب ؛ لكونه المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة بكليتها ، فأصل المراد تحقق في الركنين المذكورين ،

(١) ينظر : جامع البيان ٤/١٦١ بتصرف .

(٢) للمفسرين في الآية وجوه . ينظر : التفسير الكبير ٩/٦١ .

(٣) البحر المحيط ٣/١٠٧ .

الأول : أفمن كان على طاعة الله فتوابه الجنة ورضواناً من ربه ، والثاني : كمن باء بسخط من الله ، فاستوجب غضبه ، وكان مأواه جهنم^(١) . فتحقق فيهما أصل المراد القائم في تحقق انتفاء التسوية مطلقاً . أما حمل النظم على الاحتباك فحقيق جملة ثرية من دقائق المعاني التي من أجلها : إعلام البشر بحقيقة نفي المساواة في الآخرة بين المطيع والعاصي ؛ لأنه لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ، ولمن عصاه في أمره ونهى النار^(٢) ، فاستحقاق الجنة والرضوان سببه اتباع الشرع المتمثل في الإيمان ، واستحقاق النار والسخط سببه الإعراض عن الشرع المتمثل في الكفر ، وبمعرفة المرء ذلك إرشاد نبيل يدفع إلى المسارعة في نيل رضوان الله للارتقاء في عبادته والعمل بما توجبه الأوامر والنواهي .

وللاحتباك أثر بارز في إحداث علاقات ذات دلالات جمّة تغرس في النفوس تعلم القيم العلية التي من الواجب الالتفات إليها والانشغال بها، فكل من أقدم على الطاعة داخل في : ﴿ أَتَّبِعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ ، وكل من أدخل إلى متابعة النفس داخل في : ﴿ بَاءً يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٣) . وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات عليّة تبرز شأن الاحتباك وتُعلي من القول به ، منها : الاستفهام في : ﴿ أَفَمَنْ ﴾ لنفي التماثل في مساواة الإيمان والكفر ، ثم الطباق بين لفظي : ﴿ ... رِضْوَانٌ ... يَسْخَطُ ... ﴾ لاستشعار عظم الفرق بين حسن الرضوان وقبح السخط . ووضع المظهر موضع المضمّر في ﴿ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ ﴾ لإدخال الرّوعة وتربية المهابة^(٤) . والتوسع في التعبير بلفظي ﴿ ... أَتَّبِعَ ... بَاءً ... ﴾ فكلاهما استعارة تصريحية تبعية ، ففي (اتبع) شبه العمل بما يرضي الله ورسوله بالاتباع الحسي سعياً لتحقيق منافع قيمة، بجامع شدة الحرص على نجاح المطلوب في كل . وفي (باء) شبه سوء المصير بالرجوع إلى الخلف مع الخيبة والانتكاس وحصول نقيض المطلوب^(٥) .

*

(١) ينظر : جامع البيان ٤/١٦١ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ٩/٦١ ، في ظلال القرآن ٤/٥٠٦ .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢/١٠٧ .

(٥) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ١/١٩٥ .

في قول الحق ﷻ : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا . إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (النساء: ٩٥-٩٧م) احتباك « ذكر الجهاد أولاً في ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ دليل على حذفه ثانياً بعد : ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ، وذكر الهجرة ثانياً دليل على حذفها أولاً بالقعود عنها»^(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (القعود عن الهجرة) ؛ لدلالة ذكر الهجرة ﴿ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الجهاد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : فضل الله المجاهدين على القاعدين عن الجهاد وعن الهجرة أجراً عظيماً... إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بالقعود عن الجهاد قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .

وسره أنه ذكر ما عَظُمَ فضله ، وقلَّ فعله ؛ تحريضاً لهم وترغيباً ، فذكر العام (الجهاد) لشموله على الخاص (الهجرة) ، وقد يكون السر في الحذف أيضاً أنه ذكر أعلى أسنان سنام الإسلام (الجهاد) ؛ تنبيهاً على شرفه ، وأنه سبب السعادة في الدارين .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مبدأ الحرص على الخروج للقتال والهجرة في سبيل الله ترغيباً فيها وترهيباً من القعود عنها لغير ضرر ، فبالنظر فيما احتواه السياقان البعيد والقريب يتضح حسن القول بالاحتباك ؛ لما تقرر في البعيد من ذكر أصول تشريعية تدعو إلى الاجتماع على التوحيد^(٢) ، ولما تحقق في القريب من نفي التسوية بين المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله ، وبين القاعدين عنهما للضرر ، وبين القاعدين عنهما لغير ضرر ؛ فثبت إعلام البشر بأن الله فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضرر فضيلة واحدة ؛ وذلك بفضل جهاده بنفسه ، فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان ، وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر أجراً

(١) نظم الدرر ٣٧٣/٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٦٩/٥ .

عظيمًا^(١) ، كما تحقق الحث على ترك أرض الكفر والهجرة إلى أرض الله الواسعة التي فيها إعلاء الدين ونشر الخير^(٢) ، وللاحتباك أثر فاعل في إنماء العقول ؛ لما تكشفه المعاني الإحسانية من باهر الدلالات وعليّ الأسرار ، والتي منها : حث النفوس على مراعاة الاهتمام بالأمر المقتضي بيان خاصية الأفضلية لمن عمل بمقتضى الأمر استجابة له - الخروج للجهاد ، وللهجرة- ؛ لإعلاء كلمة الحق ، وإعزاز أهله ، وإضعاف قوة الكافرين ، وكسر شوكتهم ، فالعمل بمقتضى ذلك ينمي في النفس التحلي بالصبر ، ودليل قوة الإيمان ، ففيه بيان لعلو رتبة المجاهدين وأفضليتهم على القاعدين . كما أن في الحذف تثقيفًا للنفوس يرشد إلى بذل طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم^(٣) ، ف«إن في الجنة مائة درجة أعداها الله للمجاهدين في سبيله ، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»^(٤) ، فهذه نعم عليّة يجب العمل بها ؛ ليتحقق العمل على جهاد أعداء الله أولًا ، وهجران الأرض التي تعمل المعاصي ثانيًا^(٥) .

*

في قول الحق ﷻ : ﴿ أَعَلَّمْتُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٩م) ،
احتباك^(٦) على قراءة الجماعة^(٧) ، «دلّ ذكر السقاية والعمارة في جانب المشبه ، وذكر من آمن وجاهد في جانب المشبه به ، على أن العاملين ومن عملهما لا يساويان العاملين الآخرين ومن عملهما»^(٨) . فالمحذوف من الطرف الأول (كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد) ؛

(١) ينظر : جامع البيان ٢٣١/٥ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٢٣/٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٣٢/٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٤٤/٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٤٤/٥ وما بعدها .

(٦) ينظر : نظم الدرر ٤١٦/٨ .

(٧) قراءة الجماعة : ﴿ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ﴾ ، وانفرد الشطوي عن ابن هارون في رواية ابن وردان في : ﴿ سِقَايَةَ

الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ﴾ وهي شاذة ، لا تحتاج إلى تقدير . ينظر : النشر في القراءات العشر ٢٠٩/٢-١ ، ونظم

الدرر ٤١٦/٨ .

(٨) التحرير والتنوير ١٤٦/١٠ .

لدلالة ذكر ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (أهل السقاية والعمارة من غير إيمان) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أجعلتم سقاية الحاج المجردة عن الإيمان وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد ، وأهل السقاية والعمارة من غير إيمان كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ . وقيل : «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله ، وجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله»^(١)؟ ، والأول أنسب للقول بالاحتباك ؛ لتحقق خاصية التقابل بين المعاني في الطرفين .

وسره أن ذكر الأصل في قبول الأعمال ؛ ليتحقق الإيمان وينتفي الشرك ، فلا يجتمع الشرك والإيمان في قلب واحد^(٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تأكيد نفي التسوية بين المشبه والمشبه به من كل طرف ، فمن عمل في السدانة والسقاية من غير إيمان ليس كمن عمل بالإيمان . فالقول بالاحتباك في هذا الموضوع أشد اعتلاقاً بدلالة السياق العام للسورة ؛ لأنها في المقام الأول ترشد إلى تحقق معاداة مَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّوْحِيدِ ، وموالاته من أَقْبَلَ عَلَيْهِ^(٣) ؛ ليتحقق الإيمان وينتفي الشرك . أمّا السياق الخاص فتضمن نفي التسوية في الآخرة بين أهل الصلاح والفساد في أعمالهم الخيرة ؛ لذا فأصل المراد ، وهو الإعلام بأن الافتخار يكون في الإيمان لا في الشرك^(٤) ، متحقق في الركنين المذكورين ؛ فهما كفيلاً بإيضاح مبدأ الحق ﷻ في قبول قبول الأعمال ، فشرط ذلك الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً ، والتخلي عن الشرك والتبرؤ منه ، فإن العمل مع الإيمان يحقق الفائدة العظمى ، وهي نيل الأجر والثواب ، والعمل مع الكفر يوجب العقاب وشدة العذاب ، وفي حمل النظم على الاحتباك معانٍ عظامٍ ترشد أهل الحرم الذين يفخرون به ويستكبرون من أجل أنهم أهله وعمّاره إلى أن السقاية و السدانة من غير

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ١٠/١٦ بتصرف .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١٠/١٣٤ بتصرف .

(٤) ينظر : جامع البيان ١٠/٩٤ .

إيمان لا تستوي في الآخرة مع من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد^(١) ، وفي هذا ترسيخ لمبدأ جليل من مبادئ الدين ، وهو الدعوة إلى تأصيل الإيمان في النفوس وتخليصها من شوائب الشرك ، فالله لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً^(٢) ، فالإقدام على السقاية والسدانة لمجرد الاقتداء بالآباء وطلب الرياسة ينافي كمال الإيمان^(٣) ؛ «لأن العمارة لا تكون بالكفر ، وإنما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة»^(٤) .

*

وفي موضع آخر أسهم التقابل في نفي الخيرية بين أعمال أهل الخير الدالة على الصلاح ، وأعمال أهل الشر الدالة على الفساد ترغيباً وترهيباً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَى اللَّهَ بِحَبْلٍ مُّبِينٍ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِنَّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٩ م) ، ففي قول الحق وَتَعَلَّكَ : ﴿ أَفَمَنْ أَتَى اللَّهَ بِحَبْلٍ مُّبِينٍ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِنَّ ﴾ احتباك ، أثبت أولاً التقوى دليلاً على حذف ضدها ثانياً ، وأثبت ثانياً ضعف البناء حساً دليلاً على حذف ضده أولاً^(٥) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (بني بنيانه على جبل لا تقدمه الأمطار) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِنَّ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (بنيانه على فسق) ؛ لدلالة ذكر ﴿ بُيُوتَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله كان كمن بني بنيانه على جبل لا تقدمه الأمطار خير ، أم من أسس بنيانه على فسق ، فكان كمن بني بنيانه على شفا جرف هارٍ فأتاه به وسره أنه ذكر التقوى ؛ لأن أهل الإسلام أحق بها ، وأثبت ضعف البناء حساً ؛ لأن مسجد الضرار أولى به ، فذكر النهاية المعقولة لأهلها ، والبداية المحسوسة للناظرين إليه^(٦) .

(١) ينظر : المرجع السابق ٩٤/١٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٩٦/١٠ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ١١/١٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٩٢/٨ .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٢١/٩ بتصرف يسير .

إليه^(١) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إيضاح صورتين متقابلتين بقصد نفي

الخيرية : ﴿... خَيْرٌ أَمْ مَنْ...﴾ ، فبمراعاة النظر في السياقين يتضح حسن المراد من الحذف ، ففي العام تحقق الحث على معادة من أعرض عن اتباع الشرع^(٢) ، وفي الخاص تحقق إثبات حقيقة أن من جبل من أول مرة جبلة شر لا يصلح للخير أبداً^(٣) ، وهذا وذاك يعينان عناية فائقة بالحث على امتثال الإسلام والإيمان والإحسان في الأقوال والأفعال والأعمال ظاهراً وباطناً ؛ لأجل التخلي عن جميع علائق الشرك ، فأصل المراد قائم في الركنين المذكورين : أفمن أسس بناء مسجده على اتقاء الله بطاعته في بنائه وأداء فرائضه خير ، أم الذي ابتداءً بناءً مسجده على شفا جُرفٍ هارٍ؟^(٤) ، فتحقق المراد -وهو انتفاء الخيرية بين ما كان للخير وما كان للشر- بالمعاني الجوهرية التي أسهمت في إيضاح أصل المراد على أتم وجه ، كما تحقق بالحذف إبراز جمال المعنى من خلال مراعاة أوجه التقابل بين المعاني ، فالصورة الأولى ببيان من الاعتقاد في الله ، والخوف منه وتقواه^(٥) ، وغرض الباني دوام ما بناه ، فهم لما بنوه لقصد التقوى ورضا الله^(٦) ، فكان كمن بنى بنيانه على جبل لا تدممه الأمطار ، ولا تؤثر فيه السيول^(٧) . وفي الصورة الثانية ببيان من الفسق ، والفجور - ببيان ريبة وشك- ، وهو ثابت في قلوبهم لا يبرحها إلا إذا تقطع بتقطع هذه القلوب ، وانهدم بالهدامها^(٨) ، فلم يحصل غرض بانيه ، فخابوا فيما قصدوه ، فلم يثبت المقصد^(٩) ، فكان كمن بنى بنيانه على مكان جرف السيل ، فصار مشرفاً على السقوط ؛ لأنه سقط

(١) ينظر : الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ٣٥٠/٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢٠/٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٣٢/١١ .

(٥) ينظر : الإعجاز البلاغي -دراسة تحليلية لتراث أهل العلم- ، تأليف : محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ، ص ١٢٩ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٣٥/١١ .

(٧) ينظر : نظم الدرر ٢١/٩ .

(٨) ينظر : الإعجاز البلاغي -دراسة تحليلية لتراث أهل العلم- ، ص ١٢٩ بتصرف يسير .

(٩) ينظر : التحرير والتنوير ٣٥/١١ بتصرف يسير .

سقوطاً لا تماسك معه ، وهو آمنٌ من سقوطه بقلبه وعقله وسفاهة رأيه . فأيهما خير؟
فهدى الله الأول إلى ما فيه صلاحه ، ولم يهد الثاني ؛ لما عَلِمَ فيه من عدم قابلية الخير ^(١) ،
وبهذا يترسخ في النفس حب الإيمان الدال على كمال الاعتقاد بالله الدافع إلى تعمق التقوى ،
وكره الكفر الدال على كمال السقوط المؤدي إلى موت القلب ؛ لما يغشاه من الفجور .
وفي تدبر أسلوب الخطاب دلالات تعضد من شأن الاحتباك ، من أبرزها : وقع الاستعارة
التي دعمت القول به : ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾ ، فأصل
البيان إنما هو للحيطان وما أشبهها ، وحقيقة اعتقادهم الذي عملوا عليه ، والاستعارة
أبلغ ؛ لما فيها من البيان بما يحسن ويتصور ^(٢) . وفيه استعارة تصريحية تحقيقية ^(٣) ، حيث
شبه الباطل والنفاق بشفا جرف هارٍ في قلة الثبات ، ثم استعير لذلك ، والقرينة المقابلة ،
وقوله : ﴿ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ ترشيح ^(٤) . ثم الاستفهام التقريري في ﴿ أَفَمَنْ ﴾ ، ثم
بلاغة وضع المظهر موضع المضمير في ﴿ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بُيُوتَهُ ﴾ ؛ «للايدان باختلاف
البناءين ذاتاً مع اختلافهما وصفاً وإضافة» ^(٥) .

*

وفي صورة أخرى من صور التقابل في سياق الحديث عن أهل الضلال وأهل الهداية يشيد
القرآن ببيان كلمة التوحيد إيماناً بأفضلية أهله على أهل الكفر والفسوق ؛ لصحة عقيدتهم ،
حيث قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
السَّمَاءِ ﴾ (ابراهيم: ٢٤، ك) ، ففي قول الحق ﴿ وَجَلَّ ﴾ : ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ احتباك
«ذكر (ثابت) أولاً دال على (عال صاعد) ثانياً ، وذكر (السماء) ثانياً دال على (الأرض)
أولاً» ^(٦) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (الأرض) ؛ لدلالة ذكر ﴿ السَّمَاءِ ﴾

(١) ينظر : نظم الدرر ٢١/٩ بتصرف يسير .

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص ٩١، ٩٢ .

(٣) «هي أن يكون المتروك شيئاً محسوساً» . التبيان في البيان ، ص ١٨٩ .

(٤) ينظر : روح المعاني ٢٢/١١ .

(٥) إرشاد العقل السليم ١٠٣/٤ .

(٦) نظم الدرر ٤١١/١٠ .

في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (صاعد) ؛ لدلالة ذكر ﴿ثَابِتٌ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أصلها ثابت في الأرض ، وفرعها صاعد في السماء .

وسرّه أنّه ذكر الأصل أولاً ؛ لكونه أدل على أصالة تلك البداية ؛ لتعمق الثبات فيها ، ثم ذكر السماء ثانياً ؛ لكونها أدل على شرف تلك النهاية تشریفاً لجهة العلو منها ؛ ليرغب العباد في كلمة التوحيد ؛ لما فيها من خير الدنيا والآخرة .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في بيان أفضلية كلمة التوحيد ؛ ليتبين أن كلام أولياء الله الذي هو من كلامه من أثبت الأشياء ، وأطيبها ، وأعظمها ثمرة ، وكلام أعدائه الذي هو من كلام الشيطان من أبطل الأشياء وأخبثها^(١) ، ويزداد هذا المقصد حسناً بمراعاة السياقين ، العام لما فيه من إثبات التوحيد الذي هو أصل الإيمان^(٢) ، والخاص لما تحقق فيه من إثبات أفضلية كلمة أهل التوحيد على غيرها . فالقيمة الحقيقية لأصل النظم تمثلت في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ بقول «لا إله إلا الله» في قلب كل مؤمن ، وهذا أساس الإخلاص ، والثاني : في ذكر : ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ، فالعمل بمقتضى «لا إله إلا الله» يصعد إلى السماء ، وهذا أساس الخشية^(٣) ، فتحقق بهذين الركنين أصل المراد القائم في بيان الأفضلية العظمى لكلمة التوحيد ؛ لما لها من جليل الأثر الباعث في النفوس الشعور بالعزة والارتقاء . وفي حمل النظم على الاحتباك مزايا عظام تعمق في النفوس الإقبال على التوحيد والعمل بمقتضاه ، وتدعو العاقل إلى بناء أساس دينه ومنهج شريعته على الاعتقاد الصحيح من الإخلاص ؛ حتى يثبت في القلب ويرسخ كتلك الشجرة الراسخة العالية ، ففي ضرب المثل بما يعرفه المخاطبون ، وهو صورة الشجرة أصلها ثابت راسخ في الأرض ، آمن من الاجتثاث بالرياح ، وفرعها عال مهتر في السماء ؛ لحسن منبتها ، وطيب عنصرها^(٤) ، نعمة جلييلة تبعث في النفوس تعلّم مبدأ الإخلاص في العبادة ، والبعد عن الشرك ، فتحقق معرفة البشر «بأن الشجرة لا بد لها من عروق ، وساق ، وفروع ، وورق ، وثمر . فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ؛ ليطابق المشبه المشبه به ، فعروقتها :

(١) ينظر : المرجع السابق ١٠/٤١٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٠/٣٦٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٣/٢٤٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٠/٤١٠ وما بعدها .

العلم ، والمعرفة ، واليقين . وساقها : الإخلاص . وفروعها : الأعمال . وثمرتها : ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة ، والصفات الممدوحة ، والأخلاق الزكية ، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور . فإذا كان العلم صحيحاً مطابقاً لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به ، والاعتقاد مطابقاً لما أخبر به عن نفسه ، وأخبرت به عنه رسله ، والإخلاص قائماً في القلب ، والأعمال موافقة للأمر ، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء»^(١) .

*

ولعل من أبرز الشواهد القرآنية التي أسهم الاحتباك في إبراز جانب تحقق انتقاء التسوية في الأعمال و الأجور قوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (ص:٢٨،ك) ، ففيه احتباك «ذكر (الذين آمنوا) أولاً دليلاً على (الذين أفسدوا) ثانياً ، وذكر (المفسدين) ثانياً دليلاً على (المؤمنين) أولاً ، وأفهم ذلك ذكر الذين اتقوا وأضدادهم»^(٢) . ولو قيل : احتباك كان أكثر دقة لبيان المراد . فالموضع الأول : في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، فالمحذوف من الطرف الأول (الذين أفسدوا) ؛ لدلالة ذكر ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (المؤمنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿ كَالْمُفْسِدِينَ ﴾ . وتقديره : أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالذين أفسدوا وعملوا السيئات ، أم نجعل المؤمنين كالمفسدين . وسره «أنه ذكر أدنى أسنان الإيمان ؛ تنيهاً على شرفه ، وأنه سبب السعادة ، وإن كان على أدنى الوجوه ، وذكر أعلى أحوال الفساد ، إشارة إلى أنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وذكر أعلى أحوال التقوى إيماء إلى أنه لا يوصف بها ويستحق جزاءها إلا الراسخ فيها ؛ ترغيباً للمؤمن في أن يترقى إلى أوجها»^(٣) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في نفي التسوية بين أهل الإيمان بمختلف درجاته ، وأهل الفساد بمختلف درجاته ؛ ترغيباً في الإقبال على الإيمان الذي ثمرته حسن

(١) التفسير القيم ، ص٣٢٩ وما بعدها .

(٢) نظم الدرر ٣٧٣/١٦ .

(٣) الموضوع السابق .

الثواب ، وترهيباً من الخوض في الفساد الذي نتيجه سوء العذاب ؛ وذلك للرد على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي واحداً^(١) ، فيبرز حسن المراد بعد مراعاة النظر في السياق العام لما تقرر فيه من إثبات أن جند الله هم الغالبون ، وإن تأخر نصرهم^(٢) ، والخاص لما تحقق فيه من نفي التسوية في الآخرة بين المؤمنين والمفسدين ، فتحقق في حكم الله انتفاء التسوية مطلقاً بين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله وانتهوا عما نهاهم عنه ، وبين الذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه^(٣) ، فبطل أن يكون للمفسد ما للمصلح من الدرجات^(٤) ، كما بطل قول بعض المشركين من قريش : نحن لنا في الآخرة أعظم مما لنا في الدنيا^(٥) ، وفي حمل النظم على الاحتباك مزايا تنبثق من خلال المعاني الإحسانية التي تعمق في النفوس معاني عظاماً ، من أجلها : الإعلام والتنويه بعظم الحكمة في نفي المساواة بين المصلح والمفسد في غير الحياة الدنيا ، فإن إعلام المرء بهذا يرشده إلى الصلاح ويجنبه الوقوع في الفساد ، فتحقق أن في الآخرة فريقاً ينعم ويسعد ، وهم من عملوا بالإيمان وأخلصوا ، وآخر يعذب ويشقى ، وهم من أهملوا ولم يؤمنوا ، فكيف يتساويان في الآخرة ، فالعمل الصالح والإيمان لا يجتمعان مع العمل السيئ والكفران ، وهذا دليل حكمه وعدله^(٦) ؛ لذا نبه ﷺ على المعاد والرجوع إلى جزائه ، ففكر ما بين المؤمن عامل الصالحات ، والمفسد عامل السيئات من التباين^(٧) ، فإن من جليل جليل المعاني ما يرشد النفوس ذات الفطرة السوية والعقول ذات الفكر النير إلى إدراك أعظم دلائل الحذف ، وهو تحقق أن هناك داراً أخرى ، الجزاء فيها واقع ، والتسوية منتفية^(٨) .

والموضع الثاني^(٩) في قول الحق ﷻ : ﴿ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/١٩١ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٦/٣٢١ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٣/١٥٢ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/١٩١ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٧/٣٧٩ .

(٦) ينظر : جامع البيان ٢٣/١٥٢ ما بعدها بتصريف .

(٧) ينظر : البحر المحيط ٧/٣٧٩ .

(٨) ينظر : الموضوع السابق .

(٩) ينظر : نظم الدرر ١٦/٣٧٣ .

في الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿ص: ٢٨، ك﴾ ، تقديره : أم نجعل الذين اتقوا كالذين فجروا ، أم نجعل المتقين كالفجار .

وفيه نظر ؛ لكون ركني الطرف الأول محذوفين : (الذين اتقوا) ، و(الذين فجروا) ، وركني الطرف الثاني مذكورين : ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ ، و﴿كَالْفُجَّارِ﴾ .

*

وفي آية أخرى يبرز التقابل ثواب المحسنين وعقاب المسيئين بنفي التساوي بينهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوَلِّتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿الزمر: ٢٢، ك﴾ ، ففيه احتباك «ذكر أولاً الشرح والنور دليلاً على حذف ضده ثانياً ، وثانياً الويل القاسي والضلال دليلاً على حذف ضده أولاً»^(١) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فبشرى له فهو على صراط مستقيم) ؛ لدلالة ذكر ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم أُوَلِّتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كمن جعل صدره ضيقاً فكان في الظلام خابطاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فبشرى له ، فهو على صراط مستقيم ، كمن جعل صدره ضيقاً حرجاً فكان في الظلام خابطاً ، فويل للقاسية قلوبهم . وسره أنه ذكر (الشرح والنور) لكونهما أتم دلائل التوحيد ؛ ترغيباً في امتثاله ، ثم ذكر المبغض المشين (الويل القاسي ، والضلال المبين) ؛ لكونهما أنكأ ما يؤول إليهما الكافرون ترهيباً .

فالقول بالاحتباك أسهم في إبراز التفاوت في الثواب والعقاب بين المحسنين لله في العبادة والمسيئين فيها ، ليثبت حقيقة التباين بين المنشرح صدره والقاسي قلبه ، فليس ما للمنشرح من حلاوة النعيم مثل ما للقاسي من مرارة الجحيم^(٢) ، والذي يهدي إليه السياقان يُعلي من شأن الاحتباك ؛ لما في العام من إثبات الحكم بين أهل الإيمان فضلاً ، وأهل الكفر عدلاً^(٣) ، ولما في الخاص من نفي التساوي بين أهل الإيمان والكفر في الآخرة . فأصل المراد

(١) المرجع السابق ٤٨٦/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٠٩/٢٣ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤٣٦/١٦ .

-القائم في تحقق الانتفاء لأجل وقوع الجزاء- متمثل في الركنين المذكورين ، الأول : في ذكر : «أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والإقرار بوحدانيته والخضوع لطاعته فهو على بصيرة»^(١) ؛ لأن في تمكن الإيمان في القلب سعةً ونورًا ، من أبرز علاماته : «الإجابة إلى دار الخلود ، والتَّجَافِي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت»^(٢) ، والثاني : في إيضاح صلابة المعرضين عن قبول الحق وسماع الدعوة ؛ لأن تمكن الكفر في القلب ضيق وقسوة تنفي خصال الإيمان وتولد خصال الكفر ، فأسهم الاحتباك في إبراز البون الشاسع بين من هم على اتباع الحق وسماع الدعوة والعمل بالصواب المؤدي إلى لين القلب ، وبين من هم في الإعراض عن الحق وسماع الدعوة الموصل إلى قسوة القلب^(٣) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾^(الزمر: ٢٤، ك) احتباك «ذكر الاستفهام أولاً دليلاً على حذف متعلقه ثانياً ، وما يقال للظالم ثانياً دليلاً على ما يقال للعدل أولاً»^(٤) ، وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (وقيل لأهل النعيم طيبوا نفساً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (كمن أمن العذاب) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة حينما يلقي في النار على وجهه كمن يأتي آمناً يوم القيامة؟ وقيل للظالمين : ذوقوا عقاب ما كنتم تكسبون في الدنيا من سيئات ، وقيل للمتقين : هذا ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا من حسنات . وسرّه أنه ذكر أنكأ ما يؤول إليه الظالمون ، وحذف أيسر ما يكون للمتقين ؛ لكون السياق اقتضى حذفهما ؛ لإبراز شدة العذاب ترهيباً .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في نفي التسوية بين من هو في العذاب خائف ومن هو في النعيم آمن ؛ ليتقرر في الأذهان وجه انتفاء المساواة في الجزاء بين من

(١) جامع البيان ٢٣/٢٠٩ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٢٤٧ وما بعدها بتصرف يسير .

(٤) نظم الدرر ١٦/٤٩٣ .

عمل بالإيمان وبين من عمل بالكفر، فالعذاب سببه المكوث في الضلال ، والنعيم سببه التوفيق للهدى^(١) ، فتحقق بالمعاني الإحسانية إيضاح شدة العذاب الذي يصيب أهل الكفر - فأول ما تمس النار وجهه - ترهيباً منه^(٢) ، ثم إعلام البشر حقيقة نفي التسوية بين أهل الإيمان وأهل الكفر يوم القيامة ، فليس الناس فيه سواء ؛ ليدفعهم إلى المسارعة في عبادة الله ، ففيه إرشادٌ جليلٌ يدعو إلى الإيمان لحفظ الوجه الذي هو أعز موضع في ظاهر البدن من شدة العذاب وحرقة النار^(٣) . والمتفق عليه عند جمهرة المفسرين في هذه الآية تحقق حذف الخبر ﴿ أَفَمَنْ يَنْقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي : كمن أمن من العذاب .

*

وقيل في قول الحق ﴿ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤، ك) ، احتباك ، على اعتبار تقدير : «لا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا السيئة ولا الحسنة»^(٤) .

وفيه نظر : لأن في (لا) وجهين ؛ أحدهما : جعلها زائدة للتوكيد ؛ لكون (استوى) لا يكتفي بواحد . والثاني : أنها مؤسَّسة غير مؤكدة ؛ لكون المراد بالحسنة والسيئة الجنس ، أي : «لا تستوي الحسنات في أنفسها ؛ فإنها متفاوتة ، ولا تستوي السيئات أيضاً ، فربَّ واحدةٍ أعظم من أخرى»^(٥) . وقال أبو حيان : «فإن أخذت الحسنة والسيئة جنساً لم تكن زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا»^(٦) . وعليه يكون المعنى : ولا تستوي الحسنات ؛ الحسنات ؛ إذ هي متفاوتات في أنفسها ولا السيئات ؛ لتفاوتها أيضاً^(٧) .

والجدير ذكره : أن عدم تكرار (لا) في ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ (فاطر: ١٩، ك) ؛ لشدة ظهور المفارقة بين أفراد كل صنف من الصنفين ؛ لذا أغنى عن ذكر النافي ، أي : لا

(١) ينظر : المرجع السابق ٤٩٢/١٦ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢١٢/٢٣ .

(٣) ينظر : البحر المحيط ٤٢٩/٥ .

(٤) روائع الإعجاز في القصص القرآني - دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز - ، ص ٣١٤ .

(٥) الدر المصون ٥٢٧/٩ .

(٦) البحر المحيط ٤٧٦/٧ .

(٧) ينظر : الدر المصون ٥٢٧/٩ ، - هامش رقم : (٥) .

الصنفان ولا أفرادهما ، ولا أفراد صنف منهما ، فالمعنى : «أن الناس غير مستويين في العمى والبصر بل بعضهم أعمى وبعضهم بصير ، لأن (افتعل) هنا معنى تفاعل ، ولعله عبر به دلالة على النفي ، ولو وقع اجتهاد في أن لا يقع ، أو دلالة على أن المنفي إنما هو التساوي من كل جهة ، لا في أصل المعنى ، ولو كان ذلك مستنداً إلى الطبع لكانوا على منهاج واحد... فتجد بعض العمى يمشي بلا قائد في الأزقة المشككة ، وآخر لا يقدر على المشي في بيته إلا بقائد...»^(١) . وقيل بـ(لا) في ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ ؛ لأن التقدير «لا أحد أحسن قولاً منه ، بل هو المحسن وحده ، فلا يستوي هذا المحسن وغيره أصلاً ، ردّاً عليهم أن حالهم أحسن من حال الدعاة إلى الله ، وكان القيام بتكميل الخلق يحتاج إلى جهاد للنفس عظيم من تحمل المشاق والصبر على الأذى ، وغير ذلك من جميع الأخلاق ، عطف عليه التفرقة بين عمليهما ترغيباً في الحسنات فقال : ﴿وَلَا تَسْتَوِي﴾ ، أي : وإن اجتهدت في التحرير والاعتبار ﴿الْحَسَنَةُ﴾ أي : لا بالنسبة إلى أفراد جنسها ولا بالنسبة إلى عاملها عند وحدتها ، لتفاوت الحسنات في أنفسها ، والحسنة الواحدة باعتبار نيات العاملين لها واجتهادهم فيها ولا بالنسبة إلى غيرها ، وإلى ذلك أشار بالتأكيد في قوله : ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أي : في نفسها ولا بالنسبة إلى جنس آخر»^(٢) .

*

ويقول تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَا مَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: ٤١م) ، ففيه احتباك . «ذكر اليتيم أولاً دليلاً على ضدها ثانياً ، والتزيين واتباع الهوى ثانياً دليلاً على ضدهما أولاً»^(٣) ، وعليه فالحذوف من الطرف الأول (فبصر سوء عمله فاجتنبه مخالفاً لهواه) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (فكان على عمى) ؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَىٰ يَتِيمَةٍ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : أفمن كان على يتيمة من ربه فبصر سوء عمله فرآه سيئاً فاجتنبه مخالفاً لهواه ، كمن زين له سوء عمله فرآه حسناً

(١) نظم الدرر ٣٦/١٦ .

(٢) المرجع السابق ١٨٧/١٧ .

(٣) المرجع السابق ٢١٧/١٨ وما بعدها .

فعمله فكان على عمى وضلال ، واتبعوا أهواءهم . وسره «أنه ذكر الأصل الجامع للخير
ترغيباً ، والأصل الجامع للشر ترهيباً»^(١) .

فصورة الاحتباك أسهمت في نفي التسوية بين من اتبع الهدى ومن اتبع الهوى ترغيباً
وترهيباً ، فالقول به جاء في سياق يدعو إلى إثبات الدعوة لحفظ الدين بجهاد الكفار^(٢) ،
وهذا ما حققه السياق العام ، أمّا الخاص فتحقق فيه تقسيم الناس في القيامة إلى أولياء
مهتدين ، وأعداء ضالين . فأصل المراد متحقق في الركنين المذكورين ، الأول : في بيان نفي
جانب من التسوية تمثل في : أفمن كان على حجة وبرهان يرشده إلى العلم بوحدانية الله ،
فيعبده على بصيرة منه ، ويعلم أن له رباً يجازيه على الطاعة بالجنة ، وعلى المعصية
بالنار^(٣) ، والثاني : في كمن حسن له الشيطان قبيح عمله فأراه جميلاً فعمل به ، واتبع هواه
من غير حجة ولا برهان^(٤) . ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها الاحتباك المساهمة في
تأكيد نفي المساواة في الآخرة ؛ ليثبت للعباد حال من اتبع الهدى في الإيمان والطاعة ، وحال
من اتبع الهوى في الكفر والمعصية ؛ ترغيباً لما يوجب الجنة ، وترهيباً ممن يوجب النار . ثم إن
في الحذف تنقيفاً للنفوس يدفعها إلى اختيار الإيمان والعمل الصالح ، والتدبر في البرهان الدال
على الحق ؛ للاستبصار بواضح الحجة ، فالعلماء في ضياء برهانهم ، والعارفون في ضياء
بيانهم ؛ فالمهتدون بأحكام أدلة الأصول يُبصرون ، والمضلون بحكم الإلهام والهوى
يستبصرون^(٥) .

*

كما أسهم التقابل في إبراز شدة البون بين أهل الجنة في الجنة ترغيباً في ألوان النعيم ، وأهل
النار في النار ترهيباً من ألوان العذاب ، وذلك في قول الحق ﷻ : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ^ط
فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى^ط وَلَهُمْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ^ط مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ^ط﴾ (محمد: ٤٠١) ،

(١) الموضوع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق ١٨/١٩٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢١٨ .

(٤) ينظر : الموضوع السابق .

(٥) ينظر : لطائف الإشارات ٥/٤٠٧ .

ففيه احتباك^(١) إذ المحذوف من الطرف الأول (كمثل النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ في الطرف الأول ، ومن الطرف الثاني حذف (من هو خالد في الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : «أمثل الجنة الموصوفة كمثل النار ، ومن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار؟»^(٢) . وقيل : «فحصل نحو الاحتباك ، إذ دل مثل الجنة على مثل أصحابها ، ودل مثل من هو خالد في النار على مثل النار»^(٣) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (مثل أصحاب الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (مثل النار) ؛ لدلالة ذكر ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ في الطرف الثاني . وسره أنه قدم أن المؤمنين في جنات تجري من تحتها الأنهار ، وأن الكافرين مأواهم النار ؛ إنكاراً على من لم يرتدع للزواج ، وتبنيهاً على أن عمله عمل من لا يسوي بين الجنة والنار ؛ لأن كون النار جزاء لمثله ، والجنة جزاء المؤمن^(٤) ، أو ذكر عِظَمِ جزاء المؤمن ترغيباً في الإيمان ، وقبح حال الكافر تنفيراً من الكفر والعصيان .

فالصورة التركيبية لطبيعة الحذف أسهمت في رسم صورتين مختلفتين بقصد نفي التسوية بينهما ترغيباً وترهيباً ، فالأولى للجنة ، والثانية للنار . فالأنفع للسياق والأجدى لما عليه المقام القول بالاحتباك ؛ لما تحقق في السياقين من الحث على لزوم التوحيد الدافع إلى تمكن الإيمان ، فالعام أمر أهل الإيمان بحفظ دينهم^(٥) ؛ لأجل تحقق الدعوة إلى التمسك بالتوحيد وإبطال الكفر ، والخاص تحقق فيه إثبات أن الناس يوم القيامة قسمان : قسم في الجنة ينعمون ، وقسم في النار يُعَذَّبُونَ^(٦) ، فحصل انتفاء التسوية في الأجور ؛ لأجل الإعلام بحقيقة الجنة والنار ، فليس من هم في الدرجات كمن هم في الدرجات^(٧) ، ومن أنبل المعاني التي يحققها الاحتباك إبراز أوجه التقابل

(١) ينظر : نظم الدرر ١٨/٢٢٥ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/٩٥ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ١٨/٢٢٥ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ١٨/١٩٤ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٨/٢١٨ .

(٧) ينظر : جامع البيان ٢٦/٥٠ بتصرف .

بين المعاني ؛ ليتحقق جمال التركيب ، فالمعنى : «أفمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار»^(١)؟ وقيل : «أفمن كان على بينة من ربه وأعطى هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار»^(٢)؟ وقيل : «مثل أهل الجنة في النعيم المقيم كم لك أهل النار في العذاب المقيم»^(٣)؟ فثبت بالبرهان أن منزلة أهل الجنة لا تتساوى مطلقاً مع منزلة أهل النار ، وهذه الفائدة العظمى من وراء القول بالاحتباك ، والمقصد منها : إعلام البشر عامة بما يكون في الجنة من الجمال والخضرة والبهاء ، وحال أهلها وهم في النعيم الأكبر يخلدون ، وبما يكون في النار من الوحشة والحرق ، وحال أهلها وهم في العذاب المقيم يتقلبون ، وفي هذا نعم عليّة ترشد البشر إلى المسارعة في فعل الطاعات وترك المنكرات ، فأعلم الله عباده المتقين بما أعد لهم وهو غيب عنده ، وحذر خلقه العاصين بما أعد لهم وهو غيب عنده ؛ ليرتقوا بأنفسهم في عبادته ، لهذا فالاحتباك ذو أثر فاعل في التصعيد الإيماني .

*

ويبرز التقابل عظيم البون بين الموحّد والمشرك ترغيباً في الاستقامة ، وذلك في قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٢، ك) ، ففيه احتباك «ذكر الكبّ أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والمستقيم ثانياً دليلاً على المعوج أولاً»^(٤) ، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (معوج) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (رافعاً رأسه) ؛ لدلالة ذكر ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ في الطرف الأول ، وتقديره : أفمن يمشي مكباً على وجهه معوجاً أهدي ، أم يمشي سويّاً قائماً رافعاً رأسه على صراط مستقيم . وقيل في تقديره : «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدي ممن يمشي سويّاً على صراط مستقيم ، أم يمشي سويّاً على صراط مستقيم أهدي ممن يمشي وهو

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٣٧/١٦ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) الموضوع السابق .

(٤) نظم الدرر ٢٠/٢٥٨ .

مكب»^(١) . فالتقدير الأول أدق ؛ لما تحقق فيه من الكشف عن أوجه التقابل بين المعاني ، فهو أدل على بيان المراد من نفي التسوية . وسره أنه «ذكر أنكأ ما للمجرم وأسر ما للمسلم»^(٢) .

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في الكشف عن عظم التفاوت بين أهل الإيمان في سلوك طريق الحق ، وبين أهل الباطل في سلوك سبل الباطل ترغيباً وترهيباً ، ففي تبصر دلالة السياقين العام من حيث تحقق الدعوة إلى عبادة الله خضوعاً واستسلاماً ؛ لاتصافه بكمال الملك الدال على تمام القدرة ^(٣) ، والخاص من حيث تحقق الإعلام بانتفاء التساوي في الآخرة بين الموحد والمشارك ^(٤) اتضح أن القول بالاحتباك في هذا الموضع يعني عناية بالغة بالحث على لزوم كمال الخضوع لله الحامل على لزوم طريق السعادة ؛ لأن في لزومه نجاة من كل خوف ، وهذا يرشد البشر عامة -المهتدي والضال- إلى فعل الطاعات تقريباً ، والبعد عن المعاصي تجنباً ، فإن من أعرض أهلكه الله ، ولم يغن عنه أحد ، ومن أقبل رفعه الله واستخلصه ولم يضره أحد ^(٥) . وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في الكشف عن صورتين ؛ الأولى : صورة المشارك في لزوم شركه والبقاء عليه ، فهو لهذا يمشي دائماً ساقطاً على وجهه من كثرة التعثر وعدم الإبصار ، فقوله : ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ كناية عن السير على رسم مجهول وأثره معوج فهو على غير عادة العقلاء ؛ لخلل في أعضائه ، واضطراب في عقله ورأيه ، فأصبح ملازماً للتعثر والوقوع على وجهه في سيره ؛ فلعدم نظره يمشي في أصعب الأماكن لإمالة الهوى له عن المنهج المسلوك ؛ ولغلبة الجهل عليه لا يكون تكرار المشاق عليه زاجراً له ، والثانية : صورة الموحد في لزوم التوحيد والارتقاء به ، فهو في مشيه سويّ رافع رأسه ناصب وجهه سالم من العثار ، ولشدة انتصابه يبصر ما أمامه وما عن يمينه ، وما عن شماله ، فمشيه على طريق موطأ واسع مسلك سهل قويم ^(٦) ، فأبي الصورتين

(١) البرهان ١٣٢/٣ .

(٢) نظم الدرر ٢٥٨/٢٠ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ٢١٥/٢٠ وما بعدها .

(٤) ينظر : المرجع السابق ٢٥٧/٢٠ بتصرف .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٢١٦/٢٠ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٢٥٧/٢٠ وما بعدها .

الصورتين أهدى وأقوم! .

فالقول بالاحتباك علي يولد جملة ثرية من لطائف المعاني الدافعة إلى الارتقاء في مقامات التصعيد الإيماني ، ومن أجلها : إثثار عزائم أهل الإيمان بمختلف درجاتهم ؛ لإبعادهم عن الوقوع في الإلحاد والشرك ، ودفعهم إلى الإخلاص والتوحيد .

*

- القول بشبه الاحتباك:

في قول الحق ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا

النُّورُ﴾ (فاطر: ١٩-٢١ك) ، شبه احتباك^(١) ، على اعتبار أن قوله : ﴿وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا

النُّورُ﴾ تقديره : ولا الظلمات تستوي مع النور ، ولا النور يستوي مع الظلمات ،

ومثلها : ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ﴾ ، تقديره : ولا الظل يستوي مع الحرور ، ولا الحرور

يستوي مع الظل^(٢) . وعلى هذا التقدير يكون المحذوف من الطرف الأول (النور) ؛

لدلالة ذكر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الظلمات) ؛

لدلالة ذكر ﴿وَلَا الظُّلْمَتُ﴾ في الطرف الأول ، أما الشطر الثاني من التقدير فالمحذوف

فيه من الطرف الأول (الحرور) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا الحُرُورُ﴾ في الطرف الثاني ، ومن

الطرف الثاني حذف (الظل) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَا الظِّلُّ﴾ في الطرف الأول .

وسرّه أن ذكر الشيء مرتين أدل على تأكيده ، وأشد في تقريره ؛ ليتحقق في النفوس

استشعار عظم الفرق بينهما ؛ لأجل الوصول إلى المقصود ، «فما يستوي في الطبع والعقل

المتدسي الذي هو أعمى بعصيانه في الظلمات ، ولا المتزكي الذي هو بطاعته بصير في

(١) في هذه الآية قولان ، مذهب القائلين بزيادة (لا) ، وهذا يعضد القول بالحذف وذكر في المتن ، ومذهب القائلين

أنها لتأكيد النفي ، اعترض أبوحيان على ما قال به ابن عطية قائلاً : «فدخول (لا) في النفي لتأكيد معناه ؛

لقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ (فصلت: ٣٤ك) - [وبه قال بعض أهل التفسير من أمثال

البيضاوي ١١٥/٥ ، وأبي السعود ١٤٩/٧ ، والآلوسي ١٨٧/٢٢ ، وابن عاشور ٢٩٤/٢٢] - وقال ابن عطية :

دخول (لا) إنما هو على هيئة التكرار ... وما ذكر غير محتاج إلى تقديره ؛ لأنه إذا نفى استواء الظلمات والنور ،

فأى فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانياً وادعاء محذوفين؟ « . البحر المحيط ٢٩٤/٧ . كما ينظر: الدر

المصون ٢٢٥/٩ وما بعدها .

(٢) ينظر : روائع الإعجاز في القصص القرآني- دراسة في خصائص الأسلوب القصص المعجز ، ص ٣١٤ .

النور»^(١) . فحقيقة القول بالحذف على نسق شبه الاحتباك قائمة في جعل دخول (لا) في ﴿وَلَا أَلْتَوْرُ﴾ وفيما بعدها ﴿وَلَا أَلْحُرُّرُ﴾ إنما هو على نية التكرار^(٢) ، كأنه قال : ﴿وَلَا أَلْظَلْمَتُ﴾ والنور ، ﴿وَلَا أَلْتَوْرُ﴾ والظلمات ، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ، ودل مذكور الآية على متروكه^(٣) . وهذا وجه جليل من وجوه فهم المعنى لا يتعارض مع مقصد النظم ، والقول به يُعضد من شأن الحذف . ففي تبصر دلالة السياقين العام من حيث «تحقق القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة على البعث الذي عنه يكون أتم الإبقائين بالفعل دائماً أبداً بلا انقطاع ولا زوال ، ولا اندفاع في دار المقامة التي أذهب عنها الحزن ، ودار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد والهموم»^(٤) ، والخاص من حيث تحقق مبدأ الجزاء على الأعمال والأفعال والأقوال ؛ لأجل إثبات عدة مقاصد أولها : تحقق الإعلام بانتفاء التساوي بين الظلمات والنور والظل و الحرور ، وقد جعلت تلك الأجناس مثالا للأباطيل والحق في : ﴿وَلَا أَلْظَلْمَتُ وَلَا أَلْتَوْرُ﴾ ، وما ينشأ عن الظل وهو لطف برده لكونه مرجع المؤمن في الآخرة ، وما ينشأ عن الحرور من شدة الوهج ؛ لكونها مرجع الكافر في الآخرة ، وهذا ادعى إلى قبول الحق والرجوع إليه^(٥) . وثانيهما : أن في ضرب تلك الأمثال وجعلها للمؤمن والكافر دلالة على تمام القدرة التي تقررت في السياق من أول السورة ؛ ليتحقق الإعلام بأن الخشية والقسوة بيده ﷺ إبطالاً لقول من يسند الأمور إلى الطباع ، فلو كانت مستندة إلى الطبع لكان البشر على منهاج واحد^(٦) . وثالثهما : تحقق الحث على تأمل شدة

(١) نظم الدرر ٣٦٥/١٦ وما بعدها .

(٢) «اختلف أهل العربية في وجه دخول (لا) مع حرف العطف في قول ه : ﴿وَلَا أَلْظَلْمَتُ وَلَا أَلْتَوْرُ وَلَا أَلْظَلُّ وَلَا أَلْحُرُّرُ﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة : (ولا الظل ولا الحرور) يشبه أن تكون (لا) زائدة ؛ لأنك لو قلت : لا يستوي عمرو ولا زيد في هذا المعنى ، لم يجز إلا أن تكون (لا) زائدة ، وكان غيره يقول : إذا لم تدخل (لا) مع الواو ، فإنما لم تدخل اكتفاء بدخولها في أول الكلام ، فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوي صاحبه ، فكان معنى الكلام إذا أعيدت (لا) مع الواو عند صاحب هذا القول لا يساوي الأعمى والبصير ولا يساوي البصير الأعمى ، فكل واحد منهما لا يساوي صاحبه» . جامع البيان ١٢٩/٢٢ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز ٣٧٠/٥ .

(٤) نظم الدرر ١/١٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٣٨/١٦ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ٣٦/١٦ .

البون بين أهل الحق في حسن صنيعهم ، وأهل الباطل في سوء اختيارهم ، فهو في بصيرة المتأمل له معان تهدف إلى إثناء الجانب الإيماني من خلال لزوم ما تقرر في السياق الخاص من الدعوة إلى الإقبال على الداعي ، والإيمان بالغيب ، وإقامة الصلاة لكونها أدل دلائل التوحيد . وللحذف أثر فاعل في توجيه العقول إلى إدراك مظاهر الخير والوقوف عليها ، والبعد عن مظاهر الشر وتجنبها ، فإن في إثارة الجمع في ﴿الظُّلْمَتُ﴾ دلالة تؤكد كثرة تعدد سبل الباطل وتشعبها ، وفي إثارة الأفراد في : ﴿النُّورُ﴾ إثباتاً إلى أن طريق الحق واحد تكذيباً لمن قال : الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق^(١) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (غافر: ٥٨، ك) ، شبه احتباك «ذكر عمل الصالحات أولاً دليلاً على ضدها ثانياً ، والمسيء ثانياً دليلاً على المحسنين أولاً»^(٢) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (محسنين) ؛ لدلالة ذكر ﴿الْمُسِيءَ﴾ في الطرف الثاني ، ومن الطرف الثاني حذف (الذي كفر ولم يعمل الصالحات) ؛ لدلالة ذكر ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الطرف الأول . وتقديره : وما يستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات فكانوا محسنين ، ولا المسيء الذي كفر ولم يعمل الصالحات . وقيل : إن التقدير : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات (لا يستوون) مع المسيء فينحطون لدرجته ، ولا المسيء (يستوي معهم) فيرتفع لدرجتهم»^(٣) . وسرّه «أنه ذكر الصلاح ترغيباً ، والإساءة ترهيباً»^(٤) .

فالقول بالحذف -في التقديرين- أسهم في نفي التسوية بين أفراد كل نوع ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستوون مع أصدادهم الذين كفروا وعملوا السيئات ، ولا يستوي المحسن مع ضده المسيء ؛ ترغيباً في الارتقاء في درجة الإيمان ، وترهيباً من الانحطاط في درك الكفران ، فالذي يهدي إليه السياقان يُعضد من شأن الحذف لما تحقق فيهما من الإعلام

(١) ينظر : المرجع السابق ٣٧/١٦ .

(٢) المرجع السابق ٩٧/١٧ .

(٣) روائع الإعجاز في القصص القرآني - دراسة في خصائص الأسلوب القصص المعجز - ، ص ٣١٤ .

(٤) الموضوع السابق .

بحقيقة الجنة والنار ؛ لأجل الجزاء على جنس الأعمال ، فتقرر في السياق العام الإشادة بتصنيف البشر- في الآخرة- صنفين ؛ أهل جنة ، وأهل نار^(١) ، وفي الخاص الإعلام بتحقيق نفي استواء أهل الطاعة مع أهل المعصية في الأجر . فحصل بالحذف تأكيد معنى أنه لا يستوي المحسن بالإيمان والعمل الصالح مع المسيء بالكفر والعمل السيئ ؛ لأن ذلك أدل على القدرة^(٢) ؛ لذا ففي حمل النظم على الحذف جليل من لطائف المعاني التي تسعى في المقام الأول إلى ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ تحقق الإيمان في النفوس ، وهو الاعتبار والاتعاظ بالحكمة الإلهية من نفي التساوي في الآخرة بين المؤمن والكافر ، فإذا حصل في النفوس الإيمان بالدار الآخرة تحقق استشعار مطلق العظمة والقدرة على الإحياء بعد الفناء ، ثم الجزاء على طيب الأعمال بالجنة ، وخبثها بالنار^(٣) ، فمن استشعر عظم الفرق بين حسن الثواب وسوء العقاب سهل عليه ترك المعاصي والمنكرات التي تُوجب العذاب وتخلد في النار^(٤) ، ولو تذكرنا لعرفنا ، فالأمر واضح قريب لا يحتاج إلى أكثر من التذكير والتذكير^(٥) .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت: ٤٠، ك) ، شبه احتباك «ذكر الإلقاء في النار أولاً دليلاً على دخول الجنة ثانياً ، والأمن ثانياً دليلاً على الخوف أولاً»^(٦) ، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (خائفاً) ؛ لدلالة ذكر ﴿ءَامِنًا﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (يدخل الجنة) ؛ لدلالة ذكر ﴿يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ ، وتقديره : أفمن يلقي في النار فيكون خائفاً خيراً ، أم من يأتي آمناً يوم القيامة فيدخل الجنة .
وسره أنه «ذكر المقصود بالذات ، وهو ما وقع الخوف لأجله أولاً ، والأمن الذي هو

(١) ينظر : نظم الدرر ١/١٧ .

(٢) ينظر : الموضوع السابق .

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٤/٧٧ وما بعدها بتصرف .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٥/٣٢٥ بتصرف .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ٢٤/٣٠٩١ .

(٦) نظم الدرر ١٧/١٩٩ .

العيش في الحقيقة ثانياً»^(١) ، «وكان الظاهر أن يقابل الإلقاء في النار بدخول الجنة ، لكنه عدل عنه ؛ اعتناءً بشأن المؤمنين ؛ لأن الأمن من العذاب أعم وأهم ، ولذا عبر في الأول بالإلقاء الدال على القسر والقهر ، وفيه بالإتيان الدال على أنه بالاختيار والرضا مع الأمن ودخول الجنة لا ينفي أن يبذل حالهم من بعد خوفهم أمناً»^(٢) .

فصورة الحذف أسهمت في نفي التسوية بين من عمل في الدنيا فآمن بآيات الله واتبع أمره ونهيه ، وبين من لم يعمل للآخرة وكفر بالآيات ولم يتبع أمره ونهيه ؛ ترغيباً في الإيمان وترهيباً من الكفر ، ويظهر جمال المراد بعد مراعاة النظر في السياق العام لما تقرر فيه من إثبات علم الله الدافع إلى الإيمان والطاعة^(٣) ، والخاص لما تحقق فيه من بيان خطر الإلحاد في آيات الله ترهيباً منه^(٤) . فحصل بالمعاني الإحسانية مزيد تأكيد لانتفاء المساواة ؛ لبعد التباين التباين في جنس العمل الموجب الإلقاء في النار والإتيان أمناً .

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن في القول به نظراً^(٥) . والظاهر أنه وجه من وجوه فهم فهم المعنى لا يتعارض مع المراد ، بل حقق للنظم جملة من المعاني ، من أبرزها : تعريف العباد بأن الإعراض عن تأمل دلالات الحق والإلحاد فيها سبب الإلقاء في النار التي توجب الخوف ؛ لما فيها من شدة الأهوال ، فيدوم خوفه ، والإيمان بما يُوجب الخلود في الجنة ، فيدوم أمنه^(٦) ؛ لهذا فالقول به ذو أثر بارز في العناية بالتصعيد الإيماني بغية التمسك بالطاعات والبعد عن المعاصي .

وفي قول الحق **عَلَيْكُمْ** : ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: ٥١) -

(١) المرجع السابق ١٣٤/١٧ .

(٢) روح المعاني ١٢٧/٢٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٧٩/١٧٩٩ .

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٣٢/٢٤٤ .

(٥) ينظر : روح المعاني ١٢٧/٢٤٤ . قيل : «لا اشتراك بين الإلقاء في النار والإتيان أمناً ، لكنه - كما قلنا - استفهام تقرير ، كما يقرر المناظر خصمه على وجهين ، أحدهما فاسد يرجو أن يقع في الفاسد فيتضح جهله ، ونبه بقوله : ﴿يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ على مستقر الأمر ، وهو الجنة ، وبقوله : ﴿أَوَمَتًا﴾ على خوف الكافر وطول وجله ، وهذه الآية عامة في كل كافر ومؤمن» . البحر المحيط ٤٧٨/٧ .

(٦) ينظر : نظم الدرر ١٧٩/١٧٩٩ بتصرف .

ك،٥٢ ، شبه احتباك «ذكر الإبصار أولاً دليلاً على حذف مثله ثانياً ، والخيرية ثانياً دليلاً على حذف مثلها أولاً»^(١) . وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (خير عندكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَمَ أَنَا خَيْرٌ﴾ ، ومن الطرف الثاني حذف (أفلا تبصرون) ؛ لدلالة ذكر ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ، وتقديره : أفلا تبصرون ، أفهذا الذي جاء يسلبنا عبيدنا -بني إسرائيل- خير عندكم مني ، أم أنا خير ، أفلا تبصرون ما نبهتكم عليه؟ .

وسرّه : أنه ذكر ما اقتضى السياق ذكره ؛ لبيان حقارة فرعون في نسب الخيرية إليه وإثبات مكابرتة ؛ لذا أثبت نفي الإبصار عنهم ، حتى لا يتعجل فرعون في نسب الخيرية إليه^(٢) . إن القول بالحذف يُعد وجهًا من وجوه فهم المعنى على اعتبار جعل «أم أنا خير؟» من الاستفهام الذي جعل بـ(أم) ؛ لاتصاله بما قبله من الكلام ، بمعنى : أنا خير من هذا الذي هو مهين؟ أم هو؟»^(٣) . فالنمط التركيبي لطبيعة الحذف أسهم في نفي التسوية بين موسى عليه السلام وفرعون ، ليتحقق المقصد الأعظم من إعلاء الحق على الباطل ، ويتضح جلال المراد بعد رعاية السياق لما احتواه من حصول «البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة ؛ حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم»^(٤) ، والخاص لما تحقق فيه من تأكيد عجز فرعون في إدعائه القوة والقدرة ، وإثبات قوة موسى عليه السلام وقدرته بتقدير الله له^(٥) . فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهريين ، الأول : في «أفلا تبصرون -أيها القوم- ما أنا فيه من النعيم والخير ، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان»^(٦) ؟ ، والثاني : في «أنا خير-أيها القوم- أم هذا الذي لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده ، والآفة التي بلسانه ، فلا يكاد من أحلها يبين كلامه؟»^(٧) ، فتحقق المقصد الأعظم ، وهو انتفاء الخيرية . ولكن في الحذف تثقيفاً للنفوس يرشد إلى مراعاة تحكيم العقل ودقة النظر في تأمل الدلائل ؛ لأجل

(١) المرجع السابق ٤٤٧/١٧ وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع البيان ٨٢/٢٥ .

(٣) الاحتباك في الذكر الحكيم موقعه ، أسراره ، ص ١٦٢ .

(٤) نظم الدرر ٣٧٦/١٧ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٤٤٨/١٧ .

(٦) جامع البيان ٨١/٢٥ .

(٧) الموضوع السابق .

معرفة الصواب ، وهذا يتطلب قلباً مؤمنة تحس مظاهر القدرة والعظمة ، لا قلباً يخدعها البريق القريب من العيون ؛ لأنها لم تحصل على العلم الذي يؤهلها لمعرفة دلائل الله الدالة على كماله ، «وعند أصحاب العقول الغافلة لا بد أن يكون فرعون الذي له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته ، خيراً من موسى ﷺ ومعه كلمة الحق ومقام النبوة ودعوة النجاة من العذاب الأليم!»^(١) ، ففي الحذف تنبيه لحقارة فرعون وضعفه ؛ لأن ملكه منحصر في الدنيا ، ولتراهة موسى ﷺ وقوته ؛ لما عنده من دلائل القدرة وخارق المعجزات .

*

وفي قول الحق ﷻ : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (القم: ٤٣، ك) ، شبه احتباك «أثبت الخيرية أولاً دليلاً على حذفها ثانياً ، والبراءة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً»^(٢) . وعلى هذا فالحذوف من الطرف الأول (لم يكن لهم براءة في الزبر) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ في الطرف الأول . ومن الطرف الثاني حذف (خير منكم) ؛ لدلالة ذكر ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ ﴾ في الطرف الثاني . وتقديره : أكفاركم خير من أولئكم فلهم براءة في الزبر ، أم لكم براءة في الزبر فأنتم خير منهم^(٣) .
وسرّه أنه ذكر الأدل على التبيكيت والتويخ ؛ ليتحقق أن الكفر كله ملة واحدة ، لا تفضيل لأحد على أحد ، ولا خيرية فيه لكافر إطلاقاً^(٤) .

فصورة الحذف تشير إلى نفي الخيرية عنهم ؛ ترهيباً من شدة العذاب ، ويزداد حسن المعنى بعد مراعاة النظر في السياق العام لما ثبت فيه من تحقق أمر الساعة وشدة قرّبها^(٥) ، والخاص لما تحقق فيه من تمادي الكفرة في الكفر بالله ، رغم موعظة الله لهم بذكر عذاب السابقين^(٦) ؛ فحصل الإعلام بأنهم ليسوا خيراً من الكفرة السابقين فليس لهم براءة في

(١) في ظلال القرآن ٣١٩٣/٢٥ .

(٢) نظم الدرر ١٣٠/١٩ .

(٣) ينظر : الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسرار ، ص ٢٨٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٥) ينظر : نظم الدرر ٨٦/١٩ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ١٣٠/١٩ .

الكتب تبين أن كفارهم لا ينالهم العقاب الذي حل بأمثالهم ^(١) ، ففي الحذف زيادة تأكيد أنهم سواء في الكفر وسواء في إحاطة العذاب ؛ تحذيراً من هول المصير الذي ينتظرهم ^(٢) ، ثم إن في تأمل الحذف بثاً للرعب في نفوس الكافرين ؛ ليتحقق إبعادهم عن الوقوع في العذاب .

*

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٧/٢١١ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢٧/٣٤٣٥ .

خاتمة البحث

– أهم نتائج البحث ما يلي :

- ❖ من أقدم من أشار إلى هذا النوع من الحذف سيبويه (١٨٠هـ) .
- ❖ يعد السجلماسي (٧٠٤هـ) ، من أقدم من أطلق اسم حذف التقابل ، كما أن ابن هاني الغرناطي (٧٧١هـ) من أقدم من أطلق اسم الاحتباك .
- ❖ بدايات هذا الفن البلاغي ظهرت واضحة منذ أوائل القرن السادس الهجري عند ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ) ، كما أن تحرر مفهومه اتضح بصورة أكثر دقة من حيث الصياغة في أوائل القرن الثامن الهجري ، عند أبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) .
- ❖ دراسة علماء المغرب الإسلامي لهذا الفن البلاغي أكثر دقة منها عند علماء المشرق الإسلامي .
- ❖ عدم ظهور هذا الفن البلاغي مبكراً كان سبباً رئيساً وراء اختلاف وجهات نظر العلماء في تحديد طبيعته .
- ❖ نال فن الاحتباك عناية من العلماء خصوصاً المفسرين ، والبلاغيين ، والنحويين ، والفلاسفة ، واتضح ذلك من خلال نصوصهم .
- ❖ كان للنظم نصيبٌ قليل من اهتمام بعض العلماء الذين عنوا ببيان الاحتباك في أسفارهم ؛ إذ توصلت الدراسة إلى رصد ستة شواهد نظمت شعراً ، وثلاثة نظمت نثراً صح حملها على الاحتباك وشبهه .
- ❖ يعد البقاعي أكثر العلماء مهارة في الحديث عن الاحتباك ؛ حيث ذكر له ما يقارب : «مائتين وأربعة وتسعين» موضعاً ؛ لذا يعد أعظم مرحلة مثلت الاحتباك خير تمثيل . كما يعد الطاهر ابن عاشور أكثر العلماء إشارة إلى شبه الاحتباك .
- ❖ من خلال الوقوف على ما ذكره العلماء من تعريفات لمصطلح الاحتباك تبين أن له طريقتين ، الأولى : ما كانت النسبة فيه بنسبة الأول إلى الثالث ، كنسبة الثاني إلى الرابع ، والثانية : ما كانت النسبة فيه بنسبة الأول إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع ، فكل موضع أتى بتلك الطريقتين كان موافقاً لقاعدة الاحتباك ، وكل آية خرجت عن

المتعارف عليه عند العلماء بنص التعريف الموضوع للاحتباك كان شبيهًا بالاحتباك ، وإذا كان المعنى ظاهرًا واضحًا فالأولى فيه ترك التقدير ، خاصة في كلام الله ؛ لأنه قد يؤول إلى تكلف وتعسف ، وهذه قاعدة سار عليها أهل العلم ، خصوصًا المتقدمين منهم : «إنا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره ...» .

❖ اقتضى **الجانب النظري** من الدراسة في الفصل الأول : تتبع الاحتباك عند النحاة ، فاتضح أن المتقدمين منهم لم يبرزوا القول فيه ، وإنما ظهرت عناية العلماء به في القرن الثامن الهجري . وفي الفصل الثاني : عند المفسرين ، فاتضح أن المتقدمين لم يبرزوا القول فيه ، وإنما ظهرت عنايتهم به في القرن السادس الهجري . وفي الفصل الثالث : عند أصحاب الدراسات البلاغية والنقدية ، فاتضح أن صورة القول بالاحتباك لم تبرز العناية به عند المتقدمين منهم ، وإنما ظهرت عنايتهم به في القرن السابع الهجري .

❖ من خلال دراسة الاحتباك وشبهه عند العلماء يتضح أن دراستهم الاحتباك وشبهه على أربع مراحل

➔ **المرحلة الأولى** : تبدأ من القرن الثاني إلى الرابع الهجري : أجمل القول في بيان ملامح المنهج الذي سار عليه علماء تلك الفترة ؛ لكون الإشارة إلى الاحتباك غير ظاهرة .

➔ **المرحلة الثانية** : تبدأ من القرن الخامس إلى التاسع الهجري ، وفيها انقسم العلماء فريقين : فريق ركز النظر على التقدير ، والآخر كشف عن المصطلح له .

➔ **المرحلة الثالثة** : وهي مرحلة البقاعي وحده في القرن التاسع الهجري ، وفيها ظهر الاحتباك مصطلحًا علميًا قائمًا على ضوابط معينة ، وقد ظهرت أبرز ملامح المنهج الذي سار عليه .

➔ **المرحلة الرابعة** : تبدأ من القرن الحادي عشر وما بعده ، واتضح أن أغلب علماء هذه الفترة لم يقدموا جديدًا في المستوى الإبداعي لفن الاحتباك . وفيها الكشف عن أهم ملامح المنهج الذي سار عليه بعض أصحابها ؛ لما وجد عندهم من إشارات تفردوا بها من جانب ، وأخرى فيها مزيد عناية ببيان الاحتباك من حيث تقريب صورته وتوضيحها .

❖ **في الجانب التطبيقي** ، الفصل الأول : درست فيه الآيات التي أسهمت في إبراز

كمال العقيدة ونزاهة الشريعة ، فاتضح أثر هذا الحذف في إنماء جوانب التصعيد الإيماني ؛ لأجل الترقى في العبادة ، ونقي الإشراف بجميع مظاهره ومختلف أشكاله . والفصل الثاني : درست فيه الآيات التي أسهمت في إبراز هيئة الأحكام الشرعية ، وأهمية التكليف الإلهية ؛ فاتضح أثره في العمل على إدراك العلم بما هو عليٌّ من الأحكام ؛ ليجب في النفوس التخلق بما تقتضيه الأحكام وتفرضه التكليف من أحكام شرعية وتكاليف ربانية . والفصل الثالث : درست فيه الآيات الخاصة بالترغيب والترهيب ، فاتضح أن هذا الفصل أكثر الفصول السابقة احتواءً لمواضع الحذف ، فكان الحذف فيه عوناً على استبصار لطائف المعاني المثيرة لعزائم أهل الإيمان ؛ لتدفعهم إلى الإقبال ، والمحافظة على الطاعة .

❖ الاحتباك وشبهه أكثر وقوعاً في آيات الترغيب والترهيب : حيث بلغ (مائتين وثلاثة)

مواضع ، ثم آيات العقيدة : حيث بلغ (مائة وتسعة وثلاثين) موضعاً ، ثم آيات بيان

الأحكام : حيث بلغ (اثنين وعشرين) موضعاً . **ودراسة هذه المواضع على النحو الآتي :**

➔ **الفصل الأول : الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة :** حاصل عدد المواضع المدروسة في هذا الفصل : (مائة وتسعة وثلاثون) موضعاً . في (مائة واثنين وستين) آية ، من أصل (مائة وستين آية) منها (مائة وثلاث وعشرون) مكية و(وتسع وثلاثون) مدنية .

➔ **الفصل الثاني : الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية :** فحاصل عدد المواضع المدروسة في هذا الفصل (اثنان وعشرون) موضعاً ، في (ثلاث وعشرين) آية ، منها (ثمان) مكية ، و(وخمسة عشرة) مدنية .

➔ **الفصل الثالث : الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب :** حاصل عدد المواضع المدروسة في هذا الفصل (مائتان وثلاثة) مواضع ، في (ثلاثمائة وأربع عشرة) آية ، من أصل (مائتين وست وتسعين آية) منها (مائتان وعشرون آية مكية) ، و(وتسعون آية مدنية) .

❖ جمال الاحتباك وشبهه يكمن في لطائف المعاني التي تحملها الأساليب البلاغية .

❖ أسهم الاحتباك وشبهه في إنماء الجانب الإيماني لمن يتدبره من خلال ملازمة الحث على التصعيد في مقامات القرب من الله ، والتي من أبرزها :

➡ إرشاد البشر إلى لزوم التسبيح والتحميد ، تسييحاً يليق بعظيم القدرة ، وتحميداً يليق بجليل الفضل .

➡ إعلام البشر بما هو في سابق علم الله المطلق من جعل القدرة على الهداية والضلال فعلاً من أفعاله الخاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه .

➡ الدعوة إلى وجوب التحلي التام بما تقتضيه الملة الحنيفية ، والتخلي عن لزوم سائر الملل .

➡ سلب مطلق القدرة والعلم عن رسل الله وأنبيائه ؛ لإثبات أنهم بشر مكلفون تبليغ الدعوة ؛ حتى يتحقق الهدف الأسمى من جميع الرسالات وهو عبادة الله رباً واحداً .

❖ أسهم الاحتباك وشبهه بأثر ملموس في الكشف عن هيبة الأحكام والتكاليف الإلهية ؛ لتثقيف النفوس فيما يتعلق بحياتها تجاه مراعاة تطبيق الأحكام ، وحثاً على التمسك بفرائض الإسلام ، وصيانة لتلك الأحكام والتكاليف بالمحافظة عليها والعمل بموجبها كما أمر الترتيل ، كما أبرز الاحتباك ماهية الحكم الشرعي بصورة أكثر دقة ؛ تأكيداً على أهميته وإيضاحاً له . فمن تلك الأحكام والتكاليف التي أبرزها الاحتباك وشبهه :

➡ إبراز الوجه الأكمل في حكم وطء الحائض من خلال دلالة النهي .

➡ إبراز مشروعية الإسلام والإيمان من خلال دلالة الأمر .

➡ إنماء الجانب العاطفي والمعرفي لدى القارئ من خلال ما يبرزه -الاحتباك- من جليل المعاني الثقيفية .

➡ تحري الدقة في الانضباط في تعيين شهر الصيام .

➡ تعمق مشروعية الاستغفار والتوبة عند تحقق المراد .

❖ للاحتباك وشبهه أثر فاعل في تحقيق جملة من المعاني الإحسانية الدافعة إلى الترقى في مدارج الإيمان ، والبعد عن التردى في دركات الكفر ، من خلال :

➡ إبراز صورة الدنيا وحقارتها ، وتأكيد حقيقتها في أنها دار تكليف ، وصورة الآخرة ونزاهتها ، وتأكيد حقيقتها في أنها دار تشریف للمؤمنين .

➡ إعلام البشر بما هو غيب عنهم ؛ ليرتقوا بالعلم والمعرفة .

➡ ترسيخ دعائم الإيمان في النفوس ، وذلك بإيضاح حلاوة النعيم ، وحال ساكنيه .

- ✎ نزع أو اصر الكفر من النفوس ، وذلك بإيضاح شدة العذاب ، وحال ساكنيه .
- ✎ نفي المساواة بين الكفر والإيمان لحمل المشركين على الإيمان .
- ❖ يلحظ لدى البقاعي تكلف في تحديد وجه الاحتباك في بعض الآيات ، مما جعله يحدد أوجه التقابل أو التناظر وفق اصطلاحه الخاص .
- ❖ عدد مواضع الاحتباك وشبهه في القرآن الكريم (ثلاثمائة وأربعة وستون) موضعاً توصل البحث إلى إحصائها ، والجدير ذكره أن تلك المواضع من أصل (ثلاثمائة وخمسين) موضعاً ؛ لأنه في بعض المواضع ، وهي (أربعة عشر) موضعاً قيل إن فيها موضعين للحذف ، وهي على النحو الآتي : البقرة : (٣٨-٣٩) ، (٢٠٥) ، آل عمران : (٣٠) ، النساء : (٧٤) ، الأعراف : (٢٩-٣٠) ، هود : (٤٨) ، الإسراء : (٧١-٧٢) ، الروم : (٤٤) ، ص : (٢٨) ، الزمر : (٣٢-٣٣) ، محمد : (١٢) ، (٣٦) ، الحجرات : (١٤) ، النازعات : (٣٧-٤٠) فهذه المواضع اختلفوا في معالجة الأسلوب فيها ؛ لذا أصبح في الموضوع الواحد احتباكان كل موضع يختلف عن الآخر في بيان المعنى .
- ❖ الاحتباك يكثر في آيات الترغيب والترهيب ، إذ بلغ عدد مواضعه (مائة وثمانية وعشرين) موضعاً ، ثم في آيات العقيدة ، إذ بلغ عدد مواضعه (تسعة وثمانين) موضعاً ، ثم في آيات الأحكام ، إذ بلغ عدد مواضعه (أربعة عشر) موضعاً .
- ❖ شبه الاحتباك يكثر في آيات الترغيب والترهيب ، إذ بلغ عدد مواضعه (خمسة وسبعين) موضعاً ، ثم في العقيدة إذ بلغ عدد مواضعه (خمسين) موضعاً ، ويقل في آيات الأحكام إذ بلغ عدد مواضعه (ثمانية) مواضع .
- ❖ اتضح عند بعض العلماء اختلاف بناء العبارة من حيث نمط صياغتها في ذكر التقدير فأصبح للموضوع الواحد تقديران يتفقان معنى ويختلفان صياغة ، وعليه قد يكون عند أحدهما احتباك ، وعند الآخر من باب شبه الاحتباك ، فهذه المواضع اعتبر فيها أحد التقديرين أولى من الآخر ، فأصبح فيها موضع واحد .
- ❖ أكثر سورة تمثل فيها الاحتباك (البقرة في سبعة وعشرين موضعاً) ، ثم (الأنعام في خمسة وعشرين موضعاً) ، ثم (آل عمران في ثمانية عشر موضعاً) . ثم (الأعراف في أربعة

عشر موضعاً) . ثم (غافر في ثلاثة عشر موضعاً) . ثم (الزمر في اثني عشر موضعاً) . ثم (الأحزاب في أحد عشر موضعاً) . ثم (التوبة ، والقصص ، ومحمد في تسعة مواضع) . ثم (النحل ، وفصلت ، في ثمانية مواضع) ، ثم (الروم ، والشورى في سبعة مواضع) ثم (المائدة ، ويونس ، وهود ، والإسراء ، والحج ، ويس ، وص ، في ستة مواضع) . ثم (النساء ، والرعد ، وإبراهيم ، وفاطر ، والواقعة ، والجن في خمسة مواضع) . ثم (الأنفال ، ويوسف ، والكهف ، وطه ، والنمل ، والعنكبوت ، ولقمان ، والجنات ، والحجرات في أربعة مواضع) . ثم (سبأ ، والأحقاف ، والقمر ، والإنسان ، والأعلى في ثلاثة مواضع) . ثم (مريم ، والأنبياء ، والشعراء ، والزخرف ، والفتح ، والنجم ، والحديد ، والصف ، والملك ، والقلم ، ونوح ، والقيامة ، والنبأ ، والنازعات ، وعيس ، والتكوير ، والمطففين ، والانشقاق ، والليل في موضعين) . ثم (الفاحة ، الحجر ، والنور ، والفرقان ، والطور ، والرحمن ، والحشر ، والمنتحنة ، والمنافقون ، والتحريم ، والحاقة ، والمزمل ، والمدثر ، والغاشية ، والفجر ، والبلد ، والشمس ، والتين ، والعلق ، والقارعة ، والتكاثر ، والماعون ، والنصر في موضع واحد) . وفي المقابل لما سبق ، فإنَّ هناك سوراً خلت من الإشارة إلى الاحتباك أو شبهه وهي كآآتي : (المؤمنون ، السجدة ، والصفات ، والدخان ، وق ، والذاريات ، والمجادلة ، والجمعة ، والتغابن ، والطلاق ، والمعارج ، والمرسلات ، والانفطار ، والبروج ، والطارق ، والضحي ، والشرح ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والعدايات ، والعصر ، والهمزة ، والفيل ، وقريش ، والكوثر ، والكافرون ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس) .



فهرس المصادر والمراجع

- 📖 القرآن الكريم (مصحف المدينة المنورة ، مجمع الملك فهد) . ومصحف بخط السيد مصطفى نظيف الشهير بقدر وعلی ، بتصريح من مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف ، رقم: ١١٢ ، الصادر في: ١٥/٤/١٩٦٧ ، (القاهرة ، دار التأليف) .
- 📖 ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، تأليف: عبد الفتاح لاشين ، (بيروت ، لبنان، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .
- 📖 الإتيقان في علوم القرآن ، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، قدم له وعلق عليه: محمد شريف سُكر ، راجعه: مصطفى قصاص ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- 📖 ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تأليف : أبي حيان الأندلسي ، تحقيق: رجب عثمان محمد ، مراجعة: رمضان عبد التواب ، (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) .
- 📖 إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).
- 📖 إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف: محمد زهير الشاويش ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م) .
- 📖 أساس البلاغة ، تأليف: جار الله الزمخشري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) .
- 📖 أسرار البلاغة ، تأليف: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه أبو فهر: محمود محمد شاكر (القاهرة ، مطبعة المدني ، جدة ، دار المدني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) .
- 📖 الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي ، (بيروت ، دار الجيل، الطبعة الأولى،

- ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لتراث أهل العلم- ، تأليف: محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م) .
إعراب القراءات السبع وعللها ، تأليف: أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه
الهمداني النحوي الشافعي ، حققه وقدم له :عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ،
(القاهرة، مطبعة المدني ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة: إبراهيم الابياري ، (بيروت ، دار
الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م).
أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف: ابن هشام الأنصاري ، معه -كتاب- عدة
السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ،
صيда ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
البحر المحيط ، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق:عادل أحمد
عبد الموجود ، وآخرون ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .
بدائع الفوائد ، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم
الجوزية ، تقریظ وتقديم الدكتور: وهبة الزحيلي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه:
معروف مصطفى زريق ، و آخريين ، (دمشق ، دار الخير ، الطبعة بدون ،
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
بديع القرآن المجيد ، تأليف: ابن أبي الإصبع ، تحقيق: حفني محمد شرف ، (القاهرة ، دار
نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).
البديعيات في الأدب العربي نشأتها -تطورها وأثرها- ، تأليف: علي أبو زيد ،
(بيروت، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
البرهان في علوم القرآن ، تأليف: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق :
محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع
بدون).
بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، تأليف: عبد المتعال الصعيدي ،

- (الرياض ، مكتبة المعارف، القاهرة ، مكتبة الآداب ، طبعة نهاية القرن : ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، تأليف: محمد محمد حسنين أبو موسى ،(القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).
- تأملات في سورة البقرة ، تأليف: حسن محمد باجودة ، (القاهرة ، مكتبة مصر، الطبعة بدون ، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م).
- التيبان في البيان ، تأليف: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، تحقيق: توفيق الفيل ، و عبد اللطيف لطف الله ، (الكويت ، ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).
- التحبير في علوم التفسير ، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حققه وقدم له ووضع فهارسه فتحي عبد القادر فريد ، (الرياض ، دار العلوم ، الطبعة بدون ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- التحرير والتنوير ، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة بدون ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) .
- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ، تقديم وتحقيق : محمادي عبد السلام الخياطي ، (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، (لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- التعريفات ، تأليف: علي بن محمد الشريف الجرجاني ،(بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- تفسير ابن زمنين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة -محمد بن مصطفى الكتر، (القاهرة ، دار الفاروق الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .
- تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) ، تأليف: الحسين بن محمود بن محمد البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون،(الرياض ، دار طيبة ، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

- 📖 التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، تأليف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .
- 📖 تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التزويل وأسرار التأويل) ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- 📖 تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير (المنار) ، تأليف: محمد رشيد رضا ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- 📖 تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) .
- 📖 التفسير القيم ، تأليف: ابن القيم الجوزية ، جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- 📖 التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، تأليف: محمد بن عبد الله بن عمر التميمي الرازي الشافعي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .
- 📖 تفسير النسفي المسمى (مدارك التزويل وحقائق التأويل) ، تأليف: عبد الله أحمد بن محمود النسفي ، قدم له : قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه وأشرف عليه : إبراهيم محمد رمضان ، (بيروت ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م) .
- 📖 تفسير آيات الأحكام ، تأليف : عبد القادر شيبه ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦هـ) .
- 📖 توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تأليف:المرادي المعروف بابن أم قاسم، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .
- 📖 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، (القاهرة ، دار المعارف، الطبعة الرابعة ، سنة الطبع بدون) .
- 📖 جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- 📖 الجامع لأحكام القرآن ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،

- تحقيق: مصطفى السقا ، (القاهرة ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تأليف : أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق : محمد الفاضلي ، (بيروت صيدا ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .
- حاشية الأسعد أبي العباس سيد أحمد بن محمد ابن حمدون الحاج على شرح - ألفية ابن مالك - تأليف: أبي زيد سيدي عبد الرحمن المكودي ، طبعة جديدة تشرف بخدمتها وتصحيحها وضبطها : محمد صدقي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف محمد البقاعي ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة بدون ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) .
- حاشية الشهاب المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، (بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة بدون ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م) .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه الشواهد للعيبي ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م) .
- حاشية القنوي وابن التمجيدي على تفسير البيضاوي ، (الناشر بدون ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- حاشية فتح الجليل ، تأليف : أحمد السجاعي على شرح ابن عقيل على متن الألفية لابن مالك ، (القاهرة ، طبع بمصر ، الطبعة بدون ، ١٢٩٠هـ - ١٨٧٠م) .
- حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- حجة القراءات السبع ، تأليف: أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، حققه وعلق عليه: سعيد الأفغاني ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .
- الحجة للقراء السبعة - أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن

مجاهد- ، تأليف : أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه : كامل مصطفى الهنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

📖 الخصائص ، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

📖 خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- ، لمحمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبه ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م) .

📖 الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، (دمشق ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .

📖 دلائل الإعجاز ، تأليف: أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر ، (جده ، دار المدني ، القاهرة ، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

📖 ديوان الحارث بن حلزة بن مكروه ، تحقيق : طلال حرب ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة بدون ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

📖 الرحيق المختوم-بحث في السيرة النبوية- ، تأليف: صفى الرحمن المباركفوري ، (دار المؤيد الإسلامية، الطبعة بدون ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

📖 روائع الإعجاز في القصص القرآني- دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز-، تأليف: محمود السيد حسن ، (الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة بدون ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .

📖 روح البيان ، تأليف : إسماعيل حقي البروسوى ، (استانبول ، مطبعة عثمانية ، الطبعة بدون ، ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م) .

📖 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، (بيروت ، دار الفكر ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

📖 الروض المريع في صناعة البديع ، تأليف: ابن البناء المراكشي العددي ، تحقيق: رضوان

- بنشقرن ، (الرباط ، الطبعة بدون ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- سنن ابن ماجه ، تأليف : محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة بدون ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .
- سنن أبي داود ، تأليف : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩ ، ١٩٥٠م) .
- سنن الترمذي ، تأليف: محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، حققه وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان ، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- سنن الدارمي ، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .
- السنن الصغرى ، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، (المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
- السنن الكبرى ، تأليف: أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م) .
- شرح ألفية ابن مالك ، تأليف: ابن الناظم ، أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن جمال الدين محمد بن مالك ، حققه وشرح شواهده ووضع فهارسه عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، (بيروت ، دار الجيل ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون).
- شرح المفصل ، تأليف: علي بن أبي السرايا ابن يعيش ، (بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة المتنبّي ، الطبعة بدون ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- شرح ديوان الحماسة ، تأليف: أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي ، نشره: أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) .
- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،

- (مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- شرح كتاب سيويه ، تأليف:أبي سعيد السيرافي ، حققه وقدم له وعلق عليه : رمضان عبد التواب وآخرون ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة بدون ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .
- صحيح البخاري -الجامع الصحيح المختصر- ، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، (بيروت ، دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) .
- صحيح الترغيب والترهيب ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف : محمد زهير الشاويش ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .
- صحيح سنن ابن ماجه ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، (الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت- ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .
- صحيح مسلم ، تأليف: مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- الصناعتين - الكتابة والشعر- لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
- الصيغ البديعي في اللغة العربية ، تأليف:أحمد إبراهيم موسى ، (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، الطبعة بدون ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م) .
- طراز الحلة وشفاء الغلة - شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى- بديعية الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن جابر الأندلسي ، حققته وقدمت له: رجاء السيد الجوهري ، (الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الطبعة بدون ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، تأليف:محمود بن حمزة الكرمانى ، تحقيق : شمران سركال يونس العجلي ، (جدة ، دار القبلة ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- غريب القرآن وتفسيره ، تأليف: أبو عبدالرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي ،

- حققه وعلق عليه: محمد سليم الحاج ، (بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى،
١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
- ❏ في ظلال القرآن ، تأليف: سيد قطب، (دار الشروق ، طبعة جديدة مشروعة ، الطبعة
الشرعية السابعة ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- ❏ قراءة في الأدب القديم ، تأليف: محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة
الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) .
- ❏ القرآن الكريم وتفاعل المعاني -دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن
الكريم- ، محمد محمد داود ، (القاهرة ، دار غريب ، الطبعة بدون ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) .
- ❏ الكتاب ، تأليف: بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ،
(القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٧م) .
- ❏ الكشف عن حقائق التترييل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبو القاسم جار
الله الزمخشري الخوارزمي ، - ومعه كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشف من
الاعتزال، تأليف : ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري المالكي- ،
بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- ❏ لباب التأويل في معاني التترييل ، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر
الحازن ، (مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ-
١٩٥٥م) .
- ❏ اللباب في علوم الكتاب ، تأليف : أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي
الحنبلي، تحقيق وتعليق : عادل عبد الموجود ، وآخرون ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب
العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ ، ١٩٩٨م) .
- ❏ لسان العرب، تأليف : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي
المصري ، (بيروت ، دار صادر ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
- ❏ لطائف الإشارات - تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم- تأليف : القشيري ، قدم له
وحققه وعلق عليه : إبراهيم بسيوني ، صدر له: حسن عباس زكي ، (القاهرة ، الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر ، الطبعة بدون ، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م) .
- ❏ لمسات بيانية في نصوص من التترييل ، تأليف:فاضل صالح السامرائي، (دار عمار ،

- الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .
- الماس في احتباك يعجز الجنة والناس في تفسير قوله: {ومن يكرهن... الآية} ، تأليف: محمد ابن عيسى الجزائري التونسي ، (تونس ، طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية ، الطبعة بدون ، ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م) .
- متن الألفية ، تأليف: محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، (القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامي ، الطبعة بدون ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تأليف: أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، الطبعة بدون ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: علي النجدي ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، (القاهرة ، إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة بدون ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، (فأس ، المجلس العلمي ، الطبعة بدون ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .
- مسند أحمد بن حنبل ، تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني ، رقم أحاديثه: محمد عبد السلام الشافعي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .
- المطول - شرح تلخيص مفتاح العلوم - ، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .
- مع بلاغة القرآن-تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان - ، تأليف: عبد الحميد العيسوي، (مكان النشر بدون ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) .
- معاني القرآن الكريم ، تأليف: أبي جعفر النحاس ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، (مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .

- 📖 معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف : عبد الرحيم أحمد العباسي ، حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الكتب ، الطبعة بدون ، ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م) .
- 📖 معترك الأقران في إعجاز القرآن، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علي محمد النجاوي ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، مكتبة الدراسات القرآنية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- 📖 معجم المصطلحات البلاغية ، تأليف:أحمد مطلوب ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، الطبعة بدون ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- 📖 مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تأليف:جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، حققه وخرج شواهد:مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، وراجع: سعيد الأفغاني ، (دار النشر بدون ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) .
- 📖 مفتاح العلوم ، تأليف: يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، حققه وقدم له وفهرسه :عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) .
- 📖 المفردات في غريب القرآن ، تأليف : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط:محمد خليل عيتاني ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .
- 📖 من أسرار التعبير القرآني- دراسة تحليلية لسورة الأحزاب- ، تأليف : محمد محمد أبو موسى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .
- 📖 من الإعجاز البلاغي للقرآن ، تأليف:صباح عبيد دراز ، (الأزهر ، دار التوفيقية ، الطبعة بدون ، سنة الطبع بدون) .
- 📖 المترع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تأليف: أبي القاسم السجلماسي ، تحقيق : علال الغازي ، (الرباط ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .
- 📖 النشر في القراءات العشر ؛ تأليف: أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، قدم له علي محمد الضباع ، خرج آياته : زكريا عميرات ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة بدون ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م) .

- 📖 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، ودائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
- 📖 النظم القرآني في سورة الرعد ، تأليف: محمد بن سعيد بن حسن الدبل ، (الرياض ، عالم الكتب، الطبعة بدون ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .
- 📖 النكت والعيون ، تأليف: علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

*

المجلات

- 📖 محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، رقم إيداع ٢١/٢٧٧٣ ، وتاريخ: ١٩/٦/١٤٢١هـ ، (العنوان : لمحات في إعجاز سورة آل عمران ، لحسن محمد باجودة) .

*

البحوث والرسائل

- 📖 الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسواره ، لإبراهيم صلاح المهدهد ، (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ، وقم الإيداع : ٩٩/١٥٩٦٦ - بحث ترقية-) .
- 📖 الاحتباك في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، لعبدنان عبدالسلام أسعد ، المشرف : أحمد فتحي رمضان (ماجستير) ، (العراق ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم التربية الإسلامية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، نسخة على قرص (CD) غير موثَّق توثيقاً علمياً ، ولم أتمكن من العثور على النسخة الخطية أو صورة pdf منها) .
- 📖 الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي ، ليوسف بن عبدالله الأنصاري ، (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد) - بحث ترقية- .
- 📖 بلاغة الاحتباك في القرآن الكريم ، لعرفات محمد أحمد عثمان ، (القاهرة ، جامعة الأزهر الشريف ، رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/١٠٣٣٩) - بحث ترقية- .
- 📖 شرح ألفية ابن مالك ، لسري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هاني

اللخمي الغرناطي الأندلسي المالكي ، تحقيق : أحمد بن محمد بن أحمد بن محبوب
ذيان القرشي ، إشراف : سليمان بن إبراهيم العايد ، (دكتوراه) ، (مكة المكرمة ،
جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم النحو والصرف ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .
مقال من صور الحذف البليغ (الاحتباك) ، لعبد الحميد محمد العيسوي ، (مجلة الأزهر
الشريف ، رمضان: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، الإصدار الأول) . - بحث ترقية -

*

المصادر المخطوطة:

- تفسير ابن عرفة ، أبو عبد الله بن محمد بن عرفة ، مخطوط مصور عن نسخة رقم
: (٥٤٠) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف ،
(٢٨١٢) .
- حاشية التفتازاني على الكشاف ، لسعد الدين التفتازاني ، مخطوط مصور عن نسخة
رقم : (٥٧٦) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتبة الحرم المكي الشريف :
(٢٨٤٢) .

*

فهرس الموضوعات:

أ	ملخص الرسالة :
ب	Thesis Abstract :
ج- ف	مقدمة :
هـ - ل	الدراسات السابقة :
م- ن	خطة البحث :
س - ف	منهج البحث :
ف	شكر :
١ - ١٠	التمهيد :
٢ - ٣	الاحتباك في أصله اللغوي :
٣ - ٦	الاحتباك في الاصطلاح :
٦	بيان ضوابط فن الاحتباك :
٦-٧	بيان ضوابط شبه الاحتباك :
٧ - ٨	بيان علاقته بالإيجاز وموقعه من البلاغة :
٩ - ٨٤	الباب الأول : الاحتباك وشبهه في آثار أهل العلم :
١١ - ١٨	الفصل الأول : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار النحاة :

١٢	سيبويه : (١٨٠هـ)
١٣	الزجاج : (٣١١هـ)
١٣	أبو جعفر النحاس : (٣٣٨هـ)
١٥-١٤	إسماعيل محمد الغرناطي : (٧٧١هـ)
١٥	أحمد السجاعي : (١١٩٧هـ)
١٧-١٥	الصبان : (١٢٠٦هـ)
١٨-١٧	الحضري : (١٢٨٧هـ)
١٩-٦٧	الفصل الثاني : مضمون الاحتباك وشبهه في آثار المفسرين :
٢٠-٢٢	الطبري : (٣١٠هـ)
٢٢	الكرماني : (٥٠٥هـ)
٢٣-٢٤	الزمخشري : (٥٣٨هـ)
٢٤-٢٦	ابن عطية : (٥٤٦هـ)
٢٦-٢٩	أبو الحسن الحرالي : (٦٣٨هـ)
٢٩	القرطبي : (٦٧١هـ)
٢٩-٣٠	ابن المنير : (٦٨٣هـ)
٣٠-٣١	البيضاوي : (٦٩١هـ)
٣١-٣٦	أبو حيان : (٧٤٥هـ)
٣٦-٣٨	ابن القيم : (٧٥١هـ)
٣٨-٣٩	السمين الحلبي : (٧٥٦هـ)
٣٩-٤١	الزرکشي : (٧٩٤هـ)
٤١-٤٤	ابن عرفة : (٨٠٣هـ)
٤٤-٦٠	البقاعي : (٨٨٥هـ)
٦٠-٦١	أبو السعود : (٩٥١هـ)
٦١-٦٢	الشهاب الخفاجي : (١٠٦٩هـ)

٦٣-٦٢	☞ الألويسي: (١٢٧٠هـ)
٦٤-٦٣	☞ محمد رشيد رضا: (١٣٥٤هـ)
٦٧-٦٤	☞ ابن عاشور: (١٣٩٣هـ)
٨٤-٦٨	الفصل الثالث : مضمون الاحتباك وشبهه في الدراسات البلاغية والنقدية :
٦٩	☞ المرزوقي: (٤٢١هـ)
٧٩-٦٩	☞ السكاكي: (٦٢٦هـ)
٧١-٧٠	☞ ابن أبي الأصبع: (٦٥٤هـ)
٧٦-٧١	☞ السجلماسي: (٧٠٤هـ)
٧٨-٧٦	☞ ابن البناء المراكشي: (٧٢١هـ)
٨٠-٧٩	☞ ابن يوسف الأندلسي: (٧٧٩هـ)
٨٢-٨٠	☞ السيوطي: (٩١١هـ)
٨٢	☞ عبد الرحيم العباسي: (٩٦٣هـ)
٨٣-٨٢	☞ محمد الجزائري التونسي: (١٣١٠هـ)
٨٤-٨٣	☞ أحمد إبراهيم موسى: (...)
٥٤٧-٨٥	الباب الثاني: الاحتباك وشبهه في البيان القرآني من حيث السياق والصورة وأثره في المتلقي
٨٧-٨٦	- مدخل :
١١٠-٨٨	حصر الآيات القرآنية التي قيل فيها بالاحتباك وشبهه:
٢٨٢-١١١	الفصل الأول: أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات العقيدة من حيث السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي
١٣٤-١١٢	- المبحث الأول: أدلة وحدانية الله وعجز الآلهة من دونه :
٢٤٣-١٣٥	- المبحث الثاني: أدلة قدرة الله وإثبات عظمته :
٢٦٩-٢٤٤	- المبحث الثالث: إثبات الوحي والرسالة :
٢٨٢-٢٧٠	- المبحث الرابع: تحميد الله وتمجيده وتزيينه :

٣٧٥- ٣٧	المطلب الأول: إثبات صفتي الجلال والإكرام لله :
٣٨٢-٣٧٥	المطلب الثاني: إثبات مطلق الحمد والتسبيح لله :
٣٨٦- ٣٨	المطلب الثالث: تنزيه الله عن الشرك :
٣٢٤-٢٨٣	الفصل الثاني: أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الأحكام الشرعية ، والتكاليف الإلهية من حيثُ السياق ، والصورة ، وأثره في المتلقي:
٢٩٠-٢٨٤	- ما يتعلق بالعلاقات الخارجية بالأمم الأخرى:
٢٩٦-٢٩٠	- ما يتعلق بالعلاقة الاجتماعية بالأمة :
٣٠٢-٢٩٦	- ما يتعلق بالعلاقة الأسرية:
٣٢٤-٣٠٢	- ما يتعلق بالعلاقة بالله تعالى:
٥٤٧-٣٢٥	الفصل الثالث: أسلوب الاحتباك وشبهه في آيات الترغيب والترهيب من حيثُ السياق، والصورة ، وأثره في المتلقي :
٤٣١-٣٢٦	- المبحث الأول : أحوال أهل الإيمان وأهل الكفر ترغيباً في الجنة وترهيباً من النار :
٤٤٢-٤٣٢	- المبحث الثاني: أحوال أهل الإيمان والكفر وبيان جزائهما ترغيباً وترهيباً:
٤٤٩-٤٤٣	-المبحث الثالث: التحذير من اتباع الشيطان ترهيباً من خطر الاتباع :
٤٦٠-٤٥٠	- المبحث الرابع: الترغيب في الحياة الآخرة والترهيب من الحياة الدنيا
٥١٢-٤٦١	- المبحث الخامس: جزاء المحسنين وعقاب المسيئين ترغيباً في الثواب وترهيباً من العذاب
٥٢٠-٥١٣	- المبحث السادس: الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات ترغيباً ، والتنفير منه في وجوه المعاصي ترهيباً
٥٤٧-٥٢١	- المبحث السابع: نفي التسوية والخيرية بين الحق والباطل في جميع ما يدلان عليهما ترغيباً وترهيباً
٥٥٣-٥٤٨	نتائج البحث:
٥٦٦-٥٥٤	☞ فهرس المصادر والمراجع :
٥٧٠-٥٦٧	☞ فهرس الموضوعات :

